من مكتبة التراث

نوادر الأصول

في أحاديث الرسول

تأليف

محمد بن علي بن الحسن أبو عبد الله الحكيم
الترمذي

المجلد الأول

حقق أصوله وخرج أحاديثه
الدكتور عبد الرحمن عميره

دار الجيل
بيروت

الطبعة الأولى
١٤١٢هـ - ١٩٩٢م

نوادر الأصول

في أحاديث الرسول

مقدمة المحقق
وتشمل

١ ــ حياة الحكيم الترمذي.
٢ ــ شيوخه وتلامذته ومريدوه.
٣ ــ مؤلفاته المخطوطة والمطبوعة.
٤ ــ التعريف بكتاب « نوادر الأصول... ».
٥ ــ منهج المحقق في التحقيق.

« لقد كانت السنة مفتاحاً لفهم النهضة الاسلامية منذ اكثر من أربعة عشر قرناً، فلماذا لا تكون مفتاحاً لفهم انحلالنا الحاضر...؟

ان العمل بسنة رسول الله ـ ﷺ ـ هو عمل على حفظ كيان الاسلام وعلى تقدمه، وإن ترك السنة هو انحلال الاسلام.

لقد كانت السنة الهيكل الحديدي الذي قام عليه صرح الاسلام، وانك إذا ازلت هيكل بناء ما أفَيُدْهشك ان يتقوض ذلك البناء كأنه بيت من ورق... ؟

« ليوبولد قابس
أو
محمد أسد »

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

الحمد لله رب العالمين. خالق الأرض والسموات، وجاعل الظلمات والنور وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا ومولانا محمد الذي أمرنا ربنا سبحانه وتعالى بالصلاة عليه فقال في محكم كتابه: ﴿ **إن الله وملائكتَهُ يصلُّون على النبيِّ يا أيها الذين آمنُوا صلُّوا عليه وسلِّموا تسليماً** ﴾[1]

والحمد لله الذي أرسل رسوله بالهُدَى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون.

والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله. اللهم اهدنا صراطك المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم من النبين والصديقين والشهداء والصالحين.

واجعلنا ربنا مع هؤلاء الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا وعلموا أنك أنت الجبار الذي خضعت لجبروته الجبابرة، والعزيز الذي ذلت لعزته

(١) سورة الاحزاب آية رقم ٥٦

الملوك فلم يرهبهم بغُ باغٍ ولا ظُلم سفاحٍ ظالم. ﴿ **يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء** ﴾[1]

وبعد

فان الأمة العربية بعامة والاسلامية على وجه الخصوص لها تراث ضخم، وكنوز غالية من مؤلفات علماء أجلاء تربوا في مدرسة القرآن ونهلوا من ينابيع السنة المحمدية، ثم كتبوا تلك المؤلفات العظيمة في كل علم وفن.

وكان لهذه المؤلفات الدور الكبير في إقامة صرح الحضارة والمدنية في ربوع بلادهم، وإثراء حياتهم في فترة غالية من فترات التاريخ والأمم الناهضة تهتم بتراثها وتحافظ عليه، وتحاول جاهدة أن تبرزه الى النور ليكون قاعدة لما يأتي بعده من بناء.

من هذا المنطلق، يطيب لنا أن نقدِّم للمسلمين في مشارق الأرض ومغاربها بعامة وللمهتمين بحديث الرسول ــ ﷺ ــ بخاصة كتاباً من انفس كتب التراث وهو « **نوادر الأصول في معرفة احاديث الرسول** » تأليف ابي عبد الله محمد الحكيم الترمذي.

وقبل أن نتناول أبواب الكتاب بالعرض والتحليل نقدم للقارئ صورة عن حياة المؤلف، وأعماله العلمية. وعلى الله قصد السبيل.

---

(١) سورة ابراهيم آية رقم ٣٧

حياة الحكيم الترمذي
اسمه ونسبه...

هو أبو عبد الله محمد بن علي بن بشير بن هارون المشهور بالحكيم الترمذي.[1]

عملاق من العمالقة الأبرار، وفارس من الفرسان الأخيار، ووليّ لله تعالى عاش حياته قائماً ليله، صائماً نهاره. ومفكر ألمعيّ كانت له سياحات في عالم الحقيقة والشريعة.

وباحث لماح رصد حياته لسنة الرسول ـ ﷺ ـ وهو في النهاية رجل رباني أجبر التاريخ على أن يقف مبهوراً ليسجل بأحرف من نور أعماله وأفعاله.

ولد في أوائل القرن الثالث الهجري، القرن الذي اتسعت فيه رقعة الدولة الاسلامية فانداح رجالها في أركان الأرض الأربعة هداة ودعاة، هداة الى الحق، ودعاة الى الواحد الأحد.

ويذكر الذهبي عند تناوله لحياة الحكيم في كتابه المحلق تذكرة

---

(١) يقول الدكتور عثمان يحيى: لماذا انفرد الترمذي من بين شيوخ الصوفية بهذا اللقب؟ ألأنه كان على معرفة بتركيب الجسم، مما يدل على أنه درس الطب..؟ أو لأنه كان حريصاً على أن يجمع في حياته وفي تآليفه بين الناحية الروحية القديمة للثقافة الاسلامية وبين المنهج العقلي الذي جد في عصره، أو لأن الترمذي كان أول مسلم بدت لديه براعم الأفكار الفلسفية الإغريقية فكان بالتالي الممهد لمذهب العرفان في التصوف الاسلامي، وبهذا مهد السبيل لأعمال الفارابي ـ راجع المقدمة على كتاب الرياضة وأدب النفس التي وضعها آربري والدكتور على حسن عبد القادر ص ١٣ القاهرة سنة ١٣٦٦ هـ.

وانظر مقدمة كتاب الحقيقة الآدمية للترمذي نشر عبد المحسن الحسين ص ٧ مجلة كلية الآداب جامعة فاروق الأول (اسكندرية) مجلد ٣ سنة ١٩٤٦ ومقدمة كتاب ختم الأولياء الحاشية رقم ٤ ص ٨ نقلًا من كتاب الحكيم الترمذي ونظريته في الولاية ١: ٥٣

الحفاظ أنه رحل الى نيسابور في سنة خمس وثمانية ومائتين وأنه عاش حتى بلغ الثمانين[1]

ويقول ابن حجر العسقلاني في كتابه الجامع لتراجم المحدثين ـالمسمى ــ بلسان الميزان. « إن الأنباري سمع منه (من الحكيم) سنة ثماني عشرة وثلاث مائة وإنه عاش حتى بلغ التسعين »[2].

ويتناول الدكتور عبد الفتاح بركة صاحب كتاب (الحكيم الترمذي ونظريته في الولاية) هاتين الروايتين وبقية الروايات الأخرى التي ذكرها العلماء بالتحليل والمقارنة، ويخلص من ذلك قائلًا: « من الممكن ــ إذن ــ أن نتفق مع الذهبي فيما يخص تاريخ ميلاده وأن نتفق مع ابن حجر فيما يتعلق بتاريخ وفاته لاسيما إذا عارضنا ذلك بما ذكره فريد الدين العطار في كتابه « تذكرة الأولياء » من أنه عاش مائة وخمسة عشر عاما »

فإذا فرضنا أنه قد توفي عام عشرين وثلاثمائة كما ذكره بعض الباحثين المعاصرين، وكما أخذنا من رواية ابن حجر، وأنه كان قد بلغ الخامسة عشرة بعد المائة ــ كما ذكر فريد الدين العطار، كان معنى ذلك أنه قد ولد عام خمسة ومائتين، وذلك يتفق مع ما يؤخذ من رواية الذهبي.

ومع ما استنتجنا من صحبته لأبي تراب النخشبي المتوفى عام خمسة وأربعين ومائتين لأحمد بن خضرويه المتوفي عام خمسة ومائتين، وأنه عمر مائة وخمسة عشر عاماً، وأنه توفي عام عشرين وثلاثمائة للهجرة.[3] »

---

(١) تذكرة الحفاظ ٢: ٦٤٥

(٢) لسان الميزان ٥: ٣٠٨

(٣) راجع الحكيم الترمذي ونظريته في الولاية للدكتور عبد الفتاح بركة ١: ٣٥

موطنه ونشأته...

ولد الحكيم الترمذي في مدينة ترمذ[1] الواقعة على نهر جيحـون[2]، وهذه المدينة تعتبر من أجمل المدن في عصرها وأكثرها خصباً ونماء.

ولقد كان لأهلها حظ وافر بوجود النهر الذي حباهم الله به فأصبحت أراضيهم القاحلة بساتين يانعة، ومزارع واسعة، وإذا وجدت الزراعة الوافرة راجت التجارة، والتجارة في عرف الأقدمين والمحدثين مدرسة قائمة يتعلم الانسان من خلالها الكثير من شئون الحياة وتتاح له فرصة الاقتراب من النفس البشرية ومعرفة ما تنطوى عليه من خبايا وأسرار.

ومدينة ترمذ كانت قبل الاسلام مركزاً ومقراً لكثير من المذاهب والحركات. لقد ظهر زرادشت من أذربيجان ودعا ببلخ الى المجوسية، وراجت دعوته فانجلت السمنية عنها الى مشارق بلخ وكان في بلخ أحد بيوت أربعة للاصنام ذكرها صاحب كتاب تلبيس إبليس[3]. يقول: والرابع بمدينة بلخ بناه بنو شهر، فلما ظهر الاسلام خربه أهل بلخ.

كما كانت ترمذ من أهم مراكز البوذية، ومقراً لكثير من الأديرة، وإذا كان هذا قبل الاسلام فلقد أصبحت بعد دخول الاسلام إليها مركزاً هاماً من مراكز الثقافة الاسلامية ويعتبرها السبكي في طبقاته احدى مدن أربع هي مدن الاسلام فيقول: « وخراسان عمدتها مدائن أربع: كأنما هي قوائمها المبنية عليها وهي مرو ونيسابور وبلخ وهراة. هذه مدنها العظام، ولا ملام عليك لو قلت بل هي مدن الاسلام إذ هي كانت ديار العلم على اختلاف فنونه ».

(١) راجع معجم البلدان ٢: ٢٦ــ ٢٧

(٢) راجع البداية والنهاية ١: ٢٥ــ ٢٦ــ ٢٧ــ ٢٨

(٣) راجع تلبيس ابليس ٥٩ــ ٦٠

وإذا كانت بلخ كذلك فإنه لم يكن بينها وبين ترمذ غير اثني عشر فرسخاً فكانتا شريكتين في هذا النشاط.

يقول الدكتور عبد القادر وآربري نقلًا عن المؤرخ الفارسي حافظ آبرو: وإن ترمذ كانت عند الفتح الاسلامي مركزاً للبوذية، وأنه كان بها اثنا عشر ديراً لزهاء ألف راهب. ولقد كانت بعد الفتح الاسلامي موطناً لعدد كبير من المحدثين والفقهاء[1] كما كانت ميداناً لنشاط علماء الكلام وظهر فيها جهم بن صفوان من الجبرية الخالصة كما يقول الشهرستاني وقد بعث له واصل بن عطاء حفص بن سالم من أتباعه فدخل ترمذ وناظر جهم بن صفوان ويقال إنه قطعه[2].

ولا شك أن الطفل الطلعة « الحكيم الترمذي » كانت تطرق أذنيه بعض المجادلات والمناقشات التي كانت تدار في عالم الفكر والمعرفة، وكان يرسل بريد عينيه يتابع مجالس العلم وحلقات المحدثين والفقهاء فيلتقط ذهنه اللماح بعض هذه الأمور.

وكيف لا يكون كذلك وقد نشأ في بيت علم ودين فوالده علي بن الحسن بن بشير الترمذي: حدث ببغداد عن شداد بن حكيم، وصالح بن عبد الله الترمذي وأنه روى عنه محمد بن مخلد.

وإذا أردنا أن نتعرف على طفولته وشبابه وكيف قطع هذه الرحلة الطويلة من عمره المديد حتى أصبح من أعلام التصوف ومن رجالات

(١) منهم أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي صاحب الصحيح أحد الائمة الذين يقتدى بهم في علم الحديث، وقتيبه بن سعيد أحد شيوخ الحكيم الترمذي، وأبو اسماعيل محمد بن اسماعيل بن يوسف الترمذي السلمي، واحمد بن الحسن بن جنيدب أبو الحسن الترمذي الحافظ. روى عنه البخاري في صحيحه والترمذي في جامعه، وأبو بكر بن خزيمة وغيرهم

(٢) مقدمة كتاب الرياضة وادب النفس نقلًا من كتاب الحكيم الترمذي ونظرية الولاية ١: ٧٤

الحديث يناقش الفقهاء ويصاول المحدثين، ويهاجم رجال الحسبة ويتفرد بمنهج فريد في المعرفة والحياة. إذا كان ذلك كذلك فعلينا أن نقطع شوطاً آخر في المبحث.

إن الباحث في طفولة هؤلاء الرجال ونشأتهم الأولى يجد صعوبة ومشقة لأن الكثير من المراجع تصمت صَمْت المريب فلا تتناولهم من قريب أو بعيد، والبعض الآخر يقدم نتفاً من المعلومات صغيرة، وإن كان يلقي بصيصاً من النور على حياة هؤلاء ولكنه في النهاية لا يحيط بهم إحاطة كاملة، ولا يقدم ثبتاً وافياً عن حياتهم الأولى وشبابهم اليافع. وهذا ما حدث بالنسبة لشيخنا العملاق.

كيف كانت طفولته... ؟ ما مدرسته الأولى التي فتحت عينيه على مبادئ المعرفة؟ مَنْ هم شيوخه في هذه الفترة؟ ما هي سياحاته التي قام بها خارج ترمذ؟ إن بطون الكتب والمراجع تكاد تكون خالية تماماً إلا فقرة من هنا ولمحة من هناك.

ولقد استطاع الباحث الكبير الدكتور عبد الفتاح بركة أن يجمع الشوارد والاستنتاجات ويقسم من خلالها حياة الحكيم الترمذي الى ثلاثة أطوار ويطيب لنا أن نستعرض هذه الأطوار فإنها وإن لم تكن وافية فلا شك أنها تعطي القارئ صورة عن حياة هذا الرجل العملاق.

الطور الأول

طفولته حتى الثامنة من عمره. ويرى الدكتور عبد الفتاح بركة أنها لم تكن طفولة عادية تقضي جل وقتها مع لداتها تلعب وتمرح وتجري وتعبث، حتى تأوى الى فراشها قريرة العين هادئة البال. ولكن كانت طفولة يقظة متحفزة فيها نوع من التهيئة النفسية والذهنية لتلقي المعلومات في الحافظة الواعية والدرس الجاد فيما بعد.

الطور الثاني

ويبدأ منذ بلغ الثامنة الى أن قارب سنه سبعاً وعشرين. وفي هذا الطور أخذ يتلقى المعرفة على يد شيخ تعهده بكامل عنايته ورعايته. ولكن مَنْ هذا الشيخ... ؟ وما هي المعرفة التي تدرج بها معه حتى أوصلته الى هذا النوع من الوعي الذي جعله على دراية كاملة بعلم الآثار والرأي؟

هل كانت هناك مراجع معينة أو كتباً مقررة أخذ يعب ما فيها ويفك رموزها ويتغلب على طلاسمها؟ وهذا الشيخ الذي أوصله الى هذه المرحلة ألم يكن معه غيره..؟

إنها أسئلة كثيرة ومتلاحقة ولكنها لا تجد الإجابة الشافية التي تكشف الغموض الذي أحاط بحياة الحكيم الترمذي الأولى.

يقول الدكتور عبد الفتاح بركة: « ولقد ظل الترمذي منصرفاً الى تحصيل هذين العلمين حتى قارب سنه السابعة والعشرين. ولكنه لم يكن يشعر بالرضا عن نفسه لأنه مع اشتغاله كل هذا الاشتغال بتحصيل الحديث وعلم الفقه كان لا يحفظ القرآن الكريم »

ولا شك أنه لم يوجه الى ذلك وكيف تكون لديه الاحاطة الكاملة بهذين العلمين دون أن يستظهر القرآن الكريم، وكلاهما قائم على كتاب الله تعالى وعلى سنة رسوله الكريم؟

الطور الثالث

وهذا يبدأ بخروجه من ترمذ الى مكة عندما قارب سنه سبعاً وعشرين. وفيه حرص على حفظ القرآن الكريم، وثابر على ذلك حتى فرغ منه واستغرق جل وقته في أنواع العبادة من صوم وصلاة وقرآن. وكان ذلك يجري دون ترتيب أو التزام بمنهج معين أو طريقة خاصة. ولكن عفو الخاطر. الى أن كان يوم وقع في مسامعه على حد تعبيره كلام أهل

المعرفة ووقع بين يديه كتاب الأنطاكي فاسترشد به في رياضة النفس، والتخلص من ادرانها وأمراضها وعاونه ذلك على أن يسير في طريق السلوك.

ونقول إذا كانت هذه الأشياء التي ذكرناها تلقي بعض الضوء على حياة الحكيم الترمذي في مراحلها الأولى فإنه يطيب لنا أن نقدم بين يدي القارئ الرسالة التي ترجم بها الحكيم الترمذي لنفسه وألقى فيها على حياته الأولى بعض الظلال والأضواء وسماها: بدو شأن أبي عبد الله محمد بن علي الحكيم الترمذي رحمه الله(١).

نص رسالة
بدو شأن أبي عبد الله الحكيم الترمذي

قال أبو عبد الله:

١ـــ كان بدو شأني أن الله ـــ تبارك اسمه ـــ قيض لي شيخي رحمه الله من لدن بلغت من السن ثمانياً. يحملني على تعلّم العلم، ويعلمني ويحثني عليه ويدئب ذلك في المنشط والمكره، حتى صار ذلك لي عادة وعوضاً عن الملعب في وقت صباي، فجمع لي في حداثتي علم الآثار وعلم الرأي، حتى إذا قارب سني سبعاً وعشرين أو نحوه وقع عليَّ حرص الخروج الى بيت الله الحرام فتهيأ لي الخروج فوقفت بالعراق طلباً للحديث، وخرجت الى البصرة(٢) فخرجت منها الى مكة في رجب، فقدمت مكة في بقية شعبان فرزق الله المقام بها الى وقت الحج وفتح لي

(١) نص الرسالة موجود في كتاب ختم الأولياء الذي قام بتحقيقه الدكتور عثمان اسماعيل يحيى من ص ١٤ ولقد قمنا بنقل هذه النصوص منها.

(٢) مدينة اسلامية أنشأها عتبة بن غزوان سنة ١٧ هـ بأمر من أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ـــ رضي الله عنه ـــ وهي احدى عواصم الفكر الاسلامي القديم.

باب الدعاء عند الملتزم في كل ليلة سحراً ووقع على قلبي تصحيح التوبة، والخروج مما دق وجل، وحججت، فرجعت وقد أصبت قلبي.

وسألته عند الملتزم في تلك الأوقات أن يصلحني ويزهدني في الدنيا ويرزقني حفظ كتابه، وكنت لا اهتدي لشيء من الحاجات غير هذا.

فرجعت وقد ألقى عليَّ حرص حفظ القرآن في طريقي فأخذت سوراً منه في الطريق، فلما وصلت الى الوطن يسر الله عليَّ ذلك بمنِّه حتى فرغت منه فأقامني ذلك بالليل فكنت لا أملُّ من قراءته حتى أنه كان ليقيمني ذلك الى الصباح ووجدت حلاوته.

٢ ــ فأخذت أتتبع من الكتب محامد الرب، تبارك اسمه وألتقط محاسن الكلام من طريق العظات ومما يستعان به على أمر الآخرة واسترشد في البلاد فلا أجد من يرشدني الى الطريق أو يعظني بشيء اتقوى به وأنا كالمتحير لا أدري أي شيء يراد لي الا أني أخذت في الصوم والصلاة فلم أزل كذلك حتى وقع في مسامعي كلام أهل المعرفة، ووقع اليَّ كتاب الأنطاكي(1) فنظرت فيه، فاهتديت لشيء من رياضة النفس، فأخذت فيها، فأعانني الله وألهمت منع الشهوات نفسي، حتى صرت كأني أعلم على قلبي الشيء بعد الشيء، حتى ربما كنت أمنع نفسي الماء البارد وأتورع عن شرب ماء الانهار فأقول لعل هذا الماء جرى في موضع بغير حق، فكنت أشرب من البير أو من الوادي الكبير.

٣ــ ووقع عليَّ حب الخلوة في المنزل والخروج الى الصحراء فكنت أطوف في تلك الخربات والنواويس(2) حول الكورة فلم يزل ذلك دأبي،

---

(١) هنالك صوفيان اثنان يذكرهما السلمي في طبقاته بهذا اللقب: احمد بن عاصم الانطاكي من أقران بشر بن الحارث والمحاسبي والثاني: عبد الله خبيق بن سابق الانطاكي صاحب يوسف بن أسباط ويبدو أن المقصود هنا هو أحمد بن عاصم والكتاب المشار اليه لعله (علوم المعلومات)

(٢) الخلاء أو المكان الذي توجد فيه مقابر الأموات

وطلبت أصحاب صدق يعينونني على ذلك فعز علي فاعتصمت بهذه الخرابات والخلوات. فبينما أنا على هذه الحال إذ رأيت فيما يرى النائم كأني أرى رسول الله ـ ﷺ ـ دخل المسجد الجامع في كورتنا، فأدخل على أثره فألزم اقتفاء اثره فمازال يمشي حتى دخل المقصورة وأنا على أثره، ومن القرب منه حتى كأن أكاد التزق بظهره واضع خطاي على ذلك الموضع الذي يخطو عليه حتى دخلت المقصورة.

فرقي المنبر، فرقيت على أثره كلما رقي درجة رقيت على أثره، حتى إذا استوى على أعلاها درجة قعد عليها فقعدت عند الدرجة الثانية من مجلس عند قدميه ويميني الى وجهه، ووجهي الى الأبواب التي تلي السوق، وشمالي الى الناس، فانتبهت من منامي وأنا على تلك الحال.

٤ـ ثم من بعد ذلك بمدة يسيرة، بينا أنا ذات ليلة أصلي فثقلت فوضعت رأسي في مصلاي جنب فراشي إذ رأيت صحراء عظيمة لا أدري أي مكان هو فأرى مجلساً عظيما وصدراً مهيئاً لذلك المجلس وحجلة[1] مضروبة لا أقدر على صفة تلك الثياب وذلك الستر.

فكأنه يقال لي: إنه يذهب بك الى ربك فأدخل تلك الحجب فلا أرى شخصاً ولا صورة إلا أنه وقع في قلبي أني لما دخلت وقع عليَّ الفزع في ذلك الحجاب، فأيقنت في منامي بالوقوف بين يديه، فما لبثت أن رأيت نفسي خارجاً من الحجب بالقرب من باب الحجاب واقفاً وأنا أقول عفا عني، وأجد نفسي قد سكن من الفزع.

٥ـ فدام لي شأن رياضة النفس من تجنب الشهوات وقعود في البيت على عزلة من الخلق وطول نجوى من الدعاء فانفتح لي شيء بعد شيء ووجدت في قلبي قوة وانتباهاً وطلبت من يعينني فكان يكون لنا اجتماع

---

(١) الحجلة: وجمعها حجل وحجال من معانيها المناسبة لهذا المقام حجرة تزين بالثياب والأسرة والستور

بالليالي نتناظر ونتذاكر وندعو ونتضرع بالأسحار.

فاصابتني غموم من طريق البهتان والسعايات وحمل ذلك على غير محمله وكثرت القالة وهان ذلك كله عليَّ، وسلط عليَّ اشباه ممن ينتحلون العلم يؤذونني ويرمونني بالهوى والبدعة ويبهتون وأنا في طريقي ليلًا ونهاراً دؤوباً دؤوباً. حتى اشتد البلاء وسار الأمر الى أن سعي بي الى والي بلخ[1] وورد البلاء من عنده، من يبحث عن هذا الأمر، ورفع اليه أن ههنا من يتكلم في الحب، وافساد الناس، ويبتدع ويدعي النبوة، وتقولوا عليَّ ما لم يخطر قط ببالي حتى صرت الى بلخ وكتب عليّ قباله أن لا أتكلم في الحب.

٦ــ وكان ذلك من الله تبارك اسمه سبباً في تطهيري فإن الغموم تطهر القلب وذكرت قول داود ــ ﷺ ــ وأنه قال: « يارب امرتني أن اطهر بدني بالصوم والصلاة، فبم أطهر قلبي؟ قال: بالغموم والهموم يا داود ».

فتواترت علي الغموم حتى وجدت سبيلًا الى تذليل نفسي، فكنت اراودها على أمور قبل ذلك من طريق الذلة فتنفر ولا تطاوعني مثل ركوب الحمار في السوق والمشي حافياً في الطرق ولبس الثياب الدون وحمل شيء مما يحمله العبيد والفقراء فيشتد عليّ ذلك. فلما اصابتني هذه المقالة والغموم ذهبت شرة نفسي فحملت عليها هذه الأشياء فذلت وأطاعت حتى وصل الى قلبي حلاوة تلك الذلة.

٧ــ فبينا أنا كذلك اذا اجتمعنا ليلة على الذكر في ضيافة لأخ من اخواننا فلما مضى من الليل ما شاء الله، رجعت الى المنزل فانفتح قلبي في الطريق فتحاً لا أقدر أن اصفه، وكأنه وقع في قلبي شيء طابت له نفسي والتزمت به وفرحت، حتى مررت فما استقبلني شيء هبته حتى أن الكلاب ينبحن في وجهي فآنس لنباحهن من لذة وجدت في قلبي حتى

---

(١) لعل والي بلخ الذي يشير اليه هو يعقوب أو ليث أو عمرو بن ليث. والمعروف تاريخيا ان ولاة بلخ في عهد العباسيين كانوا جميعا امراء منحدرين من خُطل

بدا له أن السماء بكواكبها وقمرها صارت الى قرب الأرض وانا فيما بين ذلك أدعو ربي، ووجدت كأن قلبي نصب فيه شيء فإذا وجدت تلك الحلاوة التوى وتقبض بطني والتوى بعضه على بعض من شدة اللذة واعتصر، وانتشرت في صلبي وعروقي تلك الحلاوة، وكان يخيل الي أن قربي من مكان قرب العرش.

فما زال ذلك دأبي كل ليلة الى الصباح أسهر ولا أجد نوماً فقوي قلبي على ذلك وأنا متحير لا أدري ما هذا إلا إني ازددت قوة ونشاطاً فيما كنت فيه.

٨ ــ وهاجت بالبلاد فتنة وانتقاص أمر حتى هرب جميع مَنْ كانوا يؤذونني ويشنعون علي في البلاد، وابتلوا بالفتنة ووقعوا في الغربة وخلت البلاد منهم.

فبينا أنا كذلك إذ قالت لي أهلي: إني رأيت في المنام كأن قائماً في الهواء خارجاً من الدار في السكة في صورة رجل شاب جعِد عليه ثياب بيض له نعلان وينادني في الهواء وأنا في الصفة بحذائه أين زوجك؟ قلت: خرج قال: قولي له إن الأمير يأمرك أن تعدل. ثم مرّ.

٩ــ فلم يأت على هذا مدة، حتى اجتمع الناس ببابي من مشايخ البلد من غير أن أشعر بهم وقرعوا الباب فخرجت اليهم فكلموني في القعود لهم، وقد كان هؤلاء، الأشكال[1] قد قبحوا أمري عند العامة قبحاً كنت أتوهم أنهم السقَّم اكثرهم لما كانوا يذيعون هؤلاء عليّ من الكلام القبيح ويشنعون أمري ويرمونني بالبدعة من غير أن يكون ذلك من شأني أو توهمته قط.

فما زالوا يكلمونني في ذلك حتى أجبتهم الى القعود فذكرت لهم من

---

(١) الأشكال مفردها شكل وتجمع على شكول أيضاً ولهذه اللفظة معان كثيرة منها القناع المصنوع للوجه ولعل الشيخ اطلقها هنا مجازا على أهل الرياء والنفاق وهذه اللفظة تجري كثيرا على لسان الترمذي في كتبه ورسائله.

الكلام شيئاً كأنه يغترف من البحر فأخذت من القلوب مأخذاً واجتمع الناس فلم تتحمل داري ذلك وامتلأت السكة والمسجد فلم يزالوا بي حتى مدوني (جروني) الى المسجد وذهبت تلك الأكاذيب والأقاويل الباطلة ووقع الناس في التوبة وظهرت التلامذة واقبلت الرياسة، والفتن بلوى من الله لعبده.

ورجع اولئك الاشكال الى البلاد بعد ما قويت وكثرت التلامذة وأخذت القلوب مواعظي وتبين لهم أن هذا كان منهم بغياً وحسداً فلم ينفذ لهم بعد ذلك قول وأيسوا وقبل ذلك كانوا صيروا السلطان والبلاد عليَّ بحال لا أجترئ أن أطلع رأسي فأبى الله إلا أن يبطل كيدهم. انتهى كلام صاحب الرسالة.

نكتفي بهذا القدر من الرسالة، والحق يقال أنها وإن ألقت بعض الظلال على حياته ولكنها لا تفي بالغرض ولا تقدم ترجمة وافية له. والرسالة كاملة موجودة في كتاب ختم الأولياء الذي قام بتحقيقه د. عثمان اسماعيل يحيى من ص ١٤ الى ص ٣٢ فليرجع اليها من يريد الاستزادة، وبقية الرسالة لا تخرج عن الرؤى التي كان يراها أو ترى له.

وإذا كان ذلك كذلك فمن أين استقى معارفه وعلومه؟ ومن هم مشايخه الذين تلقى عنهم العلم..؟

للاجابة على ذلك علينا أن نقطع شوطاً آخر في البحث.

شيوخه، تلامذته ومريدوه

أولًا : شيوخه

لا شك أن الحكيم الترمذي التقى في رحلته لطلب العلم بالعديد من العلماء الأفذاد الذين كان لهم الفضل في توجيه سلوكه، ورسم طريقه ووضعه على الجادة.

وسنحاول بمشيئة الله أن نضع بين يدي القارئ مجموعة من تراجم هؤلاء العلماء. والمتفحص لتلك التراجم يلحظ ان اكثرها لرجال سلكوا طريق الولاية، وفروا بقلوبهم من دنيا الناس الى الله تعالى استجابة لقوله: ﴿ **ففروا الى الله** ﴾[1]

أحمد بن خضرويه البلخي[2]

هو أحمد بن خضرويه البلخي [أبو حامد] من أكابر خراسان سمع أبا تراب، وحاتماً الأصم، ورحل الى أبي يزيد.

---

(١) سورة الذاريات آية رقم ٥٠

(٢) راجع ترجمة ابن خضرويه في طبقات الصوفية: ١٠٣ــ ١٠٦ حلية الأولياء ١٠: ٤٢ صفة الصفوة ٤: ١٣٧، طبقات الشعراني ١: ٩٥ الرسالة القشيريه ٢١ تاريخ بغداد ٤: ١٣٧ سير اعلام النبلاء ٨ /١ /١٢٩ النجوم الزاهرة ٢: ٣٠٣ معجم المؤلفين ١: ٢١٤ جامع كرامات الأولياء ٢: ٢٩٠

ومات سنة أربعين ومائتين.

من كلامه:

١ــ لا نوم أثقل من الغفلة، ولا رق أملك من الشهوة، ولولا ثقل الغفلة ما ظفرت بك الشهوة.

٢ ــ وقال : من خدم الفقراء اكرم بثلاثة أشياء بالتواضع وحسن الأدب، وسخاوة النفس.

٣ــ وقال: من أراد أن يكون الله معه فليلزم الصدق، فإن الله مع الصادقين.

٤ــ وروي أنه اقترض من رجل مائة ألف درهم فقال الرجل: ألستم أنتم الزهاد في الدنيا..؟؟ فما تصنع بهذه الدراهم..؟ قال أشتري بها لقمة وأضعها في فم مؤمن ولا اجترئ أن أسأل ثوابه من الله تعالى. فقال: ولم؟ قال: لأن الدنيا كلها لا تساوي عند الله جناح بعوضة فما مائة ألف في جناح بعوضة وما قدرها؟

٥ــ وقال محمد بن[1] حامد: كنت جالساً عند أحمد بن خضرويه وهو في النزع، فسئل عن مسألة فدمعت عيناه قال: يابني باب كنت أدقه منذ خمس وتسعين سنة هوذا يفتح لي الساعة، ولا أدري انفتح لي بالسعادة أم بالشقاوة وأنّى لي بالجواب[2].

أبو تراب النخشبي[3]

هو أبو تراب عسكر بن حصين النخشبي، نسبة الى نخشب، بلدة بما وراء النهر.

---

(١) محمد بن حامد بن محمد بن اسماعيل بن خالد، أبو بكر الترمذي من أعيان مشايخ خراسان. لقي احمد بن خضرويه ومن دونه وله أصحاب

(٢) راجع الرسالة القشيرية ٢١ وحلية الأولياء ١٠: ٤٢

(٣) راجع ترجمته في طبقات الصوفية ١٤٦ــ ١٥١ وحلية الأولياء ١٠: ٤٥ــ ٥١ صفة الصفوة ٤: ١٤٥ وطبقات الشعراني ١: ٩٦ والرسالة القشيرية ٢٢ وطبقات الشافعية ٢: =

من جلة مشايخ خراسان وأكابرهم، صحب الأصم وغيره.

واستاذه علي الرازي المذبوح، من قدماء المشايخ سمّي المذبوح لأنه غزا في البحر، فأخذه العدو فأرادوا ذبحه فدعا بدعاء ثم رمى نفسه في البحر فجعل يمشي على الماء حتى خرج

وسئل عن التوكل فقال: ﴿ **الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم** ﴾[1]

ومن كلام أبي براب:

١ــ الفقير قوته ما وجد، ولباسه ما ستر، ومسكنه حيث نزل.

٢ــ وقال: اذا صدق العبد في العمل وجد حلاوته قبل أن يعمله فإذا أخلص وجد حلاوته وقت مباشرته.

٣ــ وقال: إذا ألف القلب الاعراض عن الله صحبته الوقيعة في أعراض أولياء الله.

٤ــ قال يوسف بن الحسين: صحبت أبا تراب خمس سنين وحججت معه على غير طريق الجادة، ورأيت منه في السفر عجائب، يقصر لساني عن وصف جميع ما شاهدته غير أننا كنا مارين فنظر الي يوماً وأنا جائع وقد تورمت قدماي وأنا أمشي بجهد فقال لي: ما لك لعلك جعت.؟

قلت: نعم.

قال: ولعلك أسأت الظن..؟

قلت: بلى.

قال: ارجع اليه.

قلت: وأين هو

= ٥٥ــ ٥٦ وشذارت الذهب ٢: ١٠٨ــ ١٠٩ ودائرة معارف البستاني ٢: ٥٤ والنجوم الزاهرة ٢: ٣٢١ وتاريخ بغداد ٢: ٣١٥ــ ٣١٧ واللباب ٣: ٢١٩

(١) سورة الروم آية رقم ٤٠

قال: حيث خلفته.
قلت: هو معي
قال: فإن كنت صادقاً في هذا الهم الذي أراه عليك.
قال: فرأيت الورم قد سكن، والجوع قد ذهب، ونشطت حتى كدت أتقدمه فقال أبو تراب: «اللهم إن عبدك قد أقر لك، فاطعمه ونحن بين جبال ليس فيها مخلوق، ثم انتهينا الى رابية وإذا كوز ورغيف موضوع.
فقال لي: دونك دونك.
فجلست فأكلت وقلت: أليس تأكل منه أنت..؟
فقال: لا بل من اشتهاه.
مات بالبادية. نهشته السباع في سنة خمس وأربعين ومائتين

يحيى بن معاذ الرازي[1]

هو يحيى بن معاذ الرازي الواعظ أبو زكريا، أحد الأوتاد، وكان أوحد وقته في فنه
وكانوا ثلاثة: يحيى، واسماعيل، وابراهيم، وكلهم زهاد
ومن كلامه:
١ــ لا تكن ممن يفضحه يوم موته ميراثه، ويوم حشره ميزانه
٢ــ وقال: كيف يكون زاهداً من لا ورع له. تورع عما ليس لك ثم ازهد فيما لك.
٣ــ وقال: ليكن حظ المؤمن منك ثلاث خصال: ان لم تنفعه فلا تضره، وإن لم تسره فلا تغمه، وإن لم تمدحه فلا تذمه
٤ــ وقال الزهد ثلاثة أشياء: الخلوة، والقلة، والجوع.

(١) راجع ترجمته في طبقات الصوفية: ١٠٧ــ ١١٤ وحلية الأولياء ١٠: ٥١ــ ٧٠ وصفة الصفوة ٤: ٧١ــ ٨٠ وطبقات الشعراني ١: ٩٤ الرسالة القشيرية ٢١ وفيات الأعيان ٢: ٢٩٢ وتاريخ بغداد ١٤: ٢٠٨ــ ٢١٢ وشذرات الذهب ٢: ١٣٨ سير أعلام النبلاء ٩ /١ /٣ والبداية والنهاية ١١: ٣١

٥ـــ وأنشد:

سلم على الخلق وارحل نحو مولاكا
واهجر على الصدق والاخلاص دنياكا
عساك في الشر تعطي ما تؤملـــه
ويكـــرم الله ذو الآلاء مثواكـــــا

٦ـــ وقال في قوله تعالى: ﴿ **فقولا له قولًا ليناً لعله يتذكر أو يخشى** ﴾[1] الهي هذا: أنا إله فكيف بمن يقول: أنت اله؟؟

٧ـــ وقال له رجل: إنك لتحب الدنيا

فقال: اين السائل عن الآخرة..؟

قال: ها أنا.

قال: أخبرني أيها السائل عنها أبالطاعة تنال أم بالمعصية... ؟

قال: لا. بل بالطاعة.

قال: فأخبرني عن الطاعة أبالحياة تنال أم بالممات.

قال: لا. بل بالحياة

قال: فأخبرني عن الحياة، أتنال بالقوت أم بغيره..؟

قال: لا بل بالقوت.

قال: فأخبرني عن القوت أمن الدنيا هو أم من الآخرة..؟

قال: لا بل من الدنيا

قال: فكيف لا أحب دنيا قدر لي فيها قوت اكتسب به حياة أدرك به طاعة، أنال به الآخرة.

فقال الرجل: أشهد أن ذلك معنى قول النبي ـــ ﷺ: « إن من البيان لسحرا »[2]

---

(١) سورة طه آية رقم ٤٤

(٢) هذا حديث صحيح رواه مالك عن ابن عمر ـــ رضي الله عنهما ـــ وذكره الامام أحمد بن حنبل في المسند والبخاري وأبو داود والترمذي

مات سنة ثمان وخمسين ومائتين وقبره بنيسابور يستسقي به ويتبرك بزيارته.

سفيان بن وكيع بن الجراح[1]

قال البخاري: يتكلمون فيه لأشياء لقنوه إياها. وقال أبو زرعة: يتهم بالكذب. وقال ابن أبي حاتم: أشار عليه أبي أن يغير وراقه، فإنه أفسد حديثه وقال له: لا تحدث إلا من أصولك.

فقال: سأفعل.

ثم تمادى، وحدث بأحاديث أدخلت عليه.

وقد ساق له أبو أحمد خمسة أحاديث منكرة السند لا المتن ثم قال: وله حديث كثير، وإنما بلاؤه أنه كان يتلقن ما لقن يقال: كان له وراق يلقنه من حديث موقوف فيرفعه، أو مرسل فيوصله أو يبدل رجلًا برجل.
قلت: وروى عن أبيه، وجرير، وعبد السلام بن حرب، وعنه أبو عروبة وابن صاعد وخلق.

وقد حسن له الترمذي هذا فقال: « حدثنا سفيان، حدثنا ابن أبي عدي، عن حماد بن سلمة، عن أبي جعفر الخطمي، ثقة عن محمد بن كعب القرظي عن عبد الله بن يزيد الخطمي، عن رسول الله ـــ ﷺ ـــ أنه كان يقول في دعائه: « اللهم ارزقني حبك وحب من يلغني حبه عندك، اللهم ما رزقتني مما أحب فاجعله لي قوة فيما تحب، وما زويت عني مما أحب فاجعله لي قوة فيما تحب ». قال: هذا حديث حسن غريب.

وقال ابن حبان مات سنة سبع وأربعين ومائتين، وكان شيخاً فاضلًا

(١) راجع ميزان الاعتدال في نقد الرجال ٢: ١٧٣

صدوقاً إلا أنه ابتلي بوراق سوء كان يدخل عليه فكلم في ذلك فلم يرجع.

يعقوب بن شيبة بن الصلت[1]

يقول الامام الذهبي: الحافظ العلامة أبو يوسف السدوسي البصري نزيل بغداد صاحب المسند الكبير (المعلل) ما صنف مسند أحسن منه، ولكنه ما أتمه. سمع علي بن عاصم، ويزيد بن هارون، وروح بن عبادة، وأبا النضر فما بعدهم فأكثر حتى أنه كتب عن أصحاب يحيى به معين وطبقتهم حدث عنه حفيده محمد بن أحمد بن يعقوب الأزرق وجماعة.
وثقه الخطيب وغيره، وكان من كبار علماء الحديث، له دنيا واسعة وتجمل.

قال الخطيب: نا الأزهري قال بلغني أنه كان في منزل يعقوب اربعون لحافاً أعدها لمن كان يبيت عنده من الوراقين الذين يبيضون المسند. قال ولزمه على ما خرج منه عشرة آلاف دينار قال: وقيل إن نسخة مسند أبي هريرة عنه شوهدت بمصر فكانت مائتي جزء. قال : والذي ظهر له من المسند مسند العشرة وابن مسعود، وعمار والعباس، وبعض الموالي

قال ابن كامل: كان فقيها سرياً من أصحاب أحمد بن المعزل، والحارث بن مسكين. وكان يقف في القرآن.

قلت: مات في ربيع الأول سنة اثنتين وستين ومائتين.

قال الذهبي: وكان قد عين لقضاء العراق ثم لم يول لمكان الوقف

(١) راجع تذكرة الحفاظ للذهبي ٢: ٥٧٧ـ ٥٧٨ وتاريخ بغداد ١٤: ٢٨١

قتيبة بن سعيد الثقفي البلخي [1]

قال الذهبي في تذكرة الحفاظ: الشيخ الحافظ محدث خراسان أبو رجاء الثقفي مولاهم البلخي البغلاني. ولد سنة تسع واربعين ومائة. وسمع من مالك والليث وابن لهيعة وشريك وطبقتهم.

وعنه الجماعة سوى ابن ماجة، وموسى بن هارون، والحسن بن سفيان والفريابي، وأبو العباس السراج وخلائق.

وكان ثقة عالماً صاحب حديث ورحلات، وكان غنياً متمولًا.

قال احمد بن سيار: قال لي قتيبة: « أقم عندي هذه الشتوة حتى أخرج إليك مائة ألف حديث عن خمسة ».

قال ابن سيار: وكان ثبتاً صاحب سنة.

كتب الحديث عن ثلاث طبقات.

وقال ابن معين: ثقة.

وقال النسائي: ثقة مأمون

أخبرنا محمد بن عبد السلام التميمي، واحمد بن هبة الله الدمشقي قالا : نا عبد المعز بن محمد في كتابه انا محمد بن اسماعيل انا محلم الضبي انا الخليل بن احمد السجزي انا محمد بن اسحاق نا قتيبة نا بكر ابن مضر عن عمرو بن الحارث عن بكير بن يزيد مولى سلمة عن سلمة قال: « لما نزلت: ﴿ **وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مساكين** ﴾ [2] كان من أراد منا أن يفطر ويفتدي حتى نزلت الآية التي بعدها فنسختها.

أخرجه الجماعة سوى القزويني عن قتيبة.

مات في شعبان سنة أربعين ومائتين رحمه الله تعالى عن إحدى وتسعين سنة.

---

(١) راجع تذكرة الحفاظ ٢: ٤٤٦ــ ٤٤٧
وتاريخ بغداد ١٢: ٢٦٤

(٢) سورة البقرة آية رقم ١٨٤

صالح بن محمد الترمذي [1]

قال صاحب ميزان الاعتدال: صالح بن محمد الترمذي عن محمد بن مروان السدي وغيره متهم ساقط فمن بلاياه قال: حدثنا مقاتل بن الفضل عن مجاهد، عن ابن عباس بحديث متنه: من أكل الطين حشا الله بطنه ناراً.

قال ابن حبان في تاريخ الثقات: صالح بن عبد الله الترمذي صاحب سنة وفضل ليس بصالح بن محمد الترمذي: ذلك مرجئٌ دجال من الدجاجلة.

وقال أيضا: لا يحل كتب حديثه، كان مرجئاً جهمياً داعية، يبيع الخمر ويبيح شربه، رشاهم فولوه قضاء ترمذ فكان يؤدب من يقول: الايمان قول وعمل. حتى أنه أخذ رجلًا من الصالحين من أصحاب الحديث فجعل الحبل في عنقه وطوَّف به، وكان الحميدي يقنت عليه بمكة، واذا ذكره اسحاق بن راهويه بكى من تجرَّيه على الله.

وقال السليماني: هو منكر الحديث يقول بخلق القرآن.

ولأبي عون عصام بن الحسين فيه قصيدة طويلة منها:

يفتي بشرق الأرض شيخ مفتن ... له فحم في الصالحين إذا ذكر
أناف على السبعين لا درَّ درُّه ... وعجله ربي الجليل الى سقر
محلتـه لا يعبـد الله غيـره ... محلّة جهم عند ملتطم النهر
على شط جيحون بترمذ قاضياً ... مرمى بألوان الفضائح والقذر

(١) راجع لسان الميزان ٣: ١٧٦ وميزان الاعتدال ٢: ٣٠٠ـ ٣٠١ وتاريخ بغداد ٩: ٣٣٠

الحسن بن عمر بن شفيق البلخي (١)

قال صاحب تهذيب التهذيب: الحسن بن عمر بن شفيق بن اسماء الجرمي أبو علي البصري، سكن الري وكان يتجر الى بلخ فعرف بالبلخي.

روى عن يزيد بن زريع، وعبد الوارث، ومعتمر بن سليمان، وحماد بن زيد وجعفر الضبعي وجرير بن عبد الحميد، وابن المبارك وعدة.

وعنه البخاري واحمد بن النصر النيسابوري، وجعفر الفريابي وعبد الله ابن أحمد وأبو زرعة، وأبو حاتم، وموسى بن اسحاق الانصاري، والحسن ابن سفيان وأبو يعلى وجماعة.

قال البخاري وأبو حاتم : صدوق.

وذكره ابن حبان في الثقات

اختلف في تاريخ وفاته قيل مات سنة ٢٣٢ هـ. وقيل: أو قبلها بقليل أو بعدها بقليل.

وقال أبو نصر الكلاباذي: أقام ببلخ خمسين سنة ثم خرج الى البصرة سنة ٢٣٠ هـ. ومات بها بعد ذلك.

قلت: وحكى الحاكم عن صالح جزرة وسئل عنه فقال: شيخ صدوق

صالح بن عبد الله الترمذي.. (١)

ذكرت له ترجمة في تاريخ بغداد، وأخرى في لسان الميزان، ويقال إنه سكن مدينة بغداد وحدث بها عن الامام مالك بن أنس ــ رضي الله عنه.

---

(١) راجع تهذيب التهذيب ٢: ٢٠٨ــ ٢٠٩ وتاريخ بغداد ٧: ٣٥٥

وحدث أيضاً عن آخرين منهم حماد بن يحيى، وعبد الوارث بن سعيد وعبثر بن القاسم.

كما حدث في آخر حياته عن شريك بن عبد الله، وجعفر بن سليمان وفرج بن فضالة، وعمر بن هارون البلخي وغيرهم.

وروى عنه عبد الله بن أحمد بن حنبل، وأبو زرعة، وأبو حاتم الرازيان وغيرهم.

سئل أبو حاتم عنه فقال: هو صدوق

وقال ابن حبان في تاريخ الثقات: صالح بن عبد الله الترمذي: صاحب سنة وفضل.

* * *

وبعد:

هذه مجموعة من المَشايخ العلماء ورجال التصوف الاجلاء ممن تلقى عنهم العلم والمعرفة الحكيم الترمذى.

ولا شك أنه التقى بالعديد من هؤلاء العلماء الذين أصلوا العلم وقعدوا القواعد، وحفظوا سنة الرسول ـ ﷺ ـ وكانوا لطلابهم نعم المعين لاستيعاب العلم وفهمه وسلوك طريق الخلاص والصفاء وتذوقه.

وإذا كان الحكيم الترمذي قد عايش هؤلاء العلماء وتلقى عليهم ما جعله عالماً جليلًا وسالكاً نبيلًا فلا شك أنه جاء دوره بعد ذلك للعطاء والبذل وجلوسه على كرسي الاستاذية ليعلم ويفقه ويرشد ويربي ولقد كان له في هذا المجال العديد من الطلاب والكثير من المريدين ممن تخرجوا على يديه بعد أن غزاهم بعلمه وصقلهم بذوقه وأرشدهم الى الطريق السوي.

ويطيب لنا في هذه العجالة أن نستعرض بعض هؤلاء الطلاب والمريدين الذين تخرجوا على يديه.

وإذا كان ذلك كذلك فعلينا أن نقطع شوطاً آخر في البحث.

ثانياً: التلامذة والمريدون

يقول الحكيم الترمذي في رسالته: بدو شأن أبي عبد الله:

« فلم يزالوا بي حتى مدوني (جروني) الى المسجد وذهبت تلك الأكاذيب والأقاويل الباطلة ووقع الناس في التوبة وظهرت التلامذة واقبلت الرياسة ».

ولا شك أنه كان له العديد من التلاميذ والمريدين ويطيب لنا في هذه العجالة أن نلقي الأضواء على بعض هؤلاء ممن تلقوا العلم على يديه.

١ــ أبو محمد يحيى بن منصور القاضي

ترجم له صاحب معجم البلدان وتلقى العلم في بغداد وكانت له طريقة وسلوك وكان له اجتهادات في الفقه وأصوله. وولي قضاء نيسابور وكانت له حلقة وتلاميذ منهم: أبو عبد الرحمن السلمي: وغيره.

روى عن علي بن عبد العزيز البغوي، وأحمد بن سلمة وطبقتهما وتوفي سنة خمسين وثلاثمائة.[1]

٢ــ أبو بكر محمد بن عمر الحكيم الوراق

يقول الشعراني: أصله من ترمذ وأقام ببلخ، ولقي أحمد بن خضرويه، وصحب محمد بن سعد الزاهد، ومحمد بن عمر البلخي.

له التصانيف المشهورة في أنواع الرياضات والآداب والمعاملات.

من كلامه: لو قيل للطمع من أبوك لقال الشك في المقدور. ولو قيل

---

(١) راجع ابن العماد الحنبلي ٣: ٩

له ما حرفتك؟ لقال: اكتساب الذل، ولو قيل: ما غايتك؟ لقال الحرمان.

وكان ــ رضي الله عنه ــ يمنع أصحابه من السفر والسياحات ويقول: مفتاح كل بركة التصبر في موضع ارادتك الى أن تصح لك الارادة فإذا صحت لك الارادة فقد ظهر عليك أوائل البركة.

وكان يقول: الناس ثلاثة: العلماء، والفقراء، والامراء فإذا فسد الامراء فسد المعاش، وإذا فسد العلماء فسدت الطاعات، وإذا فسد الفقراء فسدت الأخلاق(١).

٣ــ أحمد بن محمد بن عيسى

ورد ذكره في صفة الصفوة(٢)، وتاريخ بغداد(٣) وطبقات السلمي(٤) والشعراني وكان من كبار مشايخ العراق وجلتهم، وكان من جلساء الجنيد وأقرانه.

صحب سرياً السقطي، وابا فتح الحمال، وحارثاً المحاسبي، وبشر الحافي وطريقته في الورع قريبة من طريقة بشر.

٤ــ أبو علي منصور بن عبد الله بن خالد الذهلي الهروي.

وقد ورد ذكره في تاريخ بغداد(٥)، وهو من أهل هراة، حدث عن جماعة من الخراسانيين بالغرائب والمناكير.

ثم وفد على بغداد وحدث بها.

تكلم فيه العلماء، ورموه برواية المناكير. وقال أبو سعيد عبد الرحمن

---

(١) راجع الطبقات الكبرى للشعراني ١: ٨٧

(٢) راجع صفوة الصفوة ٢: ٢٢٣

(٣) تاريخ بغداد ٥: ٦٠

(٤) طبقات السلمي ٢٤٩

(٥) تاريخ بغداد ١٣: ٨٤

ابن محمد الإدريسي : منصور بن عبد الله الهروي كذاب لا يعتمد على روايته.

٥ــ أبو علي الحسن بن علي الجرجاني

ورد ذكره في طبقات الصوفية[1]، وحلية الأولياء[2] والطبقات الكبرى[3] يقال: إنه كان من كبار مشايخ خراسان علماً وأدباً وله التصانيف المشهورة والمؤلفات الكبيرة.

وقد تكلم في علوم الآفات والرياضات والمجاهدات وربما تكلم في علوم المعارف والحكم.

روى عنه السلمي في رسالته عن الملاقية أصلًا من أصولهم المعدودة.

٦ــ محمد بن جعفر بن الهيثم بن عمران بن بريدة

أنباري الأصل وسكن بغداد وكانت له سياحة واطلاع على علوم القوم. سمع أحمد بن الخليل البرجلاني، ومحمد بن أبي العوام الرياحي وجعفر بن محمد الصائغ، وأبا إسماعيل الترمذي، وروى أيضاً عن ابراهيم ابن اسحاق الحربي.

وقد حدث عنه أبو الحسين بن الفضل القطان، وأبو الفرج بن سميكة وعلي بن أحمد الرزاز.

قال في تاريخ بغداد: قرأت بخط علي بن أحمد الرزاز ــ سألت الشيخ ــ يعني أبا بكر بن الهيثم عن مولده فقال: في شوال سنة سبع

---

(١) طبقات الصوفية ٢٤٦

(٢) حلية الأولياء ١٠: ٣٥٠

(٣) الطبقات الكبرى للشعراني ١: ١٠٥

وستين ومائتين سألت البرقاني عن ابن الهيثم فقلت: هل تكلم فيه أحد..؟ فقال: لا. قال: وكان سماعه صحيحاً بخط أبيه[1].

وتوفي في عاشوراء سنة ستين وثلاثمائة.

يقول الدكتور : إن حظ شيخنا من الأتباع والمريدين كان ضئيلا لا يتناسب تماماً وجلال قدره، وعظيم خطره.

ويقول الباحث الكبير الدكتور عبد الفتاح بركة: « والظاهر بعد الرجوع الى ترجمة شيخنا لنفسه من ناحية، ومطالعة رسائله مباشرة أو الذين يتلقون عنه بطريق المراسلة أن ضآلة حظه لم تكن في الاتباع والمريدين ولكن في كتب التاريخ والتراجم فقد أهملت إهمالًا ملحوظاً أن تعطينا صورة كاملة او واضحة على الأقل عن الشيخ الفذ الذي ترك آثاراً بيِّنة في الثقافة الصوفية »[2]

* * * *

وإذا كان ذلك كذلك فيطيب لنا أن نقدم ثبتاً ببعض مؤلفات الحكيم الترمذي.

---

(١) تاريخ بغداد ٢: ١٥٠ نقلًا من كتاب الحكيم الترمذي ونظريته في الولاية ١: ٤٨ــ ٤٩

(٢) الحكيم الترمذي ونظريته في الولاية ١: ٥٠

مؤلفات الشيخ الحكيم الترمذي

أولًا: المخطوطات

١ــ اثبات العلل

بداية: الحمد لله رب العالمين ولي الحمد وأهله: أما بعد فإنك سألتني عما اختلف الناس فيه من إثبات العلل في الأمر والنهي.

نهاية: توقى أن يزيل شيئاً من جسده عن شعره حتى لا يحرم الفداء والكرامة من الله تعالى.

تم كتاب العلل بحمد الله ومنه

مكتبة ولي الدين، ضمن المخطوطة رقم ٧٧٠ وكلها للحكيم الترمذي

٢ــ الأكياس والمغترون [يشمل المسائل العفنة]

بداية: قال أبو عبد الله محمد بن علي رحمة الله عليه، وأما المسائل العفنة فمن ذلك قوله: ان الوالد مطلق اليد في مال الولد اذا احتاج اليه

نهاية: وشغله إنفاقه في نهايته عن التهني بشكره وشغله مصايبها بفوتها عن مصايب ذنوبه وعيوبه، همته نفسه وإمامه هواه، وهو في سهو عنه لا يتفكر فيما خلق له، ولا لماذا خلق، والى ما صار أمره وعاقبته. تمت المسائل العفنة، والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله اجمعين.

دار الكتب الوطنية الظاهرية ضمن المخطوطة رقم ١٠٤ وكلها للحكيم الترمذي

٣ـ رسالة في الذكر ووصف المنفردين

بداية: قال أبو عبد الله رحمة الله عليه: وجدنا الذكر على ضربين: أن تذكر هويته بلا كيف فتغرق فيه الدنيا والآخرة.

نهاية: وقال تعالى: ﴿ **ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله ان الله عزيز حكيم..** ﴾

مكتبة ولي الدين ضمن المخطوطة رقم ٧٧٠

ومكتبة أسعد أفندي ضمن المخطوطة ١٣١٢

٤ـ الرد على الرافضة

بداية: بسم الله أعوذ بوجهه الكريم وبكلماته التامات من شر الشيطان الرجيم من كلام محمد بن علي الترمذي ــ رحمه الله ــ في كتاب الرد على الرافضة قال: بعد ذكر خلافة الائمة الأربعة على الترتيب

نهاية: وماذا أجازهم أبو بكر ــ رضي الله عنه، وما دعاهم الى ما صنعوا واي عرض كان لهم في ذلك

مكتبة ولي الدين ضمن المخطوطة رقم ٧٧٠

٥ـ الرد على المعطلة

مصورة بدار الكتب المصرية عن مخطوطة مكتبة بلدية الاسكندرية رقم ٣٢٨٢ ج

٧ـ مسألة في الانسان

بداية: قال أبو عبد الله، رحمة الله عليه: إن الانسان مطبوع على سبعة أخلاق.

نهاية: « وذلك جزاء من تزكى » أي تطهر من الأسباب وهي هذه الاخلاق السبعة ان شاء الله.

٨ـ صفة الهوى

بداية: سئل رحمه الله عن الهوى ما هو..؟ قال: جوهره النفس فإن ابن آدم خلق من التراب فكان الهوى هو عنصره

نهاية: ومنه قيل: الايمان اثبت في قلوبهم من الجبال الرواسي.

٩ـ في الولاية والتقوى

بداية: قال أبو عبد الله رحمة الله عليه: الولاية على وجهين، ولاية يخرج بها من العداوة وهي ولاية التوحيد

نهاية: فمن أعرض عن الدنيا أقام الزهد ومن أعرض عن النفس أقام العبودة والولاية.

١٠ـ في قصة عزير عليه السلام:

بداية: قال أبو عبد الله، رحمة الله عليه في قوله تعالى: ﴿ **فلما تبين له..** ﴾أي تبين له كيف يحيى الموتى.

نهاية: فلما كان من النفوس ما كان دخل النقص في الطمأنينة والنقص في الوفا بتسليم النفس ووقع الحساب والوزن والحس الطويل في العرضة.

١١ــ ما ذكر في التسبيح والتهليل والتحميد والتكبير

بداية: قال رحمه الله: الفرق بين التسبيح والتقديس أن التقديس لآلائه والتسبيح لأسمائه.

نهاية: وقد قال رسول الله ــ ﷺ ــ ليس بين أهل الجنة وبين ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن.

١٢ــ شفاء العلل

بداية: بسم الله وبه نستعين قال أبو عبد الله محمد بن علي رحمه الله ان كلمة « لا اله الا الله » لازمة للخلق: الاعتقاد لها قلباً والاعتراف بها نطقاً والوفاء بها فعلًا.

نهاية: وهم كلهم أهل صدق واخلاص فانظر اين موقع هؤلاء في صدقهم واخلاصهم من هؤلاء الأدعياء عبيد المال ؟

مكتبة ولي الدين ضمن المخطوطة رقم ٧٧٠

١٣ــ أنواع العلوم

بداية: قال أبو عبد الله رحمه الله: الحمد لله رب العالمين ولي الحمد واهله أما بعد، فإنك سألتني، رحمك الله، أن أبين لك أنواع العلوم وكم نوعاً هي وما عواقبها. فالعلم عندنا ثلاثة أنواع نوع منها الحلال والحرام ونوع ثان الحكمة ونوع ثالث المعرفة.

نهاية: وكل شيء يوجد بنفسه والله تعالى إنما يعرف ويوجد بآياته وخلقه وتدبيره وآيات القرآن كلها دالة على ما وصفنا والحمد لله رب العالمين.

مكتبة ولي الدين ضمن المخطوطة رقم ٧٧٠

علل العبادات

بداية: الحمد لله الذي رفع السماء بلا عمد مأسوس، وسطح الأرض على وجه ماء عبوس وأوتدها بالجبل المرسوس نحمده ونستعينه ونستغفره ونستشهده ونؤمن به، ونتوكل عليه، ونشهد أن لا إله إلا الله.

نهاية: فهذا بمنزلة ملك قد هيأ لعبيده عرساً وفي ذلك العرس ألوان الاطعمة وألوان الأشربه حتى يصدرهم من عنده وقد ثملوا من الطعام شبعاً اشبعهم وأرواهم الى قوله: فهذا دأبهم أيام الحياة.

مكتبة ولي الدين ضمن المخطوطة رقم ٧٧٠

١٥ــ مسألة في الايمان والاحسان والاسلام

بداية: بسم الله مسألة في الايمان قال أبو عبد الله محمد بن علي الترمذي الحكيم رحمه الله: الحمد لله رب العالمين ولي الحمد واهله سألتني عما وقع فيه الناس من الاختلاف في الايمان ومحله من الآدمي.

نهاية: لا إله إلا أنت أغثني يا مغيث يا مغيث أغثني يا مغيث

المخطوطة رقم ٢١٢ السابق ذكرها

٢ــ المطبوعات

١ــ أدب النفس

في نسخة جمعت بين كتابي الرياضة وأدب النفس تحقيق أ. ج اربري والدكتور علي حسن عبد القادر.

مصطفى البابي الحلبي القاهرة ١٩٤٧م

٢ــ بدء شأن أبي عبد الله

بداية: قال أبو عبد الله: كان بدو شأني أن الله تبارك اسمه قيض لي

شيخي، رحمه الله من لدن بلغت من السن ثمانياً يحملني على تعلم العلم ويعلمني ويحثني عليه ويدئب ذلك في المنشط والمكره.

نهاية: حتى كان يوم الجمعة في أيام العشرة حضرت المجلس فذكرت أنه وقع عليه اسم « اللطيف »

نشره الدكتور عثمان اسماعيل يحيى في مقدمة كتاب « ختم الأولياء » وقام بتحقيقه.

المطبعة الكاثوليكية ــ بيروت

٣ــ الحج واسراره

تحقيق الاستاذ حسني نصر زيدان. وهو غير ممحص النسبة للحكيم الترمذي القاهرة ١٩٦٩م

٤ــ ختم الأولياء: حققه الدكتور عثمان اسماعيل يحيى

بداية: قال الامام أبو عبد الله محمد بن علي بن الحسن بن بشر الحكيم الترمذى رحمه الله. الحمد لله رب العالمين ــ وصلى الله على محمد النبي وعلى آله اجمعين.

أما بعد فإنك ذكرت البحث في ما خاض فيه طائفة من الناس في شأن الولاية، وسألت عن شأن الأولياء ومنازلهم.

نهاية: ألا ترى ان سارة لما قالت ﴿ **ان هذا لشيء عجيب** ﴾ أنكرت الملائكة قولها فقالوا ﴿ **أتعجبين من أمر الله** ﴾ ومريم لما بشرت بالمسيح صدقت فأثنى الله عليها فقال ﴿ **وصدقت بكلمات ربها وكتبه** ﴾ وسماها في تنزيله ﴿ **صديقة** ﴾

المطبعة الكاثوليكية ــ بيروت

٥ـ الرياضة:

انظر أدب النفس.

نشره عبد المحسن الحسين بمجلة كلية الآداب ــ جامعة الاسكندرية ١٩٤٦ م تحت عنوان « حقيقة الآدمية »

٦ـ الصلاة ومقاصدها

تحقيق الاستاذ حسني نصر زيدان القاهرة ١٩٦٥ م

٧ـ بيان الفرق بين الصدر والقلب والفؤاد واللب

تحقيق الدكتور نقولا هير، وهو غير ممحص النسبة للحكيم الترمذي القاهرة ١٩٥٨

٨ـ نوادر الأصول الملقب بسلوة العارفين وبستان الموحدين

بداية: الأصل الأول في بيان التحصين من لدغ العقرب وكلمة الاستعاذة بالكلمات. حدثنا قتيبة بن سعيد عن مالك بن أنس عن سهل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة ــ رضي الله عنه قال: قال رجل يا رسول الله ما نمت البارحة الخ

نهاية: والله أعلم بالصواب واليه المرجع والمآب هذا آخر كتاب نوادر الأصول في أحاديث الرسول ــ ﷺ ــ والحمد لله على توفيقه واتمامه والصلاة والسلام على نبيه وحبيبه محمد ــ صلى الله تعالى عليه وسلم ــ وعلى آله الطاهرين وأصحابه أجمعين.

ط استانبول ١٢٩٣ هـ

وقامت بنشره واعادة تصويره دار صادر للطباعة والنشر ــ بيروت.

هذه مجموعة صغيرة من مؤلفات الحكيم الترمذي تحتوي الكثير من المعارف والفنون التي كانت سائدة في عصره.

فبعضها في الفقه وبعضها في التصوف وبعضها في الحديث، وبعضها يندرج تحت علم النفس، وبعضها يندرج في التفسير، وبعضها يندرج في الرجال ولا شك أن هذا الرجل كان موسوعة متنقلة تناولت الكثير من معارف البشر مما يصلح نفوسهم ويطبب قلوبهم في الدنيا والآخرة[1]

الحكيم الترمذي في رأي المؤلفين والمصنفين

قل أن نجد عالماً كان له مجال في عالم الشريعة أو الحقيقة الا واختلف الناس فيه بين مادح وقادح.

فمثلًا الامام أبو بكر الباقلاني صاحب إعجاز القران في رأي ابن خلكان أوحد زمانه، وانتهت اليه الرياسة في مذهبه.

ولكن هذا الامام عند ابن حزم الظاهري: مظلم الجهالة ومن أهل الضلالة كافر اصلع الكفر مشرك يقدح في النبوات ملحد خبيث ملعون فاسق يكيد للاسلام ويستخف به.

والباقلاني: عند أبي حيان التوحيدي على مذهب الخرمية وطرايق الملحدة.

والامام الغزالي: حجة الاسلام أمره مشهور وقد كاد ينعقد الاجماع على غزارة علمه وسمو نفسه.

ولكنه عند الطرطوشي كاد ينسلخ من الدين، ويفتي الطرطوشي الملوك بوجوب حرق كتبه واعدامها.

---

(١) كانت مصادرنا في جمع مصنفات الحكيم الترمذي ١ــ كتاب ختم الولاية تحقيق عثمان اسماعيل يحيى ٢ــ الحكيم الترمذي ونظريته في الولاية للدكتور عبد الفتاح عبد الله بركة ط مجمع البحوث الاسلامية. وللاستزادة راجع الفهرس العام لمصنفات الحكيم الترمذي للاستاذ عثمان اسماعيل يحيى نشره عام ١٩٥٧ في مقدمة تحقيق كتاب بيان الفرق بين الصدر والقلب والفؤاد واللب للحكيم الترمذي تبعاً بمؤلفات الحكيم الترمذي.

ولا شك أن الحكيم الترمذي أحد هؤلاء الرجال الذي اختلف فيه علماء الشريعة والحقيقة. فهو عند بعضهم ولي لله تعالى وعند البعض الآخر جاهل ادخل في علوم الشريعة ما ليس منها وغرر بالعامة، وفارق الجماعة.

واذا كان ذلك كذلك فعلينا ان نتعرف على آراء المادحين والقادحين:

قال ابن النجار في ذيل تاريخ بغداد:

« كان اماماً من ائمة المسلمين له المصنفات الكبار في أصول الدين ومعاني الحديث، وقد لقي الائمة الكبار وأخذ عنهم وفي شيوخه كثرة وله كتاب نوادر الأصول. رواه عنه جماعة بخراسان »[1]

وقال أبو عبد الرحمن السلمي في طبقات الصوفية:

« له الشأن العالي والنعت المشهور، كان يقول ما وضعت حرفاً على حرف لينقل عني ولا لينسب الى شيء منه ولكن كنت اذا اشتد علي وقتي اتسلى بمصنفاتي »[2].

وقال القشيري في الرسالة القشيرية: « كان من كبار الشيوخ وله تصنيف في علوم القوم »[3].

وقال صاحب تاريخ حلب كمال الدين بن العديم:

« وهذا الحكيم الترمذي لم يكن من أهل الحديث ولا رواية له ولا علم له وإنما كان فيه الكلام على اشارات الصوفية والطرائق ودعوى الكشف عن الأمور الغامضة والحقائق حتى خرج في ذلك عن قاعدة

---

(١) راجع لسان الميزان ٥: ٣٠٨

(٢) طبقات الصوفية ٢١٧

(٣) الرسالة القشيرية

الفقهاء واستحق الطعن عليه بذلك والازراء وطعن عليه أئمة الفقهاء والصوفية واخرجوه بذلك عن السيرة المرضية وقالوا انه ادخل في علم الشريعة ما فارق به الجماعة وملأ كتبه الفظيعة بالأحاديث الموضوعة وحشاها بالأخبار التي ليست بمروية ولا مسموعة وعلل فيها جميع الأمور الشرعية التي لا يعقل معناها بعلل ما أضعفها وما أوهاها »[1].

وقال صاحب لسان الميزان رداً على هذا الكلام:

قلت: ولعمري لقد بالغ ابن العديم في ذلك ولولا أن كلامه يتضمن النقل عن الائمة انهم طعنوا فيه لما ذكرته ولم أقف لهذا الرجل مع جلالته على ترجمة شافية.

وقال أبو نعيم صاحب حلية الأولياء:

صحب الحكيم الترمذي ابا تراب النخشبي ولقى يحيى بن الجلاء وصنف التصانيف الكثيرة في الحديث وهو مستقيم الطريق تابع للأثر يرد على المرجئة وغيرهم من المخالفين وذكر أشياء من كلامه[2].

ويقول الدكتور عبد الفتاح بركة:

« وقد بلغ من تقدير المدرسة الشاذلية للحكيم الترمذي: أنهم كانوا يطلقون عليه لقب الإمام الرباني »

وقد روى **ابن عطاء** في كتابه لطائف المنن عن شيخه أبي العباس المرسي فقال: وكان أبو العباس المرسي يقول عن الشيخ أبي الحسن: عليكم بالقوت فإنه قوت. وكان هو والشيخ أبو الحسن كل منهما يعظم

---

(١) لسان الميزان ٥: ٣٠٨

(٢) حلية الأولياء ١٠: ٢٣٣

الامام الرباني محمد بن علي الترمذي وكان لكلامه عندهما الحظوة التامة، وكان يقول عنه: إنه أحد الأربعة الأوتاد[1].

وقال أربري في كتابه التصوف:

١ — « إن القرن الذي أبرز المحاسبي والجنيد والحلاج قد قدم للتصوف الاسلامي من أسهموا في بناء صرحه من ليسوا أقل أهمية إلا بوجه من المقارنة، وليس الحكيم أقل أهمية من هؤلاء ».

وفاته

لقد تعرض الحكيم الترمذي الى العديد من الاضطهادات في حياته الأمر الذي جعله يخرج من بلده منفياً منها وعاش خارجها فترة من الزمن لم تستطيع كتب التراجم التي بين أيدينا ان تحدد بدءها أو منتهاها ولكنه عاد الى ترمذ مرة أخرى بعد أن خفت حدة الهجوم عليه. ولا ندري كم عاش في ترمذ بعد عودته.

ونتيجة للاستقراءات والاستنتاجات التي قام بها الدكتور عبد الفتاح بركة يتضح أنه مات عام عشرين وثلاثمائة للهجرة.

رحمه الله رحمة واسعة بمقدار ما قدم من خير للاسلام والمسلمين.

---

(١) نقلاً من كتاب الحكيم الترمذي ونظريته في الولاية ١: ١٩٩.

كتاب نوادر الأصول

التعريف به:

هذا الكتاب للحكيم الترمذي يعتبره بعض الراصدين للحركات الفكرية أنه من أوائل الكتب التي أثرت في الفكر العربي، وكان نبعاً ثرياً لطلاب المعرفة، ومائدة غنية بشتى الطعوم والألوان لكثير من المريدين والطلاب الذين سلكوا طريق الولاية، أو خاضوا تجربة السلوك، ويقال ما سبق بمثاله ولم يؤلف على منواله.

ويقول عنه صاحب مرقاة الوصول: « قد اشتمل على نفائس المواعظ والرقائق، وحوى دقائق العلوم والحكم والحقائق، اذ هو مؤصل على الأحاديث النبوية متوج بالآيات القرآنية موشح بالعلوم اللدنية. لقد جمع فأوعى ».

ثم يقول أيضاً: « ما صنف مثل هذه النوادر كيف لا؟ وقد صاغها الحكيم بلا تدبر من لدن حكيم عليم ».

لقد قلنا في ترجمة الحكيم الترمذي: لقد بدأ حياته دارساً لعلمي الآثار والرأي، ثم كانت له مصنفات في علمي الفقه والتصوف، فهل اراد بوضعه لهذا الكتاب أن يكون محدثاً يوضع اسمه في سجل علماء الحديث أمثال الامام البخاري، والامام مسلم بن الحجاج، وابن ماجة، وأبي داود ومعاصره أبي عيسى الترمذي... ؟

إن هذا الكتاب يعتبر من أواخر ما خطَّه الحكيم الترمذي، وفي هذا الوقت كانت معالم حياته واضحة جلية، وأنه اختط لنفسه طريق التصوف والولاية، فهل أراد أن يكون له كتاب في الحديث يفسره بالذوق الصوفي ويكون هذا الكتاب معتمد رجال التصوف في تجلياتهم وما يتنقلون فيه من مقامات وأحوال..؟

يقول الدكتور عبد الفتاح بركة: « ويخال من يطلع على هذا العنوان لأول وهلة أنه كتاب في الحديث النبوي على سنة كتب الحديث المعروفة لكنه مع كونه مليئاً بالحديث مكون من عدة أصول يأتي في رأس منها بخبر من الأخبار يشرحه ويبينه ويستخرج منه ما يتفق مع الأصل المطلوب، وهو في هذا البحث والشرح ينحو منحى خاصاً يتفق مع منهجه العلمي الخاص، ومع طريقته الصوفية مستشهداً خلال ذلك بالكثير والعديد من الأحاديث فهو من ناحية روايته للحديث ــ في هذا الكتاب ــ محدث لكن التحديث لم يكن مقصده من الكتاب »(١)

وإذا لم يكن التحديث مقصده من الكتاب. فما هو مقصده إذن والكتاب كما قال صاحب المرقاة: « مؤصل على الأحاديث النبوية، ومتوج بالآيات القرآنية..؟

لقد هوجم الحكيم الترمذي من رجال الحديث حيث تقولوا عليه بأنه ليس من أهل الحديث، ولا دراية له ولا رواية، وأنه ملأ كتبه التي سطرها بالأحاديث الموضوعة، وحشاها بالأخبار التي ليست بمروية ولا مسموعة.

وهوجم من الفقهاء حيث أشاعوا عنه أنه أدخل في علم الشريعة ما فارق به الجماعة وعلل جميع الأمور الشرعية التي لا يعقل معناها بعلل ما أضعفها وأوهاها.

وهوجم من المتصوفة حيث ألَّبوا عليه العامة واتهموه لدى حاكم البلاد

(١) راجع كتاب الحكيم الترمذي ونظريته في الولاية ١: ٤٨

بأنه يتكلم على اشارات الصوفية، وادعى الكشف عن الأمور الغامضة والحقائق الغائرة، حتى خرج بذلك عن قاعدة الشرع واستحق الطعن عليه بذلك.

فهل أراد بوضعه لهذا الكتاب أن يثبت لرجال الحديث أنه أهل للرواية وأنه على دراية كاملة بحديث رسول الله ــ ﷺ ــ سنداً ومتناً.؟

وهل أراد بوضعه لهذا الكتاب أن يثبت لجماعة الفقهاء أنه فقيه بالشريعة القائمة على كتاب الله تعالى وسنة رسوله ــ ﷺ ــ ومن أجل هذا وضع كتابه النوادر المؤصل على الأحاديث النبوية، والمتوج بالآيات القرآنية.؟

وهل أراد بوضعه لكتاب النوادر ان يثبت لرجال التصوف أن ما ينطق به أو يتكلم عليه لا يخرج عن دائرة ما عقده الشرع أو نزل به الوحي.؟

إننا نميل الى هذا الاستنتاج، وأن الحكيم الترمذي، اراد بهذا الكتاب أن يقدم للامة الاسلامية بعامة والشانئين له بخاصة أنه سنِّي محمدي لا يخرج عن دائرة الشرع والوحي. هذه واحدة.

أما الثانية: فلقد أراد أن يقدم للسالكين التصوف النقي، التصوف الذي لم يتأثر بأي مؤثر خارجي من تهويمات النصرانية، أو تجسيمات الفارسية أو خزعبلات البراهمية، أو غير ذلك، ومن أجل هذا يطيب لنا أن نلقي بعض الأضواء والظلال على محتويات هذا الكتاب ولكي تكون الصورة واضحة جلية نقسم محتويات الكتاب الى أقسام أربعة:

القسم الأول: ويحتوي على مجموعة من الأصول قدم فيها الوسائل التي يجب أن يتدرج فيها الانسان حتى يكون بمنأى عن الشيطان، فإذا تحقق له ذلك ابتعد عن الغضب، لأنه جمرة يلقيها الشيطان في جوف

الانسان، وأمن من الخوف على الرزق، وعلى الجاه وعلى كل شيء: ﴿ **أولئك لهم الأمن وهم مهتدون** ﴾ (١)

وما دام بعيداً عن الشيطان فهو متأدب بأدب الاسلام يرجح الرجاء على القنوط، والهدى على الضلال، والنور على الظلام فتنفتح امامه المسالك فيسعى في الأرض ضارباً في فجاجها، آخذاً بالأسباب فيرزقه الله من حيث لا يحتسب، وتأتي اليه الدنيا راغمة فينفق مما اعطاه الله، ويعطي مما هو مستخلف فيه، ينفر من الحرص ويبتعد عن الاعتراض: ﴿ **قل كل من عند الله** ﴾ (٢)

ويتأنى فلا يعجل لأنه صار من عباد الله ﴿ **وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا.** ﴾ (٣)

وهو متأدب بأدب الاسلام فلا يجهل ولا يلمز، ولا يظن ولا يغتاب ولا يتجسس ولا يمش بالنميمة حتى يصفي وينقي.

وهذا ما يحتويه القسم الأول من هذا الكتاب.

القسم الثاني: جعله في فقه المؤمن فنراه يقدم له في هذا الجزء زاده من الفقه وزاده من المعرفة ولا يجد زاداً أطيب من مائدة القرآن، فالقرآن هو مائدة المؤمن وكلما عب من هذه المائدة استنار قلبه وفتحت بصائره فلا تغره الدنيا ولا تأخذ بلبه لأنها سراب خادع ولهو زائل وكما وصفها رب العزة في قوله تعالى: ﴿ **كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض** ﴾ (٤)

---

(١) سورة الانعام آية رقم ٨٢

(٢) سورة النساء آية رقم ٧٨

(٣) سورة الفرقان آية رقم ٦٣

(٤) سورة يونس آية رقم ٢٤ وسورة الكهف آية رقم ٤٥

إذن لا خلود في هذه الدار، ولا بقاء في الفانية، فلماذا يتعلق بها الانسان وهي تفنى وتزول..؟

ثم يطالبه في النهاية بالتزود للاخرة: ﴿ **وتزودوا فإن خير الزاد التقوى** ﴾ [1] والدنيا عنده لا تذم إلا إذا اتبع الانسان فيها هواه وسار خلف شيطانه لأن الدنيا ـــ في رأيه ـــ موطن العبادة ومنبت الخشوع، وطريق الوصول الى الله تعالى، وفيها يكون الإنسان خليفة لربه ﴿ **إني جاعل في الأرض خليفه** ﴾ [2]

فعلى الانسان أن يعمر دنياه بالتقوى ويقيم أعمدتها بالعمل، وكل ما يفعله العبد ويرجو به وجه الله تعالى فهو عبادة وقربى.

القسم الثالث: اذا كان في القسم الأول أراد أن يجعل الانسان خليفة الله في أرضه مبتوت الصلة بينه وبين الشيطان وأراد أن يجعله في القسم الثاني فاراً الى ربه ومهاجراً الى مولاه لقوله تعالى: ﴿ **ففروا الى الله** ﴾ [3] فإنه في هذا القسم يضعه على عتبة الولاية التي من شروط تحققها الايمان والتقوى قال تعالى: ﴿ **ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون** ﴾ [4]

ويقدم في هذا القسم مجموعة من الأصول التي تؤدي به الى الغاية وتفرُّ به الى موطن الولاية منها:

١ـــ تلاقي الأرواح في الدنيا.

٢ـــ فيما يعلم به منزلة العبد عند الله تعالى.

٣ـــ استغفار العبد، واستغفار الرسول ـــ ﷺ

(١) سورة البقرة آية رقم ١٩٧

(٢) سورة البقرة آية رقم ٣٠

(٣) سورة الذاريات آية رقم ٥٠

(٤) سورة يونس الآيتان رقم ٦٢ و٦٣

٤ــ في صفة الأولياء والتحذير من إهانتهم.

٥ــ طلب المعونة والتعرض للنفحات: لقول الرسول ــ ﷺ: إن لربكم في أيام دهركم نفحات ألا فتعرضوا لها..

وغير ذلك من الأصول

القسم الرابع والأخير، جعله سياحات في كتاب الله تعالى وتفسير بعض آيات الكتاب الكريم. ومن أصوله:

١ــ في فضل سورة الفاتحة.

٢ــ في آية الكرسي وما يحرس به السلطان والقرآن.

٣ــ في تفسير الاستئناس.

٤ــ بيان أقسام القرآن

٥ــ في أن القرآن مثله كجراب فيه مسك.

٦ــ في سر كلمة التقوى في قوله تعالى: ﴿ **وتزودوا فإن خير الزاد التقوى** ﴾[1]

وغير ذلك كثير.

عملنا في هذا الكتاب

إن العمل في كتب التراث عمل شاق ومرهق ولا يحس به الا من زاوله على حسب قواعده، وعايشه معايشة كاملة، هذا إذا كان الكتاب يتناول فناً من الفنون التي تتصل بالشريعة.

فإذا كان الكتاب يتصل بأحاديث الرسول ــ ﷺ ــ فإن الأمر جد مختلف، لأنه حينئذ لا يتوقف على تصحيح النص أو ترقيم الآيات القرآنية الكريمة أو ترجمة الرجال، وإنما الأمر يتعلق مع كل هذه الأشياء بتخريج الأحاديث، وهو عمل شاق جداً ويحتاج الى دراية ودربة بهذا العمل.

(١) سورة البقرة آية رقم ١٩٧

إن تحقيق المخطوطة يتطلب من المحقق أن يضع يده على أكثر من نسخة من المخطوطة حتى يتمكن من المقارنة بينها وتوضيح الفروق بين نسخة وأخرى وهذا لم يتيسر لنا. ومن أجل هذا كان عملنا كالآتي:

١ــ بدأنا العمل بتخريج الحديث لنعرف أي كتب الصحاح والسنن يوجد بها.

٢ــ حرصنا كل الحرص على تخريج الأحاديث تخريجاً كاملًا بقدر ما أسعفتنا المراجع التي بين أيدينا، والدلالة عليها في أماكنها في كتب الصحاح والسنن والاشارة اليها بأرقامها وأبوابها وكتبها حتى لا يجد القارئ الذي يرغب في مراجعتها في مظانها أيّ صعوبة في الوصول اليها.

٣ــ أشرنا الى الأحاديث الضعيفة التي جاءت بين دفتي الكتاب، وإن كان بعض العلماء يجيزون روايتها والعمل بها في مجال الوعظ والترغيب.

٤ــ تتبعنا آيات القرآن الكريم التي وردت في ثنايا الكتاب فصححناها من تحريفات النسخ والطباعة وتم ترقيمها والاشارة الى سورها.

٥ــ ترجمنا الكثير من الأعلام التي جاءت في الكتاب والتي لا ترتبط برباط وثيق برواة الأحاديث.

وبعد: فإن الكتاب بهذه الصورة يعد من كتب الأحاديث الشاملة الجامعة والتي حوت الكثير من أقوال الرسول ــ ﷺ ــ وأفعاله وهديه في الدين والحياة والمتتبع لما حواه الكتاب بين دفتيه يرى أن صاحبه قد طوف على الكثير من كتب الصحاح والسنن وقطف وجنى من زهورها وورودها ما يصلح أن يكون دستوراً للمسلم ومنهاجاً له ينظم حياته الدنيوية ويعدّه لحياة أخرى خالدة دائمة في جنة عرضها السموات والأرض في مقعد صدق عند مليك مقتدر.

فجزى الله المؤلف عنا وعن المسلمين جميعاً والمنتفعين بكتابه جزاء الابرار والشهداء والصديقين بمقدار ما قدم من خير للاسلام والمسلمين.

المحقق

أ. د. عبد الرحمن عميره.

مِن مكتبة التُراث

نوادِر الأصُول

في أحَادِيثِ الرّسُول

تأليف
محمّد بن علي بن الحسن أبو عبد الله الحكيم
الترمذي

الجزء الأول

حقّق أصُوله وخرّج أحاديثه
الدكتور عبد الرحمن عميره

دار الجيل
بيروت

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الأصل الأول

في بيان التحصين من لدغ العقرب وكلمة الاستعاذة بالكلمات

حدثنا قتيبة بن سعيد، عن مالك بن أنس، عن سهيل بن أبي صالح[1]، عن أبيه، عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال : قال رجل : يا رسول الله ما نمت البارحة. قال : من أي شيء ؟ قال : لدغتني عقرب. فقال : « أما انك لو قلت حين أمسيت : أعوذ بكلمات الله التامة كلها من شر ما خلق، لم يضرك شيء إن شاء الله تعالى ». وفي رواية : « لم يضرك شيء حتى تصبح »[2].

---

(١) أحد العلماء الثقات وغيره أقوى منه. قال ابن معين: سميه خير منه، وقال عباس، عن يحيى : ليس بالقوي في الحديث، وقال أيضاً : حديثه ليس بالحجة، وقال في موضع آخر : ثقة هو وأخواه عباد وصالح. وقال أبو حاتم : يكتب حديثه، ولا يحتج به، وهو أحب إليّ من عمرو بن أبي عمرو، ومن العلاء بن عبد الرحمن.

وقال ابن المديني: مات أخ لسهيل فوجد عليه فنسي كثيراً من الحديث. وقال ابن أبي خيثمة: سمعت ابن معين يقول: لم يزل أصحاب الحديث يتقون حديثه. وقال ــ مرة: ضعيف.

(٢) الحديث رواه ابن ماجة في كتاب الطب ٣٥ باب رقية الحية والعقرب ٣٥١٨ ــ حدثنا عبيدالله الأشجعي عن سفيان، عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه، عن أبي هريرة. قال: وذكره =

وعن خولة بنت حكيم السلمية، عن رسول الله (ﷺ) أنه قال : « من نزل منزلاً فقال : أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، لم يضره شيء حتى يرتحل من منزله ذلك »[1].

وعن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده (رضوان الله عليهم أجمعين) قال : قال رسول الله (ﷺ) : « إذا فزع أحدكم في النوم، فليقل : أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه ومن شر عباده ومن همزات الشياطين وأن يحضرون، فإنها لن تضره »[2] فكان عبدالله بن عمرو يعلمها من بلغ من ولده، ومن لم يبلغ كتبها في صك ثم علّقها في عنقه.

= في الزوائد: إسناده صحيح، رجاله ثقات.

ورواه الامام مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ١٦ باب في التعوّذ من سوء القضاء ودرك الشقاء وغيره، ٢٧٠٩ قال يعقوب، وقال القعقاع بن حكيم عن ذكوان، أبي صالح، عن أبي هريرة وذكره.

(١) الحديث رواه الامام مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ١٦ باب في التعوذ من سوء القضاء ودرك الشقاء وغيره، ٥٤ ــ ٣٧٠٨ حدثنا محمد بن رمح واللفظ له، أخبرنا الليث عن يزيد بن أبي حبيب عن الحارث بن يعقوب، أن يعقوب بن عبدالله حدثه أنه سمع بُسر بن سعيد يقول سمعت سعد بن أبي وقاص يقول: سمعت خولة بنت حكيم السلمية تقول: وذكره. ورواه الترمذي في كتاب الدعوات ٤١ باب ما جاء ما يقول إذا نزل منزلاً، ٣٤٣٧ حدثنا الليث عن يزيد بن أبي حبيب عن الحارث بن يعقوب عن يعقوب بن عبدالله بن الأشج عن بسر بن سعيد عن سعد بن أبي وقاص عن خولة بنت حكيم عن رسول الله وذكره.

(٢) الحديث رواه أبو داود في كتاب الطب « باب كيف الرقي » ٣٨٩٣ ــ حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا حماد، عن محمد بن اسحاق عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن رسول الله ﷺ وذكره.

وروى الامام مالك عن يحيى بن سعيد قال: بلغني أن خالد بن الوليد قال لرسول الله ﷺ وذكره.

وعن سعيد بن جبير، عن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال : كان رسول الله (ﷺ) يعوِّذ الحسن والحسين يقول : « أعيذكما بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة ».

ويقول : « كان أبي إبراهيم يعوِّذ بهن إسماعيل وإسحاق (عليهما السلام) »[1].

قال أبو عبدالله محمد بن علي بن الحسين بن بشير الحكيم الترمذي المؤذن : كلمة الله التامة، وكلمات الله التامات يؤديان إلى معنى واحد. فمن قال : « كلمة الله التامة »، فانما أراد به الجملة. ومن قال : « كلمات الله التامات »، فإنما أراد الكلمة الواحدة التي تفرقت في الأمور في الأوقات فصارت كلمات، ومرجعهن إلى كلمة واحدة. فكلمته التامة هي قوله تعالى : ﴿ **إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون** ﴾[2]

وقال الله تعالى : ﴿ **إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون** ﴾[3].

وإنما قيل تامة لأن أقل الكلام عند أهل اللغة على ثلاثة أحرف : حرف يبتدأ به، وحرف يحشى به الكلمة، وحرف يسكت عليه. فإذا كان على حرفين، فهو عندهم منقوص. وإنما نقصت لعلة مثل قوله : يد، ودم، وغد، وفم. هذه كلها منقوصات لأنها على حرفين. وكذلك « كن » هي من الآدميين من المنقوصات، لأنها على حرفين، ولأنها كلمة ملفوظة

(١) الحديث رواه ابن ماجه في كتاب الطب ٣٦ باب ما عوذ به النبي ﷺ وما عوذ به، ٣٥٢٥ ــ حدثنا وكيع، وحدثنا أبو بكر بن خلاد الباهلي، حدثنا أبو عامر، قالا: حدثنا سفيان بن منصور، عن منهال عن سعيد بن جبير عن ابن عباس وذكره.

(٢) سورة يس آية رقم ٨٢.

(٣) سورة آل عمران آية رقم ٤٧.

بالأدوات. ومن ربنا (جل جلاله) كلمة تامة؛ لأنها بغير الأدوات، ومنفيّ عنه شبه المخلوقين. وقال الله تعالى : ﴿ **وتمت كلمة ربك** ﴾[1].

ثم وصفها فقال : ﴿ **صدقاً وعدلاً** ﴾.

أي قدساً واستواء. ثم قال : ﴿ **لا مبدِّل لكلماته** ﴾ أي ليس لأحد أن يعجزه إذا قال لشيء : كن. وإنما قال بكلماته لتفرق هذه الكلمة في الأمور كلها. فلكل قضية، ولكل إرادة من الأمور من ربنا في كل أمر كلام بقوله : كن. وهو ما روي عن أبي ذر (رضي الله عنه) عن رسول الله (ﷺ) فيما يحكى عن الله (عزّ وجلّ) « إنما عطائي كلام وعذابي كلام »[2].

فأما قوله : « كن »، فالكاف من كينونته، والنون من نوره. وهي كلمة تامة بها أحدث الأشياء وخلق الخلق. فإذا استعاذ العبد بتلك الكلمة، صارت له معاذاً، ووقى شر ما استعاذ بها منه. لأن العبد المؤمن لما عرف أن لا يكون شيء إلا ما جرى به القضاء والقدر، وإنما يمضي القضاء بقوله : « كن »، عظمت هذه الكلمة عنده، فصارت متعلق قلبه، فإنما

---

(١) سورة الأنعام آية رقم ١١٥.

(٢) هذا جزء من حديث طويل رواه الترمذي في أبواب صفة القيامة ٢٦١٣ أخبرنا أبو الأحوص عن ليث عن شهر بن حوشب عن عبد الرحمن بن غنم عن أبي ذر قال : قال رسول الله ﷺ وذكره.

وقال الترمذي : هذا حديث حسن. وروى بعضهم هذا الحديث عن شهر بن حوشب عن معد يكرب عن أبي ذر عن النبي ﷺ ورواه ابن ماجه في كتاب الزهد ٣٠ باب ذكر التوبة ٤٢٥٧ ــ حدثنا عبدة بن سليمان عن موسى بن المسيب الثقفي، عن شهر بن حوشب، عن عبد الرحمن بن غنم، عن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ وذكره. ورواه الامام أحمد في المسند ٥ : ١٥٤، ١٧٧ (حلبي).

تأخذه الرغبة في الأشياء، والرهبة من الأشياء، وقلبه نازع إلى مشيئته، وفؤاده مراقب لإرادته، وأذنه مصغية إلى كلمة « كن »، وعينه شاخصة[1] إلى تدبيره.

فإذا قال : أعوذ بكلمات الله التامة من شر ما خلق، وقي شر ما خلق، وصار في حصنه، وارتتع في عياذه آمناً مطمئناً. هذا لمن قالها بيقظة، وعقل ما يقول. وهذا القول منه تحقيق الايمان؛ لأنه آمن برب لا يملك أحد سواه شيئاً، ولا شريك له في شيء. وهذا لأهل اليقين، الذين إذا قال أحدهم هذا القول، استقر قلبه بعد القول على مقالته، واطمأنت نفسه.

فأما أهل الغفلة، فإنهم يعاذون على أقدارهم لحرمة الكلمة. وهو مثل ما جاء عن رسول الله (ﷺ) أنه قال : « إذا قال العبد حسبي الله سبع مرات، قال الله تعالى : وعزتي لأكفينه صادقاً أو كاذباً »[2].

فإنما قال : « صادقاً أو كاذباً » لأن السابق المقرب وهو الموقن إذا قال : « حسبي الله »، صدقه بفعله. فهو صادق لأنه لا يتعلق بعد ذلك قلبه بالأسباب. وذلك مثل قول إبراهيم (عليه السلام) حين وضع في المنجنيق من الجبل ليرمى به في النار، وعري من الكسوة وكتف بالوثاق فقال : « حسبي الله ». فعارضه جبريل (عليه السلام) في الهواء امتحاناً

(١) الشخص: سواد الإنسان وغيره، تراه من بعيد وجمعه في القلة أشخص وفي الكثرة (شخوص) وأشخاص، وشخص بصره من باب خضع فهو شاخص اذا فتح عينيه وجعل لا يطرف. وشخص من بلد الى بلد أي ذهب، وبابه خضع أيضاً وأشخصه غيره.

(٢) رواه ابن أبي الدنيا في الذكر عن عائشة أن النبي ﷺ كان اذا اشتد غمه مسح على رأسه ولحيته ثم تنفس الصعداء وقال: « حسبي الله ونعم الوكيل » وذكر السيوطي في الدر المنثور في تفسير قوله تعالى: ﴿ **وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل** ﴾ وعند أبي نعيم والديلمي عن شداد بن أوس قال وذكره.

راجع كشف الخفا ١ : ١٤، ٤٢٦، ٤٢٧.

وإبتلاء، وقال : هل من حاجة يا إبراهيم ؟ وهو يهوى في الجو. فقال إبراهيم (عليه السلام) : أما إليك فلا. وقد بكت السموات والملائكة وخزان المطر (عليهم السلام) لما حل به، وجأرت إلى الله تعالى، فأمر الله تعالى بنصرته من حين استغاث به عبده، فلم يلتفت إلى أحد من خلقه، ولا إلى جبريل مستغيثاً حتى تفرد الله تعالى بنصرته، فقال تعالى : ﴿ **قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم** ﴾[1]

وإنما عارضه جبريل (عليه السلام) في الهواء بما عارضه ليبرز صدق مقالة إبراهيم (عليه السلام) في قوله : « حسبي الله » عن مكنون قلبه، وليعلم الصادقون من بعده غاية الصدق في المقالات. فاتخذه خليلاً، ونوّه باسمه في العالمين. وهو أول مَن يكسى يوم القيامة لأنه عري في دار الدنيا في ذات الله تعالى فبدئ به من بين الأنبياء والرسل (عليهم السلام). فهكذا يكون قول أهل اليقين في « حسبي الله » والمخلط كذبه بفعله حيث تعلق بالأسباب وبالمخلوقين حتى صاروا فتنة عليه.

فقوله « حسبي الله » قول الموحدين، قول أهل الإيمان، لا قول المحققين، قول أهل النزاهة واليقين. فكذلك قوله : «أعوذ بكلمة الله التامة » المقرب عينه وأذنه إلى تدبيره وقضائه. وقوله : « كن » والمخلط عينه وأذنه إلى الأسباب والحيل والحرز والحصون والوقايات، فيعاذ على قدره لحرمة قوله واعترافه بأنها كلمة إيمان. فالاستعاذة بالله تعلق به محضاً. والاستعاذة بكلمته تعلق بتدبيره ؛ لأنه كذا دبر أن تكون الأشياء بالكلمة. وقال في تنزيله (عز من قائل) : ﴿ **وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله** ﴾[2].

---

(١) سورة الأنبياء آية رقم ٦٩.

(٢) سورة الأعراف آية رقم ٢٠٠.

وقال الله تعالى : ﴿ **وقل رب أعوذ بك من همزات الشياطين** ﴾[1].

فهما يدلان على أن ما كان من أمر الباطن فالاستعاذة به، وما كان من أمر الظاهر فالإستعاذة بكلمته. لأن ما هو في الظاهر هو بقوله : « كن ». وما في الباطن صنعه وقال : ﴿ **قل أعوذ برب الناس** ﴾[2]

ثم قال : ﴿ **ملك الناس** ﴾[3].

ثم قال : ﴿ **إله الناس** ﴾[4].

أمره أن يستعيذ بثلاثة من أسمائه ﴿ **من شر الوسواس** ﴾[5] وهو باطن.

فقوله : « رب »[6] أي مالك، ربني فلان يربني فهو راب. ثم قالوا : « رب » فحذفوا الألف. كما قالوا : « بار » ثم قالوا : « بر » فقوله : « رب » يؤدي إلى الملك، وملك يؤدي إلى الملك، وإله يؤدي إلى وله القلوب. فالوسواس آفة على القلب أمره أن يستعيذ بمالك وملك وإله؛ لأن المالك الذي أحاط بهم فملكهم. والملك الذي نفذ أمره فيهم، والاله الذي أوله القلوب إلى نفسه.

---

(١) سورة المؤمنون آية رقم ٩٧.

(٢) سورة الناس آية رقم ١.

(٣) سورة الناس آية رقم ٢.

(٤) سورة الناس آية رقم ٣.

(٥) سورة الناس آية رقم ٤.

(٦) الرب الملك والسيد. قال تعالى: ﴿ **ارجع الى ربك** ﴾ أي الى مالكك وسيدك ومنها ﴿ **اذكرني عند ربك** ﴾.

والثاني: الرب الكبير قال تعالى: ﴿ **فاذهب أنت وربك** ﴾ ومنه الربيب قال تعالى: ﴿ **وربائبكم اللاتي في حجوركم** ﴾.

﴿ **من شر الوسواس الخناس** ﴾[1] وسوس عند الغفلة وخنس عند الذكر، فاشتق له اسمان من فعليه.

ثم بين أين موضعه من الجسد فقال : ﴿ **الذي يوسوس في صدور الناس** ﴾[2] والصدر ساحة القلب، وفيه الفكر، ومنه تصدر الأمور.

ثم بين أن الوسوسة جنسان فقال : ﴿ **من الجنة والناس** ﴾[3] وسوسة جنية وهي الشيطان، ووسوسة إنسية وهي النفس.

وكذلك روي عن ابن عباس (رضي الله عنهما) أنه قال : هما وسواسان[4]. وإنما قال : « وسوس » لأنه يزعج. وقوله : أَزَّ يؤزّ أي أزعج يزعج. وقال في تنزيله: ﴿ **تؤزهم أزاً** ﴾[5] والهاء والهمزة والواو اخوات تجزئ الواحدة عن صاحبتيها. فقوله : أز، وهز، ووز بمعنى واحد، إلا أن كل واحدة تستعمل في نوع. والزاء والسين أختان تجزئ إحداهما عن الأخرى. كما قالوا : صقر، وزقر، وسقر. فقوله : وز، وقوله : وس يوس بمعنى وسوس. وقوله : « وسوس » في قالب العربية فع فع. لأنه في الأصل وس. ثم كرر فقيل: وسوس؛ لأن فعله على القلب مردد مكرر. فأمره أن يستعيذ بالأسماء الثلاثة منه.

---

(١) سورة الناس آية رقم ٤.

(٢) سورة الناس آية رقم ٥.

(٣) سورة الناس آية رقم ٦.

(٤) الوسوسة : حديث النفس يُقَال وسوست إليه نفسه وسوسة وسواساً والوسواس بالفتح الاسم كالزلزال وقوله تعالى : ﴿ **فوسوس لهما الشيطان** ﴾ يريد إليهما ويُقال لصوت الحلى (وسواس) والسواس اسم الشيطان.

(٥) هذا عجز آية من سورة مريم ٨٣ وصدرها ﴿ ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تؤزهم أزا ﴾.

ثم قال : ﴿ **قل أعوذ برب الفلق** ﴾(1) وكل ما انفلق شيء عن شيء، فهو فلق. قال أهل التفسير : الفلق واد في جهنم إذا فتح وانفلق هرَّ أهل النار من شدة حرّه. وقال بعضهم : الفلق الصبح؛ لأنه انفلق عن الليل، وهو قوله تعالى : ﴿ **فالق الإصباح** ﴾(2).

وقال الله تعالى : ﴿ **فالق الحب والنوى** ﴾(3).

فالحبة تنفلق فتنبت. والنوى كذلك أيضاً. وليس هذا منهم اختلاف لأن الكلمة تؤدي الى كل شيء انفلق. واعظم فلق في الدنيا فلق قلب المؤمن بنور الله تعالى، فقال : ﴿ **قل أعوذ برب الفلق** ﴾(4) وهو فلق القلب إذا انفلق بنوره.

وروي عن النبي (ﷺ) أنه قال : « للقلب أذنان وعينان. فإذا أراد الله تعالى بعبد خيراً، فتح عينيه اللتين في قلبه ».

﴿ **من شر ما خلق** ﴾(5) وهو ظلمة الكفر. ﴿ **من شر غاسق إذا وقب** ﴾(6) والغسق الظلمة. وهي ظلمة المعاصي. وقوله : « وقب ». أي دخل. ﴿ **ومن شر النفاثات في العقد** ﴾(7) وهو السحر. يعقد الساحر الذي قد باع آخرته بدنياه. فاعطى ما تمنى واختار. وربنا (عز وجل) واسع كريم. طلب آدم التوبة والطاعة فأُعطي. وطلب إبليس تضليل ولد

---

(1) سورة الفلق آية رقم ١.

(2) سورة الأنعام آية رقم ٩٦.

(3) سورة الأنعام آية رقم ٩٥.

(4) سورة الفلق آية رقم ١.

(5) سورة الفلق آية رقم ٢.

(6) سورة الفلق آية رقم ٣.

(7) سورة الفلق آية رقم ٤.

آدم وغوايتهم، وأن يعطى سلطان ذلك له، فأُعطي. وطلب الساحر مني الدنيا، وأن يعطى كل شيء يتمناه برفض الآخرة، وأن لا خلاق له فيها، فأُعطي. فهو يعقد خيطاً أو وتراً على منيته، وينفث فيه من نفسه الخبيثة، فيصل ضرره الى من يتمنى ذلك عليه. ﴿ **وما هم بضارين به من أحد الا بإذن الله** ﴾[1].

ولما سحر رسول الله (ﷺ) حتى عجز عن نسائه، وأخذ بقلبه لبث في ذلك ستة أشهر فيما روي في الخبر[2]، ثم نزلت المعوذتان إحدى عشرة آية. واستخرج الوتر فيه العقد من ذلك البئر. فكان كلما قرأ آية من المعوذتين انحلت عقدة. حتى حل العقد كلها وبرئ ﴿ **ومن شرٍّ حاسدٍ إذا حسد** ﴾[3] وهو العين. والحاسد والحاصد بمعنى فهو يحصده بعينه أي يقطعه من الأصل هلاكاً ودماراً. وهو أن يعجب بالشيء، فلا يذكر خالقه، فإذا هو قد حصده ودمره. والحسد إرادتك التي تريد بها إبطال

---

(١) سورة البقرة آية رقم ١٠٢.

(٢) ثبت في الصحيحين من حديث عائشة ـــ رضي الله عنها ـــ أن النبي ﷺ سحره يهودي من يهود بني زريق ـــ يقال له لبيد بن الأعصم ـــ حتى يخيل إليه أنه يفعل الشيء ولا يفعله، فمكث كذلك ما شاء الله أن يمكث ـــ في غير الصحيح ـــ سنة، ثم قال: يا عائشة أشعرت أن الله أفتاني فيما استفتيته فيه. أتاني ملكان، فجلس أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي فقال [الذي عند رأسي للذي عند رجلي] : ما شأن الرجل... ؟ قال : مطبوب قال : ومن طبه.. ؟ قال : لبيد بن الأعصم. قال : في ماذا.. ؟ قال : في مشط ومُشاطه وجف طلعه ذكر تحت راعوفه في بئر ذي أوران فجاء البئر واستخرجه ». انتهى الصحيح.

فانزل الله هاتين السورتين وهما احدى عشرة آية على عدد تلك العقد وأمر أن يتعوذ بهما فجعل كلما قرأ آية انحلت عقدة، ووجد النبي ﷺ خفه حتى انحلت العقدة الأخيرة، فكأنما أنشط من عقال وقال: ليس به بأس. وجعل جبريل يرقى رسول الله ﷺ. فيقول: « باسم الله أرقيك، من كل شيء يؤذيك، من شر حاسد وعين والله يشفيك ».

(٣) سورة الفلق آية رقم ٥.

ذلك الشيء. فنوره فلق الظلمات. وهو في دعوة إدريس (عليه السلام) أنت الذي فلق الظلمات نوره. فاذا أورد على القلب نوره، فلق الظلمات. فجميع ما ذكر في التنزيل من الاستعاذة به، وجدناه يؤوّل الى الباطن من الأمور. وما جاء عنه (ﷺ) أنه قال : « أمرني جبريل (عليه السلام) أن أكررهن في السجود ».

« وأعوذ[1] بعفوك من عقابك » فاستعاذ بالعفو من العقاب لأنه ضده. « وأعوذ برضاك من سخطك » فالرضى ضد السخط.

ثمَ قال : « وأعوذ بك منك » فاستعاذ به منه. لأنه لا ضد له. وهو كقوله : « لا مفر منك إلا إليك » وهو قوله تعالى : ﴿ **ففروا إلى الله** ﴾[2] أي فروا منه إليه.

---

(١) عذت بفلان أعوذ عوْذاً وعياذاً ومعاذاً ومعاذة أي لجأت به وهو عياذي وعوذي محركة، ومعاذي أي وملجئي وقرأت المعوذتين بالكسر، والتعويذ : الإعاذة، والتعويذ والعُوذَة : الرقية

(٢) سورة الذاريات آية رقم ٥٠.

الأصل الثاني

في كلمة النجوى[1]

عن نافع، عن ابن عمر (رضي الله عنهما) قال : قال رسول الله (ﷺ) : « لا يجلس الرجل إلى الرجلين إلا على إذن منهما إذا كانا يتناجيان »[2].

روي عن النضر فيما يحكى عن أهل اللغة أن الجماعة إذا لم يكن فيهم

---

(١) النجوى: السر، والنجوى المسارون: اسم مصدر، ونجي: كغني من تساره، والجمع: أنجية، قال تعالى: ﴿ **وتناجوا بالبر والتقوى** ﴾ [سورة المجادلة آية رقم ٩] وقوله: ﴿ **وأسروا النجوى الذين ظلموا** ﴾ [سورة الأنبياء آية رقم ٣] وقد يوصف بالنجوى فيقال: هو نجوى، وهم نجوى قال تعالى: ﴿ **وإذ هم نجوى** ﴾.

(٢) الحديث الذي رواه مسلم في كتاب السلام ١٥ باب تحريم مناجاة الاثنين دون الثالث بغير رضاه، عن مالك عن نافع عن ابن عمر بلفظ: أن رسول الله ﷺ قال: « إذا كان ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون واحد ».

ورواه الامام مالك في كتاب الكلام ٦ باب ما جاء في مناجاة اثنين دون واحد عن نافع عن عبدالله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال: « إذا كان ثلاثة فلا يتناجى إثنان دون واحد ».

ورواه الترمذي في كتاب الأدب ٥٩ باب ما جاء لا يتناجى إثنان دون ثالث ٢٨٢٥ ــ بسنده عن عبدالله بن عمر. وقال: هذا حديث صحيح.

غريب، فحديثهم نجوى وإن جهروا فيما بينهم. وإذا كانوا ثلاثة وفيهم غريب، فليس حديثهم بنجوى وإن أسروه. قال الله تعالى : ﴿ **فلما استيئسوا منه خلصوا نجيا** ﴾[1].

وأهل النجوى إذا اجتمعوا نجياً فكأنهم في ستر أو وطن. فكما يجب الاستئذان في الدخول عليهم في أوطانهم، فكذلك يجب الاستئذان في الجلوس إليهم. فإن ذلك أذى لهم، وقطع عليهم، وهتك لسترهم. وهذا كله لعظم حرمة المؤمن وتجنب أذاه. وإذا كان وحده، ففيه سعة؛ لأنه ليس هناك سر يطلع عليه. ولكن يحق على الورع أن يتحين الوقت والحال، وأن يتجنب التثقيل.

قال إبراهيم النخعي (رحمه الله) : من أمن الثقل ثقل.

وقال أبو حنيفة (رحمه الله)، عن حماد : من خاف أن يكون ثقيلاً، فليس بثقيل.

قال مغيرة : لقد نهى الله تعالى عن التثقيل في قوله الكريم : ﴿ **فإذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث...** ﴾.

إلى قوله : ﴿ **... والله لا يستحيي من الحق** ﴾[2].

وهذه الآية نزلت في بعض أزواج النبي (ﷺ). أحسبها زينب (رضي الله عنها). تزوج رسول الله (ﷺ) بها، وأولم عليها، فلما أطعمهم، أراد رسول الله (ﷺ) أن يخلو بأهله، فقعدوا بعد الطعام

---

(١) سورة يوسف آية رقم ٨٠.

(٢) سورة الأحزاب آية رقم ٥٦.

يتحدثون في بيته، ورسول الله (ﷺ) مرة يخرج ومرة يدخل، وهم في البيت قعود لا يبرحون، فنزلت هذه الآية[1].

وكان أبو هريرة (رضي الله عنه) إذا استثقل رجلاً قال : اللهم اغفر لنا وله وأرحنا منه.

وقال حاتم بن عبدالله الأشجي[2]: انتهيت مع سفيان الثوري إلى أبي حنيفة اليمامي (رحمه الله)، وإذا هو جالس في تراب، فدنونا منه، وسلمنا عليه، وقال له سفيان : رحمك الله، تأذن فنجلس إليك. قال : لا. فرجعنا. فقال سفيان : إن الرجل ليس في كل حالاته يحب أن يجلس إليه.

---

(١) قاله الامام الواحدي في تفسير قول تعالى: ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي ﴾ راجع تفسير البغوي ٥ : ٢٢٣، والطبري ٢٢ : ٢٦، ٢٧، والقرطبي ١٤ : ٢٢٤، والدر المنثور ٥ : ٢١٣ ــ وراجع صحيح البخاري ٦ : ١١٨، وصحيح الامام مسلم ٤ : ١٤٩.

(٢) لعلّه حاتم بن عبدالله بن حاتم، قال مسلمة بن قاسم أصله من لؤلؤة سكن مصر وتوفّى بها. راجع لسان الميزان ٢ : ١٤٥.

الأصل الثالث

في تأثير الغضب[1] في الإيمان

عن بهز بن حكيم بن معاوية بن حيدة القشيري، عن أبيه، عن جدّه (رضوان الله عليهم أجمعين) قال : قلت يا رسول الله أخبرني بوصية قصيرة فألزمها، قال : « لا تغضب يا معاوية بن حيدة. إن الغضب يفسد الإيمان كما يفسد الصبر العسل »[2].

وعن ابن مسعود (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (ﷺ) :

---

(١) الغضب: ثوران دم القلب إرادة للانتقام قال تعالى: ﴿ **فباءوا بغضب** ﴾ وقوله تعالى: ﴿ **غير المغضوب عليهم** ﴾ يعني اليهود.

وقال ابن عرفة : الغضب من المخلوقين شيء يُداخل قلوبهم ويكون منه محمود ومذموم. فالمذموم ما كان في غير الحق، وأما غضب الله عز وجل فهو إنكاره على من عصاه فيعاقبه، وقال الطحاوي: إن الله يغضب ويرضى لا كأحد من الورى. وقال تعالى: ﴿ **وذا النون إذ ذهب مغاضباً** ﴾ أي مراغماً لقومه.

(٢) هو معاوية بن حيدة بن معاوية ـــ معدود في أصل البصرة، غزا خراسان ومات بها، ومن ولده بهز بن حكيم الذي كان بالبصرة ـــ وهو بهز بن حكيم بن معاوية بن حيدة ـــ روى عن معاوية بن حيدة ابنه حكيم بن معاوية وحميد المزني. وسئل يحيى بن معين عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده فقال:

إسناد صحيح إذا كان دون بهز ثقة. الاستيعاب ٣ : ١٤١٦.

« إن الغضب ميسم من نار جهنم. يضعه الله تعالى على نياط أحدهم. ألا ترى أنه إذا غضب احمرت عينه واربد وجهه وانتفخت أوداجه ».

وقال في حديث آخر : « إن الغضب جمرة تُوقَد في قلب ابن آدم. ألا ترى إلى انتفاخ أوداجه وحمرة عينيه. وذلك أن الشيطان ينفخ في تلك الجمرة »[1].

فشبه رسول الله (ﷺ) ذلك بالعسل والصبر. فكما يفسد الصبر العسل، فكذلك الغضب يدنس الإيمان، ومرارته تذهب حلاوته ونزاهته. فالإيمان حلو نزه، والغضب مر دنس.

وروي عن عيسى (عليه السلام) أنه سأله يحيى بن زكريا (عليه السلام) عن الغضب ما بدؤه ؟ قال : الكبر، ألا ترى أنك تغضب على من هو دونك، ولا تغضب على من هو فوقك بمثله.

وقال رسول الله (ﷺ) : « لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر »[2] قيل : فما الكبر يا رسول الله ؟ قال : « أن تسفه الحق وتغمض الناس أي تحقرهم ».

---

(١) هذا جزء من حديث طويل رواه الترمذي في كتاب الفتن ٢٦ باب ما جاء ما أخبر النبي ﷺ أصحابه بما هو كائن الى يوم القيامة ٢١٩١ قال الترمذي: وفي الباب عن حذيفة، وأبي مريم، وأبي زيد بن أخطب، والمغيرة بن شعبة. وقال: وهذا حديث حسن صحيح. ورواه الامام أحمد في المسند ٣ : ١٩، ٦١ (حلبي).

(٢) الحديث رواه الامام مسلم في كتاب الايمان ٣٩ باب تحريم الكبر ١٤٩ ــ حدثنا أبو داود، حدثنا شعبة عن أبان بن تغلب عن فضيل عن ابراهيم عن علقمة عن عبدالله عن النبي ﷺ وذكره، ورواه الترمذي في كتاب البر والصلة ٦١ باب ما جاء في الكبر. ١٩٩٨ ــ حدثنا أبو بكر بن عياش عن الأعمش، عن ابراهيم بن علقمة عن عبدالله ــ قال: قال رسول الله ﷺ وذكره. =

وعن أنس (رضي الله عنه) عن رسول الله (ﷺ) أنه قال : « يقول الله عز وجل: لي العظمة والكبرياء والفخر، والقدر سرِّي، فمن نازعني في واحدة منهن كببته في النار »[1] والإيمان هو خضوع العبد والقاؤه بيده له سلماً، والكبر ضده، والغضب منه يبدو، وينزع الشيطان بنفثه ونفخه حتى يتوقد ويهتاج. فلذلك قال : « يفسد الإيمان ».

وروي عن رسول الله (ﷺ) أنه قال : « إني لأعلم كلمة لو قالها، لذهب عنه : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم »[2] وذلك عندما رأى رجلاً يتمرغ أنفه من الغضب، وهو قوله تعالى : ﴿ **وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم** ﴾[3]

وإنما وضع هذا الميسم من النار في هذا الموضع من الآدمي لكي يغضب لله تعالى في المواضع التي ينبغي، فإن في الغضب قوة للآدمي على أمر الله تعالى. وهو محتاج إلى أن يعادي أعداءه ويحاربهم. فبالغضب

= وفي الباب عن أبي هريرة، وابن عباس، وسلمة بن الأكوع، وأبي سعيد، قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

ورواه ابن ماجه في المقدمة ٩ باب في الايمان بسنده عن علقمة عن عبدالله بزيادة « ولا يدخل النار من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان ».

(١) في الباب أيضاً عن أبي هريرة رواه ابن ماجه في كتاب الزهد ١٦ باب البراءة من الكبر والتواضع ٤١٧٤ ــ حدثنا أبو الأحوص عن عطاء بن السائب، عن الأغر، أبي مسلم، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ وذكره. ورواه أيضاً بهذا الإسناد أبو داود في كتاب اللباس باب ما جاء في الكبر بلفظ « قال الله عزّ وجلّ : « الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمَن نازعني واحداً منهم قذفته في النار ». ورواه الإمام أحمد في المسند ٢ : ٢٤٨، ٣٧٦، ٤١٤، ٤٢٧، ٤٤٢ (حلبي).

(٢) الحديث رواه الطبراني بسنده عن ابن عباس ــ في الصغير والأوسط، قال صاحب مجمع الزوائد: رجاله ثقات وفي بعضهم خلاف.

(٣) سورة الأعراف آية رقم ٢٠٠.

يتقوى حتى يحاربهم ويغير المنكر ويقيم حقوق الله تعالى وحدوده. فللحق نفخة في تلك الجمرة، وللشيطان نفخة في وقته. فنفخة الشيطان لها رجاسة تفسد الإيمان وطهارته وطيبه. وإذا كانت نفخة الحق، فإنه يتقوى ويحمر وجهه ويمتلئ من نور الحق ولا يفسد الإيمان. وكان رسول الله (ﷺ) إذا غضب، غضب لله تعالى، ولا يغضب لنفسه، ولا لدنياه. وكان إذا غضب، رؤي ذلك العرق بين عينيه يرد من الغضب، ويظهر نتوؤه وانتفاخه، وتحمرّ وجنتاه.

وكان موسى[1] (عليه السلام) إذا غضب، اشتعلت قلنسوته ناراً.

---

(١) موسى اسم مُعَرَّب أصله مُوشا، ومُو بالعبرية الماء، وشا الشجر سمي به لأنه وجد في الماء والشجر الذي كان حول قصر فرعون في عين شمس، وهو موضع معروف في مصر لا ينبت شجر البلسان إلا فيه. راجع بصائر ذوي التمييز ٦ : ٦١.

الأصل الرابع

في أدب الانتعال

عن أبي هريرة (رضي الله عنه)، قال رسول الله (ﷺ) : « إذا انتقل أحدكم، فليبدأ باليمين. فإذا نزع، فليبدأ بالشمال. وليكن اليمين أوّلهما يلبس وآخرهما ينزع »[1].

اليمين محبوب الله ومختاره من الأشياء. فأهل الجنة عن يمين العرش يوم القيامة. وأهل السعادة يعطون كتبهم بأيمانهم. وكفة الحسنات من الميزان عن اليمين. والكرام الكاتبون، وكاتب الحسنات منهم عن اليمين.

وكان رسول الله (ﷺ) يتوخى في كل فعل من مثل هذا اليمين

---

(١) الحديث عند ابن ماجه في كتاب اللباس ٢٨ باب لبس النعال وخلعها ٣٦١٦ حدثنا وكيع عن شعبة، عن محمد بن زياد عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ وذكره. ورواه مسلم في كتاب اللباس والزين ١٨ باب استحباب لبس النعال وما في معناها في اليمن أولاً والخلع من اليسرى أولاً وكراهة المشي في نعل واحدة ٦٧ : ٢٠٩٧ بسنده عن أبي هريرة ورواه الترمذي في كتاب اللباس ٣٧ باب ما جاء بأي رجل يبدأ إذا انتعل ١٧٧٩ ـــ حدثنا الأنصاري، حدثنا معين، حدثنا مالك، وحدثنا قتيبة عن مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة وذكره. وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

توخياً لمختار الله تعالى. وكان إذا شرب أعطى الأيمن فالأيمن جرعته حتى أنه شرب يوماً وأبو بكر (رضي الله عنه) عن يساره، وغلام إعرابي عن يمينه، فقال للغلام: أتأذن لي فأُعطي الأشياخ ؟ فقال: ما كنت لأوثر بفضلك على نفسي أحداً فأعطاه الغلام. وكان يبدأ باليمنى إذا دخل المسجد، ثم إذا خرج أو نزع نعله، بدأ باليسرى؛ كي يكون اليمين آخر العهد بمسجد الله تعالى. وبما هو خير للقدم ورفق له. وكان يستعمل تدبير الله تعالى، ويفتقده في كل شيء، حتى في ترجله وتنعله وطهوره.

وعن أنس رضي الله عنه قال : لما رمى رسول الله (ﷺ) الجمرة، ونحر نسكه، ناول رأسه الحلاق. فقال : ابدأ بالشق الأيمن، فحلقه. فأعطاه أبا طلحة. ثم ناوله الأيسر، فحلقه، فقال : اقسمه بين الناس.(١)

وعن ابن عمر (رضي الله عنهما)، عن رسول الله (ﷺ) أنه قال : « إذا أكل أحدكم، فليأكل بيمينه. وإذا شرب أحدكم، فليشرب بيمينه »(٢)

---

(١) الحديث رواه الإمام الترمذي في كتاب الحج ٧٣ باب ما جاء بأي جانب الرأس يبدأ الحلق ٩١٢ ـــ حدثنا أبو عمار الحسين بن حريث، حدثنا سفيان بن عيينة عن هشام بن حسان، عن ابن سيرين، عن أنس بن مالك ـــ رضي الله عنه ـــ وذكره. وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. والحديث أخرجه البخاري في ١٤ ـــ كتاب الوضوء ٣٢ باب الماء الذي يغسل به شعر الإنسان حديث رقم ١٣٧ ـــ وأخرجه الإمام مسلم في: ١٥ كتاب الحج، حديث رقم ٣٢٦ ـــ حدثنا سفيان، سمعت هشام بن حسان يخبر عن ابن سيرين عن أنس بن مالك قال: وذكره.

(٢) الحديث أخرجه الإمام مسلم: ٣٦ ـــ كتاب الأشربة ١٣ باب آدام الطعام والشراب وأحكامهما حديث ١٠٥، وأخرجه الإمام مالك في كتاب صفة النبي ﷺ ٤ باب النهي عن الاكل والشرب ٦ ـــ حدثني مالك عن ابن شهاب، عن أبي بكر بن عبيدالله بن عبدالله بن عمر، عن عبدالله بن عمر ـــ أن رسول الله ﷺ وذكره وبزيادة [فإن الشيطان يأكل بشماله ويشرب بشماله]. ورواه أبو داود في الأطعمة ١٩، والدارمي في الأطعمة ٥٩، وأحمد بن حنبل ٢ : ٨، ٣٣، ١٠٦، ١٢٨ (حلبي).

وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) عن رسول الله (ﷺ) أنه قال : « يمين الله ملأى سحاء[١] لا يغيضها[٢] شيء بالليل ولا بالنهار »[٣].

وعن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) عن رسول الله (ﷺ) أنه قال : « إن الله تعالى خلق آدم فمسح ظهره بيمينه، فاستخرج منه ذرية فقال : خلقت هؤلاء للجنة، وبعمل أهل الجنة يعملون. ثم مسح ظهره بيساره، فاستخرج منه ذرية، فقال : خلقت هؤلاء للنار. وبعمل أهل النار يعملون[٤].

وعن أبي أمامة (رضي الله عنه) عن رسول الله (ﷺ) قال : « خلق الله الخلق وقضى القضية، فأخذ ميثاق النبيين وعرشه على الماء، فأخذ أهل اليمين بيمينه، وأخذ أهل الشمال بالأخرى، وكلتا يدي الرحمن يمين، ثم قال : يا أصحاب اليمين، قالوا : لبيك ربنا وسعديك. قال : ألست بربكم ؟ قالوا : بلى، ثم قال : يا أصحاب الشمال، قالوا : لبيك

---

(١) السحاء : أي دائمة الصب بالعطاء.

(٢) لا يغيضها: أي لا ينقصها. غاض الماء، قلَّ ونضب، وغاضه الله ــ يتعدى ويلزم.

(٣) الحديث رواه ابن ماجه في المقدمة ١٣ باب فيما أنكرت الجهية ١٩٧ ــ وبه زيادة [وبيده الأخرى الميزان، يرفع القسط ويخفض قال: أرأيت ما أنفق منذ خلق الله السموات والأرض فإنه لم ينقص مما في يديه شيئاً].

ورواه الترمذي في التفسير سورة ٥ آية رقم ٣.

(٤) الحديث رواه الإمام مالك في كتاب القدر (١) باب النهي عن القول بالقدر ٢ ــ عن زيد بن أبي أنيسة عن عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب، أنه أخبره عن مسلم بن يسار الجهني أن عمر بن الخطاب ــ رضي الله عنه ــ سأل عن هذه الآية ﴿ **وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا : بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلون** ﴾ ــ فقال عمر بن الخطاب ــ رضي الله عنه ــ سمعت رسول الله ﷺ يقول : وذكره.

وأخرجه أبو داود في ٣٩ ــ كتاب السنه ١٦ ــ باب في القدر، وأخرجه الترمذي في ٤٤ ــ كتاب التفسير ٧ ــ سورة الأعراف حديث ٢.

وسعديك، قال : ألست بربكم ؟ قالوا : بلى، فخلط بعضهم ببعض، فقال قائل منهم : رب لم خلطت بيننا ؟ فقال : لهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون، فقال قائل : فما الأعمال ؟ قال : يعمل كل قوم لمنزلتهم. فقال عمر (رضي الله عنه) : « إذاً نجتهد ».

وسئل رسول الله (ﷺ) عن الأعمال أهي مؤتنف أم قد فرغ منها، قال : بل فرغ منها.

عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (ﷺ) : « لما خلق الله تعالى آدم، ضرب بيده على شق آدم الأيمن، فأخرج ذرية كالذر، ثم قال : يا آدم هؤلاء ذريتك من أهل الجنة، ثم ضرب بيده على شق آدم الأيسر، فأخرج ذرية كالحمم، ثم قال : هؤلاء ذريتك من أهل النار »[1].

وقال تعالى في تنزيله : ﴿ **والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه** ﴾[2]. وجاء في الخبر أن الجنة يؤتى بها فتوضع عن يمين العرش يوم القيامة، والنار عن يسار العرش، ويؤتى بالميزان، فينصب بين يدي الله، وكفة الحسنات عن يمين العرش مقابل الجنة، وكفة السيئات عن يسار العرش مقابل النار. وقال تعالى : ﴿ **وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال** ﴾[3].

حدث جعفر بن كثير من آل علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه) وهو يومئذ ابن ثمانين سنة، قال : حدثني أبي أن رسول الله (ﷺ) كان

---

(١) الحديث عن أبي الدرداء ـــ عن النبي ﷺ. رواه أحمد والبزار والطبراني. وقال صاحب مجمع الزوائد: رجاله رجال الصحيح.

(٢) سورة الزمر آية رقم ٦٧.

(٣) سورة الواقعة آية رقم ٢٧.

إذا صلى الفريضة، تياسر، فصلى ما بدا له، وأمر أصحابه أن يتياسروا ولا يتيامنوا.

وعن ضبيعة[1] بنت المقداد بن معدي كرب، عن أبيها أن رسول الله (ﷺ) كان إذا صلى إلى عمود أو خشبة أو شبه ذلك، لم يجعله نصب عينيه، ولكن يجعله على حاجبه الأيسر.

قال : كأنه يدلّ بهذين الفعلين من هذين الحديثين على أنه يتوخّى اليمين، فإن العبد إذا اقام، فإنما هو قبالة الله (عز وجل).

بذلك جاءت الأخبار عن رسول الله (ﷺ). واليمين دل اسمه على معناه فالأمن والإيمان. واليمين كله موجود في هذا الاسم.

ووجه آخر أنه كان يتياسر بصلاة التطوع عن موضعه الذي أدى فيه الفريضة، كأنه لا يجب أن يقدم على الفريضة شيئاً. ومما يحقق ذلك ما روي عن أبي صالح[2] الحنفي قال : كان علي (كرم الله وجهه) يسلم تسليمتي الصلاة إحداهـما أخفض من الأخرى. قيل لأبي صالح : أيهما أخفض من الأخرى ؟. قال : اليسرى. وإنما توخّى ذلك أن يكون فرقاً بين التسليمتين بالخفض ورفع الصوت؛ ليؤدي حق كاتب الحسنات برفع الصوت. وكذلك حق من عن يمينه ليؤديه برفع ذلك الصوت، وبخفضه عن اليسرى ليتبين فضل اليمنى عن اليسرى.

---

(١) روت عن أبيها أن النبي ــ ﷺ كان إذا صلى الى خشبة أو عود لم يجعله نصب عينيه الحديث، وعنها المهلب بن حجر البهراني. قلت قال ابن القطان لا تعرف وأفاد بأن النسائي أيضاً أخرجه كما أخرجه أبو داود. لها ترجمة في التهذيب ١٢ : ٤٣٢.

(٢) هو: عبد الرحمن بن قيس أبو صالح الحنفي الكوفي. روى عن أبيه قيس، وأخيه طليق بن قيس، وعن علي، وحذيفة، وابن مسعود وأبي سعيد الخدري، وأبي هريرة، وعائشة، وابن عباس. وروى عنه ابن عون محمد بن عبيدالله الثقفي وسعيد بن مسروق الثوري وجماعة، قال اسحاق بن منصور عن ابن معين: أبو صالح الحنفي ثقة، وذكره ابن حبان في الثقات، وذكر ابن أبي حاتم أن روايته عن حذيفة وابن مسعود مرسلة.

الأصل الخامس

في النهي عن القزع[1]

عن نافع، عن ابن عمر (رضي الله عنهما) قال : نهى رسول الله (ﷺ) عن القزع. والقزع أن يحلق وسط رأس الصبي ويترك ما حوله. وكان هذا فعل القسيسين وهم ضرب من النصارى. وفي القرآن : ﴿ **ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً** ﴾[2] والقسيس في النصارى كالصديق في الإسلام. وهو من قس أي قص أثر الرسول الذي دعاه على لسانه.

قال سلمان (رضي الله عنه) قرأت على رسول الله (ﷺ) ﴿ **ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً** ﴾ فأقرأني ذلك بأن منهم صديقين ورهباناً.

---

(١) القزع: بفتحتين قطع من السحاب رقيقة الواحدة: قزعة وفي الحديث كأنهم قزع الخريف، والقزع أيضاً أن يُحلق رأس الصبي ويترك في مواضع منه الشعر متفرقاً وقد نهي عنه. والقُنزعة بضم القاف والزاي واحدة القنازع وهي الشعر حوالي الرأس. وفي الحديث: « غطي عنا قنازعك يا أم أيمن ».

(٢) سورة المائدة آية رقم ٨٢.

وأما حلق أوساط الرؤوس فذلك علامة لضرب منهم أحدثوه فيما بينهم.

ولما بعث أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) الجنود إلى الشام قال : « إنكم ستجدون أقواماً حبسوا أنفسهم في الصوامع فدعوهم، وما حبسوا أنفسهم لله تعالى. وستجدون آخرين اتخذ الشيطان في أوساط رؤوسهم أفحاصاً[1]، فإذا أوجدتم أولئك، فاضربوا أعناقهم ». فالذين تركوا الدنيا وحبسوا أنفسهم في الصوامع واعتزلوا أمر بترك التعرض لهم. ولم يطالبوا بجزية لأنهم تركوا فتركوا؛ لأنهم كانوا صادقين في سبيلهم، وإن كانوا على ضلالة. والذين خرجوا من الصوامع فلم يصبروا على العزلة، وفحصوا عن أواسط رؤوسهم. فقد أخبر أبو بكر (رضي الله عنه) أن الشيطان دلهم على ذلك علامة لأنفسهم وتشهيراً وإظهاراً لما هم عليه، كأنه يدل على أن ذلك الصنف منهم بمنزلة من تزهد في هذا العصر، وهو غير صادق في ذلك، يريد بترك الدنيا، وقصد بلبس الصوف والخلقان وحفّ الشارب وتشمير الثياب والعمة المطوقة تحت الحنك والاستقصاء في الكحل إلى اللحاظ المراياة، فهذه علامات الطبقة الكاذبة المتزهّدة المتأكلة حطام الدنيا بما أظهروا من زيهم وشكلهم وتماوتهم وخشوع نفاقهم. فكذلك كان أولئك غير صادقين في عزلتهم في الصوامع. فلم يصبروا عليها، فخرجوا وقد حلقوا أوساط رؤوسهم ترائياً وتشهيراً لأمرهم. فأمر أبو بكر (رضي الله عنه) بضرب أعناقهم؛ لأنهم مع كفرهم لغير الله عملوا في دينهم. والذين تركوا وحبسوا أنفسهم، تركوا وما حبسوا

(١) الفحص: البحث عن الشيء وقد فحص عنه من باب قطع، وتفحص بمعنى. والافحوص بوزن العصفور مجثم القطاة لأنها تفحصه وكذا المفحص بوزن المذهب. يقال ليس له مفحص قطاة. وفي الحديث: « فحصوا رءوسهم » كأنهم حلقوا وسطها وتركوها مثل أفاحيص القطا.

لأنفسهم لأنهم صادقون في سبيلهم. قال الله تعالى : ﴿ **ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله** ﴾[1] ثم ذمهم فقال : ﴿ **فما رعوها حق رعايتها** ﴾[2].

فإنما نهى رسول الله (ﷺ) في شأن الصبي أن يحلق وسط رأسه للتشبه بهؤلاء الذين وصفناهم. وأما قصة هؤلاء الذين ابتدعوا الرهبانية : فقد روى سعيد بن جبير، عن ابن عباس (رضي الله عنهما) في قوله (عز وجل) : ﴿ **ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم** ﴾.

قال : كانت ملوك[3] بعد عيسى بن مريم (عليه السلام) بدلوا التوراة والإنجيل، فقال ناس لملوكهم : ما نجد شتماً أشد مما يشتموننا به، إنهم يقرأون : ﴿ **ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون** ﴾[4] ﴿ **ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون** ﴾[5] ﴿ ... **فأولئك هم الفاسقون** ﴾[6] مع ما يعيبوننا به من أعمالنا في قراءتهم. فادعهم فليقرأوا ما نقرأ، وليؤمنوا بما آمنا به. فدعاهم فجمعهم فعرض عليهم القتل، وأن يتركوا قراءة التوراة والإنجيل إلا ما بدلوا منها. فقالوا : وما

(١) سورة الحديد آية رقم ٢٧.

(٢) سورة الحديد آية رقم ٢٧.

(٣) قال الضحاك: إن ملوكاً بعد عيسى عليه السلام ارتكبوا المحارم ثلثمائة سنة فأنكرها عليهم من كان بقي على منهاج عيسى فقتلوهم، فقال قوم بقوا بعدهم: نحن إذا نهيناهم قتلونا فليس يسعنا المقام فيهم فاعتزلوا الناس واتخذوا الصوامع. وقال قتادة: الرهبانية التي ابتدعوها: رفض النساء واتخاذ الصوامع، وفي خبر مرفوع: « هي لحوقهم بالبراري والجبال ».

(٤) سورة المائدة آية رقم ٤٤.

(٥) سورة المائدة آية رقم ٤٥.

(٦) سورة المائدة آية رقم ٤٧.

تصنعون بقتلنا ؟ دعونا وابنوا لنا أساطيناً ادفعونا فيها واتركوا لنا شيئاً يُدلَّى فيه طعامنا ولا نؤذيكم.

وقالت طائفة أخرى منهم : دعونا نهيم في الأرض ونسيح، ونأكل مما تأكل منه الوحش، ونشرب مما تشرب منه الوحش، فإن قدرتم علينا في أرضكم، فاقتلونا.

وقالت طائفة أخرى منهم : ابنوا لنا ديوراً في الفيافي، فنحتفر الآبار، ونحترث البقول ولا نؤذيكم ولا نمر بكم. وليس أحد من القبائل إلا له حميم فيهم، ففعلوا ذلك فيهم. وقال الآخرون ممن تعبد من أهل الشرك : نتعبد كما تعبد فلان، ونتخذ ديوراً كما اتخذ فلان، ونسيح كما ساح فلان. وهم في شركهم لا علم لهم بإيمان الذين اقتدوا بهم، وقد فني من فني منهم. فلما بعث رسول الله (ﷺ) ولم يبق منهم إلا قليل، انحط صاحب الصومعة من صومعته، وصاحب الدير من ديره، وصاحب السياحة من سياحته، فآمنوا به وصدقوه.

قال الله تعالى : ﴿ **فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم وكثير منهم فاسقون** ﴾[1]. وقال : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته** ﴾[2]. أي أجرين بايمانهم بعيسى (عليه السلام)، وبالتوراة والإنجيل، وإيمانهم بمحمد (ﷺ)، ﴿ **ويجعل لكم نوراً تمشون به** ﴾[3]. وقال: ﴿ **لئلا يعلم أهل الكتاب ألا يقدرون على شيء من فضل الله وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء** ﴾[4].

---

(١) سورة الحديد آية رقم ٢٧.

(٢) سورة الحديد آية رقم ٢٨.

(٣) سورة الحديد آية رقم ٢٨.

(٤) سورة الحديد آية رقم ٢٩.

قال أبو عبدالله : فعلى هذا المثال عاملت متزهدة زماننا. سمعت أنه مضى في السلف الصالح من الصحابة والتابعين قوم اجتزوا بالدون من الحال، فلبسوا الصوف والخلقان، وأكلوا النخالة، وامتنعوا من الشهوات، وشمروا الثياب، وامتنعوا من المخالطة صدقاً وتورُّعاً واحتياطاً لدينهم. كل ذلك خوفاً من الله تعالى أن يقدموا عليه متدنسين بحطام الدنيا، مفتونين فيها. وإنما فعل القوم ذلك لضعف يقينهم بمنزلة من امتنع من دخول البحر سباحة مخافة الغرق لعجزه عن السباحة. فلم يكتب الله تعالى هذا عليهم، بل أحل لهم الطيبات والزينة، ووسع عليهم، فابتدعوا تركها رهبة من الله تعالى، وكانوا فيها صادقين، فلم يعابوا ولم يذموا، لأنهم رعوا ما ابتدعوا حتى خرجوا من الدنيا مع صدق ما ابتدعوا ابتغاء رضوان الله تعالى، فخلف من بعدهم خلف اتبعوهم فيما ابتدعوه، وهم غير صادقين فيها، فأقبلوا على لبس الصوف والخلقان، وأكل النخالة والخبز المتكرج، يريدون بذلك إظهار الزهد، وقلوبهم مشحونة بشهوات الدنيا، تأكل دنياهم بدينهم، فما رعوها حق رعايتها، كما فعل أصحاب الصوامع والدّيور، واتبعوا القوم في فعلهم، وأسّ أمرهم على ضلالة.

عن عبدالله بن مسعود (رضي الله عنه) قال : قال لي رسول الله (ﷺ) : يا عبدالله بن مسعود. قلت : لبيك يا رسول الله. ثلاث مرات. قال : هل تدري أي عرى الإيمان أوثق ؟ قلت : الله ورسوله أعلم. قال : فإن أوثق عرى الإيمان الولاية في الله والحب فيه والبغض فيه. يا عبدالله ابن مسعود. قلت : لبيك يا رسول الله. ثلاث مرات. قال : هل تدري أي الناس أفضل ؟ قلت : الله ورسوله أعلم. قال : فإن أفضل الناس أفضلهم عملاً إذا فقهوا في دينهم. يا عبدالله بن مسعود. قلت : لبيك يا رسول الله. ثلاث مرات. قال : هل تدري أي الناس أعلم ؟ قلت : الله ورسوله أعلم. قال : فإن أعلم الناس أبصرهم بالحق إذا اختلف الناس، وإن كان مقصراً في العمل، وإن كان يزحف على أسته. واختلف من كان قبلنا على

ثنتين وسبعينة فرقة، نجا منهم ثلاث، وهلك سائرها. فرقة آذت الملوك وقاتلتهم على دين الله ودين عيسى بن مريم حتى قتلوا. وفرقة منهم لم يكن لهم بموازاة الملوك طاقة، فأقاموا بين ظهراني قومهم يدعونهم إلى دين الله ودين عيسى بن مريم، فأخذتهم الملوك وقتلتهم وقطعتهم بالمناشير. وفرقة لم يكن لهم طاقة بموازاة الملوك ولا أن يقيموا بين ظهراني قومهم يدعونهم إلى دين الله ودين عيسى بن مريم (عليه السلام)، فساحوا في الجبال وتزهدوا فيها، فهم الذين قال الله تعالى : ﴿ **ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله فما رعوها حق رعايتها فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم وكثير منهم فاسقون** ﴾[1] فالمؤمنون الذين آمنوا بي وصدقوني، والفاسقون الذين كذبوني وجحدوني[2].

فكأنه (ﷺ) يخبر في هذا الحديث أن الذين ساحوا وترهبوا هم الفرقة الثالثة التي قد نجت. وأن الذين أخبر أنهم ما رعوها حق رعايتها قوم جاءوا من بعدهم يقتدون بهم في ذلك، وليسوا على صدق من أمرهم. أخذوا بظاهر أمرهم وفعلهم، فساحوا ولزموا الدّيور والصوامع، وتركوا سبيل أصحابهم الذين مضوا على ذلك.

---

(١) سورة الحديد آية رقم ٢٧.

(٢) الحديث رواه الحاكم في المستدرك كتاب التفسير ٢ : ٤٨٠ ــ حدثنا محمد بن صالح ابن هانئ، ثنا يحيى بن محمد، بن يحيى الشهيد، ثنا عبد الرحمن بن المبارك ثنا الصعق ابن حزن عن عقيل بن يحيى عن أبي اسحاق الهمداني عن سويد بن غفلة عن ابن مسعود ــ رضي الله عنه ــ في قوله تعالى: وذكره.

وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الذهبي: ليس بصحيح، فإن الصعق، وإن كان موثقاً فإن شيخه منكر الحديث، قاله البخاري.

الأصل السادس

في حسن حال المؤمن المحتضر

عن عبد الرحمن بن سمرة قال : سمعت معاذ بن جبل (رضوان الله عليهم أجمعين) قال : سمعت رسول الله (ﷺ) يقول : « ما من نفس تموت تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله يرجع ذلك إلى قلب موقن، إلا غفر الله له »[1].

قال أبو عبدالله : هذه شهادة شهدها عند الموت، وقد ماتت منه الشهوات، وذهلت نفسه الأمارة لما حل به من هول الموت، وذهب حرصه ورغبته، وسكنت منه أخلاق السوء، وذل وانقاد، وألقى بيده سلماً لرب العالمين، إلقاء العبيد فاستوى الظاهر منه بالباطل، فلقي الله عبداً مخلصاً، فغفر الله له بتلك الشهادة الصادقة، التي وافق ظاهره باطنه. فأما الذي يقوله أيام صحته، فقوله مع التخليط لأنه يشهد بهذه الشهادة وقلبه مشحون بالشهوات والأماني، ونفسه شرهة بطرة ميتة على الدنيا عشقاً وحرصاً وولوعاً، وعلى الأركان من الأفعال علامة ما في باطنه، فلا

(١) رواه أحمد والبزار طرفاً منه في الصيام فقط عن حذيفة وقال صاحب مجمع الزوائد رجاله ثقات : وروى الطبراني في الأوسط عن علي قال : « قال رسول الله ﷺ : مَن كان آخر كلامه لا إله إلا الله لم يدخل النار » وفيه أبو بلال ضعفه الدارقطني.

يستوجب بذلك القول المغفرة. ولهذا ما روي في حديث [illegible] (ﷺ) أنه قال : « لا يقولها عبد عند الموت إلا هدمت ذنوبه ». قيل : فكيف يا رسول الله لمَن قالها في الصحّة ؟ قال : « هي أهدم وأهدم ».

وإنما هدمت ذنوبه لأنه قالها وقد ماتت منه شهواته، وندم على ما فرط منه ندماً صحيحاً، فهو تائب صادق، والتائب الصادق على موعود الله تعالى في تنزيله أن ﴿ **يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات** ﴾[1] ويكفر عنه ويدخله الجنة. قيل : فكيف من قالها في الصحة ! فإنما يقولها في الصحة على تلك الصفة التي هي عند موته، بعد رياضة نفسه وموت شهواته وحرصه ورغبته، وبعد زهادته فيها، وصفائه عن التخليط، فهي أهدم وأهدم. فأما المخلط عبد نهماته وشهواته، عبد دنياه، عبد درهمه وديناره، فلا نعلم أن قوله هذا يهدم ذنوبه، حتى يصير مغفوراً له بهذه الكلمة، لأنه لا ترجع هذه الكلمة منه إلى قلب موقن، كما اشترط الرسول (ﷺ) في حديثه، بل ترجع هذه الكلمة منه إلى قلب مفتون بدنياه، مأسور بشهوات نفسه، سكران عن الآخرة، حيران عن الله تعالى، فقلبه ميال الى الهوى. والقلب الموقن الذي وصفه رسول الله (ﷺ) هو القلب الذي استقر لربه، واطمأن بحكمه، وقنع بقسمه، وانقاد لأمره، وشخصت عيناه إلى رحمته، قد أيس من كل شيء إلا من رحمته، فهو الذي إذا قالها، هدمت ذنوبه؛ لأنه صادق في قوله. وإنما سمِّي اليقين[2] يقيناً لاستقراره

---

(١) سورة الشورى آية رقم ٢٥.

(٢) اليقين من صفة العلم فوق المعرفة والدراية وأخواتهما. وقال المحققون: اليقين من الايمان بمنزلة الروح من الجسد، وفيه تفاضل العارفون وتنافس المتنافسون، وإليه شمر العاملون، وعمل القوم إنما كان عليه، وإشارتهم كلها إليه، وإذا تزوج الصبر باليقين، ولد بينهما حصول الأمانة في الدين. قال تعالى: ﴿ **وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يؤمنون** ﴾. سورة السجدة آية رقم ٢٤. وقال بعض العارفين:

اليقيـــن الصريـــح رؤيـــتك الشيء   ومـــا للفـــؤاد فيـــه هيـــام
لم يغيـــرك فيـــه ذم ولا يطعنــــ   ــك مدح ولا عليـــــــه كلام

في القلب وهو النور. يقال في اللغة : « يقن الماء في الحفرة » أي استقر. فإذا استقر النور، دام. وإذا دام صارت النفس ذات بصيرة فاطمأنت، فتخلص القلب من اشتغاله ودوائره.

وإنما استقر اليقين في القلب لأن العبد جاهد نفسه في الله حق جهاده على الصدق واليقظة من خدعها، والتحرز من آفاتها، حتى بلغ بها غاية الرياضة، وانقطع عاجزاً، فاستغاث بالله تعالى صارخاً مضطراً، فأجابه، فإنه يجيب المضطر ويكشف السوء ويجعله من خلفاء الأرض. كذلك وعد في تنزيله، فقذف النور في قلبه، ففلق تلك الظلمات التي ركدت في صدره على قلبه، فانكشف الغطاء، وصار أمر الملكوت له معاينة بقلبه، وهو قول حارثة لرسول الله (ﷺ) حيث قال : كأني أنظر إلى عرش ربي بارزاً. فقال رسول الله (ﷺ) : عبد نور الله (عز وجل) الإيمان في قلبه . وهذه كلمة جارية فيما جاء في الخبر من دعوة إدريس (عليه السلام)، وأن موسى (عليه السلام) علم ذلك في زمانه، وأن نبينا (ﷺ) أعطى ذلك في زمانه، فكان يدعو بهن، وهي قوله : « يا نور كل شي وهداه، أنت الذي فلق الظلمات نوره ».

قال رسول الله (ﷺ) : من قال : « لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير، مخلصاً بها روحه، مصدقاً بها لسانه وقلبه، فتقت له السماء فتقاً، حتى ينظر الرب إلى قائلها من أهل الدنيا، وحق لعبد إذا نظر الله اليه أن يعطيه سؤله ».

فالروح يخلص من شهوات النفس وأسرها، وكذلك القلب. فإذا نطق اللسان بالكلمة، لم تنازعه النفس ولا القلب ولا الروح، فكان ذلك صدقاً، فقبل منه.

عن زيد بن أرقم قال : قال رسول الله (ﷺ) : « من قال : « لا إله

إلا الله » مخلصاً، دخل الجنة ».[1] قيل : يا رسول الله وما إخلاصها ؟ قال : « أن يحجره عن المحارم » ولهذا قال رسول الله (ﷺ) لمعاذ : يا معاذ أخلص يكفيك القليل من العمل .

وعن زيد بن أرقم أيضاً (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (ﷺ) : « إن الله عهد إليَّ أن لا يأتيني أحد من أمتي بلا إله إلا الله لا يخلط بها شيئاً إلا وجبت له الجنة » قالوا : يا رسول الله، وما الذي يخلط بها ؟ قال : « حرصاً على الدنيا وجمعاً لها ومنعاً لها، يقول بقول الأنبياء، ويعمل عمل الجبابرة »

عن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال : قال رسول الله (ﷺ) فيما يذكر عن ربه (عز وجل) : « ان المؤمن مني بعرض كل خير اني أنزع نفسه من بين جنبيه وهو يحمدني». والعبد إنما يحمد الله وهو يقبض أعز شيء عليه بموت شهواته. ولهذا إذا رد إلى أرذل العمر، وتبرم بالحياة، وإذا انقطعت علايقه من الدنيا، وتخلص القلب من آفات النفس، فنطق بالكلمة العظيمة، استنار بها قلبه، واطمأنت بها نفسه، وأخلص بها روحه، فاستوجب المغفرة. ولهذا كان السلف (رحمهم الله) يستحبون أن يلقنوا المحتضر هذه الكلمة، ويتعاهدونه بها. وقال رسول الله (ﷺ) : « لقنوا موتاكم شهادة أن لا إله إلا الله »[2].

---

(١) الحديث رواه الإمام الترمذي في كتاب الإيمان باب ١٧ ما جاء فيمَن وهو يشهد أن لا إله إلّا الله ٢٦٣٨ وفيه تغيير (حرم الله عليه النار) وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه وعن الزهري : بلفظ الحديث.

(٢) الحديث رواه الترمذي في كتاب الجنائز ٧ باب ما جاء في تلقين المريض عند الموت والدعاء له عنده، ٩٧٦ ـــ حدثنا بشر بن المفضل عن عمارة بن غزية، عن يحيى بن عمارة عن أبي سعيد، عن النبي ﷺ وذكره. ورواه الإمام مسلم في كتاب الجنائز (١) باب تلقين الموتى: لا إله إلا الله ١ ـــ (٩١٦) بالسند السابق وأيضاً حدثني عمرو =

فهذا عبد ركبته أهوال الآخرة، فريضت نفسه بها عند الموت، فنطق بها، فغفر له. ومن راض نفسه أيام حياته، فتح له إلى الغيب، فركبته أهوال سلطان الله الكريم، وعظيم جلاله، فنطق بها عن مثل ذلك القلب، فهو للمغفرة أقمن وأخلق.

= الناقد، قالوا جميعاً: حدثنا أبو خالد الأحمر عن يزيد بن كيسان، عن أبي حازم عن أبي هريرة ــ قال رسول الله ﷺ وذكره.

ورواه ابن ماجه في كتاب الجنائز ٣ باب ما جاء في تلقين الميت لا إله إلا الله ــ ١٤٤٤ ــ حدثنا أبو خالد الأحمر، عن يزيد بن كيسان، عن أبي حازم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ وذكره.

الأصل السابع

في ترجيح الرجاء على القنوط[1]

عن ابن مسعود (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (ﷺ) : « الفاجر الراجي لرحمة الله تعالى أقرب منها من العابد ».

المقنط لجهله بالله بعد من رحمة الله. وإنما رجاء العبد بالله على قدر معرفته بالله وعلمه بجوده وكرمه. والقنوط من الجهل. ألا يرى إلى قوله تعالى : ﴿ **ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون** ﴾[2].

والمقنط إنما يقنط غيره لقنوطه. فهو ضال عن ربه. وما تغني العبادة مع الضلالة، وقال تعالى : ﴿ **إنه لا ييئس من روح الله إلا القوم الكافرون** ﴾[3].

واليأس من روح الله في الدنيا عند النوائب والكربات من سوء الظن

---

(١) القنوط: اليأس وبابه جلس، ودخل، وطرب، وسلم، فهو قنط وقنوط وقانط وقرئ: فلا تكن من القنطين. وقناطة، وقنط يقنط كجعل يجعل أي يئس، وقنطه غيره قال تعالى: ﴿ **لا تقنطوا من رحمة الله** ﴾

(٢) سورة الحجر آية رقم ٥٦.

(٣) سورة يوسف آية رقم ٨٧.

بالله تعالى. ومن ساء ظنه بالله، انقطع عن الله تعالى، وتعلق بخلقه، واستعاذ بالحيل. ولا يلجأ إلى ربه. وكذلك القانط من رحمته قلبه متعلق بالجهد من الأعمال طالباً للنجاة بها. وإذا فكر في ذنوبه ألقى بيديه نفسه الى التهلكة، ورفض العمل.

وروي عن الحسن البصري (رحمه الله) أنه سئل عن القنوط[1] فقال : ترك فرائض الله في السر، معناه إذا تراكمت عليه الذنوب أيس من نفسه، فرفض الكل وقال : قد إستوجبت النار. وقد كان وقع عندي بعض من رزقة الله الإنابة فجعل يصوم، فقلت له : ما هذا ؟ قال : صوم شهر رمضان. قلت : أو لم تكن تصومه ؟ قال : لا. قلت : لِمَ؟ قال : كان أصحابي لا يصومونه. قلت : وهم في الكورة معنا ؟ قال : نعم. قلت : وما حملهم على ذلك ؟ قال : كانوا يقولون : عملنا هذه الأعمال من سفك الدماء وأخذ الأموال وسائر المعاصي، فما يغني عنا الصوم والصلاة ! وكانوا لا يصومون رمضان ولا يصلون المكتوبات إلا على أعين الناس. يقولون : قد استوجبنا النار. فقلت : هؤلاء قوم أدركهم سخط الله، فقنطوا من رحمته.

عن جابر بن عبدالله (رضي الله عنهما) قال : خرج علينا رسول الله (ﷺ) فقال : خرج من عندي خليلي جبرائيل (عليه السلام) آنفاً، فقال لي : يا محمد، والذي بعثك بالحق إن لله تعالى لعبداً من عباده عَبَدَ اللهَ خمسمائة سنة على رأس جبل في البحر، عرضه وطوله ثلاثون ذراعاً في ثلاثين ذراعاً، والبحر محيط به أربعة آلاف فرسخ من كل ناحية، وأخرج الله تعالى له عيناً بعرض الإصبع تبض بماء عذب، فيستنقع

---

(١) قَنطَ يَقْنُط قنوطاً، وقنط يقْنَط ـــ كفرح يفرح وقنطاً وقناطة وقنطه غيره قال تعالى : ﴿ **لا تقنطوا من رحمة الله** ﴾ سورة الزمر آية رقم ٥٣.

في أسفل ذلك الجبل، وشجرة رمانة تخرج كل ليلة رمانة، فتغذيه يوماً، فإذا أمسى، نزل فأصاب من الوضوء، وأخذ تلك الرمانة وأكلها. ثم قام لصلاته. فسأل ربه (عز وجل) عند وقت الأجل أن يقبضه ساجداً، وأن لا يجعل للأرض ولا لشيء يفسده عليه سبيلاً حتى يبعثه ساجداً، ففعل ذلك، فنحن نمر به إذا هبطنا وإذا عرجنا، ونجد في العلم أنه يبعث يوم القيامة، فيوقف بين يدي الله تعالى، فيقول الرب (عز وجل) : أدخلوا عبدي الجنة برحمتي. فيقول : بل بعملي يا رب. فيقول : أدخلوا عبدي الجنة برحمتي. فيقول : بل بعملي يا رب. فيقول للملائكة : قايسوا عمل عبدي بنعمي عليه وبعمله. فتوجد نعمة البصر قد أحاطت بعبادة خمسمائة سنة، وبقيت نعم الجسد فضلاً عليه. فيقول : أدخلوا عبدي النار. فينادي : يا رب برحمتك أدخلني الجنة. فيقول : ردوه. فيوقف بين يديه. فيقول : يا عبدي من خلقك ولم تك شيئاً ؟ فيقول : أنت يا رب. فيقول : أفكان ذلك من قبلك أم برحمتي ؟ فيقول : بل برحمتك. فيقول : من قواك لعبادتي خمسمائة سنة ؟ فيقول : أنت يا رب. فيقول : من أنزلك في جبل وسط البحر، وأخرج لك الماء العذب من الماء المالح، وأخرج لك كل ليلة رمانة، وإنما تخرج الشجرة في السنة مرة، وسألتني أن أقبضك ساجداً، ففعلت ذلك بك. فيقول : أنت يا رب. فيقول : فذلك رحمتي، وبرحمتي أدخلك الجنة. أدخلوا عبدي الجنة برحمتي. فنعم العبد كنت يا عبدي. فأدخله الله الجنة. قال جبرائيل (عليه السلام) : إنما الأشياء برحمة الله تعالى يا محمد .

عن زيد بن أسلم قال : قال رسول الله (ﷺ) : « انه ليس أحد منكم ينجيه عمله » قالوا : ولا أنت يا رسول الله ؟ قال : « ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته »[1].

---

(١) الحديث رواه البخاري في كتاب الرقاق ١٨ باب القصد والمداومة على العمل بسنده عن أبي هريرة وفي الباب عن عائشة ــ رضي الله عنها ــ ١٨ باب القصد والمداومة على =

وهذا الذي سأل رسول الله (ﷺ) فقال : « ولا أنت » كان أيضا في عمى من هذا الأمر. فإن الله منَّ عليه بالنبوة، وشرح الصدر، وكل ذلك رحمة منه. قال الله تعالى : ﴿ **وما كنت ترجو أن يلقى إليك الكتاب إلا رحمة من ربك** ﴾[1].

= العمل. ورواه الإمام مسلم في كتاب صفات المنافقين وأحكامهم ١٧ باب لن يدخل أحد الجنة بعمله بل برحمة الله تعالى. حدثنا ليث عن بكير عن بسر بن سعيد عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ، ٧١، ٧٢، ٧٣، ٧٤، ٧٥، ٧٦.

ورواه ابن ماجه في كتاب الزهد ٢٠ باب التوقي في العمل ٤٢٠١ ــ حدثنا شريك ابن عبدالله عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ وذكره.

قال صاحب مجمع الزوائد: هذا إسناد حسن، وشريك مختلف فيه.

ورواه الدارمي بسنده عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ قاربوا وسددوا واعلموا أن أحداً منكم الخ.

(١) سورة القصص آية رقم ٨٦.

الأصل الثامن

في بيان أن التعلق بالأسباب[1] مع التوحيد لا يضرّ

عن ابن عمر (رضي الله عنهما) أن رسول الله (ﷺ) كان إذا أشفق من الحاجة أن ينساها، جعل في يده خيطاً ليذكرها أو يذكره.

الذكر والنسيان من الله تعالى، إذا شاء ذكر، وإذا شاء أنسى. وربط الخيط سبب من الأسباب؛ لأنه نصب العين. فإذا رآه ذكر ما نسي. فهذا سبب موضوع دبره رب العالمين لعباده كسائر الأسباب. تحرز الأشياء بالأبواب والأقفال والحراس، ويستشفى من الأسقام بالأدوية، وتقبض الأرزاق والأقوات بالطلب، وكل أمر بحيلة وسبب، والأرض تخرج نباتها بالماء. وهذا تدبيره في عباده. والخيط والذكر والشفاء وإيصال الأرزاق كل ذلك

(١) السبب: الحبل الذي يصعد به، وجمعه أسباب قال تعالى: ﴿ **فليرتقوا في الأسباب** ﴾، والاشارة بالمعنى الى نحو قوله: ﴿ **أم لهم سلم يستمعون فيه** ﴾ وسمي كل ما يتوصل به الى شيء سبباً قال تعالى: ﴿ **وآتيناه من كل شيء سبباً فأتبع سبباً** ﴾ ومعناه أن الله تعالى أتاه من كل شيء معرفة وذريعة يتوصل بها، فأتبع واحداً من تلك الأسباب وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿ **لعلي أبلغ الأسباب أسباب السموات** ﴾ أي لعليٍّ أعرف الذرائع والأسباب الحادثة في السماء.

بيده يجريها على الأسباب. فأهل اليقين لا تضرهم الأسباب، وهم الأنبياء والأولياء (عليهم السلام) يمضون عليها فيحترزون ويتداوون ويحترفون ويحتالون، لأنه تدبير الله تعالى. كذا دبر لعباده أن يجري أمورهم على الأسباب، امتحاناً منه لهم، لينظر من يتعلق قلبه بالأسباب، فتصير فتنة عليه، ومن يتخلى عنها، فيكون مع ولي الأسباب وخالقها، فيسلم من فتنة الأسباب لأن الأسباب لا تملكه. فإنهم في الجملة كلهم آمنوا واعترفوا بأن الأشياء كلها من الله تعالى، ثم صاروا على ضربين: فضرب منهم توالت على قلوبهم الغفلات، وركدت أشغال الشهوات وظلمتها على قلوبهم فحجبتهم عن الانتباه، فصاروا كالنيام والسكارى عن رؤية هذا وذكره. فإذا ذكروا، ذكروا. فاذا انبهوا، انتبهوا. ثم عادوا إلى رقدتهم وغفلتهم، فصار ذلك لهم كالخبر.

والآخرون هم أهل اليقين، قد خرجوا بيقينهم من الغفلة، فالذكر على قلوبهم دائم، والأمور لهم معاينة كيف يجريها، وكيف يدبرها. فليس الخبر كالمعاينة. فإن استعملوا الأسباب، لم تضرهم. فكذلك هذا الخيط لما ربطه صار نصب عينه علامة، إذا وقع بصره عليه، ذكر ما نسي. ثم لا يحجبه ذلك الخيط عن صنع الله تعالى، انه هو الذي ذكره بهذا الخيط. وحين ربطه لم يطمئن إلى الخيط، ولم يركن ركون أهل الغفلة، بل ربطه ابتغاء موافقة تدبير الله تعالى الذي وضعه لعباده. وكذلك تداويه من أسقامه، وطلبه لمعاشه، وأخذه الجنة في الحرب، وحفره الخندق من أجل العدو، وظاهر يوم أحد بين درعين. ولا يظن برسول الله (ﷺ) أنه مال إلى الشيء من الأسباب غفلة مقدار طرفة عين.

الأصل التاسع

في مرتبة روح المؤمن

عن ابن عمر (رضي الله عنهما) قال : قال رسول الله (ﷺ) : « اهتز العرش لموت سعد بن معاذ رضي الله عنه »[1] وذكر يوماً عنده أن العرش اهتز لحب الله لقاء سعد. فقال ابن عمر : إن العرش ليس يهتز لموت أحد ولكن سريره الذي حمل عليه.

وأحسب أن ابن عمر قصد بما دفع من ذلك تعظيماً للعرش، فهاب هذه الكلمة إذ كان العرش أعلى شيء من خلقه وصفته ومنظره الأعلى، وموضع تسبيحه ومظهر ملكه ومبدأ وحيه ومحل قربه. ولم ينسب شيئاً من خلقه كنسبته، فقال : « ذو العرش »، كما قال : « ذو الجلال، وذو العز، وذو الكبرياء، وذو القدرة، وذو العظمة، وذو البهاء، وذو الرحمة، وذو الملك ». ولم يجز أن يقال : « ذو السموات، وذو الأرض، وذو

---

(١) الحديث رواه الإمام مسلم في كتاب فضائل الصحابة ٢٤ باب من فضائل سعد بن معاذ ــ رضي الله عنه ــ ١٢٤ ــ حدثنا الأعمش عن أبي سفيان عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ وذكره. ورواه الإمام البخاري في مناقب الأنصار ١٢، والترمذي في المناقب ٥٠ وابن ماجه في المقدمة ١١ وأحمد بن حنبل في المسند ٣ : ٢٣٤، ٢٩٦، ٣١٦، ٣٤٩ (حلبي).

الكرسي، وذو اللوح ».، فلم يعط كلمة « ذو » من خلقه إلا للعرش فقط للقرب. و « ذو » كلمة لحق واتصال وظهور ومبدأ. فكأن ابن عمر (رضي الله عنه) لحظ إلى هذه الناحية، فدفع أن يكون يهتز لموت أحد. وأما سائر العلماء فلا نعلمهم دفعوا هذا القول. فإن للمؤمن عند الله تعالى مراتب علية، قد أتت بها الأنبياء من عند الله تعالى تنزيلاً، منها قوله تعالى : ﴿ **والله ولي المؤمنين** ﴾[1]

وقول تعالى : ﴿ **ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا** ﴾[2].

وقوله تعالى : ﴿ **هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير** ﴾[3].

وقوله تعالى : ﴿ **وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلاً كبيراً** ﴾[4].

وقوله تعالى : ﴿ **للذين أحسنوا الحسنى وزيادة** ﴾[5].

وقوله تعالى : ﴿ **ولدينا مزيد** ﴾[6].

ومنها قوله (ﷺ) : « إن المؤمن أكرم على الله عز وجل من الملائكة المقربين »[7].

---

(١) سورة آل عمران آية رقم ٦٨.
(٢) سورة محمد آية رقم ١١.
(٣) سورة الحج آية رقم ٧٨.
(٤) سورة الأحزاب آية رقم ٤٧.
(٥) سورة يونس آية رقم ٢٦.
(٦) سورة ق آية رقم ٣٥.
(٧) الحديث عند ابن ماجة في كتاب الفتن ٣٩٤٧ ــ ثنا أبو المُتهزِّم يزيد بن سفيان، سمعت أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: وذكره. في الزوائد: إسناده ضعيف لضعف يزيد بن سفيان.

ومنها قوله (ﷺ): « المؤمن أعظم حرمة عند الله من الكعبة »[1].

ومنها قول معاذ بن جبل (رضي الله عنه): إن المتقين في الجنة لا يستتر الرب منهم ولا يحتجب.

ومنها ما جاء في شأن الزيارة في الأخبار ووضع المنابر والأسرة والكراسي لهم على مراتبهم في مجلس الجبار (جل جلاله). فروي عن رسول الله (ﷺ) أنه قال : لا يبقى أحد يومئذ في ذلك المجلس إلا حاضره الله تعالى محاضرة، حتى أنه ليقول : يا فلان أتذكر غدرتك يوم كذا ؟ فيقول : أو لم تغفرها لي ؟ فيقول : بلى.

عن أبي هريرة، وأبي الدرداء (رضي الله عنهما) قالا : قال رسول الله (ﷺ) : « إن في بيوت المؤمنين لمصابيح إلى العرش يعرفها مقربو الملائكة من السموات السبع يقولون هذا النور من بيوتات المؤمنين التي يتلى فيها القرآن »[2] وأعظم بنور يكون هناك في نور العرش مستبيناً حتى يعرفه مقربوا الملائكة ! واعتبر في الدنيا بنور الشمس أي نور يستبين في جنبه ؟ فكيف بالنور الذي يستبين في نور العرش هناك !

عن النعمان بن بشير (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (ﷺ) : « إن ما تذكرون من جلال الله تعالى من تسبيحه وتحميده وتكبيره وتهليله يتعاطفن حول العرش لهن دوي كدوي النحل يذكرن

---

(١) ولذلك قال الله تعالى: ﴿ ولقد كرّمنا بني آدم وحملناهم في البرّ والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضّلناهم على كثير ممّن خلقنا تفضيلًا ﴾

(٢) الحديث رواه ابن ماجة في كتاب الأدب ٣٨٠٩. عن عون بن عبدالله عن أبيه أو عن أخيه عن النعمان بن بشير قال : قال رسول الله ﷺ : وذكره.
في الزوائد : إسناده صحيح، ورجاله ثقات وأخو عون اسمه عبدالله بن عتبة.

لصاحبهن أفلا يحب أحدكم أن لا يزال له عند الرحمن (جل جلاله) شيء يذكر به ».

وقد جاءت أحاديث في وفاة سعد بن معاذ (رضي الله عنه) تكشف عن التأويل. عن جابر (رضي الله عنه) قال : اهتز عرش الرحمن لموت سعد بن معاذ.

وعن أنس (رضي الله عنه) قال : افتخر الحيان من الأنصار الأوس والخزرج، فقالت الأوس : منا غسيل الملائكة حنظلة ابن الراهب، ومنا من اهتز لموته عرش الرحمن سعد بن معاذ، ومنا من حمته الدبر عاصم بن ثابت بن الأفلح، ومنا من اجيزت شهادته بشهادة رجلين خزيمة بن ثابت، فقالت الخزرج : منا أربعة جمعوا القرآن لم يجمعه أحد غيرهم زيد بن ثابت، وأبو زيد، وأبي بن كعب، ومعاذ بن جبل (رضوان الله عليهم أجمعين).

وعن الحسن البصري (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (ﷺ) : « لقد اهتز عرش الرحمن لوفاة سعد بن معاذ فرحاً به فرحاً به فرحاً به »[1] وإذا كان العبد يفرح خالق العرش بلقائه، ففرح العرش يدق.

(١) الحديث رواه الإمام الترمذي في كتاب المناقب باب ٥١ في مناقب سعد بن معاذ ـ رضي الله عنه ـ ٣٨٤٨ ـ حدثنا محمود بن غيلان حدثنا عبد الرزاق أخبرنا ابن جريج أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابر بن عبدالله يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: وذكره. قال الترمذي وفي الباب عن أسيد بن حضير وأبي سعيد وهذا حديث حسن صحيح وليس فيه (فرحاً به) ورواه ابن ماجه في المقدمة ١١ وأحمد بن حنبل في المسند ٣ : ٢٣٤، ٢٩٦، ٣١٦ (حلبي).

الأصل العاشر

في أن الحرص والاعتراض والعجلة شؤم

عن ابن عباس (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (ﷺ) : « يرحم الله أم إسماعيل لو تركت زمزم » أو قال : « لو لم تغترف الماء لكانت زمزم عيناً معيناً »(١).

أنبأ أن الحرص داخل بالفساد على الأشياء. لأن الحرص من النهمة، والآدمي خلق محتاجاً عجولاً، فهو ينتظر الأسباب ويحرص عليها، وإن كان معترفاً على حدّ الإيمان بالله تعالى أنه مسبّب الأسباب، وهذا لأهل اليقين. أمّا أهل الغفلة فهم مفتونون مشغولون بالأسباب عن خالق الأسباب. وأم إسماعيل أدركتها الضرورة مع كربة الغربة، فأخذت تعدو في طلب الماء هكذا وهكذا وتستغيث، فلمّا جاءها الغياث أدركتها العجلة فاغترفت وأحرزته في وعائها، فانقطع المدد، فأخبر

---

(١) الحديث رواه الإمام البخاري في كتاب الأنبياء ٩ باب ٣٣٦٢ حدّثنا وهب بن جرير عن أبيه عن أيوب عن عبدالله بن سعيد بن جبير عن أبيه عن ابن عباس ـــ رضي الله عنه عن النبي ـــ ﷺ ـــ قال وذكره وفي المساقاة. وأحمد بن حنبل في المسند ١ : ٣٤٧ (حلبي).

رسول الله (ﷺ) أنها لو اطمأنت في ذلك الوقت إلى من أجرى لها ذلك لجرت وبقيت جارية، لكنها شغلت بالموجود عن الذي أوجده، وحملتها النفس على الإحراز لتطمئن به. وهو قول سلمان (رضي الله عنه) حيث رؤي يحمل جراباً، فقيل له : ما هذا يا أبا عبدالله ؟ قال : إن النفس إذا أحرزت قوتها، اطمأنت. فهذا عمل النفس وليس عمل القلب، لأن القلب موقن أن الرزق هو الذي يوصله الله تعالى إليه في وقته. والنفس في عماها وظلمتها تزعم أن الرزق هو الذي توعيه في جرابها. فصاحبه في بلاء من وسوسته وتقاضيه فإذا أراد صاحبه أن يتخلص من وسوسته، أسعفها بذلك، كما فعل سلمان (رضي الله عنه) فيطمئن إلى ذلك.

وقد يهيّئ الله تعالى له الرزق المكتوب من غير ذلك الذي هيّأه في جرابه، والذي أوعاه يسلط عليه غيره، فيصير رزق غيره حتى يتبين كذبها وجهلها. فمن أحرز ذلك فلطمأنينة نفسه، والخلاص من وسواسها. وهذا فعل يدخل فيه نقص على أهل التوكل والأنبياء والأولياء (عليهم السلام).

والعارفون في خلو من هذا؛ لأن الشهوات منهم قد ماتت، والنفس قد اطمأنت بخالقها، والقلوب منهم قد حييت بالله تعالى، والصدور منهم قد أشرقت بنور الله تعالى، والأركان منهم قد خشعت لله تعالى. فسواء عليهم أحرزوا أو لم يحرزوا، فإن أحرزوا، فليس ذلك منهم إحرازاً، إنما هو شيء قد ائتمنوا عليه فأخذوه من الله تعالى بأمانة وقفوها على نوائب الحق سبحانه وتعالى، قد امتلأت قلوبهم من عظمة الله تعالى، فلم يبق للدنيا بما فيها موضع إبرة توجد حلاوتها ولذتها وشهوتها هنالك، فقد إرتفعت فكر شأن الأرزاق والمعاش عن قلوبهم، وتعلقت نفوسهم بقلوبهم، وتعلقت قلوبهم بخالق الأرزاق وعالم التدبير، فقالوا حسبنا الله، فخرجت هذه الكلمة منهم من قلب حي بالله تعالى، على سكون من النفس، فلم يبق في صدورهم اختلاج، ولا تنازع، ولا ريب، فاستقرت الأركان. فمتى ما وقع

بأيديهم شيء من الدنيا، لم يحبسوها لأنفسهم، وعدوها أمانة قد ائتمنهم الله عليها، كما قال رسول الله (ﷺ) : « إنما أنا خازن، أقسم والله يعطي، فأنا أبو القاسم، أقسم والله يعطي »[1].

عن أنس (رضي الله عنه) قال : كان رسول الله (ﷺ) لا يدخر شيئاً لغد. وعن أنس (رضي الله عنه) قال : كنت خادم رسول الله (ﷺ) عشر سنين، فأُهدي له طيران، فتعشى بأحدهما، وخبأت له أم أيمن الآخر، فلما أصبح قال : يا أم أيمن : هل عندك من غداء ؟ قالت : أحد الطيرين. قال : « يا أم أيمن أما علمت أن أخي عيسى (عليه السلام) كان لا يخبأ عشاء لغداء، ولا غداء لعشاء، يأكل من ورق الشجر، ويشرب من ماء المطر، يلبس المسوح، ويبيت حيث يمسي، ويقول : يأتي كل يوم برزقه ». قالت : يا رسول الله لا اخبأ لك شيئاً بعدها.

عن عائشة (رضي الله عنها) أن رسول الله (ﷺ) قال : أطعمنا يا بلال، قال : ما عندي إلا صبر من تمر خبأته لك. فقال : أما تخشى أن يخسف الله به نار جهنم، أنفق يا بلال، ولا تَخْشَ من ذي العرش إقلالاً.[2]. وخبأت أم سلمة قدرة من لحم لرسول الله (ﷺ) فوضعته

---

(١) رواية البخاري في كتاب فرض الخمس ٧ باب قول الله تعالى ٤٢ الأنفال ﴿ فإن لله خمسه ﴾ ٣١١٧ ــ عن عبد الرحمن بن أبي عمرة، عن أبي هريرة ــ رضي الله عنه ــ أن رسول الله ﷺ قال: وذكره مع تغيير في بعض الألفاظ. ورواه الامام مسلم في كتاب الزكاة ٣٣ باب النهي عن المسألة ٩٨ عن عبدالله بن عامر اليحصبي قال سمعت معاوية يقول إياكم وأحاديث إلا حديثاً كان في عهد عمر فإن عمر كان يخيف الناس في الله عز وجل، سمعت رسول الله ﷺ يقول: وذكره، مع اختلاف في بعض الألفاظ وبزيادة (من يرد الله به خيراً يفقه في الدين).

(٢) الحديث رواه الطبراني في الكبير والقضاعي في مسنده عن ابن مسعود قال دخل النبي ﷺ على بلال وعنده صُبْرة من تمر فقال ما هذا يا بلال ؟.. قال يا رسول الله ذخرته لك ولضيفانك قال: أما تخشى أن يفور لها بخار من جهنم: انفق بلال الحديث. =

في كوة. فلما دخل رسول الله (ﷺ)، قربته إليه، فإذا هي قطعة كدانة أو حجر، فلما رآه قال : هل سأل بالباب سائل ؟ قالت : نعم. قال : فمن أجل ذلك. أو كما قال.

عن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (ﷺ) : « لو توكلتم على الله (عز وجل) حق توكله، لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خماصاً وتروح بطاناً »[1]. قال في تنزيله : ﴿ **وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها** ﴾[2].

ثم قال : « وإياكم » أخبر أن المتوكل يرزق كما يرزق الطير. قال له قائل : فإن رسول الله (ﷺ) أدخل قوت سنة لعياله، وقد تواترت الأخبار بذلك من فعله، أجاب وقال : ليس الإدخال من الادخار في شيء. إنما قسم رسول الله (ﷺ) مال خيبر مما أفاء الله عليه، فأدخل لعياله من الخمس قوتهم. وكذلك من فيء قريظة والنضير، وتلك أمانة ائتمنه الله عليها، وسلطه على ذلك، وصرفها في نوائب الحق، والقلب منه خال ملك

= وذكره النجم عن أبي هريرة أيضاً بلفظ: أما تخشى يا بلال أن ترى لها بخاراً في نار جهنم، ورواه العسكري في الأمثال، وكذا البزار في مسنده عن عائشة بلفظ: قالت: قال رسول الله ﷺ: أطعمنا يا بلال فقال يا رسول الله ما عندي إلا صبرة من تمر خبأته لك فقال: أما تخشى أن يقذف بها في نار جهنم، أنفق: الحديث.

وأخرجه البزار أيضاً عن أبي هريرة بلفظ: أن رسول الله ﷺ دخل على بلال وعنده صُبْرة من تمر فقال: ما هذا.. ؟ قال: أدخره فقال: أما تخشى أن ترى له بخاراً في نار جهنم، انفق الحديث، ورواه البيهقي في الشعب عن أبي هريرة مرفوعاً، ورواه أيضاً مرسلاً عن أبي سيرين. راجع كشف الخفا ١: ٢٤٣، ٢٤٤.

(١) الحديث رواه ابن ماجه في كتاب الزهد ١٤ باب التوكل واليقين ٤١٦٤ أخبرني ابن لهيعة عن ابن هبيرة عن أبي تميم الجيشاني قال سمعت عمر يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول: وذكره.

(٢) سورة العنكبوت آية رقم ٦٠.

من الملوك غني بالله، حر من الأحرار فماذا ضره ؟ وهل كان سبيل ذلك المال الذي أوتي إلا هكذا أن يصرفه في نوائب الحق. فصرفه في الكراع والسلاح، وفي ذوي الحاجات من الأباعد، فما باله يحرم عياله؟ فلم يجئك في الخبر أنه أدخل قوت سنة لنفسه، إنما ذلك لعياله، وعياله كسائر الناس. ولا يحمل عياله ما لا يطيقونه. وإنما يطيق هذا الأنبياء والأولياء وأهل اليقين الذين بهم تقوم الأرض، قد طهرت قلوبهم، وتنزهت نفوسهم من تهمة الله تعالى، ألا ترى إلى قول رسول الله (ﷺ) حيث قال له ذلك الرجل : أوصني بوصية قصيرة. قال : « اذهب فلا تتهم الله في نفسك »[1].

وقد كان رسول الله (ﷺ) يخزن ما يقع بيده من المال لنوائب الحق، لا لنفسه. وقد كان يصرفها في السلاح والكراع لحاجتهم في ذلك الوقت إلى ذلك. فكان يرفع مقدار قوت نسائه ليعلم ما يبقى هنالك، فيصرفه في هذه الوجوه.

وقد أمر الله تعالى بخزن الأموال وحفظها، فقال تعالى : ﴿ **ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياماً** ﴾[2] فإذا أحرزه، فإنما يحرزه لما ينوب من حقوق الله تعالى حتى يصرفه فيه، فهو مأجور فيه وخازن من خزانه. ومن أحرزه ليتخذه عدة لنوائب نفسه ودنياه وهو في نقص وإدبار وخذلان من الله تعالى، ومسئول غداً عن كل درهم من أين ؟ ولم ؟ وفي أين ؟ فما قسم لعياله كان مثل ما قسم لغيره، فإنه إحدى نوائب الحق. ولأن نفوس أزواجه كانت لا تطمئن إلا على الإحراز، فلم يكلفهن ما ليس ذلك لهن مقام. وإنما زجر بلالاً في حديثه لأنه قال : « خبأته لك » وكذلك أم أيمن، وأم سلمة، فإنها قالت : « خبأته لك ».

---

(١) لا يتّهم الله : أي يكون راضياً في كل حالاته في الضيق والفرح في الصبر والغضب في الفرح والحزن، وهذه وصيّة جامعة. وما أحرى المسلم أن يأخذ نفسه بها.

(٢) سورة النساء آية رقم ٥.

فأما عياله فقد كان يبعث إليهم بما يبقى عندهم أياماً. فأما أم إسماعيل فإن فعلها كان في حال الضرورة، فلما زالت الضرورة، أخذتها عجلة النفس، فجعلته في الوعاء، فامتنع ما ظهر، فانقطع المدد. وإنما كان ذلك بدؤه من الكرام. فلو تلقاه كرم الآدمية لكان شكراً، والشاكر يستحق المزيد، ولكان يجري ولا ينقطع المدد. ولكنها تلقته بلؤم النفس، فإن النفس لئيمة، فتراجع الكرم وأعرض مولياً لما لم يجد له قابلاً يحسن قبوله. وكانت تلك عين سوغ الله (عز وجل) لها مخرجها من الجنة إلى تلك البقعة من دار الدنيا. وبعث جبرائيل (عليه السلام) فكانت منه هزمة بعقبه، فانبعث الماء. فكان ذلك من كرم ربنا عاملها على بغيتها. فكان اللائق بهذا الفعل أن تأخذ منها حاجتها على تؤدة وإناءة وسعة صدر وحياء وتكرم وتعفف، وتذر ما بقي بين يدي من أجراه حتى تنظر ما يدبر فيه. فلما عجلت وأخذت تدبر لنفسها، فعلت فعلاً غير لائق بكرم ربنا (عز اسمه وجلت قدرته ورحمته).

ومثال ذلك في الآدميين موجود فيما بينهم. فلو أن ملكاً من ملوك الدنيا نظر إليك في وقت حاجتك إلى شيء فرحمك كأنه رآك جائعاً، فهيأ لك مائدة عليها ألوان الطعام لتأخذ منها حاجتك، فجعلت تأكل لقمة وتضع لقمة تحت المائدة، تخزنها لنفسك. أليس هذا مما يضعك عنده ؟ ولو نظر إليك وقت حاجتك إلى كسوة، ففتح عليك باب خزانته لتكتسي منها كسوتك، فرفعت منها كسوتك، ثم مددت يدك بالعجلة والحرص إلى أثواب لتخزنها، فرفعت منها في بيتك وعندك، أليس ذلك مما يضعك عنده ؟ وأريته من نفسك أنك اتهمته على نفسك. فأنت إذا نطقت وقلت : « أنت خير لي من نفسي » ألم يكن يضع ذلك القول منك على الهذيان ويقول في نفسه : فإن كنت أنا خيراً لك من نفسك، فما الذي حملك على أن مددت يدك إلى ما لا تحتاج إليه من الفضول، تريد أن تخزنه لنفسك دوني ! فإذا كان هذا سمجاً قبيحاً عند ملوك الدنيا، فكيف بمن يعامل رب العالمين بمثل هذا ؟ فكلما أعطاك من الدنيا شيئاً، فتناولته

على غير حد الأمانة، فأنت في هذا اللؤم من الفرق الى القدم حتى تأخذه على سبيل أنه ماله ائتمنك عليه لتصرفه في نوائب حقوقه.

فأول حقوقه نفسك وعيالك، ثم أرحامك وجيرتك، ثم نوائب الحق التي تنوبك واحداً على اثر واحد. وهو قول رسول الله (ﷺ) حيث سئل فقيل : يا رسول الله إني أصبت ديناراً، قال : « أنفقه على نفسك ». قال : أصبت آخر. فلم يزل يقول : أصبت آخر، وهو يأمره بصرفه في وجه، حتى كان في السابعة، قال : أصبت آخر، قال : أنفقه في سبيل الله. وذلك أخسهن وأدناهن أجراً[1]. فإذا تناولته على حرص وشره، تناولته لغير الله. فاحرازك لؤم ودناءة وظلمة يعود على القلب، ودنس على الفؤاد، وسقم في الإيمان، وسم في الطاعات. ولذلك قال رسول الله (ﷺ) : « يا سلمان قل اللهم إني أسألك صحة في إيمان »[2]

فهل يأمره بسؤال الصحة في الإيمان إلا من سقم، لأنه رأى في سلمان ما قال : « إن النفس إذا أحرزت قوتها اطمأنت »، فمن كانت نفسه مطمئنة بالأحوال، فهذا سبيله. ومن كانت نفسه مطمئنة بربه، فلو أعطى الدنيا إليها كلها، لم يلتفت إليها، وكان عيناه إلى ربه، وسكونه إليه، وكان فعل أبي بكر (رضي الله عنه) يدل على أنه ممن هو بهذا موصوف.

وروي لنا أن أبا بكر (رضي الله عنه) تلا هذه الآية بين يدي رسول الله (ﷺ) : ﴿ **يا أيتها النفس المطمئنة * ارجعي إلى ربك راضية مرضية** ﴾[3]

---

(١) الحديث رواه الامام أحمد في المسند ٢ : ٤٧٣ ــ ثنا يحيى عن مالك قال: حدثني الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة عن النبي ﷺ وذكره. مع اختلاف في بعض الألفاظ.

(٢) يؤيّده حديث الرسول ــ ﷺ ــ مَن كان آمناً في سربه صحيحاً في بدنه لديه قوت يومه فكأنما حاز الدنيا الخ.

(٣) سورة الفجر، الآيتان رقم ٢٧ و٢٨.

فقال : ما أحسن هذا يا رسول الله، فقال : « يا أبا بكر أما ان الملك سيقولها لك عند الموت »[1].

فهذه نفس رضيت عن الله تعالى بجميع ما دبر لها من المحبوب والمكروه لأنها لذت بجوار الله تعالى وقربه، فلهت عن لذاتها الدنياوية، فرضي الله عنها وبشرت عند الموت بذلك.

فأما قوله : « لكانت زمزم عيناً معيناً » أي مرئياً ظاهراً تجري. والمعين أن يعاين بالعيون، معناه أنه لا يركد ولكن يجري حتى يعاينوه فبقي عيناً. ولبس بمعين لفعل أم إسماعيل (عليه السلام).

---

(١) الحديث: أخرجه ابن أبي حاتم وابن مردويه والضياء في المختارة من طريق سعيد بن جبر، عن ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ وأخرجه عبد بن حميد وابن جرير، وابن أبي حاتم وابن مردويه وأبو نعيم في الحلية عن سعيد بن جبر. والسيوطي في الدر المنثور ٦: ٣٥٠.

الأصل الحادي عشر

في حد التأديب في المماليك

عن ابن عمر (رضي الله عنه) قال : سمعت رسول الله (ﷺ) يقول : « لا تضربوا الرقيق فانكم لا تدرون ما توافقون »[1].

قد ندب الله تعالى العباد إلى تأديب أهليهم، فقال : ﴿ **قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة** ﴾[2].

فوقايتك نفسك وأهلك أن تعظها وتزجرها عن عمل يوردها النار، وتقيم أودهم بأنواع الأدب. فمن الأدب الوعيد، ومنه الضرب وحبس المنافع، ومنه الرفق والعطية والنوال والبر. فإن ذلك ربما كان ادعى لهم من الوعيد والضرب. وبين النفوس تفاوت، فنفس تضرع وتخضع بالبر والعطية، ونفس تضرع وتخضع بالغلظة والشدة، ولو استعملت معها الرفق والبر لأفسدتها، ونفس بالعكس من ذلك. وقد جعل الله تعالى الحدود أدباً

(١) الحديث رواه أبو يعلى، والطبراني قال صاحب مجمع الزوائد وفيه عكرمة بن خالد بن سلمة وهو ضعيف.

(٢) سورة التحريم آية رقم ٦.

لعباده ومزجرة للآخرين. ومن دون الحدود التعزير على قدر ما يأتون من المنكر. وقد جعل الله تعالى ممر الموحدين إلى الجنة على النار. فقال تعالى : ﴿ **وإن منكم إلا واردها** ﴾[1] الآيتين. فأدب الأحرار إلى السلطان، وأدب العبيد، والمماليك، والأولاد إلى السادات والآباء.

وروي عن رسول الله (ﷺ) أنه قال : « لأن يؤدب أحدكم ولده خير له من أن يتصدق كل يوم بنصف صاع »[2] وقال (ﷺ) : « ما نحل والد ولده أفضل من أدب حسن »[3] وقال (ﷺ) : « إذا زنت أمة أحدكم فليجلدها ».[4]

---

(١) سورة مريم آية رقم ٧١.

(٢) الحديث رواه الترمذي في كتاب الأدب ٣٣ باب ما جاء في أدب الولد ١٩٥١ — عن ناصح عن سماك بن حرب عن جابر بن سمرة قال: قال رسول الله ﷺ وذكره.

قال الترمذي: هذا حديث غريب، وناصح هو أبو العلاء كوفي ليس عند أهل الحديث بالقوي، ولا يعرف هذا الحديث إلا من هذا الوجه، وناصح شيخ آخري بصري، يروي عن عمار بن أبي عمار وغيره، هو أثبت من هذا.

(٣) الحديث رواه الترمذي في كتاب البر والصلة ٣٣ باب ما جاء في أدب الولد ١٩٥٢ حدثنا أيوب بن موسى عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ قال: وذكره.

قال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث عامر بن أبي عامر الخزاز، وهو عامر بن صالح بن رستم الخزاز، وأيوب بن موسى، هو ابن عمرو بن سعيد بن العاصي. وهذا عندي حديث مرسل.

ورواه أحمد بن حنبل في المسند ٣ : ٤١٢، ٤ : ٧٧، ٧٨ (حلبي).

(٤) الحديث رواه البيهقي في السنن كتاب الحدود، باب ما جاء في حد المماليك ثنا محمد ابن يعقوب الحافظ ثنا حسين بن حسن، ومحمد بن اسماعيل قالا ثنا عيسى بن حماد ثنا الليث عن سعيد بن أبي سعيد عن أبيه عن أبي هريرة أنه سمعه يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: وذكره.

وقال البيهقي: رواه البخاري في الصحيح عن عبدالله بن يوسف وغيره عن الليث ورواه مسلم عن عيسى بن حماد، وكذلك رواه محمد بن اسحاق بن يسار عن سعيد بن أبي سعيد عن أبيه عن أبي هريرة، ورواه عبيدالله بن عمر وأيوب بن موسى، وأسامة بن زيد عن سعيد المقبري عن أبي هريرة.

فأما قول رسول الله (ﷺ) : « لا تضربوا الرقيق » فخليق أن يكون إنما نهى عن ضربهم على غضب المولى لنفسه في نفع أو ضر، لا لله تعالى. وأما إذا ضربه تأديباً ليقومه لئلا يعصي الله تعالى في أموره، ولئلا يعصى المولى في أموره اللازمة له. فإن عصيانه وتضييع أموره معصية لله تعالى. فذاك مما يجب عليه. وهو داخل في قوله تعالى : ﴿ **قوا أنفسكم وأهليكم ناراً** ... ﴾[1].

عن زيد بن أسلم (رضي الله عنه) قال : قال رجل : يا رسول الله ما تقول في ضرب المماليك ؟ قال : « إن كان ذلك في كنهه، وإلا قيد منكم يوم القيامة ». قيل : يا رسول الله ما تقول في سبهم ؟ قال : « مثل ذلك ». قيل يا رسول الله فإنًا نعاقب أولادنا ونسبهم. قال : « إنهم ليسوا مثل أولادكم، إنكم لا تتهمون على أولادكم »[2].

عن عبيد الله بن رفاعة بن رافع الزرقي، عن أبيه (رضوان الله عليهم أجمعين) قال : قال رجل : يا رسول الله كيف ترى في رقيقنا أقوام مسلمون يصلون صلاتنا، ويصومون صيامنا، نضربهم. فقال رسول الله (ﷺ) : « يوزن ذنبهم وعقوبتكم إياهم، فإن كانت عقوبتكم أكثر من ذنبهم، أخذوا منكم ».

قال : أفرأيت سبنا إياهم، قال : « يوزن ذنبهم وأذاكم إياهم، فإن كان أذاكم أكثر، اعطوا منكم » قال الرجل : ما أسمع عدواً أقرب إلي منهم.

---

(١) سورة التحريم آية رقم ٦.

(٢) هناك أحاديث كثيرة في الإحسان إلى المماليك من ذلك أن الإمام مسلم جاء في كتاب الإيمان ٨ باب صحبة المماليك وكفارة مَن لطم عبده بعدّة أحاديث (١٦٥٧) بسنده عن ابن عمر (١٦٥٨) بسنده عن معاوية بن سويد وأيضاً عن هلال بن يساف وغيرهم.

فتلا رسول الله (ﷺ) : ﴿ **وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون وكان ربك بصيراً** ﴾[1] فقال الرجل : أرأيت يا رسول الله ولدي أضربه، قال : إنك لا تتهم في ولدك. لا تطيب نفساً تشبع وتجوع وتكتسي وتعرى.

عن زياد بن أبي زياد (رضي الله عنه) قال : جاء رجل فقال : يا رسول الله إن لي مالاً وإن لي خدماً وإني أغضب فأعزم وأشتم وأضرب، فقال رسول الله (ﷺ) : « توزن ذنوبه بعقوبتك، فإن كانت سواء، فلا لك ولا عليك. وإن كانت العقوبة أكثر، فإنما هو شيء يؤخذ من حسناتك يوم القيامة ». فقال الرجل : أوه أوه يؤخذ من حسناتي. قال : فحسبت ماذا ؟ ألم تسمع إلى قول الله (عز وجل) : ﴿ **ونضع الموازين القسط ليوم القيامة** ﴾[2]

فحديث ابن عمر (رضي الله عنهما) : « لا تضربوا الرقيق » محمول على أنه لا يضربه للتشفي من غيظه، فإنه لا يدرى ما يوافق الضربة من أعضائه. فربما وقعت على عين ففقأها. وربما وقعت على عضو فكسره. وربما وقعت على صدر أو خاصرة فقتل. أما التأديب لله تعالى فهو تقويم للملوك، وهو مأجور عليه. وقد قال (ﷺ) : « كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته »[3].

---

(١) سورة الفرقان آية رقم ٢٠.

(٢) سورة الأنبياء آية رقم ٤٧.

(٣) الحديث رواه الامام البخاري في كتاب الجمعة ١١ باب الجمعة في القرى والمدن ٨٩٣ ـــ عن الزهري قال أخبرنا سالم بن عبدالله عن ابن عمر ـــ رضي الله عنه ـــ أن رسول الله ﷺ قال: وذكره وفي كتاب الجنائز ٣٢ والوصايا ٩ والعتق ١٧، ١٩ والنكاح ٨١، ٩٠ والأحكام ١ ورواه الامام مسلم في كتاب الامارة، ٥ باب فضيلة الامام العادل وعقوبة الجائر والحث على الرفق بالرعية، ٢٠، (١٨٢٩) حدثنا الليث عن نافع عن ابن عمر عن النبي ﷺ وذكره، وأبو داود في كتاب الامارة ١، ١٣ والامام الترمذي في كتاب الجهاد ٢٧، وأحمد بن حنبل في المسند ٢ : ٥، ٥٤، ٥٥، ١٠٨، ١١١، ١٢١ (حلبي).

ومن أدب لله تعالى فمات في ذلك الأدب، لم يؤاخذ به، إذا كان ذلك حداً معلوماً، فضربه ولم يجاوز ولم يتعد فيه.

وروي عن رسول الله (ﷺ) أنه قال : « من لاءمكم من رقيقكم فأطعموهم مما تطعمون واكسوهم مما تكتسون ومن لا فبيعوهم ولا تعذبوا خلق الله »[1].

فالضرب المحمود ما كان لله تعالى، والضرب المحجور ما كان للنفس. والناس في هذا على طبقات، فمن كان قلبه لله تعالى، أمكنه أن يؤدبه في أمر الدنيا والآخرة لله تعالى. ومن لم يكن قلبه لله تعالى وكان الغالب عليه هواه ونفسه، لم يمكنه أن يضربه إلا في أمر الدين فقط، حتى يكون لله تعالى.

وأما في أمر الدنيا من ضر أو نفع، فلا قوام له في تأديبه؛ لأنه إنما يغضب لنفسه. ألا ترى أنه لما ارتفعت التهمة في شأن الولد ذهب القصاص؛ لأن ذلك لله تعالى، وذهب نصيب النفس، وكذا اليتيم.

وعن بلال (رضي الله عنه) قال : قال رجل : يا رسول الله إن في حجري يتيماً أفأضربه ؟ قال : نعم مما تضرب منه ولدك.[2]

---

(١) رواه أحمد والطبراني وقال صاحب مجمع الزوائد : فيه عاصم بن عبيد الله وهو ضعيف.

(٢) من ذلك الحديث الذي رواه الإمام مسلم في كتاب الايمان ٣٨ (١٦٦١) بسنده عن أبي ذر ـــ رضي الله عنه ولفظه : « هم إخوانكم جعلهم الله تحت أيديكم فأطعموهم ممّا تأكلون وألبسوهم ممّا تلبسون ولا تكلّفوهم ما يغلبهم فإن كلّفتموهم فأعينوهم ».

الأصل الثاني عشر

في تعجيل إعطاء اجرة الأجير

عن أنس بن مالك (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (ﷺ) : أعط الأجير أجره من قبل أن يجف عرقه. وذلك أن أجرته عمالة جسده[1].

وجاء عن رسول الله (ﷺ) فيما يُحكَى عن الله (عزّ وجلّ) أنه قال : ثلاثة أنا خصمهم، ومن كنت خصمه خصمته: من باع حراً وأكل ثمنه، أو ظلم أجيراً أجره، أو ظلم امرأة مهرها[2].

فهؤلاء كلهم أحرار، وهي أثمان نفوسهم، فخصمهم مالكهم، فلذلك أمر بتعجيل أجره لأنه عجل منفعته. ومن شأن الباعة إذا سلموا المبيع قبضوا الثمن عند التسليم. فهذا أحق وأولى إذ كان ثمن مهجته لا ثمن سلعته.

---

(١) الحديث رواه ابن ماجة في كتاب الرهون ٤ باب أجر الأجراء ٢٤٤٣ ثنا وهب بن سعيد ابن عطية السلمي ثنا عبد الرحمن بن زيد بن أسلم عن أبيه عن عبدالله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: وذكره.

في الزوائد: أصله في صحيح البخاري وغيره من حديث أبي هريرة، لكن إسناده ضعيف، وهب بن سعيد، وعبد الرحمن بن زيد ضعيفان.

(٢) الحديث رواه ابن ماجه في كتاب الرهون ٤ باب الأجراء ٢٤٤٢ ثنا يحيى بن سليم، عن إسماعيل بن أمية عن سعيد بن أبي سعيد المقبري عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: وذكره.

الأصل الثالث عشر

في العين المؤمنة إذا رأت منكراً

عن الحسين بن علي (رضي الله عنهما) قال : قال رسول الله (ﷺ) : « لا ينبغي لعين مؤمنة ترى أن يعصي الله تعالى فلا تنكر عليه »[1].

فالإيمان قد اشتمل على الجوارح السبع اللائي أخذ عليهن العهد والميثاق وائتمن العبد عليهن، ووكل برعايتهن. ومستقره في القلب. والشهوة في النفس. وسلطانها في الصدر. ثم يتأدى إلى هذه الجوارح السبع. فمن صدق الإيمان أن يكون سلطان كل جارحة منطفئاً بما اشتمل عليه من سلطان الإيمان. فإذا كان كذلك، فقد ملك نفسه، فلا يستعمل شهوة بجارحة من الجوارح السبع، إلا فيما أذن الله له فيه. وإذا رأى غيره يستعملها فيما لم يأذن به الله، أنكره. والإنكار على ثلاثة منازل : فمنكر بقلبه ولسانه ويده، ومنكر بقلبه ولسانه، ومنكر بقلبه.

وروي ذلك عن رسول الله (ﷺ) أنه قال : « الجهاد ثلاثة : جهاد باليد واللسان والقلب، وجهاد بالقلب واللسان، وجهاد بالقلب وذلك

---

(١) يؤيّده حديث الرسول — ﷺ —: مَن رأى منكم منكراً فليغيّره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان ».

أضعف الإيمان »[1]. فأول ما يكل جهاد اليد ثم جهاد اللسان ثم جهاد القلب، حتى لا ينكر منكر.

عن ابن مسعود (رضي الله عنهما) قال : قال رسول الله (ﷺ) : « ما كان لله نبيّ إلا وله حواريون يهدون بهديه ويستنون بسنته ثم يكون من بعده خلوف يقولون ما لا يفعلون، ويعملون ما ينكرون فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن وليس وراء ذلك مثقال حبة من الإيمان »[2]

وهو كما وصف رسول الله (ﷺ) عن شأن بني إسرائيل حين أحدثت الملوك في دينهم الأحداث، وأن أهل الهدى صاروا ثلاث فرق، وقد ذكرنا ذلك في الأصل الخامس في الحديث الذي نهى عن القزع فيه.

وروي عن رسول الله (ﷺ) أنه قال : « ليس لمؤمن أن يذل نفسه ». قالوا : وكيف يذل نفسه ؟ قال : « يتكلف من البلاء ما لا يطيق »[3].

معناه : إذا علم أنه إن غير المنكر على القوي ابتلى به كفّ عنه وأنكر بقلبه. لأن ما يفسد أكثر مما يصلح.

---

(١) لم نعثر على لفظ هذا الحديث وإن كان هناك من الأحاديث ما يؤيّده في معناه.

(٢) الحديث رواه الامام مسلم في كتاب الايمان ٢٠ باب بيان كون النهي عن المنكر من الايمان، وأن الايمان يزيد وينقص، وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان: ٨٠ عن الحارث، عن جعفر بن عبدالله بن الحكم عن عبد الرحمن بن المسور، عن أبي رافع عن عبدالله بن مسعود وذكره.

(٣) الحديث رواه ابن ماجة في كتاب الفتن ٢١ باب قوله تعالى: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم** ﴾ ٤٠١٦ عن علي بن زيد عن الحسن عن جندب، عن حذيفة قال: قال رسول الله ﷺ: وذكره.

عن أبي أمية الشعباني (رضي الله عنه) قال : سألت أبا ثعلبة الخشني عن هذه الآية : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم** ﴾[1] فقال لي : لقد سألت عنها خبيراً، سألت عنها رسول الله (ﷺ) فقال : « يا أبا ثعلبة ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر فإذا رأيت دنيا مؤثرة وشحاً مطاعاً وإعجاب كل ذي رأي برأيه فعليك نفسك فإن من بعدكم أيام الصبر المتمسك يومئذ بمثل الذي أنتم عليه له كأجر خمسين عاملاً » قالوا : يا رسول الله كأجر خمسين عاملاً منهم. قال : « لا. بل منكم »[2].

وقال رسول الله (ﷺ) : « المتمسك بسنتي عند اختلاف أمتي كالقابض على الجمر »[3].

---

(١) سورة المائدة آية رقم ١٠٥.

(٢) الحديث رواه ابن ماجه في كتاب الفتن ٢١ باب قوله تعالى: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم** ﴾ ٤٠١٤ ــ عن عمرو بن جارية عن أبي أمية الشعباني قال: أتيت أبا ثعلبة الخشني قال: قلت ما تصنع في هذه الآية قال: سألت عنها خبيراً سألت عنها رسول الله ﷺ فقال: وذكره. ورواه الترمذي في كتاب التفسير سورة، ٥ : ١٧، وأبو داود في الملاحم ١٧.

(٣) الحديث رواه الترمذي في كتاب الفتن باب ٧٣، ٢٢٦٠ بسنده عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: وذكره.

وقال الترمذي: هذا حديث غريب من هذا الوجه، وعمر بن شاكر شيخ بصري قد روي عنه واحد من أهل العلم، ورواه ابن ماجه في كتاب الفتن وأبو داود في كتاب الملاحم ١٧ وأحمد بن حنبل في المسند ٢ : ٣٩٠، ٣٩١ (حلبي).

الأصل الرابع عشر

في سرّ قوله ﷺ : لا تأمنن على أحد بعدي

عن أبي عبيدة بن الجراح (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (ﷺ) : « يا أبا عبيدة لا تأمنن على أحد بعدي ».

كان رسول الله (ﷺ) مأمن الخلق ومفزعهم، له عطف الآباء، وشفقة الأمهات، ورحمة الوالدات، وشهد الله له في تنزيله أعظم شهادة، فقال (عز من قائل) : ﴿ **عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم** ﴾[1] قد حشي بالرأفة والرحمة والنصيحة لله تعالى في خلقه. واستنار قلبه بنور الله تعالى، فدقت الدنيا بما فيها في عينه، وصغر عنده بذل نفسه لله في جنب الله، فكان مفزعاً، وكان مأمناً، وكان غياثاً، وكان رحمة، وكان أماناً. فأما المفزع فقال في تنزيله (عز من قائل) : ﴿ **ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توّاباً رحيماً** ﴾[2].

---

(١) سورة التوبة آية رقم ١٢٨.

(٢) سورة النساء آية رقم ٦٤.

وفي المأمن قوله (عزّ وجلّ) : ﴿ **ما ضلّ صاحبكم وما غوى * وما ينطق عن الهوى ...** ﴾[1].

وفي الغياث قوله تعالى : ﴿ **وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها ...** ﴾[2]

وفي الرحمة قوله تعالى : ﴿ **وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين** ﴾[3].

وفي الأمان قوله تعالى : ﴿ **وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم ...** ﴾[4].

وليس لأحد بعد الرسول (ﷺ) هذا المقام صديقاً كان أو فاروقاً أو أميناً. فلذلك قال : « لا تأمنن على أحد بعدي » أي كأمنك عليَّ. فليس لمن بعده عصمة الرسل (عليهم السلام). ألا ترى أن أبا بكر (رضي الله عنه) خطب الناس فقال : إن لي شيطاناً يعتريني، فاجتنبوني إذا غضبت، لا أؤثر في أشعاركم وأبشاركم، وإذا زغت فقوموني.

وقيل لرسول الله (ﷺ) حيث قال : « ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الشيطان » قالوا : ومعك يا رسول الله ؟ قال : « ومعي ولكن الله أعانني عليه فأسلم »[5] وكان الله عصمه وأقامه على أدب القرآن وقال : ﴿ **وإنك لعلى خلق عظيم** ﴾[6].

---

(١) سورة النجم الآيتان رقم ٢ و٣.

(٢) سورة آل عمران آية رقم ١٠٣.

(٣) سورة الأنبياء آية رقم ١٠٧.

(٤) سورة الأنفال آية رقم ٣٣.

(٥) الحديث رواه الامام مسلم في كتاب صفات المنافقين وأحكامهم ١٦ باب تحريش الشيطان وبعثه سراياه لفتنة الناس وأن مع كل إنسان قريناً ٦٩ (٢٨١٤) عن منصور عن سالم بن أبي الجعد عن أبيه عن عبدالله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: وذكره.

(٦) سورة القلم آية رقم ٤.

وروي عنه (ﷺ) أنه أراد قتل بعض المشركين العتاة، وكان أمرهم أن يقتلوه وإن وجدوه متعلقاً بأستار الكعبة، فجاء به عثمان (رضي الله عنه) يسأل له الأمان، فسكت رسول الله (ﷺ) ثم سأله فسكت، ثم سأله ثالثة فأعطاه الأمان. وقال : انتظرت أن يقوم أحدكم فيضرب عنقه. قالوا : فهلا أومأت يا رسول الله. قال : « إنه لا ينبغي لنبي أن يكون له خائنة عين »[1].

وعن جابر بن عبدالله الأنصاري (رضي الله عنه) قال : كان رسول الله (ﷺ) لا يلتفت وراءه إذا مشى، وربما تعلق رداؤه بالشيء أو بالشجر، فلا يلتفت حتى يضعوه عليه، لأنهم كانوا يمزحون ويضحكون فكانوا قد أمنوا التفاته.

عن هند بن أبي هالة قال : كان رسول الله (ﷺ) إذا التفت، التفتوا جميعاً.

---

(١) الحديث رواه أبو داود في كتاب الحدود ٤٣٥٩ ـــ ثنا أحمد بن المفضل ثنا أسباط بن نصر قال: زعم السدي، عن مصعب بن سعد، عن سعد قال: لما كان فتح مكة اختبأ عبدالله بن سعد بن أبي السرح عن عثمان بن عفان فجاء به حتى أوقفه على النبي ﷺ فقال: يا رسول الله بايع عبدالله، فرفع رأسه فنظر إليه ثلاثاً، كل ذلك يأبى فبايعه بعد ثلاث ثم أقبل على أصحابه فقال: أما كان فيكم رجل رشيد يقوم الى هذا حيث رآني كففت يدي عن بيعته فيقتله: فقالوا: ما ندري يا رسول الله ما في نفسك ألّا أومأت الينا بعينك.. ؟ قال: وذكره. ورواه في الجهاد ١١٧ والنسائي في التحريم ١٤.

الأصل الخامس عشر

في تحقيق التهديد على زوارات القبور

عن عبد الله بن عمرو بن العاص (رضي الله عنهما) قال : قبرنا مع رسول الله (ﷺ) يوماً. فلما انصرف رسول الله (ﷺ)، انصرفنا معه. فلما حاذى بابه وقف وتوسط الطريق، فإذا هو بامرأة مقبلة لا نظنه عرفها. فلما دنت إذا هي فاطمة. فقال لها رسول الله (ﷺ) : ما أخرجك يا فاطمة من بيتك ؟ قالت : أتيت أهل هذا الميت فرحمت إليهم ميتهم أو عزيتهم ــ لا يحفظ ربيعة أي ذلك ــ قال : فقال لها رسول الله (ﷺ) : فلعلك بلغت معهم الكدا. قالت : معاذ الله وقد سمعتك تذكر فيهم ما تذكر. قال : لو بلغت معهم الكدا، ما رأيت الجنة حتى يراها جدك أبو أبيك »[1].

قال قتيبة : الكدا المقبرة. بعث الله محمداً (ﷺ) بمحو آثار الجاهلية. وكان من شأنهم إذا مات لهم ميت أن يخمشوا الوجوه، وينتفوا

---

(١) الحديث رواه أبو داود في كتاب الجنازة ٣١٢٣ عن ربيعة بن سيف المعافري عن أبي عبد الرحمن الحبلي عند عبد الله بن عمر بن العاص قال : وذكره ورواه النسائي في الجنائز ٢٧ وأحمد بن حنبل في المسند ٢ : ١٦٩ (حلبي).

الشعور، ويشقوا الجيوب، ويخرقوا البيوت. فقال رسول الله (ﷺ) : « ليس منا من حلق أو خرق أو سلق »[1].

ولعن في حديث آخر ناشرات الشعور، واللاتي ينعون بأصوات الحمير، ونهاهم عن زيارة القبور لحداثة عهدهم بالكفر، لما في زيارة القبور من الفتنة حتى إستحكم إسلامهم، وصاروا أهل يقين وبر وتقوى، وصارت القبور لهم معتبراً بعد أن كان مفتتناً خلى عنهم. وقال (ﷺ) : « كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فإن لكم فيها معتبراً »[2]

وسكت عن ذكر النساء لضعفهن ورقتهن وسرعة افتتانهن. وقال (ﷺ) : « ما رأيت من نواقص عقول ودين أغلب للرجال منهن ». فقيل : ما نقصان عقولهن ودينهن يا رسول الله ؟ قال : أما نقصان عقولهن فشهادة امرأتين بشهادة رجل، وأما نقصان دينهن فترك الصلاة والصوم في الحيض »[3].

(١) قال صاحب مجمع الزوائد: رواه البزار عن جابر ورجاله ثقات، ورواه أبو يعلى أيضاً، ومعناه ليس من أهل سنتنا من حلق شعره عند المصيبة ورفع صوته عندها.

(٢) رواه الامام أحمد عن أبي سعيد الخدري، ورجاله رجال الصحيح وعن أم سلمة ــ رضي الله عنها ــ قالت: قال رسول الله ﷺ وذكره، رواه الطبراني في الكبير وفيه يحيى بن المتوكل وهو ضعيف.

(٣) رواية البخاري في كتاب الحيض ٦ باب ترك الحائض الصوم ٣٠٤ أخبرنا محمد بن جعفر قال: أخبرني زيد هو ابن أسلم عن عياض بن عبدالله عن أبي سعيد الخدري، قال : خرج رسول الله ﷺ في أضحى ــ أو في فطر ــ الى المصلي ــ فمر على النساء فقال: وذكره. ورواه أيضاً في الشهادات ١٢، ورواه ابن ماجة في كتاب الفتن ١٩ باب فتنة النساء بسنده عن عبدالله ابن عمر ــ رضي الله عنه ــ وذكره.

وبايعهن رسول الله (ﷺ) يوم فتح مكّة على ما نطق به التنزيل من قوله تعالى : ﴿ **ولا يعصيننّك في معروف فبايعهن** ﴾[1].

وأخذ رسول الله (ﷺ) في البيعة أن لا ينحن. عن أم عطية (رضي الله عنها) قالت : أخذ علينا رسول الله (ﷺ) في البيعة أن لا ننوح فما وفت منا امرأة إلا سبع نسوة منهن أم سليم. وكان رسول الله (ﷺ) يمنعهن عن حضور الجنائز. وفي حديث بكار بن عبد العزيز بن أبي بكرة عن أبيه، عن جده أن رسول الله (ﷺ) رأى نسوة في جنازة، فقال لهن : ارجعن مأزورات غير مأجورات[2].

عن أنس (رضي الله عنه) قال : خرجنا مع رسول الله (ﷺ) في جنازة، فرأى نسوة فقال : أتحملنه ؟ قلن : لا. قال : أتدفنه ؟ قلن : لا. قال : فارجعن مأزورات غير مأجورات.

عن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال : « لعن رسول الله (ﷺ) زوارات القبور والمتّخذين عليها المساجد والسرج »[3]. فبقي الخطر عليهن إلى آخر الدهر. فإن تخلت امرأة عن هذه الأمور فأتت قبراً لترمه أو تسلم أو تدعو أو تعتبر وقد أمنت ناحية نفسها ذلك وماتت شهوتها، وإنقطعت فتنتها، فهي خارجة من النهي.

---

(١) سورة الممتحنة آية رقم ١٢.

(٢) الأثر: رواه أبو يعلى، عن أنس بن مالك، وفيه الحارث بن زياد قال الذهبي: ضعيف.

(٣) الحديث رواه ابن ماجة في كتاب الجنائز ٤٩ باب ما جاء في النهي عن زيارة النساء القبور ١٥٧٤ ــ حدثنا أبو كريب، ثنا عبيد بن سعيد وحدثنا محمد بن خلف العسقلاني، ثنا الفريابي وقبيصة كلهم عن سفيان عن عبدالله بن عثمان بن خيثم عن عبد الرحمن بن بهمان عن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت عن أبيه. قال: وذكره.
في الزوائد: إسناد حديث حسان بن ثابت صحيح ورجاله ثقات.

وروي عن فاطمة رضي الله عنها أنها كانت تأتي قبر حمزة (رضي الله عنه) في كل عام فترمه وتصلحه.

وروي عن غير واحدة من النساء أنها كانت تأتي قبور الشهداء فتسلم عليهم. فأما مرمةِ القبر فلئلا يدرس أثره فينبش عنه؛ لأنه إذا ذهب أثره حفر عنه لميت آخر، ولأن المسلم على الأموات، وزائرهم يخفى عليه إذا ذهب رسمه فتبطل الزيارة، وهي حق من الحقوق، ليس كالذي يسلم من بعد.

عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (ﷺ) : « من زار قبر أبويه أو أحدهما في كل جمعة مرة غفر له وكتب برا »[1].

عن ابن عمر (رضي الله عنه) قال : من زار قبر أبويه أو أحدهما احتساباً كان كعدل حجّة مبرورة ومَن كان زواراً لهما زارت الملائكة قبره.

والتشديد الذي جاء في حديث فاطمة نراه في بدء الأمر، ولا نعلم ذلك يحرم الجنّة. لكن معناه أن مَن فعل ذلك كان يخاف عليه أن يسلبه الله الإسلام. فإذا سلبه لم ير الجنة أبداً. وأعظم نعمة لله تعالى على عبده الإسلام. وللإسلام سنن ومنار كمنار الطريق. فإذا عمل عملاً يكون فيه إحياء سنن الجاهلية التي أطفأها الله تعالى بسيف رسول الله (ﷺ)، فقد كفر منّة الإسلام. والكفور ممقوت، غير مأمون عليه السلب. فكان إتيان المقابر من سنن الجاهلية، فغلظ الزجر لتموت تلك السنن.

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط والصغير عن أبي هريرة، وفيه عبد الكريم أبو أمية وهو ضعيف.

الأصل السادس عشر

في أن الورود في النار الدخول

عن جابر بن عبدالله (رضي الله عنه) قال : سمعت رسول الله (ﷺ) يقول : « الورود الدخول لا يبقى برّ ولا فاجر إلا دخلها فتكون على المؤمنين برداً وسلاماً كما كانت على إبراهيم (عليه السلام) حتى ان للنار ضجيجاً من بردهم ﴿ **ثم ينجي الله الذين اتقوا، ويذر الظالمين فيها جثياً** ﴾(1).

كأن الله تعالى أحب أن يجعل ممر المؤمنين فيها كي إذا نجوا منها، علموا من أين نجوا. وليس الخبر كالمعاينة. وإذا وردوا دار السلام علموا أين حلوا. فالشيء إنما يعرف بضده ويعظم قدره. ولذلك قالوا عند دخول الجنة: الحمدلله الذي أذهب عنا الحزن. أي حزن قطع النيران التي خلص منها وجعلها برداً وسلاماً. وعلموا أنهم لم يحلوا دار المقامة إلا من فضله. وانهم لم يستوجبوا ذلك منه. وكأنه (عز وجل) أحب أن يبرز فضل الصادقين وبذلهم أنفسهم له، وليأخذ بحقه من الطبقة التي آثرت شهوات نفوسها بتضييع الحق، وهم أهل لا إله إلا الله، حتى تنتقم النار

---

(1) سورة مريم آية رقم ٧٢. والحديث ذكره السيوطي في الدر المنثور ونسبه الى أحمد بن

منهم مدة ثم تدركهم رحمة الله، وقد محصوا ونقوا وصلحوا لدار السلام. وليجوز الصادقون وهم لا يشعرون بالنار. قال الله تعالى : ﴿ **إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون** ﴾[١]

وإنما بعدوا عنها لأن نور الإيمان وبرد اليقين احتملهم واحتواهم فهم يمضون في النار، حتى إذا اخرجوا منها قال بعضهم لبعض : أليس قد وعدنا ربنا أن نرد النار ؟ قالوا : بلى، ولكن مررتم بها وهي خامدة. لأن الرحمة أظلتهم حتى أشرف نور الإيمان في قلوبهم. فخمدت النار من برد يقينهم. ولذلك نسب البرد إلى المؤمنين. وأما ضجة النار فمن أجل أنها خلقت منتقمة من أهل الغفلة، وحشيت بغضب الله. فإذا جاء المؤمن بنوره وبرده ضجت النار مخافة أن تبرد فتضعف عن الانتقام.

عن يعلى بن منبه (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (ﷺ) : « إن النار لتنادي : جِزْ يا مؤمن فقد أطفأ نورك لهبي »[٢].

والنجاة من الله تعالى للعبد في هذا الموطن على قدر محله عنده. ومحله على قدر ما مَنَّ الله عليه من المعرفة به وهو اليقين الذي جعل له من ذلك حظاً.

عن السدي، عن عبدالله (رضي الله عنه)، عن رسول الله (ﷺ)،

حنبل، وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم، والحاكم وصححه وابن مردويه والبيهقي في البعث عن أبي سمية.

(١) سورة الأنبياء آية رقم ١٠١.

(٢) الحديث رواه الترمذي في كتاب تفسير القرآن باب ٢٠ ومن سورة مريم ٣١٥٩ عن اسرائيل عن السدي قال سألت مرة الهمداني عن قول الله عز وجل ﴿ **وإن منكم إلا واردها** ﴾ فحدثني أن عبدالله بن مسعود حدثهم قال: قال رسول الله ﷺ وذكره وقال الترمذي: هذا حديث حسن رواه شعبة عن السدي فلم يرفعه، ورواه الدارمي في الرقاق ٨٩ وأحمد بن حنبل في المسند ١ : ٤٣٣، ٤٣٥ (حلبي).

أنه قال : « يرد الناس النار ثم يصدرون عنها بأعمالهم فأولهم كلمح البرق، ثم كالريح ثم كحضر الفرس، ثم كالراكب في رحلة، ثم كشد الرجل، ثم كمشيه، ثم كحبوه »[1].

وإنما ذكر الأعمال لأنها ظاهرة. والظاهرة محنة الباطن وما في القلوب غيب إلا عن خالق الغيب. والظاهر شاهد ينبئ عما في الباطن.

(١) حبا الصبي على استه زحف وبابه عدا وحباه يحبوه حبوة.

الأصل السابع عشر

في أن الدنيا أسحر من هاروت وماروت

عن عبدالله بن بسر المازني (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (ﷺ) : « اتقوا الدنيا فوالذي نفسي بيده أنها لأسحر من هاروت وماروت »[1].

هاروت وماروت ليسا من جنس الآدميين. والشيء إنما يألف جنسه. والآدمي خلق من الدنيا فهو يألفها وينخدع لها. وهاروت وماروت لا يعلمان أحداً السحر حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر.

فهذا يعلمك سحره وينبئك فتنته. والدنيا تعلمك سحرها وتكتمك فتنتها، وتدعوك إلى التحارص عليها والجمع لها والمنع منها. فيتعلم منها ما يفرق بينه وبين طاعة الله، وبينه وبين رؤية الحق ورعايته، ومحبتها

(١) رواه ابن أبي الدنيا، ومن طريقة البيهقي عن أبي الدرداء، قال الذهبي لا ندري من أبو الدرداء، وأقول الظاهر: إنه الصحابي فليتأمل ثم رأيت النجم قال: رواه البيهقي عن أبي الدرداء الرهاوي مرسلاً انتهى فإن ثبت فهو غير الصحابي قطعاً، ووصله بعضهم عن رجل من الصحابة والحديث ضعيف كما قال المناوي، ورواه أحمد في الزهد عن مصعب بن سعد مرسلاً بلفظ: « احذروا الدنيا فإنها خضرة حلوة ».

تلذذك بشهواتها، وتمنيك بأمانيها الكاذبة حتى تأخذ بقلبك. ولهذا قال رسول الله (ﷺ) : « حبك الشيء يعمي ويصم »[1].

فمن أحب الدنيا أعمته وأصمته عن آخرته. ومن أحب الآخرة أعمته وأصمته عن دنياه. ومن أحب نفسه أعمته وأصمته عن الله. ومن أحب الله أعماه وأصمه عن نفسه. فإن الدنيا تحجب عن الآخرة، والنفس تحجب عن الله، ودنياه إنما هي نفسه وشهواتها، فسحرها أقرب إليه من سحر هاروت وماروت. فسحر نفسه ودنياه أصلي، وسحر هاروت وماروت دخيل. وليس الدخيل كالأصلي.

---

(١) قال في المقاصد: رواه أبو داود، والعسكري عن أبي الدرداء مرفوعاً وموقوفاً والوقف أشبه، وفي سنده ابن أبي مريم ضعيف، ورواه أحمد عن ابن أبي مريم فوقفه، والرفع اكثر ولم يصب الصنعاني حيث حكم عليه بالوضع، وكذا قال العراقي: إن أبي مريم لم يتهمه أحد بكذب، إنما سرق له حلي فانكر عقله.

الأصل الثامن عشر

في كيفية الاحتراز عن الشيطان

عن أبي هريرة (رضي الله عنه)، عن رسول الله (ﷺ) قال : « إن المؤمن ينضى شيطانه كما ينضى أحدكم بعيره في السفر »[1].

فالمؤمن قد وكل به قرينه من الشيطان. وإنما يحترز منه بالله تعالى. فإذا اعترض لقلبه، احترز بمعرفته. وإذا اعترض لنفسه وهيأ شهواته، احترز بذكر الله (عز وجل). وإذا اعترض لاموره وأحواله، احترز باسمه، فهو أبداً نضو[2] وقيد زجر به. فالبعير يتجشّم في سفره أثقال حمولته، ومع ذلك النصب يجوع ويظمأ. ومع ذلك مراعي مختلفة ومياه رنقة[3] غير عذبة. فإنما صار نضواً بهذه الأحوال. فكذلك شيطان المؤمن يتجشم

---

(١) الحديث رواه الامام أحمد في المسند ٢ : ٣٨٠ حدثنا عبدالله حدثني أبي، حدثنا قتيبة ابن سعيد قال: حدثنا ابن لهيعة عن موسى بن وردان عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: وذكره وفيه (شياطينه) بدلاً من شيطانه.

(٢) النضو: بالكسر البعير المهزول والناقة (نضوة) وقد أنضتها الأسفار فهي (منضاة). وأنضى بعيره هزله، ونضا ثوبه خلقه ونضا سيفه سله، وبابهما عدا.

(٣) ماء رنق بالتسكين أي كدر، والرنق بفتحتين مصدر رنق الماء من باب طرب، وأرنقه غيره ورنّقه أي كدَّره، وعيش رنق أي كدر وورنق السيف: ماؤه وحسنه. ومنه رونق الضحى.

أثقال غيظه من المؤمن لما يرى من الطاعة والوفاء لله تعالى. وإذا أراد أن يشركه في طعامه وشرابه ولباسه ومنامه ومجلسه ومتصرف أحواله، زجره وطرده عنه بالتسمية، فوقف منه بمزجر الكلب ناحية. فإذا أراد أن ينفره عنه نطق بالوحدانية وهي الكلمة العليا التي يهتز العرش لها، فقال : لا إله إلا الله. فإذا سمعها انتكس فصار أعلاه أسفله، وولى على وجهه هارباً إلى رسه. وذلك قوله (عز وجل) : ﴿ **وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على أدبارهم نفوراً** ﴾[1].

روي عن أبي الجوزاء أنه قال : « ليس شيء أطرد له من القلب من قول : لا إله إلا الله ». ثم تلا ﴿ **وإذا ذكرت ربك في القرآن...** ﴾ الآية.

عن عمرو بن مالك (رضي الله عنه) قال : قرأت في التوراة : إن سرّك أن تحيي وتبلغ علم اليقين فاحتل في كل حين أن تغلب شهوات الدنيا، فإنه من يغلب شهوات الدنيا، يفزع الشيطان من ظله.

عن سديسة مولاة حفصة (رضي الله عنهما) قالت : سمعت رسول الله (ﷺ) يقول : « ما لقي الشيطان عمر قط إلا خر لوجه »[2].

عن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)، عن رسول الله (ﷺ) أنه قال : « ما لقي الشيطان عمر في فج فيسمع صوته إلا أخذ في غيره »[3].

---

(١) سورة الفرقان آية رقم ٤٦.

(٢) رواه الطبراني في الكبير في ترجمة سديسة من طريق الأوزاعي عنها. قال الهيثمي: ولا نعلم الأوزاعي سمع أحداً من الصحابة. ورواه في الأوسط عن الأوزاعي عن سالم عن سديسة وهو الصواب وإسناده حسن إلا أن عبد الرحمن بن الفضل بن موفق لم أعرفه، وبقية رجاله وثقوا.

(٣) الحديث رواه الامام مسلم في كتاب فضائل الصحابة ٢ باب من فضائل عمر ــ رضي الله =

ومثل عمر (رضي الله عنه) في هذا الباب مثل أمير ذي سلطان وهيبة استقبله مريب، قد رفع إليه من ريبته أموراً شنيعة، وعرفه بالعداوة له، فانظر ماذا يحل بهذا المريب إذا لقيه. فإن ذهبت رجلاه فخر لوجهه فغير مستنكر.

= عنه ـ ٢٢ ـ (٢٣٩٦) حدثنا أبي عن صالح، عن ابن شهاب، أخبرني عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد أن محمد بن سعد بن أبي وقاص أخبره، أن أباه سعد قال: استأذن عمر على رسول الله ﷺ وعنده نساء من قريش يكلمنه ويستكثرنه عالية أصواتهن الخ وذكره. ولفظه عند مسلم: « والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان قط سالكاً فجاً إلا سلك فجاً غير فجك ».

ورواية الامام البخاري في كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ ٦ ـ باب مناقب عمر بن الخطاب أبي حفص القرشي العدوي ـ رضي الله عنه ـ ٣٦٨٣ عن صالح عن ابن شهاب عن عبد الرحمن بن زيد عن محمد بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه قال: وذكره. ورواه في كتاب الأدب ١١ وبدء الخلق ١١ وأحمد بن حنبل في المسند ١ : ١٧١.

الأصل التاسع عشر

في حقيقة الفقه وفضيلته

عن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال : قال رسول الله (ﷺ) : « أفضل العبادة الفقه وأفضل الدين الورع ».

وعن ابن عمر (رضي الله عنهما)، عن رسول الله (ﷺ) أنه قال : « ما عَبَدَ الله بشيء أفضل من فقه في دين »[1].

وروي عن أبي هريرة (رضي الله عنه)، عن رسول الله (ﷺ) أنه قال : « ما عَبَدَ الله بشيء أفضل من فقه في دين، ولفقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد، ولكل شيء عماد وعماد هذا الدين الفقه »[2].

---

(١) الحديث رواه البيهقي في الشعب بسند ضعيف عن ابن عمرو، قال النجم وعند ابن أحمد عن جابر ما عبدالله بشيء أفضل من حسن الظن قال ولا معارضة بينه وبين هذا لأن حسن الظن بالله من جملة الفقه في الدين.

(٢) هذا الحديث رواه الترمذي مختصراً ١٩ باب ما جاء في فضل الفقيه على العبادة. ٢٦٨١ حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا إبراهيم بن موسى أخبرنا الوليد بن مسلم حدثنا روح بن جناح عن مجاهد عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: وذكره. وقال الترمذي: هذا حديث غريب ولا نعرفه إلا من هذا الوجه من حديث الوليد بن مسلم. ورواه ابن ماجه في المقدمة ١٧ باب فضل العلماء والحث على طلب العلم.

والفقه هو انكشاف الغطاء عن الأمور. فإذا عَبَدَ الله بما أمر ونهى بعد أن فهمه وعقله وانكشف له الغطاء عن تدبيره فيما أمر ونهى، فهي العبادة الخالصة المحضة. وذلك أن الذي يؤمر بالشيء فلا يرى زين ذلك الأمر، وينهي عن الشيء فلا يرى شينه هو في عمى من أمره. فإذا رأى زين ما أُمر به وشين ما نهى عنه، عمل على بصيره، وكان قلبه عليه أقوى، ونفسه به أسخى، وحمد على ذلك وشكر. والذي يعمى عن ذلك فهو جامد القلب، كسلان الجوارح، ثقيل النفس، بطيء التصرف. والفقه مشتق من تفقؤ الشيء. يقال في اللغة فقأ الشيء إذا انفتح، وفقأ الجرح إذا انفرج عما اندمل، والاسم فقيء، والهاء والهمزة تبدلان تجزي إحداهما عن الأخرى، فقيل: فقيء وفقيه. والفهم هو العارض الذي يعرض في القلب من النور. فإذا عرض، انفتح بصر القلب، فرأى صورة ذلك الشيء، فالانفتاح هو الفقه، والعارض هو الفهم. وقد ذكر الله تعالى في تنزيله الفقه فقال: ﴿ **لهم قلوب لا يفقهون بها** ﴾(1).

فاعلم أن الفقه من عمل القلب. وقال رسول الله (ﷺ) للإعرابي حين قرأ عليه: ﴿ **فمَن يعمل مثقال ذرة خيراً يره * ومَن يعمل مثقال ذرة شراً يره** ﴾(2) فولى: وقال: حسبي حسبي. فقال (ﷺ): « فقه الرجل »(3).

وقال أبو الدرداء (رضي الله عنه): إنك لن تفقه حتى ترى للقرآن وجوهاً كثيرة. وان الله (عز وجل) كلف العباد أن يعرفوه، ثم اقتضاهم بعد المعرفة أن يدينوا له، فشرع لهم شريعة الحلال والحرام. والدين هو

---

(1) سورة الأعراف آية رقم ١٧٩.

(2) سورة الزلزلة آية رقم ٧، ٨.

(3) في مجمع الزوائد: عن صعصعة بن معاوية عم الفرزدق أنه أتى النبي ﷺ فقرأ عليه وذكره وفيه زيادة [لا أسمع غيرها] رواه الطبراني وأحمد مرسلاً ومتصلاً ورجال الجميع رجال الصحيح.

الخضوع. والدون مشتق من ذلك. وكل شيء اتضع فهو دون. فأمرت بأمور لتضع نفسك لمن اعترفت به رباً. فسمي ذلك الفعل وتلك الأمور ديناً. فمن فقه أسباب هذه الأمور التي أمر ونهى بماذا أمر ونهى، ورأى زين ما أُمر وبهاءه، وشين ما نهى، تعاظم ذلك عنده، وكبر في صدره شأنه، فكان أشد تسارعاً فيما أُمر، وأشد هرباً وامتناعاً مما نهى. فالفقه في الدين جند عظيم يؤيد الله تعالى به أهل اليقين الذي عاينوا محاسن الأمور ومشاينها. ومقدار الأشياء وحسن تدبير الله (عز وجل) لهم في ذلك بنور يقينهم ليعبدوه على يسر. ومن حرم ذلك، عبده على مكابدة وعسر؛ لأن القلب وإن أطاع وانقاد لأمر الله (عز وجل) فالنفس إنما تخف وتنقاد إذا رأى نفع شيء أو ضرر شيء. والنفس جندها الشهوات، وصاحبها محتاج إلى أضدادها من الجنود حتى يقهرها وهي الفقه.

قال له قائل : صف لنا واحدة من هذه الأمور نفهم بها غيرها. قال : نعم، أحل الله (عز وجل) النكاح وحرم الزنا وإنما هو إتيان واحد لامرأة واحدة، إلا أن هذا بنكاح وذاك بزنى. فإذا كان من نكاح، فمن شأنه العفة والتحصين للفرج. فإذا جاءت بولد، ثبت النسب وجاء العطف من الوالد بالنفقة والتربية والميراث. وإذا كان من زنا، ضاع الولد لأنه لا يدري أحد من الواطئين لمن هذا الولد. فهذا يحيله على ذلك، وذاك يحيله على هذا. وحرم الله (عز وجل) الدماء، وأمر بالقصاص ليتحاجزوا وليحيوا. وقال تعالى في تنزيله : ﴿ **ولكم في القصاص حياة** ﴾[1] إلى غير ذلك.

عن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (ﷺ) : « إذا أراد الله بعبد خيراً يفقهه »[2].

---

(١) سورة البقرة آية رقم ١٧٩.

(٢) رواه البيهقي عن أنس، ورواه البزار عن ابن مسعود بلفظ (إذا أراد الله بعبد خيراً فقهه في الدين وألهمه رشده).

وعن ابن عباس (رضي الله عنهما) عن رسول الله (ﷺ) أنه قال : « من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين »[1].

عن يوسف بن ماهك، قال : كان معاوية (رضي الله عنه) قليل الحديث عن رسول الله (ﷺ)، وقل ما قام خطيباً إلا قال : سمعت رسول الله (ﷺ) يقول : « من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين. يا أيها الناس تفقهوا »[2].

---

(١) رواه الإمام مسلم في كتاب الزكاة ٣٣ باب النهي عن المسألة ٩٨ ـــ (١٠٣٧) حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا زيد بن الحباب، أخبرني معاوية بن صالح، حدثني ربيعة بن يزيد الدمشقي عن عبدالله بن عامر اليحصبي قال: سمعت معاوية يقول: إياكم وأحاديث إلا حديثاً في عهد عمر، فإن عمر كان يخيف الناس في الله عز وجل، سمعت رسول الله ﷺ يقول: وذكره.

(٢) الحديث رواه صاحب الموطأ في كتاب القدر (٢) جامع ما جاء في أهل القدر ٨ وحدثني عن مالك، عن يزيد بن زياد، عن محمد بن كعب القرظي قال: قال معاوية بن أبي سفيان وهو على المنبر: وذكره وفيه (ثم قال معاوية سمعت هؤلاء الكلمات من رسول الله ﷺ. على هذه الأعواد).

الأصل العشرون

في حكمة قصر أعمار هذه الأمة

عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (ﷺ) : « عمر أُمتي من ستين سنة إلى سبعين »[1].

وقال (ﷺ) : « معترك المنايا ما بين الستين إلى السبعين »[2].

وقال (ﷺ) : « أقل أُمتي أبناء السبعين »[3].

---

(١) الحديث أخرجه الترمذي في كتاب الزهد ٢٣ باب ما جاء في فناء أعمار هذه الأمة ما بين الستين الى السبعين. ٢٣٣١ ـــ حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري. حدثنا محمد بن ربيعة عن كامل أبي العلاء عن أبي صالح عن أبي هريرة. قال: قال رسول الله ﷺ: وذكره. قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب من حديث أبي صالح عن أبي هريرة، وقد روي من وجه آخر عن أبي هريرة. وصححه الحاكم وقال على شرط مسلم، ورواه ابن عساكر، عن أبي هريرة وفي لفظ لأحمد والترمذي وابن ماجه وأبي يعلى والعسكري والقضاعي « معترك المنايا ما بين الستين الى السبعين ».

(٢) رواه الامام أحمد، والترمذي وابن ماجة، والعسكري، والقضاعي والرامهزمزي وغيرهم.

(٣) رواه الترمذي، والطبراني عن ابن عمر وأنس بلفظه وفي لفظ: الذين يبلغون السبعين، ولفظ الآخر: حصاد أمتي ما بين الستين الى السبعين ورواه الترمذي والطبراني عن ابن عباس مرفوعاً: إذا كان يوم القيامة نودي أين أبناء الستين وهو العمر الذي قال الله تعالى: ﴿ أولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير ﴾.

قال أبو عبدالله : من رحمة الله على هذه الأمة، وعطفه عليهم أخرهم في الأصلاب حتى أخرجهم إلى الأرحام، بعد أن نفدت الدنيا، ثم قصر أعمارهم لئلا يتلبسوا بالدنيا إلا قليلاً ولا يتدنسوا. فإن القرون الماضية كانت أعمارهم وأجسادهم وأرزاقهم على الضعف. كان أحدهم يعمر ألف سنة، وجسمه ثمانون باعاً بالباع الأول، والحبة من القمح مثل كلوة البقر، والرمانة الواحدة يجتمع عليها عشرة نفر، والعنقود مثله. فكانوا ما يتناولونه من هذه الدنيا بهذه الصفة على مثل تلك الأجساد في مثل تلك الأعمار. فمنها أشروا وبطروا واستكبروا، وأعرضوا عن الله (عز وجل)، فصب الله عليهم سوط عذاب على ما نطق به كتاب الله العزيز، ثم لم يزل الناس ينقصون في الخلق والخلق والأجل والرزق إلى أن صارت هذه الأمة آخر الأمم، حتى يأخذوا من الدنيا أرزاقاً قليلة، بأجساد ضعيفة، في مدة قصيرة، حتى لا يأشروا ولا يبطروا. فهذا تدبير من الله (عز وجل) رحمة لهذه الأمة. ثم ضوعف لهم الحسنات، فجعلت الحسنة الواحدة بعشرة إلى سبعمائة، إلى ما لا يعلمه من التضعيف إلا الله تعالى. وأيدوا باليقين، واعطوا ليلة القدر، فجعلت حسناتهم على ثلاث منازل، لأنهم ثلاثة أصناف : ظالمون، ومقتصدون، وسابقون. فالصنف الأول هم أهل تخليط، قوم موحدون لا يرعوون عن الحرام، ولا يحفظون حدود الله تعالى ﴿ **خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً** ﴾[1] فهم الظالمون، فالحسنة منهم بعشر أمثالها.

والصنف الثاني قوم متقون، قائمون على الحدود، وعلى سبيل الاستقامة، وهم المقتصدون، فالحسنة منهم بسبعمائة، لأن جوارحهم صارت مسبلة لله تعالى، قد استقامت على سبيل الله تعالى. فإذا أنفقوا من جوارحهم عملاً، كان بسبعمائة، كالذي ينفق ماله في سبيل الله، فهو

---

(١) سورة التوبة آية رقم ١٠٢.

بسبعمائة. ومما يحقق ذلك قوله (ﷺ) : « إذا حسن إسلام العبد تمم الله له عمله بسبعمائة ضعف »[1].

فقوله : « حسن إسلامه » هو أن يستقيم، ويكون مستقيم الطريق إلى ربه، لا يعرج يميناً وشمالاً، أي لا يعصى. فهذا ترفع أعماله من جوارح طاهرة، والأول من جوارح دنسة.

والصنف الثالث قوم أهل يقين، انتبهوا وحييت قلوبهم بالله (عز وجل)، وماتت منها الشهوات، وهم السابقون المقربون. قال الله تعالى في السابقين : ﴿ **ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير** ﴾[2]. فأعمالهم مضاعفة، لا يعلم تضعيفها إلا الله (عزّ وجلّ). وهو قول رسول الله (ﷺ) : « إن الرجل من أمتي ليبلغ وزن الحرف الواحد من تسبيحه زنة أُحد »[3].

وما روي عن ابن مسعود (رضي الله عنه) أنه قال : إن الرجل من هذه الأمة يعدل عمل يومه سبع سموات وسبع أرضين.

وما روي عن كعب (رضي الله عنه)، أن الرجل من هذه الأمة ليخرّ ساجداً، فيغفر لمَن خلفه، فكان كعب (رضي الله عنه) يتوخّى الصف الأخير من المسجد رجاء ذلك، ويذكر أنه وجده كذلك.

---

(١) لم نعثر على هذا الحديث على كثرة البحث والتقصّي.

(٢) سورة فاطر آية رقم ٣٢.

(٣) لم نعثر على هذا الحديث بهذا اللفظ ولعلّه من النوادر التي وضعها الحكيم الترمذي في مصنّفه.

الأصل الحادي والعشرون

في خصوصية هذه الأمة

عن ام الدرداء (رضي الله عنها) تقول : سمعت أبا الدرداء يقول : سمعت أبا القاسم (ﷺ) ــ يكنيه قبلها ولا بعدها ــ يقول : « إن الله (عز وجل) قال : يا عيسى إني باعث من بعدك أمة إن أصابهم ما يحبون حمدوا وشكروا. وإن أصابهم ما يكرهون، احتسبوا وصبروا. ولا حلم ولا علم. قال : يا رب وكيف يكون هذا لهم ولا حلم ولا علم ؟ قال : أعطيتهم من حلمي وعلمي »[1].

فهذه أمة مختصة بالوسائل من بين الأمم، محبوة بالكرامات، مقربة بالهدايات، محظوظة من الولايات، تولى الله هدايتهم وتأديبهم وتقريبهم، مسمون في التوراة صفوة الرحمن، وفي الإنجيل حكماء علماء أبرار أتقياء كأنهم من الفقه أنبياء، وفي القرآن أمة وسطا، أي عدلاً، وشهداء الله في الموقف للأنبياء (عليهم السلام) على الأمم، وخير أمة اخرجت للناس، والمنادون بجانب طور سيناء : يا أمة أحمد سبقت لكم رحمتي غضبي،

---

(١) الحديث رواه الامام أحمد في كتاب الزهد والطبراني في الكبير والمتوسط والسيوطي في الدر المنثور، والحاكم في المستدرك، والبيهقي في شعب الايمان عن ابي الدرداء ــ رضي الله عنه ــ ورواه صاحب جامع الشمل

أعطيتكم قبل أن تسألوني، وغفرت لكم قبل أن تستغفروني، وأجبتكم قبل أن تدعوني، وهو قوله تعالى : ﴿ **وما كنت بجانب الطور إذ نادينا** ﴾[1] ﴿ **أشداء على الكفار رحماء بينهم** ﴾[2] ﴿ **ومثلهم في الإنجيل كزرع أخرج شطأه ...** ﴾[3] الآية. غرّ محجلون، غر من السجود، محجلون من الوضوء، وهو قوله تعالى : ﴿ **سيماهم في وجوههم من أثر السجود** ﴾[4].

وعن عبدالله بن بشر المازني (رضي الله عنه) قال : قيل : يا رسول الله كيف تعرف أمتك يومئذ ؟ قال : أرأيت لو كان لأحدكم خيل دهم وفيها أغر محجل أما كان يعرفه ؟ قالوا : بلى يا رسول الله. قال : فإن أمتي يومئذ غر من السجود، محجلون من أثر الوضوء. سماهم الله مهاجرين وأنصاراً، هاجروا في ذاته الوطن والأهل والمال والولد، ونصروا الله تعالى : ثم من سار على منهاجهم بعدهم سماهم تابعين بإحسان. ثم جمعهم بالرضى عنهم فقال : ﴿ **والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه** ﴾[5] وجمعهم في استحقاق الفيء فقال : ﴿ **للفقراء المهاجرين ...** ﴾[6] إلى أن قال : ﴿ **والذين جاءوا من بعدهم...** ﴾[7].

وإنما نالوا هذه الكرامات بخطة واحدة. وهو أن الله تعالى هداهم

---

(١) سورة القصص آية رقم ٤٦.

(٢) سورة الفتح آية رقم ٢٩.

(٣) سورة الفتح آية رقم ٢٩.

(٤) سورة الفتح آية رقم ٢٩.

(٥) سورة التوبة آية رقم ١٠٠.

(٦) سورة الحشر آية رقم ٨.

(٧) سورة الحشر آية رقم ١٠.

لسبيله، وهو قوله تعالى : ﴿ **فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الألباب** ﴾[1].

وقال (ﷺ) : « أعطيت أمتي من اليقين ما لم يعط أمة ».

وقال : (ﷺ) : « ما من نبيّ إلا وقد أُعطي من الآيات ما على مثله آمن البشر. وإني لم أبعث بآية وإنما أوحى إلي وحياً، ثم أنا أكثر الأمم تبعاً »[2] قال له قائل : وما تلك الهداية ؟ قال : الهدى على ثلاثة منازل : هدى على ألسنة الرسل وهو البيان يدعوهم ويبين لهم، فتلك هداية الظاهر، وهو قوله تعالى : ﴿ **فأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى** ﴾[3] فإنما هداهم بالرسول (عليه السلام).

وهدى بالقلب يجعل فيه نوراً فيعرفه رباً واحداً وهو هدى التوحيد، وهو قوله تعالى : ﴿ **أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً** ﴾[4] فتلك هداية الباطن وهو الإيمان. قال الله تعالى : ﴿ **ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم** ﴾[5].

أعطاه نوراً لمعرفته بأنه واحد، ثم تركه مع مجاهدة نفسه في أمره ونهيه على سبيل الاستقامة ليثيبه الجنة. وإنما كان ذلك لأن الشهوات

---

(١) سورة الزمر آية رقم ١٨.

(٢) الحديث رواه الإمام مسلم في كتاب الايمان ٧٠ باب وجوب الايمان برسالة نبينا محمد ﷺ الى جميع الناس ونسخ الملل بملته ٢٣٩ ــ (١٥٢) حدثنا ليث عن سعيد بن أبي سعيد عن أبيه، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: وذكره. ورواه الإمام البخاري في كتاب الاعتصام ٧٢٧٣ بسنده عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ ورواه الإمام أحمد في المسند ١ : ٢٤، ٤٥١ (حلبي).

(٣) سورة فصلت آية رقم ١٧.

(٤) سورة الأنعام آية رقم ١٢٢.

(٥) سورة البقرة آية رقم ١٤٢.

أحاطت بقلبه، فلم تتركه على سبيل أهل الوفاء، حتى يكون له عبداً بجميع جوارحه في جميع منقلبه كما عرفه رباً، فيكون واقفاً عند أمره ونهيه، مراقباً لحدوده. فهذه هداية العامة. ولا ينال بهذا تلك الصفة التي ذكرت في التوراة والإنجيل والفرقان؛ لأن النفس بما فيها من الهوى غلبت على القلب، ولا تتركه على الاستقامة حتى تميل به يميناً وشمالاً.

وهدى على القلب وهو هدى الولاية والعصمة، وهي أن يقذف الله في قلب العبد نوراً وهو اليقين حتى يهتك حجب الشهوات التي تراكمت في صدره. فتصير الآخرة له كالمعاينة، وهو المراد بقوله تعالى : ﴿ **الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون** ﴾[1]. كما قال حارثة (رضي الله عنه) : كأني أنظر إلى عرش ربي بارزاً وإلى أهل الجنة كيف يتزاورون، وإلى أهل النار كيف يتعاوون فيها، وعزفت نفسي عن الدنيا، واستوى عندي حجرها ومدرها وذهبها وفضّتها. فقال رسول الله (ﷺ) : عرفت فالزم. عبد نور الله الإيمان في قلبه[2]. فهذا نور على نور. وذهبت ظلمات الشهوات من الصدر وهي التي كانت تحجبه عن الله تعالى ووعده ووعيده، وتزين له في صدره شهوات الدنيا، وهو قوله تعالى : ﴿ **والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين** ﴾[3].

هدى التوحيد شرط المجاهدة، وهي متقدمة عليها، وهدى الولاية حكم المجاهدة، فهي متأخرة عنها. وهذا الهدى نور يقذفه الله تعالى في القلب بعد المجاهدة، يستقر فيه وهو اليقين. فإنما سمي يقيناً لأنه استقر. فيمتلئ قلبه نوراً، ويشرق صدره به، فيتصور له الدنيا والآخرة وشأن

---

(١) سورة الأنعام آية رقم ٨٢.

(٢) سبق تخريج هذا الحديث.

(٣) سورة العنكبوت آية رقم ٦٩.

الملكوت في صدره، ويتصور له أمور الإسلام، حتى تذل النفس وتنقاد، وتلقي بيديها السلم من الخشية والهيبة والسلطان الذي حل بقلبه وفي صدره، وهو قوله تعالى : ﴿ **أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه** ﴾[١].

فشرح الصدر إنما يكون من النور الذي يستقر فيقال له نور اليقين. وأما نور التوحيد في القلب والصدر بتراكم دخان الشهوات مظلم كالليل وكالغيم وكالغبرة وكالدخان وكالقتار.

وهدى رابع على القلوب، وهو هدى النبوة، وهو نور وجهه الكريم يوصل قلوبهم إلى وحدانيته، ويشرق صدورهم بنوره، ويجعلهم في قبضته، ويرعاهم بعينه، ويؤيدهم بنور قدسه. قال الله تعالى : ﴿ **اجتبيناهم وهديناهم إلى صراط مستقيم** ﴾[٢] وقال : ﴿ **أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة** ﴾[٣] ثم قال : ﴿ **أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده** ﴾[٤].

وقال الله تعالى : ﴿ **قل إن هدى الله هو الهدى** ﴾[٥].

أي إن ذلك الذي على ألسنة الرسل غير نافع ولا مغيث، وإنما الهدى هداي الذي أهدي على القلوب، وإن كان ذاك أيضاً يسمى هدى، فهذا أحق الهدى. وهو كما روي عن رسول الله (ﷺ) : ليس الغنى عن كثرة العرض، ولكن الغني غنى النفس[٦].

(١) سورة الزمر آية رقم ٢٢.
(٢) سورة الأنعام آية رقم ٨٧.
(٣) سورة الأنعام آية رقم ٨٩.
(٤) سورة الأنعام آية رقم ٩٠.
(٥) سورة البقرة آية رقم ١٢٠.
(٦) رواه الشيخان وغيرهما عن أبي هريرة مرفوعاً، وللديلمي بلا سند عن أنس رفعه: الغنى =

وهدي الرسل (عليهم السلام) حجّة الله على خلقه، بأن يبيّن لهم على ألسنتهم ضلالة سبيلهم. ثم ذكر هدى هذه الأمة فقال : ﴿ **وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلّهم يرجعون** ﴾[1]... الآية إلى أن قال : ﴿ **قل إن الهدى هدى الله** ﴾[2].

أي هذا الهدى الذي آتيناكم يا أمة محمد هدى الله، فقوله : « إن الهدى » معرفة، وليست بنكرة، كأنه يشير إلى شيء منصوص يعني الهدى الذي أتى هذه الأمة هو هدى الله، أي هو الذي تولاكم بالهداية.

ثم قال : ﴿ **أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم** ﴾[3] أي من الهدى وهو اليقين. وهو قول رسول الله (ﷺ). « ما أعطيت أمة من اليقين ما أعطيت هذه الأمة »[4].

ثم قال: ﴿ **أو يحاجوكم عند ربكم** ﴾[5] وهي المحاجة التي ذكر رسول الله (ﷺ) في الحديث يوم القيامة.

= غنى النفس، والفقر فقر النفس، ورواه العسكري عن أبي ذر في حديث أوله: يا أبا ذر أترى أن كثرة المال هو الغنى..؟ إنما الغنى غنى القلب، والفقر فقر القلب، وروى النسائي وابن حبان، وابن عساكر عن أبي ذر: يا أبا ذر أترى كثرة المال هو الغنى.. ؟ إنما الغنى غنى القلب، والفقر فقر القلب، من كان الغنى في قلبه فلا يضره ما لقي من الدنيا، ومن كان فقره في قلبه فلا يغنيه ما أكثر له في الدنيا، وإنما يضر نفسه شحها: انتهى.

وللعسكري أيضاً من حديث عائشة قال: قال اعرابي: « يسار غنى النفس أفضل من يسار المال، ورب شبعان من النعيم عريان من الكرم ».

(١) سورة آل عمران آية رقم ٧٢.

(٢) سورة البقرة آية رقم ١٢٠.

(٣) سورة آل عمران آية رقم ٧٣.

(٤) سبق تخريج هذا الحديث في هذا الجزء قريباً من هذا

(٥) سورة آل عمران آية رقم ٧٣.

ثم قال : ﴿ **قل إن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم** ﴾[1].

أما الحديث، فعن نافع، عن ابن عمر (رضي الله عنهما)، عن رسول الله (ﷺ) قال : « مثلكم ومثل اليهود والنصارى كمثل رجل استعمل عمالاً فقال : من يعمل لي من صلاة الصبح إلى نصف النهار على قيراط قيراط. ألا فعملت اليهود. ثم قال : من يعمل لي من نصف النهار إلى صلاة العصر، على قيراط قيراط، ألا فعملت النصارى. ثم قال : من يعمل لي من صلاة العصر إلى صلاة المغرب على قيراطين قيراطين. ألا فأنتم. فغضبت اليهود والنصارى. وقالوا : نحن أكثر عملاً وأقل عطاء. فقال : أظلمتكم من حقكم شيئاً ؟ قالوا : لا. قال : إنما هو فضل الله يؤتيه من يشاء.[2] فقوله : « نحن أكثر عملاً وأقل عطاء. فقال أظلمتكم من حقكم شيئاً قالوا : لا. قال : إنما هو فضل الله يؤتيه من يشاء »، فقوله : « نحن أكثر عملاً وأقل عطاء » هو المحاجة عند ربهم. قوله تعالى : ﴿ **أو يحاجوكم عند ربكم قل إن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء** ﴾[3].

فذكر في الآية أن هذه الأمة مختصة بالرحمة، مفضلة بالكرامة. فالفضل الذي آتاهم على الأمم أن أعطاهم اليقين فيه انكشف الغطاء عن قلوبهم حتى صارت الأمور لهم معاينة.

عن بكر بن عبدالله المزني (رضي الله عنه) قال : لم يفضل أبو بكر

---

(١) سورة آل عمران آية رقم ٧٣ وآية رقم ٧٤

(٢) الحديث رواه الإمام البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء ٥٠ باب ما ذكر عن بني إسرائيل ٣٤٥٩ ــ حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا ليث بن نافع عن ابن عمر ــ رضي الله عنهما ــ عن رسول الله ﷺ قال: وذكره. ورواه أيضاً في الإجارة ١٠٨، وأحمد بن حنبل في المسند ٢ : ٦ (حلبي).

(٣) سورة آل عمران آية رقم ٧٣.

(رضي الله عنه) الناس بكثرة صوم ولا صلاة، إنما فضلهم بشيء كان في قلبه.

عن عبد الرحمن بن زيد قال : قال عبدالله : أنتم اليوم أكثر صياماً وجهاداً وصلاة من أصحاب رسول الله (ﷺ)، وهم كانوا خيراً منكم. قالوا : فمم ذاك يا أبا عبد الرحمن ؟ قال : كانوا أزهد في الدنيا وأرغب في الآخرة.

وقال طلحة بن عبيدالله (رضي الله عنه) : ما كان عمر (رضي الله عنه) أولنا إسلاماً ولا أقدمنا هجرة، ولكن أزهدنا في الدنيا وأرغبنا في الآخرة.

وأما قوله (ﷺ) في حديث عيسى (عليه السلام) : « فإن أصابهم ما يحبون، حمدوا وشكروا »[1] فالحمد هو التكلم بكلمة الحمد. وأما الشكر فهو رؤية النعمة من الله تعالى. ومن رأى النعم من الله تعالى ذللته أثقال النعم، وإنقاد لله تعالى. فإن الآدمي مطبوع هكذا ان من أحسن إليه فقد سبى قلبه وصار له كالآخذ باليد يذهب به حيث يشاء. والنفس يهيمها البر واللطف والرفق والإحسان. فإذا رأى العبد من الله تعالى إحسانه وبره تذلل له، واستحيى منه أن يخالف أمره.

وروي عن ابن مسعود (رضي الله عنه) أنه قال : جبلت القلوب على حب من أكرمها وبغض من أهانها.

وعن عبدالله بن عباس (رضي الله عنهما) قال : قال رسول الله (ﷺ) : أحبوا الله لما يغزوكم به من نعمه، وأحبوني بحب الله، وأحبوا أهل بيتي بحبي »[2].

---

(١) سبق تخريج هذا الحديث قريباً من هذا.

(٢) هذا الحديث أخرجه الحاكم في المستدرك كتاب معرفة الصحابة ٣ : ١٤٩، ١٥٠ ثنا =

وعن الحسين (رضي الله عنه) قال : قال موسى (عليه السلام) : يا رب كيف شكرك آدم (عليه السلام) ؟ قال : علم أن ذلك مني وكان ذلك شكره.

فأما قوله : « احتسبوا وصبروا » فالاحتساب أن يرى ذلك الشيء الذي أخذه لله، وإن كان قد صيره باسمه، فالأصل هو لله تعالى، فيحتسبه لله تعالى كما في الأصل. وصبر أي ثبت فلم يزل عن مقامه لله (عز وجل) بزوال ذلك الشيء عنه. فإن العبد المؤمن يقول : انا لله وها أناذا بين يديه، مقيم في طاعته. ونعم الله عليه سابغة. فإذا امتحنه وأزالَ عنه نعمه، زال عن مقامه ذلك طالباً لتلك النعمة التي زالت. فليس هذا ثباتاً. والصبر هو الثبات على المقام بين يديه، وان لا يعصيه.

وأما قوله : « ولا حلم ولا علم » فكأنه يخبر أن الله (عز وجل) قدر علماً وحلماً لخلقه يتحالمون فيما بينهم ويتعالمون. فبذلك الحلم يتخلقون بأخلاقهم كما قدر فيهم رحمة واحدة، فقسمها بينهم فبها يتراحمون فيما بينهم، وبها يتلاطفون. ومنه قول رسول الله (ﷺ) : « ان الله (عز وجل) قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم »[1].

= عثمان بن سعيد الدارمي ثنا علي بن بري ثنا هشام بن يوسف الصنعاني وحدثنا أحمد بن سهل الفقيه، ومحمد بن علي الكاتب البخاريان ببخارى قالا: حدثنا صالح بن محمد بن حبيب الحافظ ثنا يحيى بن معين ثنا هشام بن يوسف، حدثني عبدالله بن سليمان النوقلي عن محمد بن علي بن عبدالله بن عباس عن أبيه عن ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ وذكره. وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه.

(١) الحديث رواه الحاكم في المستدرك ٢ : ٤٤٧ كتاب التفسير: ثنا محمد بن عبد الوهاب ثنا يعلى بن عبيد ثنا أبو اسحاق عن الصباح بن محمد عن مرة عن عبدالله ــ رضي الله عنه ــ في قوله تعالى: ﴿ **أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم** ﴾ الآية فقال عبدالله: سمعت رسول الله ﷺ يقول: وذكره. وقال: « هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ». وفيه زيادة [وإن الله ليعطي الدنيا من أحب ومن لا يحب ولا يعطي الدين إلا من أحب، فمن أعطاه الدين فقد أحبه].

وكانت هذه الأمة آخر الأمم فرق ذلك ودق. فلو تركهم على دقة تلك الأخلاق، ورقة تلك الأحلام، وقلة العلم لم ينالوا من الخير إلا قليلاً يسيراً، وهو قول عبدالله بن عمر : ولم يزل الناس ينقصون في الخلق والخلق والرزق والأجل من زمن نوح (عليه السلام). وقد كان أحدهم يعمر الف سنة.

وروي عن ابن عباس (رضي الله عنهما) أن البرة فيهم كانت ككلوة البقر، والرمانة الواحدة يقعد في قشرها عشر نفر، والرجل في خلقه ثمانون باعاً. فصارت الأعمار ما بين الستين إلى السبعين. والبرة هكذا والخلقة هكذا.

فانظر كم التفاوت بين العمرين، وبين الخلقتين، وبين الرزقين. فكذلك بين الخلقين. فكأنه على نحو ما ذكر لم يبق لنا من الحلم والعلم من الحظ إلا يسير كان ما يفسد أكثر مما يصلح. وكأنا في المثال كيأجوج ومأجوج إذ كان لا حلم ولا علم، فصرنا بمنة الله تعالى علينا بهذه الصفة التي وصف : إن أصابهم ما يحبون حمدوا وشكروا، وإن أصابهم ما يكرهون احتسبوا وصبروا. حتى برزت هذه الأمة على الأمم وصاروا صفوة الرحمن، والمقدمين يوم القيامة، والمبدوء بهم، وحرام على الأمم دخول الجنة حتى تدخلها هذه الأمة. فسأل عيسى (عليه السلام) ربه، وقال : كيف يكون هذا الفضل لهم ولا حلم ولا علم ؟ قال : أعطيهم من حلمي وعلمي، وهو اليقين الذي أعطي هذه الأمة. فقال رسول الله (ﷺ) : « أعطي أمتي ما لم يعط أحد »[1] وهو قوله تعالى : ﴿ **أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم** ﴾[2].

---

(١) الحديث رواه الطبراني في الكبير باكبر من هذا وبزيادة [ان يقولوا عند المصيبة إنّا لله وإنّا إليه راجعون] ورواه ابن مردويه عن ابي عباس ــ رضي الله عنهما والسيوطي عند تفسير قوله تعالى: ﴿ **إن يُؤتى أحدٌ مثل ما أُوتيتم** ﴾.

(٢) سورة آل عمران آية رقم ٧٣.

ثم قال: ﴿ **قل إن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم** ﴾[1] وقوله: ﴿ **وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها وكان الله بكل شيء عليماً** ﴾[2].

فقوله : « أعطيهم من حلمي وعلمي » أي أعطيهم النور في قلوبهم، فتنشرح له صدورهم، وتتسع، فهو حلمه. وأصل الحلم إتساع القلب والصدر بالأمور. فكلما دخل الصدر فكرة أمر ذاب فيه وانهضم كما ينهضم الطعام في المعدة، فاتسع الصدر للأمور، وصلحت وطابت، فكل طعام لا ملح فيه فلا طعم له، وكل أمر لا حلم له في القلب فلا يتسع له. ولا تجد النفس طعم ذلك الأمرفتلفظه. فإذا لفظته ضاق الصدر. فإذا ورد النور على القلب، اتسع الصدر لذلك الأمر، فمنه تخرج محاسن الأخلاق والأفعال. وهو قوله (عزّ من قائل) : ﴿ **أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه** ﴾[3].

والحلم والملح يرجعان إلى معنى واحد. وكل واحد منهما ثلاثة أحرف، تستعمل كل واحد منهما في نوعه.

وأما قوله : « ومن علمي » فإنه لما ورد النور على قلوبهم، صاروا في العلم بالله تعالى وبأسمائه الحسنى، بحيث سبى قلوبهم، وصارت قلوبهم متعلقة بذكره، فاحتشت صدورهم من الحكمة. وفهموا عن الله تعالى فصاروا أبراراً أتقياء فقهاء. ولو تركهم على قسمهم وحظهم في آخر الأمم من الذي قدر لجميع الأمم من الحلم والعلم والرحمة، لكانت هذه

---

(١) سورة آل عمران الآيتان رقم ٧٣ و ٧٤.

(٢) سورة الفتح آية رقم ٢٦.

(٣) سورة الزمر آية رقم ٢٢.

الأمة أدنى الأمم وأخسها. فلما منَّ عليهم بعطائه الواسع الكريم، برزوا على الأمم.

فلذلك قال رسول الله (ﷺ) : « أنتم توفون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله تعالى »[1] فإنما قووا على أن صاروا مهاجرين وأنصاراً هجروا أوطانهم وأموالهم وأولادهم، ونصروا الله تعالى ورسوله (عليه السلام) وصاروا من بعدهم تابعين لهم بإحسان بمثل هذا العطاء الواسع واليقين النافذ أي النافذ من الأسباب إلى ولي الأسباب. لأن النفس من شأنها أنها لا تترك شيئاً قبضت عليه حتى تطمع في شيء خير منه. وإلا فمخالبها أحد من أن يقدر على الانتزاع منها. فإذا كان في كفها درهم فأطمعت في دينار، فرأت الدينار رمت بالدرهم، فأعرضت عنه، ثم هي مقبلة على الدينار، فإذا أطمعت في جوهر فنظرت الى الجوهر الذي يعدل ملء بيت ديناراً، لهت عن الدينار وصارت خدرة ذبلة، وضعفت قوة مخالبها، فصارت سلسة فأقبلت على الجوهر معرضة عن الدينار والدرهم، مشتغلة بالجوهر، وتعنى به. فلولا أن منَّ الله على هذه الأمة بهذا اليقين حتى طالعوا الملكوت وعظم جلال الله في صدورهم متى كانوا ممن يؤبه لهم ويعبأ بهم وهم آخر الأمم، وأقلهم حظاً من الحلم والعلم الذي قدر لهذه الأمم.

وروي عن كعب (رضي الله عنه) أنه قال : لما نظر موسى (عليه السلام) في الألواح قال : يا رب إني أجد في الألواح صفة قوم على قلوبهم من النور أمثال الجبال، تكاد البهائم تخر لهم سجداً إذا رأوهم من النور الذي في صدورهم. قال : تلك أمة أحمد، يذمون أنفسهم ولا يعجبون بها. فمن سعة أخلاقهم ونور قلوبهم أمكنهم أن يهاجروا وينصروا

---

(١) رواه ابن ماجه في كتاب الزهد ٤٢٨٨ ــ عن بهز بن حكيم عن جدّه قال : سمعت رسول الله ــ ﷺ ــ يقول وذكره. وأحمد بن حنبل في المسند ٤ : ٤٤ (حلبي).

الله ورسوله. وقالت بنو إسرائيل لموسى (عليه السلام): ﴿ **إذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون** ﴾[1].

وعن عبدالله بن عمرو قال : أجد في الكتب أن هذه الأمة تحب ذكر الله تعالى كما تحب الحمامة وكرها، وهم أسرع إلى ذكر الله من الإبل إلى وردها يوم ظمأها.

---

(١) سورة المائدة آية رقم ٢٤.

الأصل الثاني والعشرون

في النهي عن الأكل على الخوان وفي السكرجة والمرقق

عن قتادة، عن أنس (رضي الله عنه) قال : ما أكل رسول الله (ﷺ) على خوان قط، ولا في سكرجة، ولا خبز له مرقق. قلت لأنس : فعلى ما كانوا يأكلون ؟ قال : على السفر.

فالخوان[1] هو شيء محدث فعلته الأعاجم، والعرب لم تكن لتمتهنها، وكانوا يأكلون على السفر، واحدتها سفرة، وهي التي تتخذ من الجلود، لها معاليق تنضم وتنفرج، فبالانفراج سميت سفرة، لأنها اذا حلت معاليقها، انفرجت، فأسفرت عما فيها. وإنما سمي السفر لأسفار الرجل بنفسه عن البيوت والعمران.

وقوله : « ولا في سكرجة » لأنها أوعية الأصباغ، ولم يكن من شأنهم

---

(١) الخوان بالكسر الذي يؤكل عليه معرَّب. قلت: والضم لغة فيه نقلها الفارابي، وقال: والكسر أفصح، وثلاثة أخونة، والكثير خُونٌ ساكن الواو. والخان: محل التجارة.

الألوان، إنما كان طعامهم الثريد عليها مقطعات اللحم وقال (ﷺ) : « انهس اللحم نهساً فإنه أشهى وأمرأ »[1].

قوله : « ولا خبز له مرقق » فكان عامة خبزهم الشعير. وإنما يتخذ الرقاق من دقيق البر، وقل ما يتخذ، ويمكن اتخاذه من الشعير، وإنما الرقاق لمن اتخذ الميسر، والميسر من فعل العجم. والعرب تنهس اللحم عن وكيع ما درينا ما ورد طعام المريض، حتى جاءنا ابن المبارك. والميسر من تيسير اللحم، وهو تفريق اللحم اليسير على النفر الكثير.

فإن قال قائل : فقد جاء في الأخبار ذكر المائدة. قال رسول الله (ﷺ) : « تصلي الملائكة على الرجل ما دامت مائدته موضوعة ». عن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال : لو كان الضب حراماً ما أكل على مائدة رسول الله (ﷺ). وقال فرقد : رأيت محمداً (ﷺ) وطعمت على مائدته الطعام.

فالمائدة كل شيء يمدّ ويبسط، مثل المنديل والثوب، والسفرة لنسب إلى فعله، وكان حقه أن يكون مادّة الدال مضاعفة، فجعلوا إحدى الدالين ياء، فقيل مائدة. والفعل واقع به، فكان ينبغي أن يكون ممدوداً. ولكن خرجت في اللغة مخرج فاعل، كما قالوا سرّ كاتم وهو مكتوم،

---

(١) الحديث رواه الإمام الترمذي في كتاب الأطعمة ٣٢ باب ما جاء أنه قال: انهسوا اللحم نهساً ١٨٣٥ حدثنا أحمد بن منيع، حدثنا سفيان عن عبد الكريم عن عبدالله بن الحرث قال: زوجني أبي فدعا أناساً فيهم صفوان بن أمية فقال: إن رسول الله ﷺ قال: وذكره.

قال الترمذي: وفي الباب عن عائشة وأبي هريرة. وهذا حديث لا نعرفه إلا من حديث عبد الكريم، وقد تكلم بعض أهل العلم في عبد الكريم المعلم منهم أيوب السختياني من قبل حفظه.

والحديث رواه أبو داود في الأطعمة ٢٠ والنسائي في الصيام ٤٣ والدارمي في الأطعمة ٢٠ وأحمد بن حنبل في المسند ٣ : ٤٠٠، ٦ : ٤٦٥ (حلبي).

وعيشة راضية وهي مرضية. وكذلك قد خرجت في اللغة ما هو فاعل مخرج مفعول، فقالوا : رجل مشؤوم، وإنما هو شائم، وحجاب مستور وإنما هو ساتر. فالخوان هو المرتفع عن الأرض بقوائمه. والمائدة ما مد وبسط[1]. والسفرة ما أسفر عما في جوفه، وذلك أنها مضمونة بمعاليقها.

عن الحسن (رضي الله عنه) قال : الأكل على الخوان فعل الملوك، وعلى المنديل فعل العجم، وعلى السفرة فعل العرب وهو السنة.

ولما غلب العجم على هذا الفعل، قيل للخوان مائدة. ومما يحقق ذلك ما جاء في التنزيل من ذكر المائدة. وإنما نزلت سفرة حمراء مدورة.

---

(١) قال قطرب: لا تكون المائدة مائدة حتى يكون عليها طعام فإن لم يكن عليها طعام قيل خوان: وهي فاعلة من ماد عبده إذا أطعمه وأعطاه، فالمائدة تميد ما عليها أي تعطي ومنه قول رؤبة: أنشده الأخفش:

تهدي رءوس المترفين الأنداد ... الى أمير المؤمنين الممتاد

أي المستعطي المسئول، فالمائدة هي المعطية المطعمة الآكلين الطعام ويسمى الطعام مائدة تجوزاً، لأنه يؤكل على المائدة كقولهم: ماد الشيء إذا مال وتحرك قال الشاعر:

لعلك باكٍ إن تغنت حمامة ... يميد بها غُصن من الأيك مائل

وقال آخر:

وأقلقني قتل الكناني بعده ... فكادت بي الأرض الفضاء تميد

ومنه قوله تعالى: ﴿ **وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم** ﴾.

الأصل الثالث والعشرون

في الأمر بقطع المراجيح

عن عائشة (رضي الله عنها) أن رسول الله (ﷺ) أمر بقطع المراجيح.

مرجح، ومرجاح لغتان. فمرجح جمعه مراجح. ومرجاح جمعه مراجيح. كمفتح ومفاتح ومفتاح ومفاتيح. وهو لهو ولعب. إنما كان يفعله العجم في أيام النيروز تفرجاً وتلهياً عن الغموم التي تراكمت على قلوبهم من رين الذنوب. وقد تأدت الى العرب سنتها. والمؤمن قد تعتوره الأحزان والغموم لا محالة، فمحال أن ينفك عنه غموم الذنوب وأحزان مشيئة الله تعالى فيه. هذا حال المقتصدة.

فأما أهل المعرفة وهم المقربون، فغمومهم من البقاء في الدنيا. فإن الدنيا مطبق المقربين ينتظرون متى الراحة منها. وهو قول رسول الله (ﷺ) : « الدنيا سجن المؤمن »[1].

---

(١) الحديث رواه الإمام مسلم في كتاب الزهد والرقائق ١ـــ (٢٩٥٦) حدثنا عبد العزيز (يعني الدّراوردي) عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: وذكره وفيه زيادة « وجنة الكافر » ورواه الترمذي في كتاب الزهد ١٦ باب ما جاء أن الدنيا =

وأما أحزانهم فمن ظماء الشوق إلى الله (عز وجل) فهذان الصنفان لم ينفكوا من الغموم والأحزان، وسائرهم مخلطون بطالون لعمرهم، غافلون عن الآخرة، سكارى حيارى، سكارى عن وعده ووعيده، حيارى في سيرهم إليه وركض الليل والنهار بهم إلى الله تعالى، فهم الذين يفزعون من غموم الدنيا ورين الذنوب المعذبة لقلوبهم في ظلمات سجون المعاصي إلى المرجاح تلهياً وتلعباً، يتفرجون ويتنشطون ويتلبسون ويلتمسون النزهة ونسيمها، ولا يعلمون أن النزهة في نزاهة القلوب وتطهيرها من آفات النفس وخدعها، ورين الذنوب حتى يجدوا نسيم الملكوت وروح قرب الله تعالى على قلوبهم في عاجل دنياهم.

روي عن رسول الله (ﷺ) أنه قال : « الإيمان حلو نزه فنزهوا ».

فإذا التمس العبد هذه النزهة، فهو نور على نور. والقلب مشحون بالنور، والصدر مشرق بالنور، يعلم من ربه، ويعلم ما مَنَّ به عليه ربه وهو عنه غني، ولكنه رحمه فمنّ عليه مما يرى عنده. فأي فرح يتسع مع هذا الفرح في قلب ؟ وكيف يبقى في قلب فيه هذا الفرح بالله متسع للفرح بالدنيا وأحوالها؟ فالقلوب التي تعتورها غموم الآخرة هي نورانية تنفرج بتلك الأنوار التي يطالع بها الأخرة. وعظيم الرجاء من عند الماجد الكريم. وأما القلوب التي تعتورها ظلمات المعاصي، فهي قلوب معذبة ونفوس لقسة وجوارح كسلة يريدون أن يستروحوا إلى مثل هذه الأشياء من الملاهي، ويتنفسوا في فسيح النزهات، وقد أخذت غموم النفس بأنفاسهم وجرعتهم الغيظ في أنهم لا يصلون إلى مناهم على الصفاء. فالملوك تخوف الغدر والبيات معهم، والأمراء خوف العزل معهم،

= سجن المؤمن وجنة الكافر ٢٣٢٤ بسنده عن أبي هريرة، وقال: هذا حديث حسن صحيح، ورواه ابن ماجه في كتاب الزهد، وأحمد بن حنبل في المسند ٢ : ١٩٧، ٣٢٣، ٣٨٩، ٤٨٥ (حلبي).

والأغنياء خوف السلب معهم. والأصحاء خوف السقم معهم. فهذه مخاوف مظلمة تورد على القلب مغمات كسحائب متراكمات تغور في جوفها من الحر، ومع تلك السحائب حر مؤذ، وذباب كلما ذب آب، وبراغيث يمنعن بعضهن عن الرقاد.

فهذه صفة قلب المتنزهة بنزهة الدنيا. فالسحائب معاصيه، والذي يغور في جوفها إصراره على المعاصي. والحر المؤذي شهواته التي تغلي في صدره، والذباب مناه كلما قضى نهمته من شيء عادت الأخرى. والبراغيث تنافسه في دنياه وفي أحوال دنياه، وثاب إليها. فإذا لم يصل إليها رجعت عليه بحزازة فعضته وهو الحسد والغيرة والبغضة والبخل والشح. فأي قلب هذه صفته يتهنى بنعمة من نعم الدنيا. فلا يغرن عاقلاً ظاهر فرحهم.

كما روي عن الفضيل بن عياض[1] أنه قال: ذل المعصية والله في قلوبهم وإن دقدقت بهم الهمالج أبى الله إلا أن يذل أهل معصيته. فأمر رسول الله (ﷺ) بقطع تلك المراجيح، وكره لهم أن يتزيوا بزي من اشترى الحياة الدنيا بالآخرة، فلا خلاق له هناك. مع أن الخطر في ذلك غير قليل. فربما انقطع الحبل، فاندق العنق، فصار معيناً على نفسه. فأما الذي يرخص فيه للتداوي لمريض ضاق بعلته صدره، أو للصبيان يعللون به، فذاك لهم كالمهد يرج فيه حتى يذهب به النوم؛ لأن الطفل لا يعقل ما يصلح له، ولا يصبر على الضجعة حتى يأخذه النوم، كما يصبر الكبير،

---

(١) هو الفضيل بن عياض بن مسعود التميمي اليربوعي، أبو علي، شيخ الحرم المكي من أكابر العباد الصلحاء كان ثقة في الحديث أخذ عنه خلق كثير منهم الإمام الشافعي، ولد في سمرقند عام ١٠٥ هـ ودخل الكوفة وهو كبير وأصله منها ثم سكن مكة وتوفي بها عام ١٨٧ هـ.

راجع طبقات الصوفية ٦ ــ ١٤ وتذكرة الحفاظ ١ : ٢٢٥ والتهذيب ٨ : ٢٩٤.

فيعلل بتلك الأرجوحة، فيهوي بجسده تلقفاً ودفعاً حتى ينام. فليس هذا بداخل عندنا في النهي؛ لأن هذا يأخذه على الانتفاع به، لا على الأشر والبطر، وعلى سبيل الملاهي في يوم أهل البطالات. عن داود بن أبي هند[1] (رضي الله عنه) قال : رأيت الشعبي[2] يترجح فنظرت إليه فقال : إنه نعت لي من وجع ظهري. ومحتاجة هذه النفس إلى تعليل في كل مكان. وأن تداوى ويرفق بها، والله تعالى رفيق يحب الرفق في الأمور كلها.

عن عروة، عن عائشة (رضي الله عنها) قالت : قال رسول الله (ﷺ) : « إن الله يحب الرفق في الأمر كله »[3].

وعن القاسم بن محمد (رضي الله عنه) قال : سمعت عائشة (رضي الله عنها) تقول : قال رسول الله (ﷺ) : « من حرم حظه من الرفق

---

(١) هو داود بن أبي هند واسمه دينار بن عذافر ويُقال أبو محمد البصري رأى أنس بن مالك وروى عن عكرمة والشعبي وزرارة وغيرهم وعنه شعبة والثوري ومسلمه بن علقمة وغيرهم قال ابن معين ثقة، وقال العجلي بصري ثقة جيّد الإسناد رفيع. راجع تهذيب التهذيب ٣ : ٢٠٤.

(٢) هو عامر بن شراحبيل عبد الرحمن بن قاسم.

(٣) هذا جزء من حديث رواه الإمام البخاري في كتاب الاستئذان ٢٢ باب كيف الرد على أهل الذمة بالسلام ٦٣٥٦ عن الزهري، قال أخبرني عروة أن عائشة ــ رضي الله عنها ــ قالت: دخل رهط من اليهود على رسول الله ﷺ فقالوا: السام عليك ففهمتها فقلت: عليكم السام واللعنة قال رسول الله ﷺ مهلاً يا عائشة: وذكره.

ورواه أيضاً في كتاب الدعوات ٥٩ والأدب ٣٥ ورواه الإمام مسلم في كتاب البر ٤٧ والترمذي في الاستئذان ١٢ باب ما جاء في التسليم على أهل الذمة ٢٧٠١ بسنده عن عائشة وقال: حديث عائشة حديث حسن صحيح. وابن ماجة في الأدب ٩ والدارمي في الرقاق ٧٥ وصاحب الموطأ في الاستئذان ٣٨ وأحمد بن حنبل في المسند ١ : ١١٢، ٤ : ٨٧ (حلبي).

فقد حرم حظه من خير الدنيا والآخرة. ومن أُعطي حظه من الرفق فقد أُعطي حظه من خير الدنيا والآخرة »(1).

ومن الرفق والتعليل بالنفس ما روي عن رسول الله (ﷺ) أنه قال : « لما انتهيت إلى سدرة المنتهى فتدلى النور الأكبر فغشى السدرة فحار بصري فحال دونه فراش من ذهب ». يعلله بذلك حتى يقوى بصره على رؤية النور. لأن الفراش إذا طار هكذا وهكذا حجبه مرة وانكشف له مرة.

وما روي عنه (ﷺ) في قصة المعراج أنه قال : « لما انتهيت إلى قرب العرش تدلى رفرف فأخذني من جبرائيل (عليه السلام) تناولاً إلى سند العرش، فجعل يهوي بي يخفضني مرّة ويرفعني مرّة ».

فذاك تعليل النفس، وذلك أنها لا تقوى على مباشرة الأمور في دفعة واحدة إلا قليلاً قليلاً. فقربه الرفرف في رفعه العرش، ثم خفضه ثم رفعه لكي تتمالك النفس. ولو كانت في دفعة واحدة لكان قمنا أن لا يتمالك، فكان الرفرف سبباً لتداريه والرفق به. وإنما قيل : « رفرف » لأنه يرفرف حول المشاهدة والقربة. ويقال هو أخضر من الدر والياقوت فيما جاء به الخبر. وإن أردنا بما ذكرنا من هذه الأشياء أن المرجاح الذي يوضع فيه الصبي أو المريض ليرجح بنفسه هكذا وهكذا حتى يجد الصبر على الإستقرار في موطن واحد خارج من النهي. وإنما وقع النهي على من تشبه بأهل البطالة في ذلك اليوم وبالملوك الفراعنة الذين تلذذوا به. فإن ذلك فعل ملهى مطرب مع الغناء والجواري والسماع على شاطئ الأنهار في تلك الخضر ونور الربيع، وأخذت الأرض زينتها وزخرفها في أيام

---

(1) الحديث رواه ابن ماجه في كتاب الأدب ٩ باب الرفق ٣٦٨٧ عن الأعمش، عن تميم بن سلمة عن عبد الرحمن بن هلال العبسي، عن جرير بن عبدالله البجلي قال: قال رسول الله ﷺ وذكره. ورواه الإمام مسلم في كتاب البر والصلة والآداب ٢٣ باب فضل الرفق ٧٤ (٢٥٩٢) بسنده عن جرير عن النبي ﷺ: وذكره.

النيروز مع طيب الهواء وسجسجة الجو تنزّهوا في نزهة الدنيا، وتنعّموا بالألوان، وقضوا المنى والشهوات، وحف بهم المعازف، وركبوا المراجيح، فتعجلوا طيباتهم في حياتهم الدنيا.

قال الله تعالى : ﴿ **ويوم يعرض الذين كفروا على النار أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تفسقون** ﴾[1].

فبلغنا أن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) كلم في امتناعه من التوسع في النعيم، فتلا هذه الآية الكريمة. فقيل له : يا أمير المؤمنين أليس هذا للكفار ؟ فقال : ثكلتك أمك، الكفار أهون على الله تعالى من أن يعاتبهم. ونظرت في هذه الآية فوجدت مبتدأها ذكر الكفار، وهو قوله تعالى : ﴿ **ويوم يعرض الذين كفروا على النار** ... ﴾[2] ثم قال في آخرها : ﴿ ... **فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تفسقون** ﴾[3].

فأخبر أنه إنما جزاؤهم عذاب الهون بالاستكبار بغير الحق، وبالفسق، ليحذر المؤمن أن يستكبر في أرضه بغير الحق، وأن يفسق. فإن دخول النار بالكفر، وتضاعف العذاب، وقسمة الدركات بالأعمال السيئة، والأخلاق السيئة. ودخول الجنة بالإيمان وتضاعف النعيم. وقسمة الدرجات بالأعمال والأخلاق الحسنة. ولما عير الكفار بالكبر والفسق، فزع عمر (رضي الله عنه) من ذلك، وحق له أن يفزع من التعجيل ببعض الطيبات في الحياة الدنيا، والاستمتاع بها.

---

(١) سورة الأحقاف آية رقم ٢٠.

(٢) سورة الأحقاف آية رقم ٢٠.

(٣) سورة الأحقاف آية رقم ٢٠.

ومن ههنا ما روي عن رسول الله (ﷺ) أنه أُتي بعسل قد خيض بماء فرده، وقال : « أما إني لا أحرمه، ولكني أتركه تواضعاً لله تعالى »[1].

كأنه رأى أن النفس إذا أعطيت شهواتها فذاك من الاستكبار، وإذا منعت فذاك من التواضع لله تعالى. هذا فيما حل، وأطلق له. فكيف بما حرم عليه ؟ وان الله تعالى خلق الجنة فحشاها بالنعيم ثواباً لأهلها، وخلق النار فحشاها بالعذاب عقاباً لأهلها، وخلق الدنيا فحشاها بالآفات والنعيم محنة وابتلاء، ثم خلق الخلق والجنة والنار في غيب منهم، لم يعاينوه. فالنعيم والآفات التي في الدنيا من أنموذج الآخرة ومذاقه فيها. وخلق في الأرض من عبيده ملوكاً، أعطاهم سلطاناً أرعب به القلوب، وملك به النفوس قهراً أنموذجاً ومثالاً لتدبيره وملكه، ونفاذ أمره، ووصف الدارين، وضرب الأمثال، ثم قال : ﴿ **وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون** ﴾[2].

وليس في الدنيا شهوة ولا نعمة إلا وهي أنموذج الجنة وذوقها. ثم من وراء ذلك فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. ولا سمي للعباد منها، لم ينتفعوا بتلك الأسماء؛ لأنهم لم يعقلوه ههنا، ولا رأوه، ولا أنموذج لها في الدنيا. والجنة مائة درجة، وإنما وصف منها ثلاث درجات : الذهب والفضة والنور، ثم ما وراء ذلك لا تحتمله العقول. ولأهل الجنة تلاق وزيارات ومتحدث من مواطن الألفة ومجتمع في ظل طوبى، ويركبون رفارف. والرفرف شيء إذا استوى عليه رفرف به، وأهوى به كالمرجاح يميناً وشمالاً، ورفعاً وخفضاً، يتلذذ مع أنيسه. فإذا ركبوا الرفارف أخذ إسرافيل (عليه السلام) في السماع.

---

(١) لم نعثر على هذا الأثر على كثرة البحث والتقصي، ولعله من النوادر التي تفرد بها الحكيم الترمذي.

(٢) سورة العنكبوت آية رقم ٤٣.

وقال طلحة بن مطرف (رضي الله عنه) : يعجبني أن يمر بي يوم النيروز وأنا لا أشعر به. ومن ذهب يصوم في ذلك اليوم، ويزيد في أعمال البر، يتوخى بذلك خلافاً لهم، فهذا مذهب أيضاً، ولكن المذهب الأول وهو ما ذكره طلحة بن مصرف أسلم له. فإن هؤلاء اتخذوه عيداً لنزهتهم وسرورهم. وهذا قد اتخذه عيداً لعبادته. والإتخاذ يشبه الاتخاذ، وإن كان العملان متباينين. ألا ترى أن رسول الله (ﷺ) نهى عن صوم يوم الجمعة وقال : « لا تتخذوه عيداً »[1].

وروي عن علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) أنه أُتي بفالوذج.

فقال : ما هذا ؟ قالوا : إنه يوم نيروز، وذلك بأرض العراق.

قال : « نورزوا كل يوم ». كأنه أراد أن لا يعبأ به.

(١) النهي عن صيام يوم الجمعة يكاد يكون متواتراً فقد رواه الإمام مسلم في كتاب الصيام ٣٤ باب كراهية صيام يوم الجمعة منفرداً ١٤٧ بسنده عن أبي هريرة، وأخرجه الترمذي في كتاب الصوم ٤٢ باب ما جاء في كراهية صوم يوم الجمعة وحده ٧٤٣ بسنده عن أبي هريرة وأخرجه البخاري في ٣٠ ــ كتاب الصوم ٦٣ صوم يوم الجمعة حديث ١٠١٠ ولكن ليس فيها (لا تتخذوه عيداً).

الأصل الرابع والعشرون

في قوله (ﷺ) : احشر أنا وأبو بكر وعمر

عن ابن عمر (رضي الله عنهما) قال : قال رسول الله (ﷺ) : « أحشر أنا وأبو بكر وعمر هكذا ». وأخرج السبابة والوسطى والبنصر وأراه قال : « ونحن مشرفون على الناس »[1].

السبابة من الأصابع التي تلي الابهام. وكانت في الجاهلية تدعى السبابة لأنهم كانوا يسبون بها. فلما جاء الله تعالى بالاسلام، سموها المشيرة. وذلك أنهم كانوا يشيرون بها إلى الله (عز وجل) بالتوحيد. وفي حديث وائل بن حجر سماها السباحة. ولكن اللغة سارت بما كانت تعرف في الجاهلية فغلبت.

عن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال : قال رسول الله (ﷺ) : « لا تأكلوا بهاتين ». وأشار بالابهام والمشيرة. وقال : كلوا بثلاث فإنها سنة، ولا تأكلوا بخمس فإنها أكلة الأعراب.

فالأكل بالخمس علامة الحرص والاقتحام في الطعام. وذلك مما يمحق البركة ويفسد على أصحابه حتى يعافوه. والأكل بإصبعين مما لا

---

(١) رواه الطبراني في الكبير وابن مردويه، وابن أبي حاتم، والسيوطي في الدر المنثور.

يستوفي وهي أكلة الملوك، وزي أهل النخوة الذين يستكبرون ويمتنعون عن الأكل عتواً وتجبراً وصلفاً، وإذا نظروا فبلحاظ أعينهم. وإذا تكلموا فبأشداق أفواههم، وإذا سمعوا فبأصعار خدودهم، وإذا تناولوا فبأطراف أناملهم، وإذا مشوا فبأجنحة صدورهم، وتمطِّي خواصرهم، متبخترين مشية مطيطاً (بضم الميم) مدوداً بطراً وعلواً. والأكل بثلاثة أصابع تواضع عن النخوة، وعفة عن الحرص. فالأول غلو والآخر تفريط، وما بينهما وسط.

قال الحسن البصري[1] (رحمه الله) : ان دين الله وضع على القصد. فدخل الشيطان فيه بالإفراط والتقصير. فهما سبيلان إلى نار جهنم. وعنه أن دين الله تعالى وضع دون الغلو، وفوق التقصير.

عن كعب بن عجرة (رضي الله عنه) قال : رأيت رسول الله (ﷺ) يأكل بثلاث أصابع بالإبهام والتي تليها والوسطى. ثم رأيته لحق أصابعه الثلاث حين أراد أن يمسحها. فلعق الوسطى، ثم التي تليها، ثم الإبهام[2].

فأما قوله (ﷺ) : « أحشر أنا وأبو بكر وعمر يوم القيامة هكذا » فهذا على درجاتهم. فكانت إشارة رسول الله (ﷺ) بأصابعه الثلاث.

وروي لنا عن أصابع رسول الله (ﷺ) أن المشيرة منها كانت أطول

---

(١) هو الحسن بن يسار البصري ابو سعيد تابعي كان امام أهل البصرة وحبر الأمة في زمنه، وهو احد العلماء والفقهاء الفصحاء الشجعان النساك ولد بالمدينة عام ٢١ هـ وتوفي بها عام ١١٠ هـ

راجع تهذيب التهذيب ووفيات الأعيان وميزان الأعتدال ١: ٢٥٤ وحلية الأولياء ٢: ١٣١

(٢) الحديث رواه الإمام مسلم في كتاب الأشربة ١٨ باب استحباب لعق الأصابع والقصعة، وأكل اللقمة الساقطة بعد مسح ما يصيبها من أذى وكراهية مسح اليد قبل لعقها ١٣١ — (٢٠٣٢) حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة وزهير بن حرب، ومحمد بن حاتم قالوا: حدثنا ابن مهدي عن سفيان عن سعد بن ابراهيم عن ابن كعب بن مالك عن أبيه قال: وذكره. ورواه الإمام أحمد في المسند ٣ : ٤٥٤ (حلبي).

من الوسطى والبنصر أقصر من الوسطى. وذكر المنازل والإشراف على الخلق. وأن رسول الله (ﷺ) أعلاهم اشرافاً، ثم من بعده أبو بكر دون رسول الله (ﷺ) فوق عمر، ثم من بعده عمر دون أبي بكر (رضي الله عنهما). فمن لم يعرف شأن أصابع رسول الله (ﷺ)، حمل تأويل هذا الحديث على الانضمام والاقتراب بعضهم من بعض. وهذا معنى بعيد؛ لأن حشر رسول الله (ﷺ) حشر الرسل (عليهم السلام) وحشر أبي بكر وعمر حشر الصديقين (رضوان الله عليهم أجمعين). وكذلك مقامه في العرصات هو في مقام النبيين. ومقامهما من العرصات مقام الصديقين.

عن ميمونة بنت كروم (رضي الله عنها) قالت : خرجت في حجّة حجها رسول الله (ﷺ) ولقد رأيتني أتعجب وأنا جارية من طول إصبعه التي تلي الإبهام على سائر أصابعه.

الأصل الخامس والعشرون

في أن الكتابة قيد للعلم وحفظ له من النسيان

عن أنس بن مالك (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (ﷺ) : « قيدوا العلم بالكتابة »[1].

وفي المأثور من الحديث، عن رسول الله (ﷺ) أن الله تعالى لما خلق آدم، خلق لقلبه غاشية تنطبق مرة وترتفع مرة، فما سمع والغاشية مرتفعة حفظه، وما سمع والغاشية منطبقة نسيه.

عن ابن عباس (رضي الله عنهما) أنه قال لعمر بن الخطاب (رضي الله عنه) : يا أمير المؤمنين مم يذكر الرجل ومم ينسى ؟ فقال : إن على القلب طخاءة كطخاءة القمر، فإذا تغشت القلب نسي بن آدم ما كان يذكر، وإذا تجلت ذكر ما كان نسي.

وروي عن رسول الله (ﷺ) أن أول من خط بالقلم بعد آدم إدريس (عليهما السلام). وسمي بذلك لأنه كان يدرس الكتب. وكتب نوح

---

(١) الذي رواه الدارمي في المقدّمة من كلام عمر بن الخطاب ــ رضي الله عنه ــ أخبرنا أبو عاصم أخبرني ابن جريج عن عبد الملك بن عبدالله بن أبي سفيان عن عمّه عمرو ابن أبي سفيان أنه سمع عمر بن الخطاب ــ رضي الله عنه ــ يقول : وذكره.

(عليه السلام) ديوان السفينة. وكتب الله تعالى التوراة لعبده موسى (عليه السلام). قال تعالى : ﴿ **وكتبنا له في الألواح من كل شيء** ﴾[1] وكتب الزبور من زبر الرجل أي كتب. وقال تعالى في تنزيله : ﴿ **وكل شيء فعلوه في الزُّبُر** ﴾[2]. أي في اللوح. وأول ما بدأ شأن الكتابة بدأ القلم واللوح، فكتب ما هو كائن.

والكتاب حق وتدبير من الله تعالى لعباده. والكتب الجمع بين الحروف، ومنه سميت الكتيبة لأنها جمعت. فإذا قيدت المعاني بهذه الحروف المخطوطة التي هي دلائل على المعاني، فإن كانت محفوظة، فالكتاب مستغنى عنه، وإن نسيت، صار الكتاب نعم المستودع. وإن دخل القلب ريب في ذلك، نفى الريب واطمأنت النفس. وقد أدب الله (عز وجل) العباد وحثهم على مصالحهم، فقال (عز من قائل) في شأن المداينة : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم** ... ﴾[3] الآية.

فاعلم أن الكتابة قسط عند الله تعالى، وهو العدل يؤدي ما ائتمن واستودع، وأقوم للشهادة أي أحرى أن يقوم بها، وأبعد من الشك والريبة. ومن ههنا أخذ طاووس فقال : يسعه أن يشهد على خطه وهو لا يذكر. فإذا كان تجار الدنيا في المداينة فيما بينهم يقيدون الأمانات المؤجلة لئلا تدرس ليؤدوها في مواقيت حلها كما ندبهم الله تعالى إليه ودلهم عليه، كان تجار الآخرة في تقييد الأمانات ــ التي أخذ الله تعالى الميثاق فيها أن يؤدوه ولا يكتموه ــ أحرى أن يحافظوا عليها، ويداوموا على إثباتها وتقييد رسومها، لئلا تدرس ليؤدوها في مواقيتها عند حاجة الخلق إليها في نوازلهم. فإن أمانة الدين أعظم شأناً من أمانة الدنيا. وقد ائتمن الله تعالى

---

(١) سورة الأعراف آية رقم ١٤٥.

(٢) سورة القمر آية رقم ٥٢.

(٣) سورة البقرة آية رقم ٢٨٢.

أهل الأموال ليحرزوها ويحفظوها، ويراقبوا أمر الله تعالى فيها من صرفها في وجوهها، وإخراج حقوقها، وإنفاقها في السبل التي أذن الله تعالى فيها.

وائتمن الله تعالى أهل العلم على ما أودعهم من نوره وبراهينه وكتبه وحججه ليحرزوها ويحفظوها، ويراقبوا أمر الله تعالى فيها من صرفها في وجوهها، ووضع كل شيء منها مواضعها، وإخراج حقوقها لأهل الحاجة إليها، وإنفاقها في السبل التي سبلها الله تعالى لهم. ولهذا ما جاء في الخبر « ان الله تعالى يختص هذين الصنفين من جميع الخلق للحساب، فيقول للعلماء : كنتم رعاة غنمي. ولأهل الأموال : كنتم خزان أرضي فقبلكم اليوم طلبني ».

فالمراعي بيد الخزان، والمرعى بيد الرعاة. إذا أرعى الخازن الغنم، رعاه الراعي، وذلك أن مرعى الغنم دنياهم، والدنيا بأيدي الخزان، والرعاية بأيدي الرعاة يسوقهم إليها فيرعيهم ويوردهم الماء حتى يعيشوا. وهو العلم الذي بين لهم منه، وإن تردي مترد جبر كسيرته، وإن عدى الذئب طردهم عنه بالكلاب، وإن مال إلى منابت السوء من السموم القاتلة، صرف وجوههم عنها. فهؤلاء الرعاة. فهذا شأن عظيم، قد قلدوا من أمور الخلق، فوقعت شدة الحساب عليهم. وإذا منع الخازن، هلكت الغنم. وإذا ضيع الراعي، هلكت. وكذلك جاء في الخبر أنه ينادى يوم القيامة : يا راعي السوء أكلت اللحم، وشربت اللبن، ولبست الصوف، ولم تأوِ لي الضالة، ولم تجبر الكسيرة، ولم ترعها في مرعاها، اليوم أنتقم منك.

فأما قول رسول الله (ﷺ) : « إن من أشراط الساعة أن توضع الأخيار، وترفع الأشرار، وأن تقرأ المثناة على رؤوس الناس »(١). وما

---

(١) لم نعثر على هذا الأثر على كثرة البحث والتقصّي وإن كانت له شواهد في السنن.

شددت الصحابة (رضوان الله عليهم) في ذلك فقالوا : كتاب مع كتاب الله، فإن ذلك مما كانت اليهود فعلته. وقد وصف الله تعالى في تنزيله الكريم فقال : ﴿ **فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً** ﴾[1].

وذلك أنه لما درس الأمر فيهم، وساءت رغبة علمائهم، أقبلوا على الدنيا حرصاً وجمعاً، فطلبوا شيئاً يصرف وجوه الناس إليهم، فأحدثوا في شريعتهم، وبدلوا وألحقوا ذلك بالتوراة، وقالوا لسفهائهم : هذا من عند الله ليقبلوها عنهم فتتأكد رياستهم، وينالوا به حطام الدنيا. وكان مما أحدثوا فيه أن قالوا : ﴿ **ليس علينا في الأميين سبيل** ﴾[2] وهم العرب، أي ما أخذنا من أموالهم، فهو حل لنا، وكان مما أحدثوا فيه أن قالوا : « لا يضرّنا ذنب فنحن أحباؤه وأبناؤه ». تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً. وإنما كان في التوراة : يا أحباري ويا أبناء رسلي، فغيروه وكتبوا : يا أحبائي ويا أبنائي. فأنزل الله تعالى تكذيبهم :

﴿ **وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه. قل فلم يعذبكم بذنوبكم** ﴾[3]. فقالت : لن يعذبنا، وإن عذّبنا فأربعين يوماً. مقدار أيام العجل. فأنزل الله تعالى : ﴿ **وقالوا لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة. قل أتخذتم عند الله عهداً فلن يخلف الله عهده أم تقولون على الله ما لا تعلمون * بلى من كسب سيئة...** ﴾[4] الآية.

فحذر الرسول (ﷺ) هذه الأمة لما قد علم ما يكون في آخر الزمان، فحذرهم أن يحدثوا من تلقاء أنفسهم معارضاً لكتاب الله تعالى،

---

(١) سورة البقرة آية رقم ٧٩.

(٢) سورة آل عمران آية رقم ٧٥.

(٣) سورة المائدة آية رقم ١٨.

(٤) سورة البقرة آية رقم ٨٠ وأول الآية ٨١

فيضلوا به الناس. والمثناة ما ثُني من الكتاب ليصرف وجوه الناس عن كتاب الله تعالى. فأما إثبات الكتاب، وما سمعوا من الرسول (ﷺ) من تفسيره وبيانه وشرحه فمحمود. قال (ﷺ) : ألا وإني أوتيت الكتاب ومثله، فلا يتكئن أحدكم على أن يقول : ما وجدنا في كتاب الله (عز وجل) أخذنا به، وما لم نجد تركناه[1]. في كلام نحو هذا.

وكان الذين يأخذون عن رسول الله (ﷺ) أهل بصائر ويقين، وتجلية قلوب ويحفظون عنه. فلما صاروا إلى القرن الذي يليه وظهرت الفتن، احتيج الى إثباته في الكتب.

فمنهم من هاب ذلك، لأنه رآه حدثاً وأمراً لم يكن على عهد رسول الله (ﷺ) فهاب أن يكون بدعة. ومنهم من تجاسر عليه لما رأى فيه من النفع، كما تجاسر أبو بكر (رضي الله عنه) على جمع القرآن، وهابه عمر (رضي الله عنه) وقال : أنفعل ما لم يفعل رسول الله (ﷺ) ؟ قال عمر (رضي الله عنه) : فلم يزل يرادني في ذلك حتى شرح الله صدري لذلك. كما شرح صدره. فجمعوا على تأليفه أبي بن كعب وقراء القرآن (رضي الله عنهم). فكذلك هذه الكتب، لم يزل الناس كلما مضى قرن احوج إلى تقييده وبيانه وشرحه؛ لأن العلم في إدبار، والجهل في إقبال. حتى غلب الجهل، وأحاط بالخلق البلاء، ونجمت قرون البدع فأحوج ما كانوا إلى شرحه وبيانه في هذا الوقت، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. وقد أذن رسول الله (ﷺ) لغير واحد من أصحابه في ذلك (رضوان الله عليهم).

---

(١) الحديث رواه أبو داود في كتاب السنة باب لزوم السنة ٤٦٠٥ حدثنا أحمد بن محمد بن حنبل، وعبدالله بن محمد النفيلي قالا: ثنا سفيان عن أبي النضر، عن عبيدالله بن أبي رافع، عن أبيه عن النبي ﷺ قال: وذكره.

عن ابن عباس (رضي الله عنهما) أن رجلاً شكى إلى رسول الله (ﷺ) سوء الحفظ، فقال : استعن بيمينك.

عن عبدالله بن عمرو (رضي الله عنه) أنه استأذن رسول الله (ﷺ) في صحيفة يكتب فيها ما سمع منه، فأذن له.

عن عبدالله بن عمرو أنه قال : يا رسول الله أكتب ما أسمع منك ؟ قال : نعم. قال : عند الغضب والرضى ؟ قال : « نعم، فإنه لا ينبغي أن أقول إلا حقاً ».

عن أبي هريرة (رضي الله عنه) أن رسول الله (ﷺ) خطب حيث افتتح مكة (شرفها الله) فقام رجل من أهل اليمن، يقال له أبو شاه، فقال : اكتب هذا لي يا رسول الله ؟ فقال رسول الله (ﷺ) : اكتبوه لأبي شاه. (يعني تلك الخطبة).[1].

عن عثمان بن عفان (رضي الله عنه) قال : قيدوا العلم. قلنا : وما تقييده. قال: علموا وتعلموا واستنسخوه فإنه يوشك أن يذهب العلماء ويبقى القراء لا يجاوز قراءة أحدهم تراقيه.

---

(١) الحديث رواه الإمام البخاري في كتاب اللقطة ٧ باب كيف تعرف لقطة أهل مكة ٣٤٣٤ ــ حدثنا الوليد بن مسلم، حدثنا الأزواعي قال: حدثنا يحيى بن أبي كثير قال: حدثني أبو سلمة بن عبد الرحمن قال: حدثني أبو هريرة ــ رضي الله عنه ــ قال: وذكره، ورواه أبو داود في المناسك ٨٩ والديات ٤ والترمذي في العلم ١٢ وأحمد بن حنبل في المسند ٢ : ٢٣٨ (حلبي).

الأصل السادس والعشرون

في ذكر فتاني القبر

عن عبدالله بن عمر (رضي الله عنهما) أن رسول الله (ﷺ) ذكر يوماً فتاني القبر، فقال عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) أترد إلينا عقولنا يا رسول الله ؟ قال : نعم، كهيئتكم اليوم. فقال عمر (رضي الله عنه) : ففي فيه الحجر[1].

المؤمن كريم على ربه، يدل بزلفاه على خلقه، فمن عرض له بسوء، عارضه بإذن الله معتزاً بالله. وكيف لا يكون هكذا وقد أوصى الله تعالى في تنزيله الكريم ﴿ **ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون** ﴾[2].

اعلم أن المنافقين لا يعلمون هذا. فأما المؤمنون فقد بان لهم أن الله تعالى قد أعزهم وبان لهم عند أنفسهم أنهم إنما يعتزون بالله تعالى. فعمر

---

(١) الحديث رواه الإمام أحمد في المسند ٢ : ١٧٢ حدثني أبي ثنا حسن ثنا ابن أبي لهيعة حدثني حسين بن عبدالله أن أبا عبد الرحمن حدثه عن عبدالله بن عمرو أن رسول الله ﷺ: وذكره.

(٢) سورة المنافقون آية رقم ٨.

(رضي الله عنه) حين ذكر له فتاني القبر كأنه غاظه ذلك من فعل الفتانين، ففزع إلى الله تعالى، وسأل الرسول (ﷺ) فإنما كان يجد الخبر من الغيب على لسانه « أترد إلينا عقولنا ؟ »، فلما قال : « نعم، كهيئتكم اليوم »، أنطقته الجرأة الدالة، لا جرأة الحماقة. وجرأة الدالة من اليقظة والمعرفة. وجرأة الحماقة من الجهل والغفلة. فقال : « ففي فيه الحجر » أي أنه إذا كان عقلي الذي معي اليوم يرد عليَّ كهيئته اليوم معي، أسكته بحسن الجواب، فكأني ألقمته الحجر، أي بجوابي، وبما أعطي من سلطان الحق، ونفاذ بصيرة العقل؛ لأنه نظر فوجده كأنه أُعطي سلطان الامتحان، ونظر إلى نفسه، فوجده قد أُعطي سلطان الحق ونوره، فلم يبال به. وخلق خلقة منكرة، وسمي منكراً لذلك، وسمي صاحبه نكيراً. وقد وصفهما رسول الله (ﷺ) فقال : أعينهما كالبرق الخاطف، وأصواتهما كالرعد القاصف، وشعورهما تحت أقدامهما، يحفران الأرض بأنيابهما. فإذا كان في القلب من سلطان المعرفة ما لا يهاب ملوك الدنيا، وسائرها ما ينفر منه القلوب، فإنه لا يهاب منكراً ونكيراً. وقال عمر (رضي الله عنه) في رواية : إذا أكفيهما يا رسول الله.

وعن عبدالله بن عمر (رضي الله عنهما) أنه خرج في سفر له، فإذا الجماعة على طريق. فقال : ما هذه الجماعة ؟ قالوا : أسد قطع الطريق. قال : فنزل ومشى إليه حتى قفده بيده ونحاه عن الطريق، ثم قال : ما كذب رسول الله (ﷺ) قال : « إنما يسلط على ابن آدم من خافه ابن آدم ولو أن ابن آدم لم يرج إلا الله لم يكله الله إلى أحد غيره ».[1]

وحديث ابن عمر (رضي الله عنهما) يدل على أن كلا إنما يرد إليه عقله الذي خرج به من الدنيا على تلك الهيئة. وبين العقول تفاوت. فإذا كان عقل الرجل وافراً فاستقبله هول من أهوال الدنيا من ذي سلطان أو

---

(١) رواه السيوطي في الجامع الصغير بالصحة.

غيره فاستقام ولم يدهش، ولم تصبه الحيرة في أمره، كان يومئذ مردوداً عليه ذلك العقل. فإذا استقبله هول فتاني القبر، لم يدهش ولم يتحير. ومن كان عقله اليوم ما إذا حل به شيء من ذلك الوجه دهش وتحير، ولم يثبت على الإستقامة حتى مال، كان إذا إستقبله هول فتاني القبر هناك مثل ذلك. وان الله تعالى يلطف لعبده المؤمن وينصره ويثبته في الأحايين كلها. قال عز من قائل : ﴿ **يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة** ﴾[1] فعلى قدر ثباته في الدنيا يكون ثباته في القبر.

عن أبي هريرة (رضي الله عنه)، عن رسول الله (ﷺ) أنه ذكر حديث الصور فقال في آخر ذلك بقول الله تعالى لملك الموت (عليه السلام) : مَن بقي ؟ فيقول : بقيت أنت الحيّ القيّوم الذي لا يموت، وبقي عبدك ملك الموت، فيقول : يا ملك الموت أنت خلق من خلقي، خلقتك لما ترى، فقد مات الخلق كلهم، فمت ثم لا تحيى أبداً[2].

وقد امتنع كثير من الرواة من رواية هذا الحرف « ثم لا تحيى أبداً » وهاب هذه الكلمة وذلك مبلغ علمه. فنظرنا في هذا الحرف، فوجدنا أن الله تعالى يحب المؤمن، ومن حبه إياه رزقه الإيمان والمعرفة. فقمن أن يترك إحياء ملك الموت (عليه السلام) كرامة للمؤمنين. فإن كل من لقي من أحد شدة، ثقل عليه النظر إليه، فكيف بمن قتله، وقطع روحه من كل مفصل حتى نزعه ! ألا ترى أنه كان يأتيهم عياناً فشتموه وآذوه، فشكا إلى الله (عز وجل) فصير أمره في خفاء، وهيأ لهم الأسباب من

---

(١) سورة إبراهيم آية رقم ٢٧.

(٢) رواه ابن ماجة وأبو داود والطبراني في الكبير والسيوطي في الجامع الصغير. ورواية ابن ماجة في كتاب الزهد ٣٨ باب صف النار، ورواه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها ٤٣.

الأمراض والعلل لكي يدرس ذكر ملك الموت (عليه السلام) عن قلوبهم وألسنتهم، ويقولون : مات فلان بعلة كذا.

ألا ترى أنه لطمه موسى (عليه السلام) ففقأ عينه، فرجع يشكو إلى الله (عز وجل) وإنما فقأ عين الصورة التي كان أتاه فيها. وهذا عند من يجهل معناه منكر مرفوع متهم رواته. وكيف يتهم رواته وقد روته الأئمة من غير وجه.

عن أبي هريرة (رضي الله عنه)، عن رسول الله (ﷺ) قال : « كان ملك الموت يأتي الناس عياناً حتى أتى موسى (عليه السلام) فلطمه ففقأ عينه فرجع ملك الموت إلى ربه (عز وجل) فقال : يا رب إن عبدك موسى فعل بي ما ترى، ولولا كرامته عليك لشققت عليه. قال : إرجع إلى عبدي موسى فقل له فليضع يده على متن ثور، فخيره بكل شعرة توازي كفه أن يعيش سنة. فقال موسى (عليه السلام) : يا ملك الموت فما بعد ذلك ؟ فقال : الموت. قال : فمن الآن. قال : فشمه شمة فقبض روحه، فرد عليه بصره، فكان يأتي الناس بعد ذلك في خفية[1].

وإنما استجاز ذلك موسى (عليه السلام) لأنه كليم الله تعالى. كأنه رأى أن من اجترأ عليه ومد يداً بالأذى إليه، فقد عظم الخطب فيه. وإنما اعتز بالله تعالى ورغب في عبادته ودعوة الخلق إليه لا شحاً على الحياة وحرصاً على الدنيا وتلذذاً بها.

---

(١) الحديث رواه الإمام أحمد في المسند ٢ : ٥٣٣ حدثني أبي ثنا أمية بن خالد ويونس، قالا ثنا حماد بن سلمة، عن عمار بن أبي عمار عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ وقال يونس: رفع الحديث الى النبي ﷺ وذكره.

الأصل السابع والعشرون

في أن من السنة مشاركة الجليس في الهدية

عن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال : قال رسول الله (ﷺ) : « إذا أتى أحدكم بهدية فجلساؤه شركاؤه فيها »[1].

فالجلساء هم الذين داموا على مجالستهم معك، وفاوضوك في أمورك، فليس كل من جلس إليك فهو جليسك، كما يقال أكيلك وشريبك وحريفك ووزيرك. وليس كل من أكل معك مرة، أو وازرك على أمر مرة بأكيل أو وزير. فإذا أهدى لك فله من الحق أن تحذي له منها، لأن

---

(١) الحديث رواه أبو نعيم والطبراني وعبد بن حميد وعبد الرزاق عن ابن عباس وكذا ابن راهويه، وأبو بكر الشافعي في الغيلانيات عن الحسن بن علي، والعقيلي لا يصح في هذا الباب عن النبي ﷺ شيء، وعبارة الدر للسيوطي من أهديت له هدية فجلساؤه وشركاؤه فيها ــ رواه الطبراني من حديث الحسن بن علي ــ رضي الله عنه ــ وعلقه البخاري عن ابن عباس بصيغة تمريض، وأخرجه العقيلي عن عائشة، وأورده ابن الجوزي في الموضوعات فأخطأ: انتهى وعبارة اللآلئ من أهدي له هدية وعنده جلساؤه فجلساؤه شركاؤه فيها ــ حديث ضعيف أخرجه الطبراني في الكبير عن الحسن بن علي وقال البخاري في صحيحه: باب من أهدي له هدية وعنده جلساؤه فهو أحق.

كرامتك كرامته، وهو من أهل وصية الله تعالى بالإحسان إليه فقال: ﴿ **والصاحب بالجنب** ﴾[(1)].

قيل في التفسير: رفيقك في السفر، وجليسك في الحضر، وامرأتك التي تضاجعك.

عن مالك بن دينار (رضي الله عنه) قال: يقول الله تعالى: « إني لأهم بعذاب أهل الأرض، فإذا نظرت إلى جلساء القرآن وعمار المساجد وولدان الإسلام يسكن غضبي ».

فليس كل من قرأ القرآن فهو جليس القرآن. إنما الجليس من جالسه القرآن وفاوضه وأبدا له عن أسراره وعجائبه وبواطنه. وإنما يكون هذا لمن انتفى عنه جور قلبه، وذهبت خيانة نفسه، فأمنه القرآن، فارتبع في صدره، وتكشف له عن زينته وبهائه. وكذلك عمار المساجد ليس كل من أنفق في مسجد أو رمه فهو من العمار، إنما عمار المساجد من عمرها بذكره. قال الله تعالى: ﴿ **إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر** ... ﴾[(2)] الآية. فجليس القرآن من جالسه القرآن. فإذا وجد القلب طاهراً جالسه القرآن وكشف عن وجهه. فإن وجهه باطنه، وهذا ظهره الذي يعقله الناس.

ومنه ما قيل لرسول الله (ﷺ) : إنا لنجد لقراءتك لذة يا رسول الله ما لا نجد لقراءة أحد. قال: « لأنكم تقرأونه لظهر وأنا أقرأه لبطن »[(3)] فلا يكشف عن وجهه إلا الأمين الذي لا يخونه.

---

(١) سورة النساء آية رقم ٣٦.

(٢) سورة التوبة آية رقم ١٨.

(٣) لم نعثر على هذا الحديث على كثرة البحث والتقصّي ولعلّه من النوادر التي انفرد بها صاحب نوادر الأصول.

ومثله كمثل عروس مزين مدَّ يده إليها دنس متلوث في المزابل، متلطخ بالأقذار، وهي تعرض عنه أنفة، وتعافه وتقذره، فإذا تطهر ثم تزين فقد أدى حقها، أقبلت إليه بوجهها ففاوضته، وصارت له جليسة، فكذلك القرآن له ظهر وبطن، فوجهه مما يلي بطنه، والزينة والبهاء والحسن في الوجه، فلا يكون جليساً إلا من تطهر من الذنوب ظاهراً وباطناً، وتزين بالطاعة ظاهراً وباطناً، فعندها يأمنه القرآن، فيتحلى له بزينته وبهائه ومواعظه وحكمه وما حشى الله تعالى فيه من المن واللطف لعباده. وحرام على من ليس هذه صفته أن ينال ذلك. وكيف ينال البر واللطف عبد آبق من مولاه، هارب على وجهه، لا يزداد على تجدد الأيام إلا هرباً بنفسه. إنما ينال البر إذا أقبل إليه من إباقه تائباً نادماً، فيمكث في التوبة مدة يظهر له نصحه. فهناك فليتوقع بره ولطفه. فكذلك هذا كيف ينال البر واللطف من الله تعالى من قلبه، مكب على حطام الدنيا وقضاء الشهوات ! وإنما البر واللطف للمتقين والمحسنين، وقال تعالى : ﴿ **سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق** ﴾(١).

وعن رسول الله (ﷺ) أنه قال : « من تواضع لله درجة، رفعه الله درجة، ومن تواضع لله درجات، رفعه الله درجات حتى يجعله في أعلا عليين. ومن تكبر على الله درجة، وضعه الله درجة. ومن تكبر على الله درجات، وضعه الله درجات حتى يجعله في أسفل سافلين »(٢).

---

(١) سورة الأعراف آية رقم ١٤٦.

(٢) الحديث عند ابن ماجه في كتاب الزهد ١٦ باب البراءة من الكبر والتواضع ٤١٧٦ بسنده عن أبي الهيثم، عن أبي سعيد عن رسول الله ﷺ قال: وذكره.

في الزوائد: هذا إسناد ضعيف، ودراج بن سمعان أبو السمح المصري وإن وثقه ابن معين فقد قال أبو داود وغيره مستقيم إلا ما كان عن أبي الهيثم، وقال ابن عدي: عامة أحاديث دراج مما يتابع عليه وضعفه أبو حاتم والنسائي، والدارقطني.

فالمتكبر بغير الحق هو الذي يقضي نهمته وشهوته، ولا يبالي أذن الله له فيها أو لم يأذن. فهو من الله تعالى على عقوبة أن يضيعه، فكيف ينيله البر واللطف الذي يريه أحباءه في تنزيله الكريم. بل إذا تلاه صرف قلبه عنها، فلا يعيه ولا يفهمه، كما صرف هذا بقلبه عن الله تعالى إلى نفسه ودنياه. وروي في التفسير في قوله تعالى : ﴿ **سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض** ﴾ قال : « أنزع عنهم فهم القرآن فلا يفهمونه، ولا يحدون له حلاوة ولا لذاذة ». وذلك أن الفهم نور، إذا ورد على القلب دنس المعاصي ارتحل النور فتحير عن فهمه. وروي في الحديث أنه قال : يأتي على الناس زمان يخلق القرآن في صدورهم حتى يتهافت مثل الثوب الخلق البالي.

الأصل الثامن والعشرون

في سر إماطة الأذى عن الطريق

عن أبي هريرة (رضي الله عنه) أن رسول الله (ﷺ) قال : « بينما رجل يمشي في الطريق إذا أبصر بغصن شوك، فقال : والله لأرفعهن هذا لا يصيب أحداً من المسلمين. فرفعه، فغفر له »[1].

قال أبو عبدالله : ليس برفع الغصن نال المغفرة فيما نعلمه، ولكن بتلك الرحمة التي عم بها المسلمين، فشكر الله له عطفه ورأفته بهم.

عن أبي هريرة (رضي الله عنه)، عن رسول الله (ﷺ) : بينما عبد لم يعمل لله خيراً قط، مر على بئر فشرب، فإذا هو بكلب يلهث عطشاً، فغرف له بخفة فسقاه، فشكر الله له ذلك، فغفر له. وبينما عبد لم يعمل لله

(١) الحديث رواه الإمام مسلم في كتاب البر والصلة والآداب ٣٦ باب فضل إزالة الأذى عن الطريق ١٢٧ ـــ (١٩١٤) حدثنا يحيى بن يحيى قال: قرأت على مالك عن سمي مولى أبي بكر عن أبي صالح عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: وذكره.
ورواه أيضاً في كتاب الامارة ١٦٤ ورواه الإمام البخاري في كتاب الآذان ٣٢ باب فضل التهجير الى الظهر بسنده عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ ورواه أبو داود في كتاب الأدب ١٦ والترمذي في البر ٣٨ وصاحب الموطأ في الجماعة ٦ وأحمد بن حنبل في المسند ٢ : ٢٨٦ (حلبي).

تعالى خيراً قط، فمر على غصن شوك فأماطه عن الطريق، فغفر الله له. وبينما عبد لم يعمل لله تعالى خيراً قط، ففرق فخرج هارباً، فجعل ينادي : يا أرض اشفعي لي، ويا سماء اشفعي لي، ويا كذا اشفعي لي حتى أصابه العطش، فوقع، فلما أفاق قيل له : قم فقد شفع لك من قبل فرقك من الله تعالى .

قال أبو عبدالله : فإنما غفر له من أجل الرحمة التي رحم بها الكلب، وإنما غفر له من أجل الفرق الذي حل بقلبه لأنه عمل فيه حتى فارق المعاصي أصلاً فتركه بالجوارح فعلاً، وتركه قلباً ونفساً، فطهر الظاهر والباطن، واماتت منه شهوة كل معصية. والذي يترك المعاصي بجوارحه وشهوتها في قلبه، ونفسه تنازعه إلى ذلك، فإنه طهر ظاهره، فلم يطهر باطنه، فلم يستكمل التوبة بحقيقتها. ولما أنزل الله تعالى على نبيه (ﷺ) : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة** ﴾[1] قال : فلما تلاها رسول الله (ﷺ) على أصحابه (رضوان الله عليهم أجمعين)، خر فتى مغشياً عليه، فوضع رسول الله (ﷺ) يده على فؤاده فإذا هو يتحرك. قال : يا فتى قل : لا إله إلا الله. فأفاق الفتى وهو يقولها، فبشره رسول الله (ﷺ) بالجنة. فقال أصحابه : يا رسول الله أمن بيننا ؟ فقال (ﷺ) : أما سمعتم الله يقول : ﴿ **ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد** ﴾[2].

والرهب هرب القلب من هول سلطان الله، وهو أكبر من الخوف. والخوف خيفته وانزعاجه. والرغب التهاب القلب حرصاً على الشيء، وهو أعلى من الطمع.

---

(١) سورة التحريم آية رقم ٦.

(٢) سورة ابراهيم آية رقم ١٤. والحديث رواه السيوطي في الدر المنثور ونسبه الى الحكيم الترمذي وابن أبي حاتم وابن أبي الدنيا عن عبد العزيز ابن أبي رواد ـــ رضي الله عنه قال: بلغني أن النبي ـــ ﷺ ـــ قال: وذكره.

الأصل التاسع والعشرون

في النظافة

عن عبدالله بن بشر المازني (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (ﷺ) : « قصوا أظافيركم وادفنوا قلاماتكم ونقوا براجمكم ونظفوا لثاتكم من الطعام وتسننوا ولا تدخلوا عليَّ قخراً بخراً »[1].

أما قص الأظفار فلأنها تخدش وتضر، وهو مجمع الوسخ، وربما أجنب ولا يصل الماء إلى البشرة من الوسخ، فلا يزال جنباً. والأظافير جمع الأظفور. والأظفار جمع الظفر. وفي حديث رسول الله (ﷺ) أنه سها في صلاته فقال : وما لي لا أوهم ورفع أحدكم بين ظفره وأنملته، ويسألني أحدكم عن خبر السماء وفي أظافيره الجنابة والتفث.

وأما دفن القلامة فإن جسد المؤمن ذو حرمة، فما سقط منه فحظه من

(١) روى الإمام أحمد في المسند ٦ : ١٣٧ عن مصعب بن شيبة عن طلق بن حبيب، عن ابن الزبير عن عائشة قالت : قال رسول الله ﷺ عشر من الفطرة ــ وهذا الحديث يؤكّد حديث عبدالله بن بشر المازني. وكذلك ما أخرجه ابن ماجة عن أبي هريرة وعمار بن ياسر.

الحرمة قائم. وقد أمر رسول الله (ﷺ) بدفن دمه حيث احتجم كيلا يبحث عنه الكلاب.

وعن عبدالله بن الزبير (رضي الله عنه) أنه أتى رسول الله (ﷺ) وهو يحتجم، فلما فرغ قال : يا عبدالله بن الزبير : اذهب بهذا الدم فاهرقه حيث لا يراك أحد، فلما برز عمد إلى الدم فشربه، فلما رجع، قال : يا عبدالله ما صنعت به ؟ قال : جعلته في أخفى مكان ظننت أنه خاف على الناس. قال : لعلك شربته ؟ قال : نعم. قال : لم شربت الدم، ويل للناس منك وويل لك من الناس.

عن عائشة (رضي الله عنها) قالت : كان رسول الله (ﷺ) يأمر بدفن سبعة أشياء من الإنسان : الشعر، والظفر، والدم، والحيضة، والسن، والقلفة، والمشيمة.

والبرجمة ظهر عقدة كل مفصل، وهو مجمع الدرن. والراجبة قصب الإصبع ما بين العقدتين. فلكل إصبع برجمتان وثلاث رواجب إلا الإبهام فإن لها برجمة وراجبتين أمر بتنقيتها لئلا تدرن، فيحول درن تلك الفصول بين الماء والبشرة، وتبقى الجنابة. واللثة هي اللحمة فوق الأسنان ودون الأسنان وهي منابتها. والعمور اللحمة القليلة بين السنين، واحدها عمر، أمر بتنظيفها لئلا يبقى فيها وضر الطعام فتتغير النكهة، وتتنكر الرائحة.

وقوله : « تسننوا » أي استاكوا مأخوذ من السن. أي نظفوا السن. وقوله : « لا تدخلوا عليَّ قخراً بخراً » المحفوظ عندي قلحاً وقحلاً. والأقلح الذي اصفرت أسنانه حتى بخرت من باطنها. ولا نعرف القخر والبخر إلا الذي نجد له رائحة منكرة. يُقال : رجل أبخر، ورجال بخر.

الأصل الثلاثون

في أدب الصحبة

عن عبادة بن الصامت (رضي الله عنهما) أن رسول الله (ﷺ) قال : « ليس من أمتي من لم يجل كبيرنا ويرحم صغيرنا ويعرف لعالمنا حقه »[1].

فالإجلال للكبير هو حق سنه الله تعالى أنه تقلب في العبودة لله تعالى في مدة طويلة. والرحمة للصغير هو موافقة لله تعالى بأنه رحمة ورفع عنه العبودة، فلم يؤاخذه بحفظ حد ولا حكم. ومعرفة حق العالم هو حق العلم أن يعرف قدره بما رفع الله من قدره وآتاه العلم، قال تعالى : ﴿ **يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات** ﴾[2] فيعرف درجاته التي رفع رفع الله له بما آتاه من العلم.

(١) الحديث رواه الترمذي في كتاب البر ١٥ باب ما جاء في رحمة الصبيان ١٩٢١ حدثنا أبو بكر محمد بن أبان، حدثنا يزيد بن هارون عن شريك عن ليث عن عكرمة عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: وذكره وليس فيه (ويعرف لعالمنا حقه) ورواية الإمام أحمد في المسند ١ : ٢٥٧ حدثني أبي ثنا عثمان بن محمد، وسمعته أنا من عثمان بن محمد ثنا جرير عن ليث عن عبدالله بن سعيد بن جبير عن عكرمة عن ابن عباس يرفعه الى النبي ﷺ وذكره.

(٢) سورة المجادلة آية رقم ١١.

الأصل الحادي والثلاثون

في حقيقة الاستيداع وسره

عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (ﷺ) : « إذا أردت سفراً أو تخرج مكاناً فقل لأهلك : أستودعكم الله الذي لا يخيب ودائعه » .

عن ابن عمر (رضي الله عنهما) قال : قال رسول الله (ﷺ) لعمر : « إن الله إذا استودع شيئاً حفظه »[1]. أصل الوديعة هو الترك والتخلي عن الشيء. وهو قوله تعالى : ﴿ **ما ودعك ربك وما قلى** ﴾[2]. أي ما تركك.

وإن الله تعالى جعل الأمور إنما تقوم بالأسباب محنة وبلوى لينظر من ينفذ قلبه من الأسباب إلى ولي الأسباب. ومن يتعلق بها فيكون قلبه سبياً من سبي الأسباب فيكون مثله كما ذكر الله تعالى في تنزيله فقال :

---

(١) الحديث رواه الإمام أحمد في المسند ٢ : ٨٧ حدثني أبي حدثنا عبد الرحمن ثنا سفيان عن نهشل بن مجمع عن قزعة عن ابن عمر عن النبي ﷺ قال: إن لقمان الحكيم ــ كان يقول: وذكره.

(٢) سورة الضحى آية رقم ٢.

﴿ **ضرب الله مثلاً رجلاً فيه شركاء متشاكسون ورجلاً سلماً لرجل** ﴾[1].

فهذا في الظاهر تجد رجلاً يعبد أصناماً، ورجلاً سلماً للواحد القهار. وفي الباطن رجلاً في قلبه شركاء متشاكسون وهي شهواته التي تغلي في صدره. فقد سبى قلبه أسباب تلك الشهوات، ورجلاً قد انفرد قلبه للواحد، وخلا من جميع الأسباب، وماتت نفسه من الشهوات. ﴿ **هل يستويان مثلا** ﴾ ؟ ثم قال : ﴿ **الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون** ﴾.

ثم قال تعالى : ﴿ **وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون** ﴾[2].

فأهل الظاهر لم يعبروا عن الأسباب إلى وليها، فضيعوا حقوقه، وركبوا مساخطه. وأهل اليقين يعلمون ربوبيته قائمة في الأسباب، فلا تطرف عين، ولا ينبض عرق، ولا تحس حاسة إلا بإذنه، وقوام الأشياء ودوامها به، فاحتدت أبصار قلوبهم بنور اليقين، فنفذت إلى تدبير ولي الأسباب، فاستوطنت على القربة عاكفة على ربها (عز وجل)، وولت الأسباب ظهراً فهو يمضي في الأسباب كسائر الخلق، والأسباب لا تأخذه، ولا تفتن قلبه؛ لأن قلبه بين يدي الخالق مبهوت في جلاله وعظمته، والأسباب من وراء ظهره، فهو يمضي فيها ولا يلتفت إليها.

وإنما تأخذ الأسباب من استنزلته نفسه، وصار قلبه سبياً لنفسه وأسيراً من أسرائه. فإذا خلف شيئاً في مكان أراد أن يغيب عنه، واستودع الله ذلك الشيء فهد امنه في ذلك الوقت تخل وتبرؤ من حفظه ومراقبته، لأنه

---

(١) سورة الزمر آية رقم ٢٩.

(٢) سورة العنكبوت آية رقم ٤٣.

مادام معه فهو في نفسه يحسب أنه هو الذي يحفظه ويكلؤه ويرعاه، وهو يقول مع هذا : ﴿ **الله خير حافظاً** ﴾[1].

ولكن هذا القول منه قول الموحدين لا قول الموقنين، ثم اذا خلفه في حرز أو في حراسة غيره أو أخفاه في موضع، فقد وكله إلى ذلك الحرز والحراسة. وإذا جعله هكذا، ثم مع هذا أودعه ربه سبحانه وتعالى، فقد وكله إلى الله وتبرأ من حفظه وحفظ حرزه وحارسه وتخلى منه مضى في تدبير الآدميين أن يحرزوا أو يحرسوا، ثم وكله إلى الله تعالى فوجده ملياً وفياً كريماً.

وروي عن رسول الله (ﷺ) أنّه قال : « مَن توكّل على الله كفاه »[2].

وقال (ﷺ) : « من سره أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله. فإنه إذا توكل، قوي قلبه، ولم يبال بأحد، وذهبت مخاوفه » .

وقال (عز وجل) : ﴿ **ومن يتوكل على الله فهو حسبه** ﴾[3].

وقال (ﷺ) : « من انقطع إلى الله كفاه ».

وان الله أعطى الخلق علم الأمور وعلم أسبابها وعلم حيلها، وأعطاهم القوة ومعرفة التصرف في ذلك. ولم يغنهم عن نفسه بما أعطاهم. فالغافل الأحمق يرى أن ما أُعطي من هذه الأشياء يقتدر بها في الأمور ويتملك،

---

(١) سورة يوسف آية رقم ٦٤.

(٢) الحديث رواه ابن ماجه في كتاب الزهد ١٤ باب التوكل واليقين ٤١٦٦ — ثنا سعيد بن عبد الرحمن الجمحي عن موسى بن علي بن رباح عن أبيه عن عمرو بن العاص قال : قال رسول الله ﷺ وذكره.

وفي الزوائد: إسناده ضعيف، وصالح بن رزيق ليس له إلا هذا الحديث قال في الميزان: حديثه منكر.

(٣) سورة الطلاق آية رقم ٣.

فيريه الله تعالى ضعفه وفقره وعجزه، ويعرفه أنه لا يقوم له شيء إلا به. وان الأسباب التي أعطاها كلها له عجزة ضعفاء مثله. وإذا قال العبد : « لا حول ولا قوة إلا بالله »، تبرأ من الأسباب، وتخلى من وبالها، فجاءته القوة والعصمة والغياث والتأييد والرحمة.

قال المصنف (رحمه الله) : حدثنا عبيد بن إسحاق العطار الكوفي قال : حدثنا عاصم بن محمد بن زيد بن عبدالله[1] بن عمر بن الخطاب (رضي الله عنهم) قال : حدثني زيد بن أسلم، عن أبيه قال : بينما عمر (رضي الله عنه) يعرض الناس إذا هو برجل معه ابنه فقال له عمر : ويحك، حدثني ما رأيت غراباً بغراب أشبه بهذا منك. قال : أما والله يا أمير المؤمنين ما ولدته أمه إلّا ميتة. فاستوى له عمر (رضي الله عنه) فقال : ويحك حدثني.

قال : خرجت في غزاة وأمه حامل به، فقالت : تخرج وتدعني على هذا الحال حاملاً مثقلاً، قلت : أستودع الله ما في بطنك. قال : فغبت ثم قدمت، فإذا بابي مغلق. قلت : فلانة. قالوا : ماتت. فذهبت الى قبرها أبكي، فلما كان من الليل قعدت مع بني عمي أتحدث، وليس يسترنا من البقيع شيء، فرفعت لي نار بين القبور، فقلت لبني عمي : ما هذه النار ؟ فتفرقوا عني. فأتيت أقربهم مني فسألته فقال : نرى على قبر فلانة كل ليلة ناراً. فقلت : إنا لله وإنا إليه راجعون، أما والله إن كانت لصوامة قوامة

---

(١) عاصم بن محمد بن زيد بن عبدالله بن عمر بن الخطاب العمري المدني: روى عن أبيه وأخوته، وابن عم أبيه القاسم بن عبيدالله بن عبدالله بن عمرو ومحمد بن كعب القرظي وغيرهم، وعنه أبو اسحاق الفزاري وابن عيينة ويعقوب بن إبراهيم وغيرهم. قال أحمد وابن معين، وأبو داود ثقة، وقال أبو حاتم ثقة لا بأس به، وقال النسائي: ليس به بأس، وذكره ابن حبان في الثقات وقال: أبو زرعة: صدوق في الحديث، وقال البزار: صالح الحديث. راجع تهذيب التهذيب ٥ : ٥٧.

عفيفة مسلمة، انطلق بنا. فأخذت فأساً فإذا القبر منفرج وهي جالسة وهذا يدب حولها، وناداني مناد من السماء : أيها المستودع ربه وديعته، خذ وديعتك، أما لو استودعت أمه لوجدتها. فأخذته وعاد القبر كما كان، فهو والله هذا يا أمير المؤمنين.

قال عبيد : فحدثت بهذا الحديث محمد بن إبراهيم العمري فقال : هذا والله الحق. وقد سمعت عم أبي عاصم يذكره وقال : ورأيت ابن ابن هذا الرجل بالكوفة، وقال لي موالينا : هو هذا.

الأصل الثاني والثلاثون

في بطاقة البهتان وبيان الاحتراز منه

عن ابن عمرو (رضي الله عنهما) قال : قال رسول الله (ﷺ) : يجاء بالعبد يوم القيامة فتوضع حسناته في كفة وسيئآته في كفة، فترجح السيئات فتجيء بطاقة فتقع في كفة الحسنات فترجح بها، فيقول : يا رب ما هذه البطاقة ؟ فما من عمل عملته في ليلي ونهاري إلا وقد استقبلت به. قال : هذا ما قيل فيك وأنت منه بريء. قال : فينجو بذلك[١].

وروي في الخبر أن داود (عليه السلام) سأل سليمان (عليه السلام): ما أثقل شيء ؟ فقال : البهتان على البريء.

عن علي (كرم الله وجهه) : البهتان على البريء أثقل من السموات.

---

(١) الحديث رواه الإمام الترمذي في كتاب الإيمان ١٧ باب ما جاء فيمن يموت وهو يشهد أن لا إله إلا الله ٢٦٣٩ ــ حدثنا سويد بن نصر أخبرنا عبدالله بن ليث بن سعد، حدثني عامر بن يحيى عن أبي عبد الرحمن المعافري ثم الحبلي قال: سمعت عبدالله بن عمرو بن العاص يقول: قال رسول الله ﷺ إن الله سيخلص رجلاً من أمتي على رءوس الخلائق يوم القيامة: وذكره.

قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب.

وإنما صار هكذا لأن الآدمي ائتمن على جوارحه السبع ووكل برعايتهن أيام الحياة لئلا تدنس حتى يقدم على الله تعالى وهو مقدس يصلح لدار القدس، وأن يكون مجاوراً للقدوس، وزائراً له. فإذا رعاهن هذا المؤمن، ثم ضيع منه ما ضيع من غفلة أو زلة أو فتنة، فمن ورائه الندم والإقلاع والاستغفار، وباب التوبة مفتوح. فإذا رعى العبد هذه الجوارح فقال هذا في عرضه ما هو بري منه، فقد خونه في أمانة الله تعالى عنده، ولم يخن ورماه بداهية هو فيها ساع به إلى الله تعالى، وغير مقبولة سعايته ؛ لأن علام الغيوب مطلع على كذبه، وكتب في شهداء الزور. وقد نهى الله تعالى عنه وقرنه بالشرك. فقال تعالى : ﴿ **فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور** ﴾[1].

وقال (ﷺ) : « البهتان عدل بالشرك بالله » .

وسمي بهتاناً لأنه يبهت القلب ويحيره من ظلمته. فإن الظلم ظلمات. وإذا بهت القلب وتحير في الظلمة، ذهبت الهداية والبصيرة. وهو بمنزلة الشمس إذا انكسفت فتهافت نورها، فيصير الذي نيل من عرضه بهذا البهتان عند الله تعالى بحال رحمة حيث أُصيب من عرضه وخلص الألم إلى قلبه. وإذا كان بريئاً فهو أوجع لقلبه.

---

(١) سورة الحج آية رقم ٣٠ وقد جاءت الآية محرفة في المطبوعة حيث قال (اجتبوا) بدلاً (فاجتنبوا).

الأصل الثالث والثلاثون

في سر الاحتجاب وبيان حكمه

عن نبهان مولى أم سلمة (رضي الله عنهما) أنه حدث أن أم سلمة زوج النبي (ﷺ) حدثته أنها كانت عند رسول الله (ﷺ) وميمونة، قالت : بينا نحن عنده إذا أقبل إبن أم مكتوم، فدخل عليه، وذلك بعد أن أمر بالحجاب. فقال رسول الله (ﷺ) : احتجبا منه. فقلنا : يا رسول الله أليس هو الأعمى لا يبصرنا ولا يعرفنا ؟ فقال رسول الله (ﷺ) : أفعمياوان أنتما ألستما تبصرانه ؟[1].

قال أبو عبدالله : إنما ضرب الحجاب عليهن كرامة لرسول الله (ﷺ) وإجلالاً له، وصير الله تعالى أزواجه أمهات المؤمنين ليحرمن على من بعده. وقد تكلم بعضهم في حياته بشيء من تزويجهن فنزلت :

---

(١) الحديث رواه الترمذي في كتاب الأدب ٢٩ باب ما جاء في احتجاب النساء من الرجال ٢٧٧٨ ــ حدّثنا سويد، حدّثنا عبدالله، أخبرنا يونس بن يزيد عن ابن شهاب عن نبهان مولى أم سلمة أنه حدثه، أن أم سلمة حدثته وذكره.

قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، ورواه أبو داود في كتاب اللباس ٣٤ وأحمد ابن حنبل في المسند ٦ : ٢٩٦ (حلبي).

﴿ ما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً إن ذلكم كان عند الله عظيماً ﴾[1] ونزلت : **﴿ النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم ﴾**[2].

فانقطع الخطاب الذي كان فيما بينهم، والطمع في شأنهن، فصرن أمهات المؤمنين، وليس المؤمنون بمحرم لهن، وذلك ليعلم أنه إنما صرن إمهات المؤمنين ليحرمن على الرجال من بعده. وليس الرجال بمحرم لهن. فقال تعالى : **﴿ وإذا سألتموهن متاعاً فاسألوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن ﴾**[3].

فكما حظر على الرجال النظر إليهن، فكذلك حظر عليهن النظر إلى الرجال. فبين علة الحجاب أنه إنما أريد بذلك طهارة قلوب الصنفين جميعاً قلوب الرجال منهن، وقلوبهن من الرجال.

وروي في الخبر أن الحسن والحسين (رضي الله عنهما) كانا لا يريان أمهات المؤمنين. وإنما كان يدخل عليهن محارمهن من النسب والرضاع ومماليكهن.

---

(١) سورة الأحزاب آية رقم ٥٣.

(٢) سورة الأحزاب آية رقم ٦.

(٣) سورة الأحزاب آية رقم ٥٣.

الأصل الرابع والثلاثون

في حقيقة النظرتين

عن أبي امامة (رضي الله عنه)، عن رسول الله (ﷺ) أنه قال : « ما من مسلم ينظر إلى محاسن امرأة أول مرة ثم يغض بصره إلا أحدث الله له عبادة يجد حلاوتها »[1].

فالنظرة الأولى نظرة الروح، والنظرة الثانية نظرة النفس؛ لأن الإنسان خلق مفتوح العين عمول ناظراه لحاظ هكذا وهكذا، فهو مأذون له في ذلك؛ لأن من شأن العين أن تطرف وتفتح. فإذا وقع بصره على شيء، فليس عليه شيء لأن قلبه لم يعمل شيئاً. فإذا عمل بصره، فإنما يعلمه، والابتداء من القلب حتى تعمل العين، فذاك نظر تكلف، فهو مسئول عنه، والأول مرفوع عنه. فلذلك قال : « ينظر إلى محاسن امرأة أول مرة ثم يغض بصره » لأنه لما وقع بصره على المحاسن أول مرة وجب عليه أن يغض. فالغض فعل العين، فعليه يثاب. والفتح والنظر بعد ذلك فعل العين، فعليه يعاقب. يقال : إن بصر العين متصل ببصر الروح من داخل. فلذلك

---

(١) الحديث رواه الإمام أحمد بن حنبل في المسند ٥ : ٢٦٤ حدثني أبي ثنا إبراهيم بن اسحاق ثنا ابن مبارك، وعتاب قال ثنا عبدالله هو ابن المبارك، أنا يحيى بن أيوب عن عبيدالله بن زحر عن علي بن يزيد القاسم عن أبي أمامة عن النبي ﷺ قال:وذكره.

قيل : الحياء في العينين لأن الحياء من فعل الروح. ولذلك قيل : لا تطلبن إلى أعمى حاجة.

عن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال : لا تطلبن إلى أعمى حاجة، وإذا طلبت الحاجة فاستقبل الرجل بوجهك، فإن الحياء في العينين، ولا تطلبنها ليلاً، وباكر في حاجتك، فإن رسول الله (ﷺ) قال : « اللهم بارك لأمتي في بكورها »[1].

فلما غض بصره عما لا يخل فانما صان روحه ان تتدنس وقمع نفسه عن أن تلذ بشهوة فأُعطي نوراً ثواباً عاجلاً فوجد حلاوة العبادة.

عن أبي امامة (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (ﷺ) : « النظر إلى محاسن المرأة سهم مسموم من سهام الشيطان فمن صرف بصره عنها أبدله الله تعالى عبادة يجد حلاوتها »[2].

---

(١) الحديث أخرجه الترمذي في كتاب البيوع ٦ باب ما جاء في التبكير بالتجارة ١٢١٢ حدثنا يعقوب بن إبراهيم الدورقي، حدثنا هيثم، حدثنا يعلى بن عطاء عن عمارة بن جديد، عن صخر الغامدي قال: قال رسول الله ﷺ: وذكره.

قال الترمذي: حديث صخر الغامدي، حديث حسن ولا نعرف لصخر الغامدي عن النبي ﷺ غير هذا الحديث، وقد روى سفيان الثوري عن شعبة عن يعلى بن عطاء هذا الحديث.

وأخرجه أبو داود في ١٥ كتاب الجهاد ٧٨ باب الابتكار في السفر حديث ٢٦٠٦ وأخرجه ابن ماجة في ٦٢ ــ كتاب التجارات ٤١ ــ باب ما يرجى من البركة في البكور حديث ٢٢٣٦.

(٢) رواه الحاكم وصححه، وأقره العراقي بلفظ: « النظرة سهم من سهام ابليس، من تركها مخافة الله أعطاه الله إيماناً يجد حلاوته في قلبه ». وضعفه المنذري عن حذيفة، وأخرجه الطبراني عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ عن ربه عز وجل: النظرة سهم مسموم من سهام ابليس من تركها مخافتي أبدلته إيماناً يجد حلاوته في قلبه ومن شواهده ما عند البيهقي وغيره.

قال المنذري ورواتهم لا أعلم فيهم مجروحاً عن ابن مسعود: الاثم حزاز القلوب، وما من نظرة إلا وللشيطان فيها مطمع والله أعلم.

الأصل الخامس والثلاثون

في أن الحسنة بعشرة

عن أبي أيوب (رضي الله عنه)، عن رسول الله (ﷺ) أنه قال : « من صام رمضان ثم أتبعه ستاً من شوال فكأنما صام الدهر »[1].

فمن أجل أن الله تعالى جعل الحسنة لهم بعشر أمثالها، فصوم رمضان بثلثمائة يوم. كل يوم بعشرة. وبقي من السنة ستون يوماً، فعدل كل يوم بعشرة، فيحتسب له على حساب تضعيف الحسنات، كأنه صام الدهر كله.

---

(١) الحديث رواه الترمذي في كتاب الصوم ٥٣ باب ما جاء في صيام ستة أيام من شوال ٧٥٩ ــ حدثنا أحمد بن منيع، حدثنا أبو معاوية، حدثنا سعد بن سعيد عن عمر بن ثابت عن أبي أيوب قال: قال رسول الله ﷺ: وذكره.

قال الترمذي: حديث أبي أيوب حديث حسن صحيح، والحديث أخرجه الإمام مسلم في ١٣ كتاب الصيام ٣٩ باب استحباب صوم ستة أيام من شوال اتباعاً لرمضان حديث رقم ٢٠٤.

وأخرجه ابن ماجه في ٧ كتاب الصيام ٣٣ باب صيام ستة أيام من شوال حديث ١٧١٦.

عن معاوية بن قرة، عن أبيه (رضي الله عنهما) قال : قال رسول الله (ﷺ) : « من صام ثلاثة أيام من كل شهر، فقد صام الشهر كله »[1].
لأن كل يوم يحتسب له في التضعيف بعشرة أيام.

---

(١) الحديث أخرجه ابن ماجة في ٧ ــ كتاب الصيام ٢٩ باب ما جاء في صيام ثلاثة أيام من كل شهر حديث ١٧٠٨.

ورواه الإمام الترمذي في كتاب الصوم ٥٤ باب ما جاء في صوم ثلاثة أيام من كل شهر ٧٦٢ ــ حدثنا هناد، حدثنا أبو معاوية عن عاصم الأحول عن أبي عثمان النهدي، عن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ: وذكره.

الأصل السادس والثلاثون

في الشكر والصبر

عن أبي هريرة (رضي الله عنه)، عن رسول الله (ﷺ) أنه قال : « الطاعم الشاكر بمنزلة الصائم الصابر »[1].

فالطعم فعل، والصوم كف عن فعل. فالطاعم بطعمه يأتي ربه بالشكر، والصائم بكفه عن الطعم يأتي ربه بالصبر.

وقد روي عن رسول الله (ﷺ) أنه قال : « الإيمان نصفان. نصف للشكر، ونصف للصبر » .

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في كتاب الأطعمة ٥٦ باب الطاعم الشاكر، مثل الصائم الصابر فيه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ.

قال الحافظ: وهذا الحديث من الأحاديث المعلقة التي لم تقع في هذا الكتاب موصولة، وقد أخرجه المصنف في التاريخ، والحاكم في المستدرك من رواية سليمان بن بلال عن محمد بن عبدالله بن أبي حرة ـــ بضم المهملة وتشديد الراء عن عمه حكيم بن أبي حرة عن سليمان الأغر عن أبي هريرة ولفظه: « إن للطاعم الشاكر من الأجر مثل ما للصائم الصابر » وقد اختلف فيه على محمد فأخرجه ابن ماجة من رواية الدراوردي عنه عن عمه حكيم عن سنان بن سنة الأسلمي وقيل عن الدراوردي عن موسى بن عقبة عن محمد عن عمه عن رجل من أسلم لكن صرح الدراوردي في رواية أحمد بأن محمد بن أبي حرة أخبره فلعله كان حمله عن موسى بن عقبة عنه ثم سمعه منه.

وفي حديث آخر عن ابن مسعود (رضي الله عنه) : « الصبر نصف الإيمان »[1] وإنما قال « نصف الإيمان » لأن نصفه للشكر.

ثم قال : « واليقين الإيمان كله » ثم تلا : ﴿ **إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور** ﴾ [2] وقال : ﴿ **وفي الأرض آيات للموقنين** ﴾[3].

فجمع اليقين الصبر والشكر. وإنما هو صنفان : معطي فعليه الشكر، وممنوع منه فعليه الصبر. فإذا شكر هذا، فقد أتى من حقيقة الإيمان بنصفه. وإذا صبر هذا، فقد أتى من حقيقة الإيمان بنصفه.

---

(١) الحديث رواه الترمذي في كتاب الدعوات ٨٧ باب ٣٥١٩ ــ حدثنا هناد حدثنا أبو الأحوص عن أبي اسحاق عن جرير النهدي، عن رجل من بني سليم قال: عدهن رسول الله ﷺ في يدي أو في يده: وذكره.

ولفظه: الصوم نصف الصبر، والطهور شطر الإيمان.

ورواه ابن ماجه في كتاب الصيام ٤٤ باب في الصوم زكاة الجسد بلفظ « لكل شيء زكاة وزكاة الجسد الصوم » زاد محرز في حديثه: وقال رسول الله ﷺ: « الصيام نصف الصبر ».

في الزوائد: إسناد الحديث عن الطريقين معاً ضعيف فيه موسى بن عبيدة الزيري ومدار الطريقين عليه وهو متفق على تضعيفه.

(٢) سورة إبراهيم آية رقم ٥.

(٣) سورة الذاريات آية رقم ٢٠ وقد جاءت الآية محرفة في المطبوعة حيث قال: « إن في ذلك لآيات للموقنين ».

الأصل السابع والثلاثون

في سر قتل الحيات والنهي عنه

عن سري بنت نبهان العنوية قالت : سمعت رسول الله (ﷺ) يقول : « اقتلوا الحيات صغيرها وكبيرها وأسودها وأبيضها. فإن من قتلها كانت له فداء من النار. ومن قتلته كان شهيداً »[1].

فالحية عدو قد أظهرت العداوة. وقد كانت وكلت بخدمة آدم (عليه السلام) في الجنة فخانته، وأمكنت عدو الله من نفسها حتى صيرته سبباً لدخوله الجنة في إغوائه. فلما ألقاهم إلى الأرض تأكدت العداوة من عدو الله ومن الحية لآدم (عليه السلام) وأولاده.

قال وهب بن منبه : لما أسكن الله (عزّ وجلّ) آدم (عليه السلام) الجنة وزوجته، كانت الشجرة وغصونها منشعبة بعضها في بعض، وكان لها ثمر تأكله الملائكة تخلدهم، وهي الثمرة التي نهى الله تعالى آدم وزوجته (عليهما السلام) عنها. فلما أراد إبليس أن يستنزلهما دخل في

(١) قال صاحب مجمع الزوائد باب قتل الحيات والحشرات ـــ ثم ذكر الحديث وقال : رواه الطبراني في الكبير، وفيه أحمد بن الحارث الغساني وهو متروك.

جوف الحية. وكانت الحية لها أربع قوائم تحتية من أحسن دابة خلقها الله تعالى. فلما دخلت الحية الجنة، خرج من جوفها إبليس، وأخذ من الشجرة التي نهى الله آدم وزوجته (عليهما السلام) عنها، فجاء بها إلى حواء فقال لها : انظري الى هذه الشجرة ما أطيب ريحها، وأطيب طعمها، وأحسن لونها. فأخذتها حواء، فأكلتها، ثم ذهبت بها إلى آدم (عليه السلام)، فقالت : انظر الى هذه الشجرة ما أطيب ريحها وأطيب طعمها وأحسن لونها، فأكل منها آدم (عليه السلام)، فبدت لهما سوآتهما فدخل آدم في جوف الشجرة، فناداه ربه : أين أنت ؟ قال : أنا هنا يا رب. قال : ألا تخرج ؟ قال : أستحيي منك يا رب. قال : اهبط إلى الأرض التي خلقتك منها. قال : ملعونة الأرض التي منها خلقت لعنة تتحول ثمارها شوكاً. ثم قال : يا حواء غررت عبدي. فإنك لا تحملين حملاً إلا حملت كرهاً، فإذا أردت أن تضعي ما في بطنك أشرفت على الموت مراراً. وقال للحية : أنت التي دخل الملعون في جوفك حتى غر عبدي، ملعونة أنت لعنة تتحول قوائمك في بطنك، ولا يكون لك رزق إلا التراب، أنت عدوة بني آدم وهم أعداؤك، أين لقيت أحداً منهم أخذت بعقبه، وحيث لقيك شدخ رأسك.

عن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال : قال رسول الله (ﷺ) : « اقتلوا الحية والعقرب وإن كنتم في الصلاة »[1].

عن ابن عمر (رضي الله عنهما)، عن رسول الله (ﷺ) أنه قال : « خمس يقتلهن المحرم » فذكر الحية فيهن[2].

---

(١) قال صاحب مجمع الزوائد : رواه الطبراني في الأوسط وفيه جابر غير مسمى والظاهر أنه الجعفي وثقه الثوري وشعبة وضعفه الأئمّة أحمد وغيره.

(٢) الحديث رواه البيهقي في كتاب الحج ٥ : ٢١٠ أخبرنا أبو الحسين بن بشران أنا أبو الحسن علي بن محمد المصري، ثنا مالك بن يحيى ثنا يزيد بن هارون أنا الحجاج بن أرطاة عن وبرة قال: سمعت ابن عمر يقول: وذكره. =

عن عبدالله بن مسعود (رضي الله عنه) قال : كنا مع رسول الله (ﷺ) بمنى، فمرت حية فقال رسول الله (ﷺ) : اقتلوها. فسبقتنا إلى جحر فدخلته. فقال رسول الله (ﷺ) : هاتوا بسعفة ونار فاضرمها عليه ناراً. وكان رسول الله (ﷺ) ينهى عن المثلة وعن أن يعذب بعذاب الله[1].

فلم يبق لهذا العدو حرمة حيث فاتته حتى اوصل إليه الهلاك من حيث قدر.

وكان ابن عباس (رضي الله عنهما) يقول : اخفروا ذمة إبليس عدو الله فإنه روي في الخبر أن عدو الله إبليس قال للحية : أدخليني الجنة وأنت في ذمتي.

فأما ما روي عن رسول الله (ﷺ) من النهي عن قتل الجان، فإن تلك في صورة الحيات هن من الجن، وهن سكان البيوت. فإذا قتلتها ضرت بك.

عن زيد بن الخطاب (رضي الله عنه) أن رسول الله (ﷺ) نهى عن قتل دواب البيوت يعني الجان.

عن أبي الدرداء (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (ﷺ) : « خلق الله (عز وجل) الجان ثلاثة أثلاث. فثلث كلاب وحيات

= والحجاج بن أرطأة لا يحتج به قال البيهقي: وقد روينا من حديث ابن المسيب مرسلاً جيداً ولفظه: يقتل المحرم: الحية والذئب وعن عبدالله بن مسعود مثله في الحية.

(١) الحديث أخرجه البيهقي في سننه كتاج الحج ٥ : ٢١٠ أخبرنا أبو عبد الله الحافظ أنا أبو عبدالله محمد بن يعقوب ثنا أحمد بن سهل ثنا داود بن رشيد ثنا حفص بن غياث ثنا الأعمش عن ابراهيم عن الأسود عن عبدالله قال كنا مع رسول الله ﷺ: وذكره. ورواه مسلم في الصحيح عن أبي كريب.

وخشاش الأرض، وثلث ريح هفافة، وثلث كبني آدم لهم الثواب وعليهم العقاب »[1].

وفي رواية أبي ثعلبة الخشني : صنف لهم أجنحة يطيرون يطيرون في الهواء. يدل قوله : « وثلث ريح هفافة ». وخلق الله تعالى الإنس ثلاثة أثلاث : فثلث لهم قلوب لا يفقهون بها وأعين لا يبصرون بها وآذان لا يسمعون بها إن هم إلا كالأنعام، بل هم أضل سبيلاً، وثلث أجسادهم كأجساد بني آدم وقلوبهم قلوب الشياطين، وثلث في ظل الله تعالى يوم لا ظل إلا ظله.

عن أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (ﷺ) : « إن بالمدينة نفراً من الجن أسلموا، فمن رأى شيئاً من هذه العوامر فليؤذنه ثلاثاً، فإن بدا له بعد ذلك فليقتله فإنه شيطان »[2].

عن أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه) قال : خرج رسول الله (ﷺ) إلى أحد فخرج معه فتى منا من بني خدرة، وهو حديث عهد بعرس، فاستأذن رسول الله (ﷺ) أن يطلع على أهله، فأذن له، فخرج الفتى وفي يده الرمح حتى دخل الدار، فوجد زوجته بباب حجرته جالسة،

---

(١) الحديث رواه الإمام الترمذي ٢ باب ما جاء في قتل الحيات ١٤٨٤ حدثنا هناد، حدثنا عبدة عن عبيدالله بن عمر عن صيفي عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: وذكره.

قال الترمذي: هكذا روي عبيدالله بن عمر هذا الحديث عن صيفي عن أبي سعيد الخدري، وروي مالك بن أنس هذا الحديث عن صيفي عن أبي السائب مولى هشام بن زهرة عن النبي ﷺ وفي الحديث قصة.

(٢) الحديث رواه الإمام مسلم في كتاب السلام باب قتل الحيات وغيرها ١٤١ وحدثنا زهير ابن حرب، حدّثنا يحيى بن سعيد عن ابن عجلان حدثني صيفي عن أبي السائب عن أبي سعيد الخدري قال سمعته قال: قال رسول الله ﷺ: وذكره.

فأفزعه ذلك فقال : ما أخرجك من بيتك ؟ قالت : حية منطوية على فراشك هي التي ذعرتني، فدخل الفتى فوكزها برمحه، وخرج بها الى صحن الدار تضطرب فيه، فماتت ومات الفتى من ساعته. فذكر ذلك لرسول الله (ﷺ) فقال : « لا تقتلوا شيئاً تجدونه في البيوت منهن حتى تقدموا »[1].

عن ابن أبي مليكة قال : قتلت عائشة (رضي الله عنها) جاناً فأتيت في المنام فقيل : أما والله لقد قتلتيه مسلماً. فقالت : لو كان مسلماً ما دخل على أمهات المؤمنين. فقيل : ما دخل عليك إلا وأنت مستترة. فتصدقت وأعتقت رقاباً.

عن ثابت بن قطبة الثقفي قال : جاء رجل الى عبدالله بن مسعود (رضي الله عنه) فقال : إنا كنا في سفر فمررنا بحية مقتولة مشعرة في دمها، فواريناها، فلما نزلوا أتتهم نسوة وأناس، فقالوا : أيكم صاحب عمرو ؟ قلنا : من عمرو ؟ قالوا : الحية التي دفنتموها أمس، أما أنه من النفر الذين استمعوا من رسول الله (ﷺ). قلنا : ما شأنه ؟ قال : كان حيان من الجن مسلمون ومشركون بينهم قتال فقتل.

عن الربيع بن بدر قال : الجان من الحيات التي نهى رسول الله (ﷺ) عن قتلها هي التي تمشي ولا تلتوي.

عن علقمة قال : اقتلوا الحيات كلها إلا الجان الذي كانه ميل فإنه جنها.

---

(١) الحديث رواه الإمام مسلم ـــ في كتاب السلام باب قتل الحيات وغيرها ١٣٩ ـــ (٢٢٣٦) حدثني أبو الطاهر، أحمد بن عمرو بن سرج أخبرنا عبدالله بن وهب أخبرني مالك بن أنس عن صيفي (وهو عندنا مولى ابن أفلح) أخبرني أبو السائب مولى هشام ابن زهرة أنه دخل على أبي سعيد الخدري في بيته قال: وذكره. وهو جزء من حديث طويل.

الأصل الثامن والثلاثون

في أكل القثاء بالرطب وسره

عن عبدالله بن جعفر (رضي الله عنه) قال : رأيت رسول الله (ﷺ) يأكل القثاء بالرطب[1].

قال أبو عبدالله : فهذا جمع بين لونين، فقد يجوز أن يكون قد اشتهاه، فقضى شهوته لله تعالى لتسكين النفس. فإن النفس نازعة إلى ما فيه اللذة لها، ولها حق إذا استقامت لمولاها، فأدّى حقها، وحمد الله وشكره عليها، فلا يكون على صاحبها وبال في مثل هذا، وإنما الوبال على من قضى شهوته بنهمة غافلاً عن ربه سبحانه وتعالى، منهوماً بلذته، لا يلتمس فيها حقّ النفس، ولا يبتغي بها وجه الله. فالحساب أمامه، وهو مسئول عن شكرها. وقد يجوز أن يكون على غير هذا السبيل الذي ذكرناه.

---

(١) الحديث أخرجه ابن ماجة في كتاب الأطعمة ٣٧ باب القثاء والرطب يجمعان ٣٣٢٥ ـــ حدثنا يعقوب بن حميد بن كاسب، وإسماعيل بن موسى قالا ثنا إبراهيم بن سعد عن أبيه عن عبدالله بن جعفر قال: وذكره. وأخرجه الترمذي في كتاب الأطعمة ٣٧ باب ما جاء في أكل القثاء بالرطب بسنده عن عبدالله بن جعفر وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من حديث إبراهيم بن سعد.

ويحتمل أن يكون لمكان عياله أو ضيفه فعل ذلك، فتوسع من أجلهم في ذلك، ولم يحمل قوته على ضعفهم. فربما ينغص على الضيف أو العيال إمساكه عنه، واستوحشوا من فعله، وتكدرت تلك النعمة عليهم، ففيه تضييع حق الضيف وحق العيال، فيخالطهم في ذلك ويشركهم فيه. ووجه آخر محتمل أيضاً، وذلك أن القثاء بارد رطب، والرطب حار، فأحب أن يصيره مزاجاً، فيجمع بين الحار والبارد، كيلا يضربه واحد منهما على الانفراد.

وعن عائشة (رضي الله عنها) أن رسول الله (ﷺ) كان يجمع بين البطيخ والرطب[1].

وعن أنس (رضي الله عنه) أن رسول الله (ﷺ) كأن يأكل البطيخ بالرطب[2].

---

(١) الحديث أخرجه الترمذي في كتاب الأطعمة ٣٦ باب ما جاء في أكل البطيخ بالرطب ١٨٤٣ ــ حدثنا عبدة بن عبدالله الخزاعي، حدثنا معاوية بن هشام عن سفيان بن هشام ابن عروة عن أبيه عن عائشة أن النبي ﷺ : وذكره.

قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، ورواه بعضهم عن هشام بن عروة عن أبيه عن النبي ﷺ مرسل، ولم يذكر فيه عن عائشة وقد روى يزيد بن رومان عن عروة عن عائشة هذا الحديث.

(٢) الحديث أخرجه ابن ماجة في كتاب الأطعمة ٣٧ باب القثاء والرطب يجمعان ٣٣٢٦ حدثنا محمد بن الصباح وعمرو بن نافع قالا: ثنا يعقوب بن الوليد بن أبي هلال المدني عن أبي حازم عن سهل بن سعد قال: وذكره.

الأصل التاسع والثلاثون

في مراتب الأخلاق وفضل العلم

عن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال : كنت ذات يوم رديف رسول الله (ﷺ) قال : « ألا أعلمك خصلات ينفعك الله بهن » قلت : بلى يا نبي الله. قال : عليك بالعلم، فإن العلم خليل المؤمن، والحلم وزيره، والعقل دليله، والعمل قيمه، والرفق أبوه، واللين أخوه، والصبر أمير جنده[1].

قال أبو عبدالله : الإيمان مستقره في القلب، ويشرق نوره في الصدر، فإذا اعترض فكر في الأمور، تصور كل شيء على هيئته، فيرى الخير في بهائه وحسنه، والشر في قبحه وشينه. وإنما قيل : « علم » لأنه علائم الإيمان، قد أظهر في الصدر باطن ما في القلب، فهو خليله؛ لأنه قد خله إلى الإيمان، أي ضمه لما ظهر العلم اهتدى فمال إلى من آمن به ليأتمر بأمره، وينتهي عن نواهيه. والخلة الضمة في اللغة. يقال هذا ثوب خليل،

---

(١) لم نعثر على هذا الحديث ولم يذكر في الصحاح ولم يشِر إليه صاحب مجمع الزوائد والله أعلم.

وهو الذي شكه بالخلال، فضمه إلى نفسه. فكذلك لما ظهر في صدر المؤمن شكه وجمعه، حتى لا تنتشر جوارحه في شهواته وهواه.

والحلم وزيره، فالحلم هو سعة الصدر وطيب النفس. فإذا وسع الصدر وانشرح بالنور، أبصرت النفس رشدها من غيها، وعواقب الخير والشر، فطابت. وإنما تطيب النفس لسعة الصدر. وإنما يتسع الصدر بولوج النور الوارد من عند الله. وهو قوله تعالى: ﴿ **أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه** ... ﴾[1] وإذا دخل النور، سهل تسليم النفس، وذهبت عسرتها وكزازتها. والملح يطيب الطعام، والحلم يطيب النفس.

عن عبدالله بن جراد (رضي الله عنه) قال: قال رسول الله (ﷺ): «ليس الأعمى من يعمى بصره، إنما الأعمى من تعمى بصيرته»[2].

قال الله تعالى في تنزيله الكريم: ﴿ **فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور** ... ﴾[3] فطيب النفس من روح اليقين، وهو من أعظم النعم.

---

(١) سورة الزمر آية رقم ٢٢.

(٢) الحديث رواه البيهقي في الشعب، والعسكري، والديلمي عن عبدالله بن جراد مرفوعاً، قال العسكري: البصيرة الاستبصار في الدين يقال فلان حسن البصيرة إذا كان بصيراً بدينه. ولما قال معاوية لعقيل ابن أبي طالب ما لكم يا بني هاشم تصابون في أبصاركم؟ فقال: كما تصابون يا بني أمية ببصائركم وفي التنزيل ﴿ **لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات والأرض بصائر** ﴾ [الإسراء ١٠٢].
وقال: ﴿ **فإنها لا تعمى الأبصار، ولكن تعمى القلوب التي في الصدور** ﴾ [الحج ٤٦].
وروى البيهقي عن أبي عبيدة بن حَرْبويه أنه ذكر عنده القاضي ابن اسماعيل الفقيه فقال: ذاك الاعمى، فأنشأ يقول:
ليس العمى أن لا ترى بل العمى أن لا ترى مميزاً بين الصواب والخطأ.

(٣) سورة الحج آية رقم ٤٦.

وعن عمر (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (ﷺ) : « لا بأس من غني لمن إتقى، والصحة لمن إتقى خير من الغني، وطيب النفس من النعيم » .

فالغني بغير التقوى هلكة، يجمعه من غير حقه، ويضعه في غير حقه. فإذا كان مع صاحبه تقوى، فقد ذهب البأس وجاء بالخير.

عن محمد بن كعب : أن الغني إذا كان تقياً، آتاه الله تعالى أجره مرتين، ثم تلا : ﴿ **وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى إلا من آمن وعمل صالحاً فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم في الغرفات آمنون** ﴾(١).

فليس من امتحن كمن لم يمتحن. فقال في مؤمني أهل الكتاب : ﴿ **أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا** ﴾(٢).

فصبر الغني أشد من صبر الفقير. كما أن محاربتك أسداً خلي عنه أشد من محاربتك أسداً قد ربط بوثاق.

قال مالك بن دينار (رحمه الله) : يقول الناس : مالك زاهد. وكيف لا يزهد وهو مقبز عليه، إنما الزاهد عمر بن عبد العزيز، نال الخلافة فلبس المسوح.

وأما قوله : « والصحة لمن اتقى خير من الغنى » فإن صحة الجسد عون على العبادة. والسقيم عاجز. فالصحة خير من الغنى مع العجز.

وأما قوله : « وطيب النفس من النعيم » فقد ذكرنا أنه من روح اليقين على القلب، وهو النور الوارد الذي قد أشرق في الصدر، وأراح القلب

---

(١) سورة سبأ آية رقم ٣٧.

(٢) سورة القصص آية رقم ٥٤.

والنفس من الظلمة والضيق؛ لأن النفس بشهواتها في ظلمة، والقلب في تلك الظلمات قد أحاطت به، فالسائر إلى مدعاة في ظلمة يشتد عليه السير، ويضيق صدره لما يتخوف في الطريق من المهاوي والمخاوف. فإذا أضاء له الصبح، انفقأت الظلمة، ووضح الطريق، وزالت المخاوف. فكذلك السائر بقلبه في شريعة الإسلام إلى الله تعالى، إذا كان قلبه في ظلمة شهواته وهواه، هو بهذه الصفة. وإذا أشرق نور اليقين في صدره، استراح القلب. فهذه صفة الحلم، فهو وزير المؤمن يوازره على أمر الله تعالى. وإذا لم يكن حلم، ضاقت النفس وانفرد القلب بلا وزير.

والعقل دليله، يدلّه على مراشد الأمور، ويبصره غيها، ويهديه لمحاسنها، ويزجره عن مساوئها. وخلق الله (عز وجل) العقل فقال: «وعزتي ما خلقت خلقاً أحب إليَّ منك، فبك آخذ وبك أعطي، وإياك أعاتب، ولك الثواب وعليك العقاب»[1].

---

(١) قال الصنعاني موضوع باتفاق، وفي زوائد عبدالله بن الإمام أحمد على الزهد لأبيه بسند فيه ضعف عن الحسن البصري مرفوعاً مرسلاً لما خلق الله العقل قال له أقبل فأقبل، ثم قال له أدبر فأدبر قال: «ما خلقت خلقاً أحب إليَّ منك، بك آخذ وبك أعطي».

وأخرجه داود بن المحبر في كتاب العقل له، وهو كذاب عن الحسن أيضاً بزيادة ولا اكرم عليَّ منك، لأني بك أعرف، وبك أعبد، وفي الكتاب المذكور لداود من هذا النمط أشياء منها: أول ما خلق الله العقل وذكره، لكن ذكره في الأحياء، وقال العراقي في تخريج أحاديثه: أخرجه الطبراني في الكبير والأوسط، وأبو نعيم بإسنادين ضعيفين.

وقال السخاوي والسيوطي: رواه ابن أحمد في زوائد الزهد عن الحسن برفعه، وهو مرسل جيد الإسناد، ولا يلزم من رواية ابن المحبر أن يكون موضوعاً، لا سيما وقد رواه الأئمة بغير إسناد ابن المحبر فليس الحديث بموضوع.

وقال الحافظ ابن حجر: والوارد في أول ما خلق الله حديث أول ما خلق الله القلم، وهو أثبت من حديث العقل، وحاول الجمع بينهما البيضاوي في طوالعه بأن قال يشبه أن يكون هو العقل لقوله: أول ما خلق الله القلم فقال له اكتب ــ الحديث فليتأمل.

راجع كشف الخفا ١ : ٢٧٥، ٢٧٦.

وروي في الخبر أن الله تعالى قال : يا موسى إنما أجزي الناس على قدر عقولهم.

والعمل قيمة، القيمة من شأنه أن يتوكل لك حتى يكفيك مهماتك، والعمل الصالح يهيئ له في معاشه طيب الحياة. قال الله تعالى ﴿ **من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون** ﴾[1]. فالحياة الطيبة في الدنيا، والجزاء في الآخرة. وقال تعالى : ﴿ **إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه** ﴾[2].

والرفق أبوه، الأب له التربية مع العطف والشفقة، وهو يشمل أحوال الولد بالعناية، ويجمع له وجوه المكاسب. والرفق كشفير الأمور، به يتأتى الأمور، وبه يتصل بعضها ببعض، وبه يجمع ما تشتت منه، ويأتلف ما تنافر وتبدد منه، ويرجع إلى المأوى ما شذ. وهو يشمل أحوال المؤمن بالصلاح، ويجمع له الخيرات والطاعات من وجوه البر.

واللين أخوه، فالأخ آخية المرء ومعتمده من المخلوقين، فهو مستراحه. إذا أعيي ونصب استند إليه واستراح. فكذلك اللين، هو مستراح المؤمن. به تهدأ نفسه، ويطمئن قلبه، وتجد أركانه راحة ذلك. وحدته وشدته وغضبه تعب بدنه، وعذاب نفسه، ونصب قلبه. وإنما يلين قلبه بهدو نفسه. وإنما تهدو نفسه بموت شهواتها. وإنما تموت شهواتها بما أصبر قلبه بنور اليقين من جلال الله تعالى وعظمته، وصار كالدهن في اللين. ومن غلظ قلبه وفظ واشتد فمن القسوة. وإنما يقسو قلبه من الغفلة عن الله تعالى. وإنما يلين القلب لما يرطب بذكر الله تعالى. وفي اللغة : عسى، وعتا، وقسا قريبة المعنى، ويرجع المعنى إلى أنه يبس فكز، وضد

---

(١) سورة النحل آية رقم ٩٧.

(٢) سورة فاطر آية رقم ١٠.

ذاك رطب فلان قال الله تعالى : ﴿ **فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك** ﴾[1].

فالفظاظة وغلط القلب تفرق المجموع وتبدد المؤتلف. واللطافة ورقة القلب تجمع المتفرق، وتؤلف المتبدد. وان القلب يلطف ويرق من النور، وسببه الرحمة، ويفظ ويغلظ من حرارة الشهوات، وقوة الغذاء والدم. وكان رسول الله (ﷺ) من شأنه المداومة على الحجامة إلى أن قبض. وقال (ﷺ) : « ما مررت بملأ من الملائكة إلا أمروني بالحجامة. وقالوا لي : مرأمتك بالحجامة »[2].

معناه عندنا لأنهم من بين الأمم أهل يقين. فإذا اشتعل نور اليقين في القلب، ومعه حرارة الدم، أضر بالقلب وبالطبع أيضاً. وكان (ﷺ) يستعمل الحناء في رأسه مع أنه لم يشنه الشيب، وما خضب. وإنما كان سبب الحناء أنه كان يأتيه الوحي فيصدع، فمن أجل الصداع كان يعالج بالحناء في رأسه حتى تخف حرارة رأسه.

والصبر أمير جنده، والصبر هو ثبات القلب على عزمه. فإذا ثبت الأمير، ثبت الجند لمحاربة العدو. وإذا جاءت النفس بشهواتها فغلبت

---

(١) سورة آل عمران آية رقم ١٥٩.

(٢) الحديث رواه الترمذي في كتاب الطب ١٢ باب ما جاء في الحجامة ٢٠٥٢ حدثنا أحمد ابن بديل الكوفي. حدثنا محمد بن فضيل حدثنا عبد الرحمن بن اسحاق عن القاسم بن عبد الرحمن هو ابن عبدالله بن مسعود عن أبيه عن ابن مسعود قال: حدث رسول الله ﷺ عن ليلة أسري به: وذكره. قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب من حديث ابن مسعود وأخرجه ابن ماجة في كتاب الطب ٢٠ باب الحجامة ٣٤٧٧ بسنده عن عكرمة عن ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ أن رسول الله ﷺ قال: وذكره. ورواية الإمام أحمد في المسند ١ : ٢٥٤ (حلبي).

القلب حتى استعملت الجوارح بما نهى عنه، فقد ذهب الصبر، وهو ذهاب العزم، فبقي القلب أسيراً للنفس واستولت عليه، فانهزم العقل والحلم والعلم والرفق واللين وجميع جنوده.

الأصل الأربعون

في تكثير التوبة

عن خبيب بن الحارث (رضي الله عنه) قال : أتيت رسول الله (ﷺ) فقلت : يا رسول الله، إني رجل مقراف الذنوب. قال : يا خبيب فكلما أذنبت فتب الى الله تعالى. قلت : ثم أعود يا رسول الله ! قال : ثم تب. قلت : إذا يكثر يا رسول الله. قال : عفو الله أكثر من ذنوبك يا خبيب[1].

التوبة للعبد مبسوطة حتى يعاين قابض الأرواح وهو عند غرغرته بالروح، وإنما يغرغر به إذا قطع الوتين، فشخص من الصدر إلى الحلق، فعند ذلك حضور الموت ومعاينة ملك الموت الذي وكل به، فهو الذي يذيقه، ومن قبل ذلك كان أعوانه ليستوفون الروح وينزعونه من الجوارح والعروق. قال الله تعالى : ﴿ **وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن** ﴾[2] فباب التوبة مفتوح إلى

---

(١) الحديث رواه الطبراني في الأوسط. قال صاحب مجمع الزوائد: فيه نوح بن ذكوان وهو ضعيف.

(٢) سورة النساء آية رقم ١٨.

طلوع الشمس من مغربها. ودواء الذنب التوبة. وشفاء العبد منه إذا ماتت شهوة ذلك الذنب منه.

قوله : « عفو الله أكثر من ذنوبك » أي فضل الله على العبد أكثر من نقصان العبد. وأنه كلما أذنب أبق من ربّه (عز وجل)، وكلما أبق ازداد عيباً، وكلما ازداد عيباً ازداد نقصاً في القدر والجاه. قال : ففضل الله على العبد أكثر من نقصانه لأنه يتفضل من كرمه ومجده. فقبول التوبة من فضل الله، ورجوعه بالتوبة إليه أيضاً من فضله، فرب عبد لا يوفق للتوبة والعياذ بالله من ذلك.

الأصل الحادي والأربعون

في الخوارج

عن عبدالله بن أبي أوفى (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (ﷺ) : « الخوارج كلاب أهل النار »(١).

الخوارج قوم ضل سعيهم في الحياة الدنيا، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً، فهم الأخسرون أعمالاً، حبطت أعمالهم فلا يقام لهم يوم القيامة وزن، ذلك بأنهم قد اجتهدوا ودأبوا في العبادة وفي قلوبهم زيغ ومرقوا من الدين.

وقد روي عن رسول الله (ﷺ) أنه وصفهم فقال : « يقرأون القرآن يقيمونه إقامة القدح لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية »(٢).

---

(١) الحديث أخرجه ابن ماجة في المقدمة ١٢ باب في ذكر الخوارج ١٧٣ حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة ثنا اسحاق الأزرق عن الأعمش عن ابن أبي أوفى قال: قال رسول الله ﷺ: وذكره.

في الزوائد: إن رجال الإسناد ثقات إلا أن فيه انقطاعاً، ورواه الإمام أحمد في المسند ٤ : ٣٣٥، ٣٨٢ (حلبي).

(٢) الحديث رواه الترمذي في كتاب الفتن ٢٤ باب صفة المارقة ٢١٨٨ بسنده عن عبدالله =

مازال بهم التنطع والتعمق حتى كفروا الموحدين بذنب واحد، حتى صاروا بذلك إلى الأنبياء (عليهم السلام) للزيغ الذي في قلوبهم دخلوا فيما لم يأذن به الله تعالى فقاسوا برأيهم وتأولوا التنزيل على غير وجهه. هم الذين وصفهم الله تعالى فقال : ﴿ **فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله** ﴾[1].

وربما تمسكوا بآخر الآية ونهوا عن أولها. حتى قال قائلهم لجابر بن عبدالله : أنت الذي تقول : يخرج الله من النار قوماً بعدما أدخلهم فيها ! قال : نعم، سمعته من رسول الله (ﷺ). قال : فأين قول الله تعالى : ﴿ **وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم** ﴾[2] قال جابر : انظر لمن هذا من مبتدأ الآية : ﴿ **إن الذين كفروا لو أن لهم ما في الأرض جميعاً ومثله معه...** ﴾[3] الآية.

فالمؤمن يستر ويرحم ويعطف ويتوقى أن يلوم ويعير ويرجو من الله الرحمة ويرجيه. وهذا المفتون يهتك ويعير وييئس ويقنط ويكفر. فهذه أخلاق الكلاب، وتقولهم كلبوا على عباد الله، ونظروا إليهم بعين البغضة والعداوة والملامة. فلما دخلوا النار، صاروا في هيئة أعمالهم كلاباً كما كانوا على الموحدين في الدنيا كلاباً.

= ابن مسعود عن رسول الله ﷺ : وذكره.

قال الترمذي: وفي الباب عن علي وأبي سعيد، وأبي ذر وهذا حديث حسن صحيح، ورواه الإمام البخاري في الأنبياء ٦ وفي المناقب ٢٥ والمغازي ٦١ وفضائل القرآن ٢٦ والتوحيد ٢٣، ٥٧ ورواه الإمام مسلم في الزكاة ٤٧ باب ذكر الخوارج وصفاتهم ١٤٢ (١٠٦٣) بسنده عن جابر بن عبدالله وذكره، وأيضاً رقم ١٤٨ عن أبي سعيد الخدري. والنسائي في الزكاة ٧٩ والتحريم ٢٦ ورواه صاحب الموطأ في مس القرآن ١٠ وأحمد ابن حنبل في المسند ١: ٨٨، ٩٢، ١٣١ (حلبي).

(١) سورة آل عمران آية رقم ٧.

(٢) سورة المائدة آية رقم ٣٧.

(٣) سورة المائدة آية رقم ٣٦.

قال أبو العالية : ما أدري أي النعمتين أفضل : أن هداني للإيمان، ثم لم يجعلني حرورياً.[1] والله أعلم.

عن أبي عاكف قال : كنت بدمشق فجيء برؤوس الخوارج من العراق، فنصبت على درجة المسجد فبينا أنا قائم إذ أنا بشيخ على حمار، قصير ينظر إليهم ويبكي ويقول : كلاب النار، كلاب النار، كلاب النار. فسألت عنه فقالوا : أبو أمامة صاحب رسول الله (ﷺ) فدنوت منه فقلت : يا أبا أمامة أراك تبكي وتقول : كلاب النار. قال : رحمة لهم لأنهم قد صلّوا وصاموا وحجوا واعتمروا ثم صاروا كلاب النار. قلت : هذا شيء تقوله أم سمعته من رسول الله (ﷺ) ؟ قال : لو لم أسمعه إلا مرة أو مرتين أو ثلاثة أو أربعة ــ حتى بلغ عشر مرات ــ ما قلت، ولكن سمعت رسول الله (ﷺ) يقول : « إنه سيكون من امتي قوم يقرأون القرآن لا تجاوز قراءتهم تراقيهم يعبدون الله تعالى عبادة يحتقرون عبادة الناس في عبادتهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية لا يعود فيه حتى يعود أعلاه فوقه هم شر الخلق والخليقة هم شر قتلى تحت أديم السماء طوبى لمن قتلهم أو قتلوه »[2].

والأزارقة[3] صنف من الخوارج، كان رئيسهم نافع بن الأزرق،

---

(١) يُقال للخوارج حرورية، ونواصب، وشراة، وحكيمة، ومارقة النواصب : جمع ناصب، وقد يُقال ناصبي وهو الغالي في بعضه علي كرم الله وجهه، والحرورية نسبة إلى حرورا، وهي قرية أو كورة بظاهر الكوفة، وأمّا الشراة فجمع شار مثل قضاة وقاض وقد سمّوا أنفسهم بهذا الاسم وزعموا أنهم شروا أنفسهم من الله.

(٢) سبق تخريج هذا الحديث.

(٣) أتباع نافع بن الأزرق الحنفي المكنى بأبي راشد ولم تكن للخوارج قط فرقة أكثر عدداً ولا أشد منهم شوكة، والذي جمعهم من الدين أشياء، منه: قولهم بأن مخالفيهم من هذه الأمة مشركون، ومنها قولهم إن القعدة مشركون، ومنها أنهم استباحوا قتل نساء مخالفيهم، وقتل أطفالهم أنظر في بيان هذا الفرقة مقالات الاسلاميين ١ : ١٥٧ والتبصير ٢٩، والملل والنحل للشهرستاني ١ : ١١٨.

وكان من شأنه أن يخاصم يتأول القرآن في زمن ابن عباس (رضي الله عنهما) فنسب تبعه إليه فقيل الأزارقة. وفي زمن عليّ (كرم الله وجهه) كان رئيسهم ابن الكواء، وفي زمن التابعين (رضوان الله عليهم أجمعين) نجدة الحراوري، وهو من بقيّة أهل حروراء الذين خرجوا على علي (كرّم الله وجهه). وحروراء قرية من قرى السواد.

عن ابن عمر (رضي الله عنهما) قال : قال رسول الله (ﷺ) : لجهنم سبعة أبواب : باب منها لمن سل سيفه على أمتي. أو قال : أمة محمد (ﷺ).

عن أنس بن مالك (رضي الله عنه) قال : كان في عهد رسول الله (ﷺ) رجل يعجبنا تعبده واجتهاده فذكرناه لرسول الله (ﷺ) فلم يعرفه. ووصفناه بصفته فلم يعرفه، فبينما نحن نذكره إذ طلع الرجل فقلنا : هو هذا يا رسول الله. قال : إنكم تخبروني عن رجل وعلى وجهه لسفعة من الشيطان. قال : فأقبل حتى وقف على المجلس، فقال له رسول الله (ﷺ) : أنشدك الله هل قلت حين وقفت على المجلس : ما في المجلس أحد أفضل مني أو خير مني ؟ قال : اللهم نعم. ثم دخل يصلي. فقال رسول الله (ﷺ) : من يقتل الرجل ؟ قال أبو بكر (رضي الله عنه) : أنا. فدخل فوجده يصلي. فقال : سبحان الله، أقتل رجلاً يصلي، وقد نهانا رسول الله (ﷺ) عن ضرب المصلين ! فخرج فقال له رسول الله (ﷺ) : مه. قال : وجدته بأبي أنت وأمي يصلي، وقد نهيتنا عن ضرب المصلين. فقال (ﷺ) : من يقتل الرجل ؟ فقال عمر : أنا. فوجده ساجداً، فقال : أقتل رجلاً واضعاً وجهه لله تعالى وقد

---

(١) هو نجدة بن عامر الحروري الحنفي رأس الفرقة النجدية نسبة إليه من الحرورية من كبار أصحاب التورات في الاسلام كان أول أمره مع نافع ابن الأزرق استقل باليمامة سنة ٦٦ هـ قتله أصحاب ابن الزبير عام ٦٩ هـ.

رجع أبو بكر (رضي الله عنه) وهو أفضل مني ! فخرج إليه. فقال له رسول الله (ﷺ) : مه. فقال : يا رسول الله بأبي أنت وأمي وجدته ساجداً، فكرهت أن أقتله واضعاً وجهه لله تعالى. قال (ﷺ) : من يقتل الرجل ؟ قال علي : أنا. قال : أنت إن أدركته قتلته. فوجده علي قد خرج. فجاء فقال : وجدته بأبي أنت وأمي قد خرج. قال : لو قتلته ما اختلف من أمتي رجلان، كان أولهم وآخرهم واحداً.

وقال محمد بن كعب القرظي : هو الذي قتله علي يوم النهروان رؤيته مثل البراغيث إنما نبت له جناحان يطير بهما حرقوص ذو الثدية[1].

عن أبي سلمة (رضي الله عنه) قال : وقف رجل على رسول الله (ﷺ) وهو يقسم تبرا فقال : يا محمد اعدل. فرفع بصره إليه. فقال : « ويلك إذا لم أعدل فمَن يعدل.. ؟ يوشك مثل هذا يظهرون يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم. فإذا ظهروا فاضربوا أعناقهم ».

قال : والظاهر من قولهم وفعلهم يسبي نفوس الجهال والحمقى، والباطن ظلمات بعضها فوق بعض، زيغ وكفر وزندقة وتشبيه.

(١) راجع مجمع الزوائد باب ما جاء في ذي الثدية وأهل النهروان فقد ذكر ذا الثدية وقصّة حمله، وما روته أمه في ذلك، ورواية أبي يعلى في هذا الموضوع مطوّلة. وقال صاحب مجمع الزوائد : فيه أبومعشر نجيح وهو ضعيف يكتب حديثه.

الأصل الثاني والأربعون

في فضيلة المؤذنين

عن معاوية (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (ﷺ) : « المؤذنون أطول الناس أعناقاً يوم القيامة »[1].

قال أبو عبدالله : المؤذنون هم دعاة إلى أمر الله، فزيدوا على الناس مرتبة بطول أعناقهم ليشرفوا على الناس بأعناقهم. وهذا الطول عندنا في شخصهم وخيالهم. فأما نفس الخلقة بحيث خلقها الله تعالى من جنس خلق أهل الجنة. وإنما ذكر العنق للمقدار؛ لأن هناك طبقة أعلى منهم هم الأنبياء والأولياء الذين هم دعاة إلى الله تعالى، زيدوا في القامة كلها، لا في العنق فقط. وكان رسول الله (ﷺ) يوصف في هذه الحياة بصفة تدل على ما قلنا، وهو أنه (عليه السلام) كان إذا مشى ربما إذا اكتنفه رجلان طويلان فيمشي هو بينهما فيطولهما. فإذا مشى وحده، نسب إلى الربعة.

قال علي (رضي الله عنه) أنه (ﷺ) لم يكن بقصير ولا طويل وإذا جاء مع الناس غمرهم.

---

(١) الحديث رواه الإمام مسلم عن معاوية مرفوعاً، وأخرجه القضاعي عن أنس مرفوعاً، والبيهقي عن بلال. قال معناه أن الناس يعطشون يوم القيامة، والإنسان إذا عطش انطوت عنقه، والمؤذنون لا يعطشون يومها فلا تنطوي أعناقهم.

عن أم معبد في صفته (ﷺ) قالت : كان أنظر الثلاثة منظراً.

ووجه آخر أنهم أطول الناس أعناقاً بمد أعينهم إلى عظيم ما يأملون من الثواب. ومد العين إلى الشيء تأميلاً إشراف بالعنق. فإذا كان يوم القيامة ووصف الأنبياء والأولياء (عليهم السلام) إلى كرامة الله تعالى، كانت قامتهم على حسب درجاتهم في الموقف إذا أتوها، حتى يصدروا من الموقف إلى الجنة، فيعطون قامة أهل الجنة. ومما يحقق ما قلناه ما رواه ابن عمر (رضي الله عنهما) عن رسول الله (ﷺ) قال : « أحشر أنا وأبو بكر وعمر يوم القيامة هكذا ... » وأخرج السبابة والوسطى والبنصر « ... ونحن مشرفون على الناس »[1]. وقد ذكرناه في الأصل الرابع والعشرين.

وممّا يحقّق ما قلنا ما روي عن رسول الله (ﷺ) أنه قال : « يحشر الجبارون والمتكبرون يوم القيامة في صورة الذر يطأهم الناس تحت أقدامهم »[2].

فالمتكبرون الذين تكبروا على الله تعالى فلم يوحدوه. قال تعالى : ﴿ **إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون** ﴾[3] فقامتهم قامة الذر يوم القيامة. فكل من كان أشد تكبراً، كان أقصر قامة. وعلى هذا السبيل كل من كان أشد تواضعاً لله تعالى، فهو أشرف قامة على الخلق.

---

(١) سبق تخريج هذا الحديث قريباً من هذا.

(٢) الحديث رواه الإمام الترمذي في كتاب صفة القيامة ٢٤٩٢ ــ بسنده عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ قال: وذكره. وفيه زيادة [فيساقون الى سجن جهنم يسمى بولس تعلوهم نار الأنيار يسقون من عصارة أهل النار طينة الخبال].

قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. ورواه الإمام أحمد بن حنبل في المسند ٢ : ١٧٩ (حلبي).

(٣) سورة الصافات آية رقم ٣٥.

الأصل الثالث والأربعون

في تسليم الحق وسر مصافحته لعمر (رضي الله عنه)

عن أبي بن كعب (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (ﷺ) : « أول من يصافحه الحق عمر وأول من يسلم عليه وأول من يأخذ بيده فيدخله الجنة »[1].

قال أبو عبدالله : الرحمة والحق لهما شأن في الموقف يومئذ الحق يقتضي الخلق عبودته، والرحمة تشتمل على من وفى بالعبودة له. فمن طالبه الحق بالعبودة ولم تدركه الرحمة، فقد هلك. وكان من شأن عمر (رضي الله عنه) القيام بالحق. وكان الغالب على قلبه عظمة الله وجلاله، وهيبته سبحانه وتعالى. وكان الحق (عز وجل) معتمله حتى يقوم بأمر الله، ويحاسب نفسه وسائر الخلق على الذرة والخردلة في السر والعلانية، وهو الوفاء بما قلد الله الخلق من رعاية هذا الدين الذي ارتضاه لهم، وهو الإسلام. فكأنه خلق عزاً للإسلام.

---

(١) الأثر رواه الحاكم في كتاب معرفة الصحابة بسنده عن يحيى بن سعيد بن المسيب عن أبي بن كعب ــ رضي الله عنه ــ قال : سمعت رسول الله ﷺ ــ يقول : وذكره.

وبذلك دعا رسول الله (ﷺ) فقال : « اللهم أعز الدين بعمر بن الخطاب أو بعمرو بن هشام »[1].

عن عائشة (رضي الله عنها) قالت : دعا رسول الله (ﷺ) لعمر بن الخطاب وأبي جهل بن هشام فأصبح عمر، وكانت الدعوة يوم الأربعاء وهم تسعة وثلاثون رجلاً، فأسلم عمر (رضي الله عنه) يوم الخميس، فكبر رسول الله (ﷺ) وأهل البيت تكبيرة سمعت بأعلى مكة، وخرج رسول الله (ﷺ) وكان مختفياً في بيت الأرقم، فأظهر الإسلام وطاف بالبيت، وعمر متقلد السيف حتى صلى الظهر معلناً.

وكان كما قالت عائشة (رضي الله عنها) : وكان أحوذياً نسيج وحده قد أعد للأمور أقرانها.

عن سعيد بن جبير، عن أنس بن مالك (رضي الله عنه) أن جبرئيل (عليه السلام) جاء إلى رسول الله (ﷺ) فقال : يا محمد أقرئ عمر السلام، وأخبره أن غضبه عز، وأن رضاه عدل.

وقال رسول الله (ﷺ) : يا عمر إن غضبك عز ورضاك حكم.

---

(١) الحديث أخرجه الترمذي في كتاب المناقب ١٨ باب في مناقب عمر بن الخطاب ــ رضي الله عنه ــ ٣٦٨١ ــ حدثنا محمد بن بشار، ومحمد بن رافع قالا: حدثنا أبو عامر العقدي حدثنا خارجة بن عبدالله الأنصاري عن نافع عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: وذكره.

قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب من حديث ابن عمر. وأخرجه ابن ماجة في المقدمة ١١ باب بسنده: ثنا عبد الملك بن الماجشون، حدثني الزنجي بن خالد، عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: وذكره.

في الزوائد: حديث عائشة ضعيف فيه عبد الله بن الماجشون، ضعفه بعضهم وذكره ابن حبان في الثقات، وفيه مسلم بن خالد الزنجي. قال البخاري: منكر الحديث وضعفه أبو حاتم والنسائي وغيرهم، ووثقه ابن معين وابن حبان.

وهذا لأن من استولى على قلبه الحق. إذا غضب، غضب للحق. وإذا رضي، رضي من أجل الحق. وكان الغالب على قلب عمر (رضي الله عنه) الحق ونوره وسلطانه.

قال رسول الله (ﷺ) : أرحم أمتي بأمتي أبو بكر، وأقواهم في دين الله عمر(١).

وإنما القوة من أجل أن الحق على القلب سلطانه. وكان أبو بكر (رضي الله عنه) من شأنه القيام برعاية تدبير الله ومراقبة صنعه في الأمور حتى يدور مع الله تعالى في تدبيره. وكان مستعملاً بالتدبير، وعمر مستعملاً بالحق. فمن شأن أبي بكر (رضي الله عنه) العطف والرحمة والرأفة والرقة واللين. ومن شأن عمر (رضي الله عنه) الشدة والقوة والصلابة والصرامة. ولذلك شبه رسول الله (ﷺ) في حديثه أبا بكر بإبراهيم من الرسل، وبميكائيل من الملائكة (عليهم السلام). وشبه عمر بنوح من الرسل، وبجبرئيل من الملائكة (عليهم السلام). فابتدأ الله المؤمنين بالرحمة، ورزقهم الإيمان، ثم اقتضاهم حقه فشرع لهم الشريعة، واستهداهم القيام بذلك. فمن وفى له بالقيام بذلك، فقد أرضى الحق تعالى.

فأبو بكر مع المبتدأ وهو الإيمان، وعمر مع الذي يتلوه وهو الحق، وهو الشريعة. لأن من حق الله تعالى على عباده أن يوحدوه. وإذا وحدوه، فمن حقه عليهم أن يعبدوه بما أمرهم به ونهاهم عنه.

---

(١) الحديث أخرجه الترمذي في كتاب المناقب ٣٢ باب ٣٧٩٠ حدثنا سفيان بن وكيع حدثنا حميد بن عبد الرحمن عن داود العطاردي عن معمر عن قتادة عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: وذكره.

قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه من حديث قتادة إلا من هذا الوجه، وقد رواه أبو قلابة عن أنس عن النبي ﷺ نحوه والمشهور حديث أبي قلابة.

وأخرجه ابن ماجة في المقدمة ١١ وأحمد بن حنبل في المسند ٢ : ٩٥ (حلبي).

ولذلك ما روي عن رسول الله (ﷺ) أنه قال : « أمرت أن أُؤوِّل الرؤيا على أبي بكر وأمرت أن أقرأ القرآن على عمر »[1]. لأن الرؤيا جزء من أجزاء النبوة، والقرآن بيان حقوقه. ولذلك قيل : « أبو بكر الصديق » لأنه صدق بالإيمان بكمال الصدق.

وقيل لعمر : « فاروق » لأنه يفرق بين الحق والباطل. وأسماؤهما دليلان على مراتبهما من الله تعالى بالقلوب. ويكشف لك عن درجتيهما أن مجرى أبي بكر مجرى صدق الإيمان، ومجرى عمر مجرى وفاء الحق. وكيف ما دار الحق مع العباد يوم الموقف باقتضاء أمر الله (عز وجل)، وحبسهم على الباب، والانتقام بالنار منهم، فالعاقبة الرحمة؛ لأن الرحمة لا تترك أحداً قال : « لا إله إلا الله » مرة واحدة في دار الدنيا في جميع عمره صدقاً في قلبه، ثم لم يوجد له مثقال خردلة من خير إلا وتأخذه من النار ولو بعد مقدار عمر الدنيا.

وكذلك جاء عن رسول الله (ﷺ) في قصة الشفاعة : إذا انقضت شفاعة الرسل والملائكة والأنبياء والمؤمنين، جاء محمد في المرة الرابعة (ﷺ) فيسأل فيمن قال مرة : « لا إله إلا الله »، فيقول الله (عز وجل) : إنها ليست لك ولا لأحد من خلقي، فتجيء الرحمة من وراء الحجاب فتقول : يا رب منك بدأت وإليك أعود، فشفعني فيمن قال : « لا إله إلا الله » مرة واحدة. فتجاب إلى ذلك.

فإنما أعطاهم قول : « لا إله إلا الله » بالرحمة، ثم لا تتركهم تلك الرحمة حتى تأخذهم من الحق سبحانه وتعالى، وانتقامه منهم بالنار. ويكشف عن شأن درجتيهما الأخبار المتواترة. فمنها ما روي عن ابن شريحة قال : سمعت علياً (رضي الله عنه) على المنبر يقول : إن أبا بكر أواه منيب القلب، وان عمر ناصح الله فنصحه الله تعالى.

---

(١) لم نعثر على هذا الأثر على كثرة البحث والتقصّي.

عن ابن سيرين (رضي الله عنه) أن أبا بكر (رضي الله عنه) كان إذا صلى فقرأ خفض صوته. وكان عمر (رضي الله عنه) كان إذا قرأ جهر. فقيل لأبي بكر : لم تصنع هذا ؟ قال : أناجي ربي وقد علم حاجتي. قيل : أحسنت. وقيل لعمر (رضي الله عنه) : لم تصنع هذا ؟ قال : أطرد الشيطان، واوقظ الوسنان. قيل : أحسنت. فلما نزل : ﴿ **ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلاً** ﴾[1] فقيل لأبي بكر : ارفع شيئاً، وقيل لعمر : اخفض شيئاً[2].

عن عبدالله بن بريدة (رضي الله عنه) قال : سمعت أبي يقول : خرج رسول الله (ﷺ) في بعض مغازيه، فلما انصرف رسول الله (ﷺ)، جاءت جارية سوداء فقالت : « يا نبي الله : كنت نذرت إن ردك الله سالماً أن أضرب بين يديك بالدف »، فقال : « إن كنت نذرت أن تضربي، وإلا، فلا ». فدخل أبو بكر وهي تضرب، ثم دخل عمر، فألقت الدف تحتها ثم قعدت عليه. فقال رسول الله (ﷺ) : « إن الشيطان ليخاف منك يا عمر، إني كنت جالساً وهي تضرب، فدخل أبو بكر وهي تضرب، ثم دخل علي وهي تضرب، ثم دخل عثمان وهي تضرب، فلما دخلت أنت ألقت الدف »[3].

---

(١) سورة الإسراء آية رقم ١١٠.

(٢) الحديث رواه الترمذي في أبواب الصلاة باب ٢١٢، ٤٤٧ عن عبدالله بن رباح الأنصاري عن أبي قتادة أن النبي ﷺ قال: وذكره. وقال: هذا حديث غريب ورواه أبو داود في التطوع ٢٥.

(٣) الحديث أخرجه الترمذي في كتاب المناقب ٣٦٩٠ ـــ حدثنا الحسين بن حريث حدثنا علي بن الحسين بن واقد حدثني أبي، حدثني عبدالله بن بريدة قال: سمعت بريدة يقول خرج رسول الله ﷺ في بعض مغازيه وذكره.

قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب من حديث بريدة، وفي الباب عن عمر وسعد بن أبي وقاص وعائشة.

فلا يظن ذو عقل أن عمر في هذا أفضل من أبي بكر، وأبو بكر شبيه برسول الله (ﷺ) في ذلك. ولكن رسول الله (ﷺ) قد جمع الأمرين والدرجتين، فله درجة النبوة، لا يلحقه أحد، وأبو بكر له درجة الرحمة، وعمر له درجة الحق.

عن الأسود بن هلال (رضي الله عنه) قال : قال أبو بكر (رضي الله عنه) لأصحابه ذات يوم : ما ترون في هاتين الآيتين : ﴿ **إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا** ... ﴾[1] وقال : ﴿ **الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم** ... ﴾[2] ؟

قالوا : استقاموا فلم يذنبوا، ولم يلبسوا إيمانهم بظلم بذنب. قال : لقد حملتموها على غير المحمل. ﴿ **إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا** ﴾ فلم يلتفتوا إلى اله غيره، ﴿ **ولم يلبسوا إيمانهم بظلم** ﴾ أي بشرك.

عن الزهري أن عمر (رضي الله عنه) تلا هذه الآية : ﴿ **إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا**... ﴾. قال: استقاموا والله لله بطاعته، ثم لم يروغوا روغان الثعالب.

عن مكحول رفع الحديث إلى رسول الله (ﷺ) قال : كان بين رجل من المنافقين ورجل من المسلمين منازعة في شيء ادعاه المنافق، فأتيا رسول الله (ﷺ)، فقصَّا عليه قصتهما. فلما توجه القضاء على المنافق، قال المنافق : يا رسول الله ادفعني وإياه إلى أبي بكر. قال : انطلق معه إلى أبي بكر، فانطلق معه فقصَّا قصتهما على أبي بكر (رضي الله عنه). فقال : ما كنت لأقضي بين من رغب عن قضاء الله وقضاء رسوله، فرجعا إلى رسول الله (ﷺ)، فقال : يا نبي الله ادفعني وإياه الى عمر.

---

(١) سورة فصلت آية رقم ٣٠.

(٢) سورة الأنعام آية رقم ٨٢.

قال : انطلق معه إلى عمر. قال : يا نبي الله أنطلق مع رجل إلى عمر قد رغب عن قضاء الله وقضاء رسول الله. قال : إنطلق معه. فخرجا حتى أتيا عمر (رضي الله عنه) فقصَّا عليه قصتيهما. فقال عمر (رضي الله عنه) لا تعجلا حتى أخرج إليكما. فدخل فاشتمل على السيف وخرج عليهما. فقال: أعيدا عليّ قصتكما، فاعادا. فلما تبين لعمر (رضي الله عنه) أن المنافق رغب عن قضاء الله وقضاء رسوله، حمل سيفه على ذؤابة المنافق حتى خالط كبده ثم قال : هكذا أقضي بين من لم يرض بقضاء الله وقضاء رسوله. فأتى جبرئيل (عليه السلام) رسول الله (ﷺ) فقال : يا رسول الله إن عمر قد قتل الرجل. وفرق الله بين الحق والباطل على لسان عمر (رضي الله عنه)، فسمي الفاروق. ويلزم إسم الصديق من أقام الصدق في أموره كلها، ويلزم اسم الفاروق من أقام الحق في أموره كلها. ولو كان في بعضها، لكان هذا صادقاً وذاك فارقاً من العربية في قالب فاعل، وأما فعيل وفاعول هو الذي تمكن ذاك الأمر فيه فصار له عادة وطبعاً.

الأصل الرابع والأربعون

في ما يعدونه صدق الحديث

قال المصنف : حدثنا الحسين بن علي العجلي الكوفي، قال : حدثنا يحيى بن آدم، قال : حدثنا ابن أبي ذئب عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة (رضي الله عنه)، قال : قال رسول الله (ﷺ) : « إذا حدثتم عني بحديث تعرفونه ولا تنكرونه، قلته أو لم أقله فصدقوا به. وإني أقول ما يعرف ولا ينكر. وإذا حدثتم عني بحديث تنكرونه ولا تعرفونه فكذبوا به فإني لا أقول ما ينكر ولا يعرف »[1].

---

(١) قال السخاوي: رواه الدارقطني في الأفراد والعقيلي في الضعفاء، وأبو بكر بن البحتري في جزئيه عن أبي هريرة مرفوعاً، والحديث منكر جداً، وقال العقيلي ليس له إسناد صحيح، ومن طرقه ما عدا الطبراني عن ابن عمر مرفوعاً سئلت اليهود عن موسى فأكثروا فيه وزادوا ونقصوا حتى كفروا، وأنه « ستفشو عني أحاديث فما أتاكم من حديثي فاقرءوا كتاب الله واعتبروا فما وافق كتاب الله فأنا قلته، وما لم يوافق كتاب الله فلم أقله » وقد سئل الحافظ ابن حجر عن هذا الحديث فقال إنه جاء من طرق لا تخلو عن مقال، وقد جمع طرقه البيهقي في كتابه المدخل انتهى. وقال الصنعاني إذا رويتم ويروى إذا حدثتم عني حديثاً فاعرضوه على كتاب الله، فإن وافق فاقبلوه، وإن خالف فردوه. قال: هو موضوع. انتهى.

فالرسل بعثوا إلى الخلق بحمل الأمور ومعرفة التدبير في الأمور، وكيف ؟ ولم ؟ وكنه الأمور عندهم مكنون قد أفشى الله من ذلك إلى الرسل من غيبه ما لا يحتمله عقول من دونهم، وبفضل النبوة قدروا على احتماله.

فالعلم إنما بدأ من عند الله تعالى إلى الرسل، ثم من الرسل إلى الخلق، فالعلم بمنزلة البحر فأجري منه واد، ثم أجري من الوادي نهر، ثم أجري منه جدول، ثم من الجدول إلى ساقية، فلو أجري إلى الجدول ذلك الوادي غرقه وأفسده، ولو مال البحر إلى الوادي لأفسده. وهو قوله تعالى في تنزيله الكريم : ﴿ **أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها** ... ﴾[1].

فبحور العلم عند الله تعالى، فأعطى الرسل منها أودية، ثم أعطت الرسل من أوديتهم أنهاراً إلى العلماء، ثم أعطت العلماء إلى العامة جداول صغاراً على قدر طاقتهم، ثم أجرت العامة إلى أهاليهم وأولادهم ومماليكهم سواقي بقدر طاقتهم ومن ههنا ما روي في الخبر أن لله سراً لو أفشاه لفسد التدبير، وللأنبياء (عليهم السلام) سراً لو أفشوه لفسدت نبوته، وللملوك سراً لو أفشوه لفسد ملكهم، وللعلماء سراً لو أفشوه لفسد علمهم، وإنما يفسد ذلك لأن العقول لا تحتمله. فلما زيدت الأنبياء (عليهم السلام) في عقولهم، قدروا على احتمال النبوة، وزيدت العلماء في عقولهم وبذلك نالوا العلم فقدروا على احتمال ما عجزت العامة عنه.

وكذلك علماء الباطن، وهم الحكماء، زيدت في عقولهم، وبذلك نالوا العلم فقدروا على احتمال ما عجزت عنه علماء الظاهر. ألا يرى أن كثيراً من علماء الظاهر دفعوا أن تنقطع الوسوسة من الآدمي في صلاته، ودفعوا أن يكون له مشي على الماء، أو تطوى له الأرض، أو يهيأ له رزق من غير وجوه الآدميين، حتى أنكروا عامة هذه الروايات التي جاءت في مثل هذه

---

(١) سورة الرعد آية رقم ١٧.

الأشياء، ولو عقلوا لقالوا مثل ما قال مطرف بن عبدالله[1] حين سار ليلة مع صاحب له فأضاء له طرف عصاه كالسراج معه، فقال له صاحبه : لو حدثنا بهذا كذبنا. فقال مطرف : المكذب بنعم الله يكذب بهذا. ولو نظر علماء الظاهر إلى ما أعطى الله تعالى لهم من معرفته وهي أعظم شيء في السموات والأرض، لم يستعظموا ما إذا أعطي أحدهم دسجة من جزر في برية من الأرض أو رغيفاً. بل قالوا : هذا من الله الذي أعطانا معرفته التي هي أثقل من سبع سموات وسبع أرضين. لكنه من أُعطي هذا العطاء الجليل فلم يرعه حق رعايته ولم يشكر المعطي، بل سها ولها وتبطل في صورة الكفور للنعمة، مقبلاً على الدنيا. ومن انتبه لما أعطي وانكشف غطاء قلبه رعى ما أُعطي وعز عليه أن يدنس خلعة الله الذي خلع على قلبه كما عز عليه أن يدنس خلعة الملوك في دار الدنيا، فكيف بالخلعة التي خلعها رب العالمين على قلوب الموحدين، اشتعل في قلوبهم نور التوحيد حتى عرفوه وآمنوا به فأشرقت صدورهم ونزع عنها ظلمة الكفر وخلعها عنهم، وخلع عليهم لباس التقوى الذي هو وقاية من النار.

ثم قال في تنزيله الكريم: ﴿ .... **ذلك من آيات الله**[2] وقال: ﴿ **حبب إليكم الإيمان وزينة في قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون * فضلاً من الله ونعمة**﴾[3]. ثم قال : ﴿ **والله عليم حكيم** ﴾[4].

(١) هو مطرف بن عبدالله بن الشخير أبو عبدالله البصري روى عن أبيه وعثمان وعلي وأبي ذر وغيرهما. ذكره ابن سعد في الطبقة الثالثة من أهل البصرة قال العجلي : كان ثقة، توفّي في أول ولاية الحجاج وقال الترمذي مات سنة ٩٥ هـ. راجع تهذيب التهذيب ١٠ : ١٧٤.

(٢) سورة الكهف آية رقم ١٧.

(٣) سورة الحجرات آية رقم ٧ وبداية الآية رقم ٨.

(٤) سورة النساء آية رقم ٢٦.

عليم بمعنى أعطى من هو من عباده حكيم في أمره، بالحكمة فعل هذا، لا بالجزاف.

﴿ وهو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض وإذ أنتم أجنة في بطون أمهاتكم ... ﴾[1].

فمن انتبه لهذه النعمة ولهذا الفضل، لم يستعظم أن تطوى له الأرض أو يعطى رغيفاً في برية. والله يقول في تنزيله الكريم : **﴿ ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله ... ﴾**[2].

قيل : هو الشفاعة يوم القيامة. فرجل يشفع في أهل النار يوم القيامة، وصار ممن يجوز قوله بين يدي رب العزة في ذلك الموقف إن أعطاه رغيفاً في الدنيا من حيث لا يقدر عليه ماذا يكون فيه حتى ينكر هذا، وما يخرج إنكار هذا إلا من قوم جهلوا صنائع الله تعالى وتدبيره في خلقه ولم يتبين لهم كرامة الله إياهم.

وجاء عن رسول الله (ﷺ) أنه قال : « لو عرفتم الله حق معرفته لزالت بدعائكم الجبال » .

فعلماء الظاهر عرفوا الله ولكن لم ينالوا حق المعرفة، فلذلك عجزوا عن هذه المرتبة، ودفعوا أن يكون هذا كائناً لأحد. ولو عرفوه حق المعرفة، لماتت عنهم الشهوات وحب الرياسة والشح على الدنيا والتنافس في أحوالها وطلب الثناء. ترى أحدهم ينصب سمعه مصغياً الى ما يقول الناس له وفيه وعينه شاخصة إلى ما ينظر الناس إليه منه، وقد عميت عيناه عن النظر إلى صنع الله وتدبيره. فإن الله كل يوم هو في شأن. وقد صم أذنه عن مواعظ الله يقرأه ولا يتلذذ به، ولا يجد له حلاوة. وكأنه إنما

---

(١) سورة النجم آية رقم ٣٢.

(٢) سورة الشورى آية رقم ٢٦.

عنى به غيره، فكيف يتلذذ بما كلم به غيره ؟ وإنما صار كذلك لأن الله تعالى خاطب أُولي العقول والبصائر والألباب. فمن ذهب عقله وبصيرته ولبه في شأن نفسه ودنياه، كيف يفهم كلام رب العالمين ويتلذذ به ؟ وإنما وقع البر واللطف على أهل تلك الصفة.

عدنا إلى تأويل الحديث وهو قوله (ﷺ) : « إذا حدثتم عني بحديث تعرفونه ولا تنكرونه ... »[1] فنقول : من تكلم بعد الرسول (ﷺ) بشيء من الحق وعلى سبيل الهدى، فالرسول (ﷺ) سابق إلى ذلك القول، وإن لم يكن تكلم بذلك اللفظ الذي أتى به من بعده، فقد أتى الرسول (ﷺ) بأصله مجملاً، فلذلك قال : « فصدقوا به قلته أو لم أقله، إن لم أقله بذلك اللفظ الذي يحدث به عني فقد قلته إذ جئت بالأصل والأصل مؤد عن الفرع ».

فجاء الرسول (ﷺ) بالأصل، ثم تكلم أصحابه والتابعون (رضوان الله عليهم أجمعين) من بعده بالفروع. فإذا كان الكلام معروفاً عند المحققين، غير منكر، فهو قول الرسول (ﷺ) قاله أو لم يقله، يجب علينا تصديقه لأن الأصل قد قاله الرسول (ﷺ) وأعطاناه. وإنما قال ذلك لأصحابه الذين قد عرفهم بالحق. فإنما يعرف الحق المحق وهو أولو الألباب والبصائر، فأما المخلط المكب على شهوات الدنيا، المحجوب عقله عن الله تعالى، فليس هو المعني بهذا لأن صدره مظلم، فكيف يعرف الحق ؟ وإنما شرط رسول الله (ﷺ) فقال : « إذا جاءكم عني حديث تعرفونه ولا تنكرونه ... ».

وإنما تعرف وتنكر العقول التي لها إلى الله سبيل يصل إلى الله، ونور الله سراجه، والعقل بصيرته، والحق جيئته، والسكينة طابعه، فيرجع إلى

---

(١) سبق تخريج هذا الحديث.

خلقه، والحق عنده أبلج، يضيء في قلبه كضوء السراج يقيناً وعلماً به. كما قال ربيع بن خيثم[1] إن على الحق نوراً وضوءاً كضوء النهار نعرفه، وأن على الباطل ظلمة كظلمة الليل ننكره. فالمحقون هكذا صفتهم يعرفون الحق والباطل.

وكذلك وعد الله تعالى المتقين فقال (عز من قائل) : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً ...** ﴾[2].

قال أهل التفسير : إخراجاً. أي من الشبهات والظلمات. فأما محض التفسير فالمخرج أن يجعل له نوراً في قلبه يفرق بين الحق والباطل حتى يكون له مخرجاً من ظلمة الجهل وشبهات الدنيا. فإن الجهل يظلم، والدنيا تزيّن على الآدمي شهوته التي في جوفه فتشبه عليه حتى تخدعه. فبتقواه من هذه الأشياء يجعل له فرقاناً وهو النور يفرق بين الحق والباطل. هذا ثواب التقوى في عاجل دنياه، وثوابه في الآخرة قربته وكرامته ورفعة درجته. قال له قائل : إن كان النظر في معرفة الحق من الباطل إلى القلب، فما الحاجة بنا إلى هذه الآثار ؟ قال : اعلم أن الله تعالى أنار القلب ووفر عقله، والحق نور، وعلى قلب الموحد نور يتقد من قلبه على قلبه في صدره. فإذا عرض أمر الله تعالى هو حق فوقع ذكره في الصدر على القلب التقى نور الحق ونور القلب فامتزجا وائتلفا فاطمأن القلب بما فيه وسكن فعلمت أنه الحق. وإذا عرض باطل فوقع ذكره في الصدر على

---

(١) هو الربيع بن خيثم بن عائذ بن عبدالله بن موهب أبو يزيد الكوفي ــ روى عن النبي ــ ﷺ ــ مرسلاً وعن ابن مسعود وأبي أيوب، وامرأة من الأنصار، وعمرو بن ميمون وعبد الرحمن بن أبي ليلى، وعنه ابن عبدالله ومنذر الثوري والشعبي وهلال بن يساف وغيرهم، قال ابن حبان في الثقات مات بعد قتل الحسين سنة ٦٣ هـ وقال العجلي تابعي ثقة. راجع تهذيب التهذيب ٣ : ٢٤٢.

(٢) سورة الأنفال آية رقم ٢٩.

القلب والباطل ظلمة، التقت الظلمة ونور القلب فيفر النور ولم يمزج معه فاضطرب القلب.

عن وابصة بن معبد (رضي الله عنه) قال : قال لي رسول الله (ﷺ) : « جئت تسأل عن البر والإثم استفت قلبك البر ما إطمأنت إليه النفس والقلب. والإثم ما حاك في النفس وتردد في الصدر وإن أفتاك الناس »[1].

إنما ذكر طمأنية النفس ليعلم أنها نفوس قد ماتت منها الشهوات وراضها صاحبها وأدبها، فقارنت القلب في الصدر في العبودية. ولو كانت نفس شهوانية بطالة لم تستحق أن ينظر اليها لما يحيك فيها وإلى ما يطمئن. فالنفوس البطالة تطمئن إلى الجهل، ولا يحيك فيها الحق والخير، ويستقر فيها الشر والباطل.

عن عثمان بن عطاء، عن أبيه (رضي الله عنهما) قال : رجل أتى رسول الله (ﷺ) فقال : يا رسول الله أفتنا إن ابتلينا بالبقاء بعدك. قال : تفتيك نفسك. قال : وكيف تفتيني نفسي ؟ قال (عليه السلام) : ضع يدك على صدرك، فإنه يسكن للحلال، ويضطرب من الحرام، دع ما يريبك إلى ما لا يريبك، وإن أفتاك المفتون، إن المؤمن يذر الصغير مخافة أن يقع في الكبير.

عن الحسن بن علي (رضي الله عنه) قال : سمعت جدي (ﷺ)

---

(١) الحديث أخرجه الإمام مسلم في كتاب البر ٥ باب تفسير البر والإثم ١٤ (٢٥٥٣) عن معاوية بن صالح عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير عن أبيه عن النواس بن سمعان الأنصاري قال: سألت رسول الله ﷺ عن البر والإثم: وذكره، وأخرجه الترمذي في كتاب الزهد ٥٢ باب ما جاء في البر والإثم ٢٣٨٩ بالسند السابق وذكره. وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

يقول : دع ما يريبك إلى ما لا يريبك. فإن الصدق طمأنينة، والكذب ريبة[1].

وإنما صير رسول الله (ﷺ) هذه الكلمة علامة لقلوب قد ملكت النفوس، وخلت من وساوسها الصدور، لا القلوب التي قد ملكتها نفوسها وشحنت بوساوساً صدورها. قال الله تعالى في تنزيله الكريم : ﴿ **ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيراً لهم وأشد تثبيتاً وإذاً لآتيناهم من لدنا أجراً عظيماً ولهديناهم صراطاً مستقيماً** ﴾[2] وعد الهداية على فعل ما يوعظ به.

وقال تعالى : ﴿ **والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ...** ﴾[3]

وقال : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً** ﴾[4] بالهداية في القلب والفرقان في القلب، وهو نور يجعله الله في القلب فيشرق به الصدر، وتنجلي ظلمة الشهوات والهوى عن الصدور، ويزول رين الذنوب. فدلّت الآيات أن هذا لأهل التقوى والفاعلين بوعظه وأهل المجاهدة وهم أهل اليقين وطهارة القلوب. وأما العامة فإنهم يحتاجون إلى النصوص والآثار، على ألسنة علماء الظاهر لما دخل عليهم من آفة النفس وتخليطها. فقد تراكمت على صدورهم سحائب تترى من حب الدنيا،

---

(١) رواه أبو داود الطيالسي، وأحمد وأبو يعلى في مسانيدهم، والدارمي والترمذي والنسائي وآخرون عن الحسن بن علي، وليس عند النسائي فإن الصدق الخ.

وقال الترمذي: حسن صحيح. وقال الحاكم صحيح الإسناد، وصححه ابن حبان وهو طرف من حديث طويل، ولابن عمر عن الزيادة فيه فإنك لن تجد فقد تركته لله، ورواه ابن قانع عن الحسن بلفظ الترمذي، وزاد « فإن الصدق ينجي ».

(٢) سورة النساء آية رقم ٦٨.

(٣) سورة العنكبوت آية رقم ٦٩.

(٤) سورة الأنفال آية رقم ٢٩.

وحب الجاه، وحب الثناء، وحب الرياسة، وحب الشهوات، وفتن الدنيا ورين الذنوب.

فإذا عرض في الصدر ذكر شيء هو حق وعلى الحق نور، حالت الظلمة بين نور الحق ونور القلب، فلم يمتزجا، ولم يعرف القلب ذلك الحق، فصاحبه في حيرة منه. وإذا عرض أمر هو باطل، وعلى الباطل ظلمة امتزج الباطل بظلمة الشهوات ورين الذنوب، فلم يعلم القلب بشيء من ذلك؛ لأن نور القلب قد انكمن في القلب ولم يشرق في الصدر. فليس لأهل التخليط من هذه العلامة شيء. فإنه قال : « دع ما يريبك إلى ما لا يريبك » وصدره ممتلئ ريباً، فكيف يتبين فيه الريب الزائد ؟ قال له قائل : إن رأيت أن تنص على حديثين : حديث يعرفه المحقون ببصائرهم ولا ينكرونه. وحديث ينكرونه لنعرف به الوجهين جميعاً ومن قبل ذلك. فأخبرنا ما معنى قولك : « يعرفه المحقون ببصائرهم » ؟ قال : ان الحق الأعظم الذين انشعب منه الحقوق لا يسكن إلا في قلب طاهر. وكذلك اليقين لا يستقر إلا في قلب طاهر. فمن لم يطهر قلبه فهذه الأشياء نافرة عنه، لا تجد مأمنها. فإذا وجدت قلباً وقد تطهرت من أدناس الذنوب ودرن العيوب، فقد وجدت مأمناً فارتبعت فيه، فوجدت صاحبه حكيماً، ووجدته موقناً، ووجدته محقاً. فالحكمة ينبوع قلبه، ومثال بين عينيه، واليقين مطالعة الملكوت، والحق مستعمله. ومن لم يطهر قلبه فالحق نافر عنه، فهو يتبع الحق ليعمل به والحق هارب منه. فلذلك يشتد عليه القيام بالحق، ويثقل عليه حتى يعجز عنه. والمحق يجري فيه كالسهم وكالماء وكالدهن ليناً، وكالريح سرعة ومضياً.

وأما حديث يعرفه المحقون فروي عن أنس بن مالك (رضي الله عنه) قال : خرج رسول الله (ﷺ) على ناقته الجدعاء، فقال : « أيها الناس : كأن الموت فيها على غيرنا كتب، وكأن الحق على غيرنا وجب، وكأن الذي نشيع من الموتى عن قليل إلينا راجعون، نبوءهم أجداثهم،

ونأكل تراثهم كأنا مخلدون بعدهم، طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس، طوبى لمن ذل نفسه من غير منقصة، وتواضع لله تعالى من غير مسكنة، وأنفق مالاً جمعه من غير معصية، ورحم أهل الذل والمسكنة، وخالط أهل الفقه والحكمة، طوبى لمن ذل نفسه وطلب كسبه، وصلحت سيرته وحسنت خليقته وكرمت علانيته وعزل عن الناس شره، طوبى لمن عمل بعلمه وأنفق الفضل من ماله وأمسك الفضل من قوله »[1].

وعن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال : كنت رديف رسول الله (ﷺ) فقال : « يا غلام ألا أعلمك كلمات ينفعك الله بهن ؟ » قلت : بلى يا رسول الله. قال : « إحفظ الله يحفظك. إحفظ الله تجده أمامك. تعرف إلى الله في الرخاء، يعرفك في الشدة. إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله. وقد جف القلم بما هو كائن. فلو جهد الخلق على أن ينفعوك بشيء لم يكتبه الله لك، لم يقدروا عليه. ولو جهد الخلق على أن يضروك بشيء لم يكتبه الله عليك، لم يقدروا عليه. فإن استطعت أن تعمل لله بالرضى واليقين، فافعل. فإن لم تستطع فإن في الصبر على ما تكره خيراً كثيراً. واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسراً »[2].

---

(١) رواه البخاري في تاريخه، والعسكري، والبغوي والبارودي، والطبراني وآخرون بسند ضعيف، حتى قال ابن حبان: لا يعتمد عليه، وإن قال ابن عبد البر إنه حديث حسن فيه آداب لاشتماله على فوائد جليلة، والظاهر أنه قصد الحسن اللغوي، ورواه العسكري عن ركب المصري، والله أعلم.

(٢) الحديث أخرجه الترمذي في كتاب صفة القيامة ٥٩ باب ٢٥١٦ حدثنا أحمد بن محمد ابن موسى، أخبرنا عبدالله بن المبارك، أخبرنا ليث بن سعد وابن لهيعة عن قيس بن الحجاج قال وحدثنا عبدالله بن عبد الرحمن، أخبرنا أبو الوليد، حدثنا ليث بن سعد، حدثني قيس بن الحجاج: المعنى واحد عن حنش الصنعاني عن ابن عباس — رضي الله عنهما — قال: وذكره.

قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح وأخرجه الإمام أحمد في المسند ١ : ٢٩٣، ٣٠٣، ٣٠٧ (حلبي).

وأما حديث ينكره المحققون، فما روي عن أبي أمامة الباهلي (رضي الله عنه) عن رسول الله (ﷺ) أن سليمان (عليه السلام) مر في موكبه برجل يقال له : « مرعبدي » وهو قائم يصلي، فوقف عليه حتى فرغ، فلم يرفع رأسه. فلما رأى ذلك منه، نزل إليه فكلمه، فقال له مرعبدي : ألست ابن داود الخاطئ، حملت الدنيا فوق رأسك، وجعلت الآخرة تحت قدميك، فصرت محجوباً عن الدارين ... في كلام طويل عامته كذب، لا يقبله قلوب المحققين، وقد جعل الله الرسل (عليهم السلام) أحباءه وأصفياءه. ومن قال لرسول مثل هذا، فقد عابه. ومن عابه، فقد كفر بالله سبحانه وتعالى. وقد جعل الله إيماننا به منظوماً به. فإيماننا بالله لا يقبل منا حتى نؤمن بالرسل كما آمنا به. وكيف يجوز أن يقال لرسول الله : « جعلت الآخرة تحت قدميك والدنيا فوق رأسك » ؟ فهو بذلك راد على الله تعالى. والله (عز وجل) يقول في كتابه الكريم : ﴿ **ونوحاً هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهرون وكذلك نجزي المحسنين** ﴾[1].

فسليمان من أهل هداية الله تعالى، وسماه محسناً. وهذا يحكى أنه قال : « جعلت الآخرة تحت قدميك وصرت محجوباً عن الدارين ». وقال الله تعالى : ﴿ **ووهبنا لداود سليمان نعم العبد إنه أواب** ﴾[2] ثم قال لنبيه (عليه السلام) : ﴿ **أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده** ﴾[3].

فهذا الذي زور هذا الحديث أحسبه من هؤلاء الحمقى الذين يتزهدون في الدنيا رياء وسمعة، يريدون أن يتأكلوا هذا الحطام بسمة الزهد، ولم

(١) سورة الأنعام آية رقم ٨٤.
(٢) سورة صٓ آية رقم ٣٠.
(٣) سورة الأنعام آية رقم ٩٠.

يعرفوا ما الزهادة وما معناها، حسبوا أن الزهادة شتم الدنيا، وأكل النخالة، ولبس الصوف، وذم الأغنياء، ومدح الفقراء. ومن جهله يزعم أنه قال مرعبدي لسليمان (عليه السلام) : ليس تقضي نهمة من الدنيا إلا نقص من ميزانك » والله تعالى يقول : ﴿ **هذا عطاؤنا فامنن أو أمسك بغير حساب** ﴾[1] ثم قال : ﴿ **وان له عندنا لزلفى وحسن مآب** ﴾[2].

ومن الحديث الذي ينكره قلوب المحققين ما روي أن قوم موسى سألوا موسى (عليه السلام) أن يسأل ربه (عز وجل) أن يسمعهم كلامه الكريم، فسمعوا صوتاً كصوت الشبور : إني أنا الله لا إله إلا أنا الحي القيوم أخرجتكم من مصر بيد رفيعة وذراع شديد. فهذا حديث من غرب فهمه. وإنما الكلام شيء خص به موسى (عليه السلام) من بين جميع ولد آدم (عليه السلام). فإن كان كلم قومه أيضاً حتى أسمعهم كلامه، فما فضل موسى (عليه السلام) حيث سمي كليم الله من بين رسله (عليهم السلام) ؟. ومن الحديث الذي ينكره قلوب المحققين ما روي عن ابن عباس (رضي الله عنهما) في قوله (عز وجل) : ﴿ **يوفون بالنذر ...** ﴾[3] الآيات.

قال : مرض الحسن والحسين، فعادهما رسول الله (ﷺ)، وعادهما عمومة العرب. فقالوا : يا أبا الحسن لو نذرت على ولديك نذراً وكل نذر ليس له وفاء، فليس بشيء. فقال علي (رضي الله عنه) : إن برأ ولداي صمت لله ثلاثة أيام شكراً. وقالت جارية لهم ثوبية : إن برأ سيداي صمت لله تعالى ثلاثة أيام شكراً. وقالت فاطمة (رضي الله تعالى عنها) مثل ذلك.

---

(١) سورة ص آية رقم ٣٩.

(٢) سورة ص آية رقم ٤٠.

(٣) سورة الإنسان آية رقم ٧.

فألبس الغلامان العافية، وليس عند آل محمد قليل ولا كثير، فانطلق علي (رضي الله عنه) إلى شمعون اليهودي الخيبري فاستقرض منه ثلاثة أصوع من شعير فجاء به فوضعه في ناحية البيت، فقامت فاطمة (رضي الله عنها) إلى صاع فطحنته واختبزته، وصلى علي مع النبي (ﷺ) ثم أتى المنزل، فلما وضع الطعام بين يديه أتاهم مسكين فقال : السلام عليكم أهل بيت محمد، أطعموني أطعمكم الله على موائد الجنة. فسمعه علي (رضي الله عنه) فأنشأ أبياتاً لفاطمة (رضي الله عنها)، وأنشأت فاطمة أبياتاً له، فأطعموه الطعام، ومكثوا يومهم وليلتهم لم يذوقوا شيئاً إلا الماء القراح. وفي اليوم الثاني قامت إلى صاع فاختبزته، فوقف بالباب يتيم، فأنشأ علي (كرم الله وجهه) أبياتاً[1]، وأنشأت فاطمة (رضي الله عنها) أبياتاً، فأعطوه الطعام، ومكثوا يومين وليلتين لم يذوقوا شيئاً إلا الماء. فلما أن كان اليوم الثالث، قامت إلى الصاع الباقي فطحنته وأختبزته، فوقف بالباب أسير استطعم أهل بيت النبي (ﷺ) فأنشأ علي (رضي الله عنه) أبياتاً، وأنشأت فاطمة (رضي الله عنها) أبياتاً، فأعطوه الطعام، ومكثوا ثلاثة أيام ولياليها لم يذوقوا شيئاً إلا الماء القراح.

فلما أن كان اليوم الرابع وقد قضى الله النذر، أخذ علي بيده اليمنى الحسن، وبيده اليسرى الحسين، وأقبل نحو رسول الله (ﷺ) وهم يرتعشون كالفراخ من شدة الجوع، فلما أبصرهم رسول الله (ﷺ) قال : يا أبا الحسن ما أشد ما أرى بكم، انطلق بنا إلى ابنتي فاطمة، فانطلقوا إليها وهي في محرابها قد لصق بطنها بظهرها، وغارت عيناها من

---

(١) من هذه الأبيات:

فاطمة ذات الفضل واليقين ... يا بنت خير الناس أجمعين
أما ترين البائس المسكين ... قد قام بالباب له حنين
يشكو الى الله ويستكين ... يشكو إلينا جائع حزين
كل امرئ بكسبه رهين ... وفاعل الخيرات يستبين

شدة الجوع. فلما أن رآها رسول الله (ﷺ) وعرف المجاعة في وجهها بكى فقال : واغوثاه أهل بيت محمد يموتون جوعاً. فهبط جبرئيل عليه السلام، فقال : السلام يقرئك السلام يا محمد، خذ هنيئاً في أهل بيتك. فأقرأه : ﴿ **يوفون بالنذر** ... ﴾ إلى قوله ﴿ ... **جزاء ولا شكوراً** ﴾[1].

هذا حديث مزوق. وقد تطرف فيه صاحبه حتى يشبه على المستمعين، والجاهل يعض على شفتيه تلهفاً ألا يكون بهذه الصفة، ولا يدري أن صاحب هذا الفعل مذموم. قال الله تعالى في تنزيله الكريم : ﴿ **ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو** ﴾[2] وهو الفضل الذي يفضل عن نفسك وعيالك. وقال (ﷺ) : « خير الصدقة ما كان عن ظهر غني وابدأ بنفسك ثم بمن تعول »[3].

وافترض الله تعالى على الأزواج النفقة لأهاليهم وأولادهم. وقال (ﷺ) : « كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يقوت »[4].

---

(١) سورة الإنسان آية رقم ٧ ــ ٩ قال القرطبي: ذكر النقاش والثعلبي والقشيري وغير واحد من المفسرين في قصة علي وفاطمة وجاريتهما حديثاً لا يصح ولا يثبت، ورواه ليث عن مجاهد عن ابن عباس. راجع تفسير القرطبي ١٩ : ١٢٨.

(٢) سورة البقرة آية رقم ٢١٩.

(٣) الحديث رواه الإمام مسلم في كتاب الصدقة ٣١ باب بيان أن أفضل الصدقة صدقة الصحيح الشحيح ٩٥ حدثنا محمد بن بشار، ومحمد بن حاتم وأحمد بن عبدة جميعاً عن يحيى القطان قال ابن بشار، حدثنا يحيى، حدثنا عمرو بن عثمان قال: سمعت موسى ابن طلحة يحدث أن حكيم بن حزام حدثه أن رسول الله ﷺ قال: وذكره وأخرجه ابن ماجة في المقدمة ٢٠ وكتاب الأدب ٣ والبخاري في كتاب النفقات ٢ وأبو داود في الزكاة ٣٩.

(٤) الحديث عزاه صاحب الأصل لصحيح مسلم، واعترضه في التمييز فقال الذي في صحيح مسلم « كفى بالمرء إثماً أن يحبس من يملك قوته » وإنما لفظ الترجمة: فرواه النسائي، وأبو داود بسند صحيح. والمشهور بمعناه « كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يعول ». بل هي رواية الحاكم ــ رضي الله عنه ــ كما في النجم.

أفيحسب عاقل أن علياً (رضي الله عنه) جهل هذا الأمر حتى أجهد صبياناً، صغاراً من أبناء خمس أو ست على جوع ثلاثة أيام ولياليها حتى تضرروا من الجوع، وغارت العيون فيهم لخلاء أجوافهم حتى أبكى رسول الله (ﷺ) ما بهم من الجهد. هب أنه آثر على نفسه هذا السائل، فهل كان يجوز له أن يحمل على أطفاله جوع ثلاثة أيام بلياليهن. ما يروج هذا إلا على حمقى جهال، أبى الله لقلوب منتبهة أن تظن بعلي (رضي الله عنه) مثل هذا. وليت شعري من حفظ هذه الأبيات كل ليلة عن علي وفاطمة (رضوان الله عليهما) وإجابة كل منهما صاحبه حتى أداه إلى هؤلاء الرواة[1]. فهذا وأشباهه عامتها مفتعلة.

ومما ينكره المحققون ما يروى عن رسول الله (ﷺ) أن في سنة مائتين يكون كذا، وفي العشرين والمائتين كذا، وفي الثلاثين كذا، وفي الأربعين كذا، وفي الخمسين كذا، وفي الستين والمائتين تعكف الشمس ساعة فيموت نصف الجن والإنس، فهل كان كذا وقد مضت هذه المدة، وعكوف الشمس لا يخلو منه بلد في شرق أو غرب. ودلالة أخرى وهو أن التاريخ لم يكن على عهد رسول الله (ﷺ)، وإنما وضعوه على عهد عمر (رضي الله عنه).

عن ميمون بن مهران قال : رفع إلى عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) صك محله شعبان، فقال عمر (رضي الله عنه) : أي شعبان هذا الذي هو آت أو هو الذي نحن فيه. ثم قال لأصحاب محمد (ﷺ) : ضعوا للناس تاريخاً. فقال بعضهم : اكتبوا على تاريخ الروم. فقيل : إنهم يكتبون من عند ذي القرنين، وهذا يطول. وقال بعضهم : اكتبوا على تاريخ الفرس. فقيل : إن الفرس كلما كان ملك أرخ من قبله. فاجتمع رأيهم أن ينظروا كم أقام رسول الله (ﷺ) بالمدينة، فوجدوه عشر سنين. فكتب التاريخ من هجرة رسول الله (ﷺ).

ومما تنكره القلوب حديث رووه عن عوف عن أبي القموص، قال: شرب أبو بكر (رضي الله عنه) الخمر ـــ يعني من قبل نزول تحريمها ـــ فقعد ينوح قتلى بدر وينشد أبياتاً. فبلغ رسول الله (ﷺ) ذلك فخرج حتى أتاه، فرفع عليه شيئاً في يده. فقال أبو بكر : أعوذ بالله من غضب الله وغضب رسوله. فنزلت : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر ...** ﴾[1] الآية. فهذا منكر من القول والفعل.

وقد أعاذ الله الصديقين من فعل الخنا وأقوال أهله. وإن كان قبل التحريم، فقد كان أبو بكر بمكة مع رسول الله (ﷺ) قبل أن يهاجر، وقد وسم بالصديقية. لأنه كان هو وعثمان مع رسول الله (ﷺ) على حراء، فرجف بهم الجبل. فقال رسول الله (ﷺ) : اسكن حراء، فإنما عليك نبي وصديق وشهيد[2].

وعائشة (رضي الله عنها) أعلم بأبيها من أبي القموص، فهي تنكر هذا وتكذب أهله.

وعن عائشة (رضي الله عنها) قالت : ما قال أبو بكر ولا عثمان بيت شعر في جاهلية ولا في إسلام.

وعنها أيضاً أنها كانت تدعو على من يقول : إن أبا بكر قال هذه القصيدة وأولها :

تحيـــا بالسلامـــة أم بكـــرٍ وهل لي بعد قومي بالســـلام

---

(١) سورة المائدة آية رقم ٩٠.

(٢) الحديث أخرجه الإمام البخاري في كتاب فضائل الصحابة ٧ باب مناقب عثمان بن عفان أبي عمرو القرشي ـــ رضي الله عنه ـــ ٣٦٩٩ ـــ حدثنا مسدد حدثنا يحيى عن سعيد عن قتادة أن أنساً ـــ رضي الله عنه ـــ حدثهم قال وذكره.

إلخ. ثم قالت : والله ما قال أبو بكر بيت شعر في الجاهلية ولا في الإسلام. ولقد ترك أبو بكر وعثمان شرب الخمر في الجاهلية، وما ارتاب أبو بكر في الله منذ أسلم، ولكنه كان تزوج امرأة من بني كنانة، ثم من بني عوف، فلما هاجر أبو بكر طلقها فتزوج بها ابن عمتها أبو بكر بن شعوب الكناني الشاعر، فقال هذه القصيدة يرثي بها كفار قريش الذين قتلوا ببدر، فحملها الناس أبا بكر من أجل امرأته أم بكر التي طلقها.

الأصل الخامس والأربعون

في النهي عن إكراه المرضى على الطعام والشراب

عن عقبة بن عامر (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (ﷺ) : « لا تكرهوا مرضاكم على الطعام، فإن الله يطعمهم ويسقيهم »[1].

إطعام الله وسقياه الآدمي في دنياه، هذا الذي هيأه في أرضه وسمائه، وفي الآخرة ما هيأه في جواره من جنانه، ثم فيما بين ذلك منَّ الله تعالى للعباد لطائف من خزائنه في أحوالهم مثل مائدة عيسى (عليه السلام)، ومثل ما أوتي مريم حيث قيل : ﴿ **وجد عندها رزقاً** ﴾[2].

وسقياه مثل عسكر رسول الله (ﷺ) حيث أصابهم العطش

---

(١) الحديث أخرجه الترمذي في كتاب الطب ٤ باب ما جاء: لا تكرهوا مرضاكم على الطعام والشراب ٢٠٤٠ ــ حدثنا أبو كريب حدثنا بكر بن يونس بن بكير عن موسى بن علي عن أبيه عن عقبة بن عامر الجهني قال: قال رسول الله ﷺ: وذكره.

قال الترمذي: هذا حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه وأخرجه ابن ماجة في الطب ٤ وأحمد بن حنبل في المسند ١ : ٦٩ (حلبي).

(٢) سورة آل عمران آية رقم ٣٧.

فانفجرت من أصابع رسول الله (ﷺ) منابع الماء حتى ارتوى العسكر. وأما معنى قوله (ﷺ) : « فإن الله يطعمهم ويسقيهم » هو أنه يطهر قلوبهم من رين الذنوب. إذا طهرهم من رين الذنوب مَنَّ عليهم باليقين فأشبعهم وأرواهم. فذاك طعامه وسقياه لهم. ألا ترى أنه يمكث الأيام الكثيرة لا يذوق شيئاً ومعه قوته. ولو كان ذاك في أيام الصحة لضعف عن ذلك وعجز عن مقاساته. وأقل الناس طعاماً الأنبياء ثم الأولياء وكلما كان العبد أكثر حظاً من اليقين كان أقل طعماً وتناولاً.

روي عن عامر بن عبد قيس أنه داوم شهراً لا يأكل شيئاً. قال الأعمش : سمعت إبراهيم التيمي (رحمه الله) يقول : لقد أتى عليَّ شهر وما أكلت طعاماً ولا شراباً إلا حبة من عنب أكرهوني عليها، وما أنا بصائم وإني أقضي حوائجي.

وروي عن رسول الله (ﷺ) أنه قال : « الكافر يأكل في سبعة أمعاء، والمؤمن يأكل في معاء واحد »[1].

فقد فسرناه في بابه.

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في: ٧٠ كتاب الأطعمة ١٢ باب المؤمن يأكل في معي واحد، ومسلم في ٣٦ ــ كتاب الأشربة ٣٤ باب المؤمن يأكل في معي واحد حديث ١٨٥ وأخرجه صاحب الموطأ في كتاب صفة النبي ﷺ ٦ باب ما جاء في معي الكافر ٩ ــ حدثني عن مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: وذكره.

الأصل السادس والأربعون

في بيان أنه مما يحصل عذاب القبر

عن ميمونة (رضي الله عنها) أنها قالت : يا رسول الله : من أي شيء عذاب القبر ؟ أفتنا عن عذاب القبر. قال : « من أثر البول فمن أصاب منه شيئاً فليغسله بماء، فإن لم يصبه أو يجده فليمسحه بتراب طيب »[1].

جعل التيمم حالة الشك والتخوف أنه أصاب جسده البول دافعاً لعذاب القبر. كما جعل غسله بالماء في الحالة التي يدري أنه أصابه دافعاً وباله في القبر.

(١) رواه ابن ماجة في كتاب الطهارة ٢٦ باب التشدد في البول بسنده عن الأعمش عن أبي صالح، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ قال: وذكره ورواه الإمام أحمد في المسند ٢ : ٣٢٦ عن طريق أبي عوانة عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: وذكره، ورواه النسائي في كتاب السهو ٨٨ ولفظه عن ابن ماجة « أكثر عذاب القبر من البول ».

وفي الزوائد: إسناده صحيح وله شواهد.

الأصل السابع والأربعون

في بيان أن مدة المحنة لم تقدر بثلاثة أيام

عن ابن عمر (رضي الله عنهما) قال : قال رسول الله (ﷺ) : « ما صبر أهل بيت على جهد ثلاثة إلا آتاهم الله تعالى برزق » .

إنما صار مدة المحنة ثلاثة أيام، لأن العبد على أجزاء ثلاثة : جزء منه للإيمان، وجزء للروح، وجزء للنفس. فالطمأنينة للإيمان والطاعة للروح، والشهوة للنفس. فإذا منع أول يوم فجاع وصبر، فذاك صبر الإيمان، لأنه أقوى الثلاثة. وإذا منع اليوم الثاني فجاع وصبر، فذاك صبر الروح، يطيع ربه ولا يتناول ما لا يحل. وإذا منع اليوم الثالث فجاع وصبر، فذاك صبر النفس. وتمت المحنة لأن المحنة إنما تقع على أهل التهمة. والإيمان عزيمتهم، وكذا الروح. وإنما التهمة للنفس. وفي اليوم الأول لم يتبين صبرها لأن الإيمان والروح لها معين. وفي اليوم الثاني الروح معين لها. فإذا صبرت في اليوم الثالث، برزت منقبتها. وإنما وقعت المحنة لشأن النفوس الكاذبة وامتحن ايمانهم. قال الله تعالى : ﴿ **الم. أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون** ﴾[1].

---

(١) سورة العنكبوت آية رقم ١، ٢.

الأصل الثامن والأربعون

في أن البركة في بيع العقار منزوعة

عن سعيد بن حريث (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (ﷺ) : « من باع داراً أو عقاراً فليعلم أنه مال قمن أنه لا يبارك له فيه إلا أن يجعله في مثله »(١).

وعن عمران بن الحصين الخزاعي البدري (رضي الله عنه) قال : سمعت رسول الله (ﷺ) يقول : « من باع عقدة وهو يجد بداً من بيعها وكل بذلك المال ما يتلفه ». قيل: إنما نزعت البركة منها لأنها ثمن الدنيا المذمومة.

---

(١) رواه أبو داود والطيالسي في مسنده عن حذيفة، وأحمد، والحارث في مسنديهما والطبراني عن سعيد كلاهما رفعه، وقد كتب السخاوي فيه جزءاً وقال النجم: قلت حديث حذيفة رواه ابن ماجة والضياء في المختارة بلفظ « من باع داراً ثم لم يجعل ثمنها في مثلها لم يبارك له فيه »، وحديث سعيد أخرجه ابن ماجة أيضاً بلفظ: « من باع داراً أو عقاراً فليعلم أنه مال قَمِنٌ أن لا يبارك له فيه إلا أن يجعله في مثله »، وأخرجه الطبراني عن معقل ابن يسار بلفظ: «من باع عُقر دار من غير ضرورة سلط الله على ثمنها تالفاً يتلفه ». والله أعلم.

قال رسول الله (ﷺ) : « الدنيا ملعونة، ملعون ما فيها، إلا ذاكر الله، أو معلماً، أو متعلماً ».[1].

عن أبي الدرداء (رضي الله عنه) قال : « ملعونة الدنيا وملعون أهلها إلا ذكر الله تعالى وما آوى ذكر الله ».

وكل شيء أريد به وجه الله تعالى من الأمور والأعمال فهو مستثنى من اللعنة لأنه قد آوى ذكر الله تعالى.

وقيل : إنما نزعت البركة عن ثمن العقار لأنه مخالفة لتدبير الله تعالى. لأن الله تعالى خلق الأرض وجعلها مهاداً ومسكناً، لا ليتجر فيها، وجعل الجبال أوتاداً وبارك فيها وقدر فيها أقواتها وجعل أثمان الأشياء في الذهب والفضة. فإذا اتجر فيما خلق له، بورك له فيه. وإذا اتجر فيما خلق مهاداً وسكناً، نزعت البركة عنه. ولهذا سماه عقدة لأنه مهاد لك قد عقد مسكناً.

(١) الحديث رواه الترمذي، وحسنه عن أبي هريرة مرفوعاً، ورواه الطبراني في الأوسط عن ابن مسعود، ورواه أبو نعيم في الحلية، والضياء عن جابر.

الأصل التاسع والأربعون

في أن النفقة في التراب والبناء لا أجر فيها

عن خباب (رضي الله عنه) قال : سمعت رسول الله (ﷺ) يقول : « يؤجر العبد في نفقته كلها إلا ما كان في التراب » أو قال : « في البناء »[1].

وفي رواية : « كل نفقة ينفقها العبد يؤجر فيها إلا ما كان من نفقة في التراب ».

هذا عندنا في البناء الذي يجعله مرفقاً لنفسه. وأما المساجد التي هي لله تعالى فلا يملكها أحد. فهي خارجة من ذلك. وقد جاءت الآثار عن رسول الله (ﷺ) أنه قال : « من بنى مسجداً بنى الله له بيتاً في الجنة »[2].

(١) الحديث رواه الترمذي في كتاب صفة القيامة ٢٤٨٣ عن حارثة بن مضرب قال : أتينا خباباً نعوده وقد اكتوى سبع كيات فقال : وذكره. قال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح.

(٢) رواه البزار والطبراني، وابن حبان، وعند أحمد، والبزار عن ابن عباس: من بنى لله مسجداً ولو كمفحص قطاة لبيضها بنى الله له بيتاً في الجنة، وعند الترمذي عن أنس: من بنى لله مسجداً صغيراً أو كبيراً بنى الله له بيتاً في الجنة، وأطال في ذلك النجم.

فإنما صار غير مأجور في النفقة في التراب؛ لأنه ينفق في دنياه، وقد أذن الله في خرابها، وهو يزيد في زينتها التي جعلت فتنة وبلوى للعباد، وتصير عاقبتها إلى ما قال الله تعالى : ﴿ **وإنا لجاعلون ما عليها صعيداً جرزاً** ﴾[1].

عن راشد بن الحارث ــ أو غيره ــ قال : بنى أبو الدرداء كنيفاً في منزله بحمص، فكتب إليه عمر (رضي الله عنه) : لقد كان لك يا عويمر فيما بنت فارس والروم كفاية عن تزيين الدنيا. وقد أذن الله بخرابها، فإذا أتاك كتابي هذا فارتحل من حمص إلى دمشق. قال : يعني أنه عاقبه بما بنى.

فإن كان البناء مما لا يستغني عنه، وقد بنى محتسباً فهو خارج عن ذلك؛ لأن الحاجة إلى المسكن كالحاجة إلى المطعم والمشرب والملبس والمركب. فإن كان في نفقته في هذه الأشياء محتسباً، فهو مأجور، فكذلك المسكن. وإنما تأويل هذا الحديث عندنا إذا بنى لنفسه بناء مرفق لا يحتسب بها.

وجاء عن رسول الله (ﷺ) أنه قال : « كل نفقة ينفقها العبد على نفسه فهي صدقه ».

وعن المقدام بن معدي كرب قال : قال رسول الله (ﷺ) : « ما أنفقت على نفسك فهو صدقة. وما أنفقت على زوجك فهو صدقة»[2].

---

(١) سورة الكهف آية رقم ٨.

(٢) الحديث رواه الإمام مسلم في كتاب الوصية ٨ ــ عن عمرو بن سعيد عن حميد بن عبد الرحمن الحميري عن ثلاثة من ولد سعد كلهم يحدثه عن أبيه أن النبي ﷺ: قال: وذكره.

الأصل الخمسون

في الاعتصام بالكتاب والعترة وبيانها

عن جابر بن عبدالله (رضي الله عنه) قال : رأيت رسول الله (ﷺ) في حجته يوم عرفة وهو على ناقته القصواء يخطب فسمعته يقول : « أيها الناس : قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لم تضلوا : كتاب الله وعترتي أهل بيتي »[1].

وعن حذيفة بن أسيد الغفاري (رضي الله عنه) قال : لما صدر رسول الله (ﷺ) من حجة الوداع خطب فقال :

« أيها الناس : إنه قد نبأني اللطيف الخبير أنه لن يعمر نبي إلا مثل نصف عمره الذي يليه من قبل، وإني أظن موشك أن أدعى فأجيب، وإني فرطكم على الحوض، وإني سائلكم حين تردون عليَّ عن الثقلين، فانظروا كيف تخلفونني فيهما، الثقل الأكبر كتاب الله تعالى سبب طرفه بيد الله تعالى وطرف بأيديكم فاستمسكوا فلا تضلوا ولا تبدلوا، والثقل الأصغر

(١) رواية المسند ٣ : ١٤ عن طريق أسود بن عامر، أخبرنا أبو إسرائيل يعني إسماعيل بن أبي إسحاق الملائي عن عطية عن أبي سعيد، قال: قال رسول الله ﷺ: وذكره.

عترتي أهل بيتي، فإني قد نبأني اللطيف الخبير أنهما لن يتفرقا حتى يردا على الحوض »[1].

روي عن رسول الله (ﷺ) أنه دعاهم ثم تلا هذه الآية : ﴿ **إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً** ﴾[2].

فذريتهم منهم فهم صفوة وليسوا بأهل عصمة. إنما العصمة للنبيين (عليهم السلام)، والمحنة لمن دونهم، وإنما يمتحن من كانت الأمور محجوبة عنه. فأما من صارت الأمور له معاينة ومشاهدة فقد ارتفع عن المحنة.

وقوله (ﷺ) : « لن يتفرقا حتى يردا على الحوض » وقوله (ﷺ) : « ما إن أخذتم به لن تضلوا » واقع على الأئمة منهم السادة، لا على غيرهم. وليس بالمسيء المخلط قدوة. وكائن فيهم المخلطون والمسيئون لأنهم لم يعروا من شهوات الآدميين، ولا عصموا عصمة النبيين. وكذلك كتاب الله تعالى من قبل ما منه ناسخ ومنسوخ. فكما ارتفع الحكم بالمنسوخ منه، كذلك ارتفعت القدوة بالمخذولين منهم.

وإنما يلزمنا الاقتداء بالفقهاء العلماء منهم بالفقه والعلم الذي ضمن الله تعالى بين أحشائهم، لا بالأصل والعنصر. فإذا كان هذا العلم والفقه موجوداً في غير عنصرهم، لزمنا الاقتداء بهم كالاقتداء بهؤلاء. وقد قال تعالى في تنزيله الكريم : ﴿ **أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم ...** ﴾[3].

---

(١) الحديث رواه الإمام مسلم في كتاب فضائل الصحابة ٣٦ (٢٤٠٨) بسنده عن زيد بن أرقم قال: قام رسول الله ﷺ يوماً فينا خطيباً بماء يدعى خُمًّا بين مكة والمدينة فحمد الله وأثنى عليه وذكره.

(٢) سورة الأحزاب آية رقم ٣٣.

(٣) سورة النساء آية رقم ٥٩.

فإنما يلي الأمر منا من فهم عن الله تعالى، وعن رسوله (ﷺ) ما يهم الحاجة إليه من العلم في أمر شريعته.

وروي عن جابر، وابن عباس، وعدة من أصحاب رسول الله (ﷺ) في تفسير هذه الآية الكريمة : ﴿ **أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم...** ﴾[1] قال: هم العلماء والفقهاء[2].

وإنما أشار رسول الله (ﷺ) فيما نرى إليهم لأن العنصر إذا طاب، كان معيناً لهم على فهم ما يحتاج إليهم. وطيب العنصر يؤدي إلى محاسن الأخلاق. ومحاسن الأخلاق تؤدي إلى صفاء القلب ونزاهته. وإذا نزه القلب وصفا، كان النور أعظم وأشرق الصدر بنوره، فكان ذلك عوناً له على درك ما به الحاجة إليه من شريعته.

---

(١) سورة النساء آية رقم ٥٩.

(٢) الحديث أورده السيوطي في الدر المنثور ٢: ١٧٦ واسنده الى عبد بن حميد وابن جرير وابن أبي حاتم عن عطاء في قوله تعالى وذكره.

الأصل الحادي والخمسون

في بيان عدد الأبدال وصفاتهم

عن عبادة بن الصامت (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (ﷺ) : « الأبدال ثلاثون رجلاً، قلوبهم على قلب إبراهيم (عليه السلام) إذا مات الرجل أبدل الله مكانه آخر »[1].

عن أنس بن مالك (رضي الله عنه) قال : البدلاء أربعون رجلاً، اثنان وعشرون بالشام، وثمانية عشر بالعراق، وكلما مات واحد، بدل آخر. فإذا كان عند القيامة ماتوا كلهم »[2].

---

(١) الحديث في المسند ٥: ٣٢٢ عن طريق عبد الوهاب بن عطاء أنا الحسن بن ذكوان عن عبد الواحد بن قيس عن عبادة بن الصامت عن النبي ﷺ أنه قال: وذكره.

قال عبدالله بن أحمد بن حنبل: قال أبي رحمة الله فيه يعني حديث عبد الوهاب كلام غير هذا، وهو منكر يعني حديث الحسن بن ذكوان.

(٢) هناك حديث رواه صاحب المسند ١ : ١١٢ عن طريق أبي المغيرة ثنا صفوان حدثني شريح يعني ابن عبيد قال: ذكر أهل الشام عن علي بن أبي طالب ــ رضي الله عنه ــ وهو بالعراق فقالوا العنهم يا أمير المؤمنين قال: لا: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: وذكره وفيه زيادة [يسقي بهم الغيث وينتصر بهم على الاعداء ويصرف عن أهل الشام بهم العذاب].

وليس في الحديثين اختلاف. وإنما هم أربعون رجلاً. فثلاثون منهم قلوبهم على قلب إبراهيم (عليه السلام). دل عليه ما روي عن أبي الدرداء (رضي الله عنه) قال : ان الأنبياء (عليهم السلام) كانوا أوتاد الأرض. فلما انقطعت النبوة، أبدل الله تعالى مكانهم قوماً من أمة أحمد يقال لهم الأبدال، لم يفضلوا الناس بكثرة صوم ولا صلاة ولا تسبيح، ولكن بحسن الخلق وبصدق الورع وحسن النية وسلامة قلوبهم لجميع المسلمين والنصيحة لله تعالى ابتغاء مرضاته بصبر، وحلم، ولب، وتواضع في غير مذلة، فهم خلفاء من الأنبياء، قوم اصطفاهم الله تعالى لنفسه، واستخلصهم بعلمه لنفسه وهم أربعون صديقاً، منهم ثلاثون رجلاً على مثل يقين إبراهيم خليل الرحمن، بهم تدفع المكاره عن أهل الأرض والبلايا عن الناس، وبهم يمطرون، وبهم يرزقون، لا يموت الرجل منهم أبداً حتى يكون الله تعالى قد أنشأ من يخلفه، ولا يعلنون شيئاً، ولا يؤذون من تحتهم، ولا يتطاولون عليهم، ولا يحقرونهم، ولا يحسدون من فوقهم، ولا يحرصون على الدنيا، ليسوا بمتماوتين ولا متكبرين ولا متخشعين، أطيب الناس خبراً، وأورعهم أنفساً، طبيعتهم السخاء، وصفتهم السلامة من دعوى الناس قبلهم. لا تتفرق صفتهم ليسوا اليوم في حال خشية وغداً في حال غفلة ولكن مداومين على حالهم، وهم فيما بينهم وبين ربهم لا تدركهم الريح العاصف، ولا الخيل المجراة، قلوبهم تصعد في السماء ارتياحاً إلى الله تعالى واشتياقاً إليه، قدما في اشتياق الخيرات. ﴿ **أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون** ﴾[1].

قلت : يا أبا الدرداء : ما شيء أثقل عليَّ من هذه الصفة التي وصفتها، فكيف لي بأن أدركها ؟ قال : ليس بينك وبين أن تكون في أوسط ذلك إلا أن تبغض الدنيا. فإذا أبغضت الدنيا، أقبل عليك حب الآخرة. وبقدر ما

---

(١) سورة المجادلة آية رقم ٢٢.

تزهد في الدنيا، تحب الآخرة. وبقدر ما تحب الآخرة، تبصر ما ينفعك وما يضرك. فإذا علم الله صدق الطلب من عبده، أفرغ عليه السداد، واكتنفه بعصمته. وتصديق ذلك في كتاب الله العزيز. ﴿ **إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون** ﴾[1].

فنظرنا في ذلك فما تلذذ المتلذذون بشيء أفضل من حب الله تعالى وطلب مرضاته.

عن الحسن (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (ﷺ) : « إن بدلاء امتي لا يدخلون الجنة بكثرة صوم ولا صلاة ولكن دخلوها برحمة الله وسلامة الصدور وسخاوة الأنفس والرحمة لجميع المسلمين ».

عن حذيفة بن اليمان (رضي الله عنه) قال : الأبدال بالشام وهم ثلاثون رجلاً على منهاج إبراهيم (عليه السلام) كلما مات رجل أبدل الله مكانه آخر.

فالعصب بالعراق أربعون رجلاً. كلّما مات رجل، أبدل الله مكانه آخر. عشرون منهم على اجتهاد عيسى بن مريم (عليه السلام)، وعشرون منهم قد أُوتوا مزامير آل داود. والعصب رجال تشبه الأبدال.

وعن وهب بن منبه في ما يجيء في مناجاة موسى (عليه السلام) عن الله تعالى قال : هم أربعون صديقاً، كلهم بي ولي وإليّ.

وروي في الخبر أن الأرض شكت إلى الله تعالى ذهاب الأنبياء (عليهم السلام)، وانقطاع النبوة فقال لها : سوف أجعل على ظهرك صديقين أربعين فسكنت.

فالصديقون إنما بانوا من الخلق بصدق القلوب مع الله تعالى، لا

---

(١) سورة النحل آية رقم ١٢٨.

بصدق الأعمال مع الملائكة والعمال ليس لقلوبهم طريق إلى الله تعالى إنما طريق قلوبهم إلى الثواب. والأنبياء والصديقون قد انكشف الغطاء عنهم وصار لهم الى الله طريق ليعبده كأنهم يرونه. كما قال رسول الله (ﷺ) : « اعبد الله كأنك تراه »[1] وهو ما وعد الله تعالى من هداية السبيل للذين جاهدوا فيه. فقال تعالى : ﴿ **والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا ...** ﴾[2].

ويعقبه التوكل. قال الله تعالى : ﴿ **وما لنا ألا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا ولنصبرن على ما آذيتمونا ...** ﴾[3]. وإنما سموا أبدالاً لوجهين :

وجه أنه كلما مات رجل، بدل مكانه آخر لتمام الأربعين.

ووجه آخر أنهم بدلوا أخلاقهم السيئة وراضوا أنفسهم حتى صارت محاسن أخلاقهم حلية أعمالهم.

وأما قوله تعالى في مناجاة موسى (عليه السلام) : « كلهم بي » أي بي يقومون ويقعدون وبي ينطقون، وبي يأخذون ويعطون.

وهو قوله (عليه السلام) فيما يحكى عن الله (عز وجل) : « فإذا

---

(١) هذا جزء من حديث طويل رواه الإمام مسلم في كتاب الإيمان ١ باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله سبحانه وتعالى ١ ــ (٨) بسنده عن عبدالله بن عمر، عن عمر بن الخطاب ــ رضي الله عنه ــ قال: وذكره. ورواه الإمام البخاري في كتاب الإيمان ٣٧ وأبو داود في السنة ١٦ والترمذي في كتاب الإيمان ٤ والنسائي في الإيمان ٥، ٦ وابن ماجة في المقدمة ٩ وأحمد بن حنبل في المسند ٢ :١٠٧، ١٣٢ (حلبي).

(٢) سورة العنكبوت آية رقم ٦٩.

(٣) سورة إبراهيم آية رقم ١٢.

أحببت عبدي كنت سمعه وبصره ولسانه ويده ورجله وفؤاده فبي يسمع وبي يبصر وبي ينطق وبي يأخذ وبي يبطش وبي يعقل »[1].

وقوله : « ولي » أي هم صفوتي قد بذلوا لي قلوبهم ونفوسهم فهم لي، لا يشركني فيهم نفوسهم.

وقوله : « إليَّ » أي تأوي قلوبهم إليَّ في كل أمر وسعي وحال. أما الذين قلوبهم على قلب إبراهيم (عليه السلام) فهم الذين لا تسكن قلوبهم الى من دون الله تعالى في شيء من أمر الدين والدنيا. وأما العصب فهم المحقون، فمنهم مستعملون على طريق الجهد، ومنهم روحانيون قد أوتوا مزامير آل داود (عليه السلام).

---

(١) الحديث أخرجه البخاري في كتاب الرقاق ٣٨ باب التواضع ٦٥٠٢ حدثني محمد بن عثمان بن كرامة، حدثنا خالد بن مخلد، حدثنا سليمان بن بلال حدثني شريك بن عبدالله ابن أبي تمر عن عطاء عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: وذكره.

ومحمد بن عثمان بن كرامة: هو من أصغر شيوخ البخاري، وقد شاركه في كثير من شيوخه منهم خالد بن مخلد شيخه في هذا الحديث. قال الحافظ: هذا حديث غريب جداً لولا هيبة الصحيح لعدوه في منكرات خالد بن مخلد، فإن هذا المتن لم يرو إلا بهذا الإسناد، ولا خرجه من عدا البخاري، ولا أظنه في مسند أحمد. ولكن للحديث طرق أخرى يدل مجموعها على أن له أصلاً منها عن عائشة أخرجه أحمد في الزهد، وابن أبي الدنيا، وأبو نعيم في الحلية، والبيهقي في الزهد من طريق عبد الواحد بن ميمون عن عروة عنها، وذكر ابن حبان وابن عدي أنه تفرد به، وقد قال البخاري إنه منكر الحديث، لكن أخرجه الطبراني من طريق يعقوب عن مجاهد عن عروة، وعن أنس أخرجه أبو يعلى والبزار والطبراني وفي سنده ضعف أيضاً. والله أعلم.

الأصل الثاني والخمسون

في أنه يقبض العبد حيث اثره

عن عبدالله بن مسعود (رضي الله عنه) عن رسول الله (ﷺ) أنه قال : « إذا كان أجل العبد بأرض أتيت له الحاجة إليها حتى إذا بلغ أقصى أثره، قبضه الله سبحانه فتقول الأرض يوم القيامة : رب هذا عبدك ما استودعتني »[١].

قال أبو عبدالله : إنما صار أجله هناك لأنه خلق من تلك البقعة.

وقد قال (عز وجل) في تنزيله الكريم : ﴿ **منها خلقناكم وفيها نعيدكم** ... ﴾[٢] وإنما يعاد المرء من حيث بدأ.

عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال : خرج رسول الله (ﷺ) يطوف ببعض نواحي المدينة فإذا بقبر يحفر، فأقبل حتى وقف عليه

---

(١) الحديث رواه ابن ماجة في كتاب الزهد ٤٢٦٣ ـ حدثنا أحمد بن ثابت الجحدري، وعمر بن شبَّة بن عبيدة، قالا: ثنا عمر بن علي، أخبرني إسماعيل بن أبي خالد عن قيس ابن أبي حازم، عن عبدالله بن مسعود، عن النبي ﷺ قال: وذكره.

في الزوائد: إسناده صحيح ورجاله ثقات.

(٢) سورة طه آية رقم ٥٥.

فقال : لمن هذا ؟ قيل : لرجل من الحبشة. فقال : لا إله إلا الله، سيق من أرضه وسمائه حتى دفن في التربة التي منها خلق.

وروي أن الأرض عجت إلى ربها تعالى لما أخذت تربة آدم (عليه السلام) منها، فقال لها : إني سأرده إليك. فإذا مات دفن في البقعة التي منها تربته.

وإنما صارت وديعة عندها حتى تقول يومئذ : « رب هذا عبدك ما استودعتني » لأنها عبدت ربها. فالعبودة وديعة في الأرض حتى يبعث للثواب. فيكون الحق (عز وجل) أحق به من الأرض لأنه كان والي الحق ونصره، فصار الحق أملك به، فأعاده سوياً وسلمه إلى الحق ليعيده إلى دار السلام. أو عبد جحد العبودة، فهو مسجون في بطن الأرض، للحق عنده تبعة وطلبة حتى يبعث للعقاب، فيكون الحق أحق به من الأرض، وهو خصمه وله فيما لديه طلبة وتبعة. فإن الله تعالى لم يخلق جسده لعباً، إنما خلقه للحق وبالحق.

وفي الحديث أن الملك الموكل بالأرحام يأخذ النطفة من الرحم فيضعها على كفه، ثم يقول : يا رب مخلقة أو غير مخلقة ؟ فإن قال : مخلقة، قال : يا رب ما الرزق ؟ ما الأثر ؟ ما الأجل ؟ فيقال : أنظر في أم الكتاب، فينظر في اللوح فيجد فيه رزقه وأثره وأجله وعمله. ثم يأخذ التراب الذي يدفن في بقعته، فيعجن به نطفته. فذلك قوله الكريم : ﴿ **منها خلقناكم وفيها نعيدكم ...** ﴾[1].

عن علقمة، عن عبدالله (رضي الله عنه) قال : إن النطفة إذا استقرت من الرحم، أخذها الملك بكفيه فقال : أي رب : أمخلقة أم غير مخلقة ؟ فإن قال : غير مخلقة، لم تكن نسمة وقذفتها الأرحام دماً. وإن قال :

---

(١) سورة طه آية رقم ٥٥.

مخلقة، قال : أي رب : أذكر أم انثى ؟ أشقي أم سعيد ؟ ما الأجل ؟ وما الأثر ؟ وما الرزق ؟ بأي أرض تموت ؟ فيقال له : إذهب إلى أم الكتاب، فإنك ستجد هذه النطفة، فيقال للنطفة : من ربك ؟ فتقول : الله تعالى. فيقال : من رازقك ؟ فتقول : الله. فتخلق فتعيش في أجلها، وتأكل رزقها وتطأ أثرها. فإذا جاء أجلها ماتت فدفنت في ذلك المكان[1].

فالأثر هو التراب الذي يؤخذ فيعجن به ماؤه. وذكر الزبير بن بكار الزبيري المدني (رضي الله عنه) كتاباً صنفه بعض أهل المدينة في فضل المدينة، وكتاباً صنفه بعض أهل مكة في فضل مكة، فلم يزل كل واحد منهما يذكر بقعته بفضيلة، يريد كل واحد منهما أن يبرز على صاحبه بفضيلة بقعته، حتى برز المدني على المكي في خلة واحدة عجز عنها المكي، فقال : إن كل نفس إنما خلقت من تربتها التي دفنت فيها بعد الموت، فكأن نفس الرسول (ﷺ) إنما خلقت من تربة مدفنه. فبان أن تلك التربة لها فضيلة بارزة على سائر الأرضين.

عن ابن سيرين (رضي الله عنه) يقول (رحمه الله) : لو حلفت حلفت صادقاً باراً، غير شاك ولا مستثن أن الله (عز وجل) ما خلق نبيه (ﷺ)، ولا أبا بكر، ولا عمر (رضي الله عنهما) إلا من طينة واحدة. ثم ردهم إلى تلك الطينة.

---

(١) الحديث رواه الإمام مسلم في كتاب القدر (١) باب كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله، وشقاوته وسعادته. بسنده عن أبي الزبير المكي أن عامر بن واثلة حدثه أنه سمع عبدالله بن مسعود يقول: عن رسول الله ﷺ: وذكره.

ورواه البخاري في كتاب الأنبياء ١ وكتاب الحيض ١ وفي القدر ١٧ وأحمد بن حنبل في المسند ٣ : ١١٦، ١٤٨، ٣٩٧ (حلبي) بسنده عن أنس بن مالك يرفعه.

الأصل الثالث والخمسون

في أن الكبائر لا تجامع طمأنينة القلب بالله تعالى

عن الأعرج، عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (ﷺ) : « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشرب وهو مؤمن »[1].

وعن عبدالله بن الزبير، عن أبيه، عن عائشة (رضي الله عنهم) مثله. وعن عكرمة، عن ابن عباس (رضي الله عنهما) مثله. وعن مدرك بن عمارة، عن إبن أبي أوفى مثله.

قال أبو عبدالله : الإيمان هو الطمأنينة واستقرار القلب. وإنما هما اثنتان :

الأول ــ طمأنينة التوحيد، وهو أن يوحد الله تعالى، فلا يلتفت إلى شيء سواه. فيتخذه رباً.

---

(١) الحديث رواه ابن ماجة في كتاب الفتن ٣ باب النهي عن النهبة ٣٩٣٦ عن ابن شهاب عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: وذكره وفيه زيادة [ولا ينتهب نهبة يرفع الناس إليه أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن].

والآخر ــ طمأنينة الإقبال، وهي أن يكون مقبلاً عليه بجميع قلبه، فلا يلتفت إلى شيء من شهوات نفسه، ولا إلى أحوالها. فالذي يسرق ويزني هو في حالته تلك غير مطمئن إلى ربه سبحانه وتعالى طمأنينة الإقبال. ولو كان كذلك، لم يزن ولم يسرق، بل هو مقبل على شهوات نفسه وهو في طمأنينة التوحيد والإيمان اسم يلزم العبد بفعله، وبدؤه من النور الذي جعل الله في قلبه فأحياه به وشرح صدره، ونطق بتوحيده لسانه. ﴿ **ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور** ﴾[1].

وكل شيء له مبتدأ ونهاية. فأوله لازم ذلك الاسم له، ومنتهاه هو البالغ. فالذي وحد ربه بقلبه ولسانه وقبل الشريعة هو مؤمن قد حرم ماله ودمه وعرضه، ثم هو أسير نفسه. والمؤمن البالغ الذي ماتت شهوة نفسه وقطع قلبه عن كل شيء سواه، وهذه قلوب الأنبياء والأولياء (عليهم السلام) وللمؤمنين بين هذين الحدين درجات كل يعمل على درجته، فكلهم عبيد قد أقروا له بالعبودة الكاملة. ولا يقر له بالعبودة الكاملة إلا الأنبياء والأولياء. وذلك أنهم تركوا مشيئتهم في جميع أمورهم لمشيئته. وهكذا صفة العبيد رفض المشيئة في جميع الأشياء، وترك الاختيار للأحوال.

ولا يقدر على هذا إلا مَنْ نَوَّر الله الإيمان في قلبه. كما قال رسول الله (ﷺ) في صفة حارثة (رضي الله عنه) حيث قال له : كيف أصبحت ؟ قال : أصبحت مؤمناً حقاً. قال : وما حقيقة إيمانك ؟ قال : كأني أنظر إلى عرش ربي بارزاً وإلى أهل الجنة كيف يتزاورون، وإلى أهل النار كيف يتعاوون. قال : عرفت فالزم. ثم قال : من سره أن ينظر إلى عبد نور الله الإيمان في قلبه فلينظر إلى هذا[2] فإذا إمتلأ الصدر والقلب من

---

(١) سورة النور آية رقم ٤٠

(٢) سبق تخريج هذا الحديث في هذا الجزء.

النور، كان كما وصفه الله تعالى : ﴿ **أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه ...** ﴾[1].

وكان المؤمن عندهم في زمن رسول الله (ﷺ) من كان بهذه الصفة.

ولذلك قال أبو بكر (رضي الله عنه) : وددت أني شعرة في صدر مؤمن لما عرفوا غور هذه الكلمة. وأثنى الله تعالى على إبراهيم خليله (عليه السلام) بعدما شهد له بالتسليم حين أراد ذبح ابنه. وهو الإسلام وشهد له بالإحسان. فأثنى عليه فقال : ﴿ **إنه من عبادنا المؤمنين** ﴾[2]. وقيل : ان الله تعالى إذا أثنى على عبد فأبلغ في الثناء قال : ﴿ **إنه من عبادنا المؤمنين** ﴾.

والله تعالى وصف المؤمنين في تنزيله الكريم فقال : ﴿ **إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً ...** ﴾[3] إلى قوله : ﴿ **... أولئك هم المؤمنون حقاً** ﴾[4].

فمن ههنا استجاز من قال : الإيمان يزيد وكما يزيد فإنه ينقص. سمي الزائد من النور في صدره إيماناً، وما نقص فمنه ينقص. والأصل الذي منه بدأ التوحيد قائم. فبأقل النور يصير موحداً. فاطمأن به وعبده رباً. وهو إيمانه، حتى إذا نما النور وامتلأ القلب وأشرق الصدر منه، اطمأن الى جميع مشيئآته وأحكامه وأموره، كما اطمأن به. ومن قبل هذا لم يقدر أن يطمئن إلى مشيئآته وأحكامه للشهوات المستولية على قلبه. فلما امتلأ القلب من نوره خشية ومهابة ودخلت عظمته في قلبه، ماتت شهواته

---

(١) سورة الزمر آية رقم ٢٢.

(٢) سورة الصافات آية رقم ٨١، ١١١، ١٣٢.

(٣) سورة الأنفال آية رقم ٢.

(٤) سورة الأنفال آية رقم ٧٤.

وسكن قلبه الى تدبيره وأحكامه وأقضيته، كما سكن على توحيده في بدء الأمر.

وكان أصحاب رسول الله (ﷺ) بهذه الصفة وكانوا إذا قالوا : « مؤمن » إنما يسمون ما يعرفون من أنفسهم. وكان بعضهم في تخليط من هذا. ألا ترى أنه لما هاجت الفتن، وقع التخليط.

قال حذيفة (رضي الله عنه) : لو رميت صخرة من أعلى مسجد ما أصابت مؤمناً.

ولم يكونوا عندهم كفاراً بما أحدثوا، ولكن زلوا عن تلك الدرجة التي كانوا يسمون أهلها بذلك الاسم. ومما يحقق ذلك ما روي عن كعب بن مالك (رضي الله عنه) كان يحدث عن رسول الله (ﷺ) أنه قال : « إنما نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة حتى يرجعه الله تعالى يوم القيامة إلى جسده ثم يبعثه »(1).

قال أبو عبدالله : فليس هذا لأهل التخليط فيما نعلمه، إنما هو للصديقين. وكان إسم المؤمن عندهم هكذا.

فقول رسول الله (ﷺ) : « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن » إنما يعني بذلك الإيمان البالغ، لا انه يذهب توحيده ويكفر، وإنما يتأول مثل هذا جهال الناس وحمقاهم. ولو كفروا بذلك، وزال عنهم الإيمان، لكان حدهم القتل. وحدودهم قائمة جلد مائه في الزنى، وقطع اليد في السرقة. ولكن تأويل ذلك الحديث أنه إذا زنى المؤمن، فهو في ذلك فقد

---

(1) الحديث أخرجه صاحب الموطأ في كتاب الجنائز ١٦ باب جامع الجنائز ٤٩ عن مالك، عن شهاب، عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك الأنصاري أنه أخبره أن أباه كعب بن مالك كان يحدث أن رسول الله ﷺ قال: وذكره أخرجه النسائي في ٢١ كتاب الجنائز ١١٧ باب أرواح المؤمنين او ابن ماجة في ٣٧ ــ كتاب الزهد ٣٢ باب القبر والبلى.

نور إيمانه، وحجبته شهوته التي حلت به عن ذلك النور، فسلب ذلك النور، وصار محجوباً عن الله تعالى. فلما تاب، راجعه النور. وذلك النور يسمى إيماناً؛ لأنه اطمأن بذلك إلى ربه (عز اسمه) فذهبت طمأنينته في وقت استعمال الشهوة فاطمأن الى شهوته. والعبد عندما أدركته الهداية من ربه (عز وجل) قد كان من قبل ذلك قلبه في تردد وجولان، طالباً لمن يتخذه رباً، ويعبده. فلما جاءته الهداية، واستنار القلب، سكن القلب، واطمأنت النفس عن الجولان والتردد في طلب المعبود. فقيل : آمن يؤمن إيماناً. وهو في قالب : افعل.

ومن الخوف قيل : أمن. لأنه كان يضطرب. فلما ذهب الخوف، سكن. فقيل : أمن على قالب فعل. فكلما إزداد العبد نوراً، إزداد سكوناً وطمأنينة عند أموره وأحكامه. ومن قبل ذلك، كان الغالب على نفسه شهوات نفسه فكان القوم إذا ذكروا المؤمن، يعلمون أنه ذلك المؤمن الذي قد اطمأن قلبه عند أموره وأحكامه إليه. ومن ههنا قال أبو الدرداء (رضي الله عنه) : مثل الإيمان مثل قميصك بينا أنت لبسته إذ أنت نزعته.

وعن أبي الدرداء (رضي الله عنه) أنه قال : كان عبدالله بن رواحة إذا لقيني قال : اجلس يا عويمر، فلنؤمن ساعة. فنجلس فنذكر الله تعالى بما شاء، ثم قال : يا عويمر : هذا مجلس الإيمان، إن مثل الإيمان ومثلك مثل قميصك بينا أنت نزعته إذ لبسته، وبينا أنت لبسته إذ نزعته. يا عويمر : القلب أسرع تقلباً من القدر، إذا استجمعت غلبا.

وعن عتبة بن عبدالله بن خالد بن معدان، عن أبيه، عن جده (رضوان الله عليهم) قال : قال رسول الله (ﷺ) : « إنما الإيمان بمنزلة القميص، مرة تقمصه، ومرة تنزعه »[1].

---

(١) لم نعثر على هذا الحديث على كثرة البحث والتقصّي ولم يُذكَر في كتب الصحاح ولا في كتب السنن والله أعلم.

وعن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال : لم يزن عبد قط إلا نزع نور الإيمان منه. ثم إن شاء رده، وإن شاء منعه.

وعن أبي أيوب الأنصاري (رضي الله عنه) قال : ليأتين على الرجل أحايين وما في جلده موضع إبرة من النفاق، وليأتين عليه أحايين وما في قلبه موضع إبرة من الإيمان.

قال : فإنما يخلو منه ذلك النور المشرق في صدره. وأما الإيمان إيمان التوحيد فهو بمكانه.

وقول ابن عباس (رضي الله عنهما) حيث قال : « لم يزن عبد قط إلا نزع منه نور الإيمان » يدل على تفسير حديثه الذي رواه : « لا يزني العبد حين يزني وهو مؤمن ».

وفي قوله « حين يزني » وهو وقت الفعل دليل على أنه في ذلك الوقت صار محجوباً عن النور وزائله.

عن أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (ﷺ) : « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ولا يشرب الخمر (حين) يشربها وهو مؤمن » قيل: يا رسول الله: فكيف يصنع إذا وقع شيء من ذلك ؟ قال: إن راجع، راجعه الإيمان. وإن ثبت، لم يكن مؤمناً.

وعن عطاء، عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (ﷺ) : « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشرب وهو مؤمن، ولا يقتل وهو مؤمن. فاذا فعل، نزع منه نور الإيمان كما ينزع منه قميصه. فإن تاب، تاب الله عليه »[1].

---

(١) الحديث رواه الإمام البخاري في كتاب المظالم ٣٠ باب النهي عن النهبة بغير إذن صاحبه =

قال أبو عبدالله : وإنما خفي شأن هذا وذهاب هذا النور من القلوب ورده عليه لأن فتن القلوب قد عمت، والصدور قد شحنت بظلمة الإصرار على الذنوب من المآكل الرديئة، والمكاسب الدنسة، والأخلاق البذلة الفاسدة.

وعن أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه) عن رسول الله (ﷺ) قال : « المؤمن في الدنيا على ثلاثة أجزاء : الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا، والذي يأمنه الناس على أنفسهم وأموالهم، والذي إذا أشرف على طمع تركه لله تعالى » .

قال : فالجزء الأول هم الظالمون لأنفسهم آمنوا ثم لم يرتابوا في إيمانهم. ولكنهم ضيعوا العبودة واستوفوا الرزق، واكتالوا النعم بالكيل الأوفى، وكالوا الطاعات بكيل الخسران، فهو من المطففين الظالمين.

والحزء الثاني قد أمنه الناس على أنفسهم وأموالهم؛ لأنه متق مستقيم، وهو المقتصد.

والجزء الثالث تركوا الهوى وشهوة النفس، ورضوا بتدبيره في جميع الأحوال فهم المقربون. وذلك مثل ما جاءنا عن رسول الله (ﷺ) أنه أُتي بشراب قد خيض بعسل، فتركه ثم قال : « أما إني لا أحرمه، ولكني أتركه تواضعاً لله تعالى » .

= ٢٤٧٥ ــ عن أبي بكر بن عبد الحمز عن أبي هريرة ــ رضي الله عنه ــ قال: قال النبي ﷺ ورواه أيضاً في الأشربة أو الحدود ١، ٦، ١٤ ورواه أبو داود في السنة ١٥ : ٤٦٨٩ عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة و ٤٦٩٠ عن أبي سعيد بن أبي سعيد المقبري حدثه أنه سمع أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ. ورواه أحمد في المسند ٢ : ٢٤٣ عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة يبلغ به الى النبي ﷺ وذكره. ورواه الإمام مسلم في كتاب الإيمان ٢٤ باب بيان نقصان الإيمان بالمعاصي ونفيه عن المتلبس بالمعصية ١٠٠ ــ (٥٧) ١٠١، ١٠٢ بسنده عن أبي هريرة عن النبي ﷺ.

عن كثير بن مرة أن رسول الله (ﷺ) قال لعائشة (رضي الله عنها) : أطعمينا يا عائشة. قالت : ليس عندنا طعام. قال : أطعمينا يا عائشة. قالت : والله ما عندنا طعام. فقال أبو بكر (رضي الله عنه) : يا رسول الله إن المرأة المؤمنة لا تحلف أنه ليس عندنا طعام وهو عندها. فقال رسول الله (ﷺ) : وما يدريك أنها مؤمنة ؟ إن المرأة المؤمنة في النساء كالغراب الأعصم في الغربان، وإن النار خلقت للسفهاء، وان النساء من السفهاء إلا صاحبة القسط والسراج .

قال أبو عبدالله : يعرفك هذا الحديث أن المؤمن في ذلك الوقت بأية صفة كان عندهم.

فأما قوله : « صاحبة القسط والسراج » فالقسط العدل، وهو الذي على سبيل استقامة، وهو المقتصد. والقسط والقصد بمعنى واحد. إلا أن هذا مستعمل في نوع وذاك في نوع كما قيل توكيل وتفويض، وكلاهما بمعنى واحد. إلا أن التوكيل في أسباب الرزق يستعمل والتفويض في سائر الأمور. فالقسط العدل من أموره. والقصد أن تأخذ من كل أمر وسطه، وهو الذي أمر به. وأما السراج فهو اليقين. ومن أشرق في قلبه اليقين، فقلبه يزهر. ومنه قول حذيفة (رضي الله عنه) : « قلب أغلف » وهو قلب الكافر. « وقلب مصفح » وهو قلب المنافق. « وقلب أجرد وأزهر » وهو قلب المؤمن. وإنما يزهر بالسراج الذي فيه.

عن أنس بن مالك (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (ﷺ) : « ما شبهت خروج المؤمن من الدنيا إلى الآخرة إلا مثل خروج الصبي من بطن أمه من ذلك الغم والظلمة إلى روح الدنيا » .

فالمؤمن الذي هو بالغ في إيمانه الدنيا سجنه وهي مظلمة عليه، ضيقة حتى يخرج منها إلى روح الآخرة. وهذا غير موجود في العامة. وإنما ذكر المؤمن ووصفه بذلك ليعلم أن المؤمن عندهم البالغ في إيمانه. وهو

كما قال أبو الدرداء (رضي الله عنه) : ما كفرتم فنتبرأ منكم، ولا عندكم إيمان بالغ فنحبكم عليه، وما فرق بين أهوائكم إلا خبث سرائركم، ولا أرى الله إلا قد تخلى عنكم.

عن أبي الدرداء (رضي الله عنه) قال : ما لكم لا تحابون وانكم اخوان على الدين ما فرق بين أهوائكم إلا خبث سرائركم. ولو اجتمعتم على أمر تحاببتم. ما هذا إلا من قلة الإيمان في صدوركم. ولو كنتم توقنون بخير الآخرة وشرها، لكنتم للآخرة أطلب؛ لأنها أملك باموركم، فبئس القوم أنتم إلا قليلاً منكم. ما حققتم إيمانكم بما يعرف به الإيمان البالغ فيكم. فما كفرتم فنتبرأ منكم. وعامتكم تركوا كثيراً من أمر دينهم، ثم لا يستبين ذلك في وجوهكم ولا تغيير حالاتكم. ما هذا إلا شر حل بكم. وإني لأرى الله قد تخلى عنكم. فأنتم تخطئون وتمنون الأماني. والله إني لأستعين على نفسي وعليكم. فإنما قول رسول الله (ﷺ) : « لا يزني الزاني وهو مؤمن ... » أي بذلك الإيمان البالغ. فأما ايمان التوحيد فهو معه، وإنما زال عنه نور الإيمان. ألا يرى إلى قول أبي الدرداء (رضي الله عنه) : « وإن زنا وإن سرق » فلو كان زناه وسرقته يخرجه من إيمانه، لم يدخل الجنة.

عن أبي الدرداء (رضي الله عنه) أنه سمع رسول الله (ﷺ) يقول : ﴿ **ولمن خاف مقام ربه جنتان** ﴾[1] قلت : يا رسول الله : وان زنى وإن سرق ؟ فقال : « ولمن خاف مقام ربه جنتان » قلت : وإن زنى وإن سرق ؟ فقال : « ولمن خاف مقام ربه جنتان » قلت : يا رسول الله : وإن زنى وإن سرق ؟ قال : وإن زنى وإن سرق وإن رغم أنف أبي الدرداء[2].

---

(١) سورة الرحمن آية رقم ٤٦.

(٢) الحديث أخرجه الإمام مسلم في كتاب الإيمان ١٥٣ (٩٤) عن واصل الأحدب عن =

ومما يحقق ما قلنا ما جاء عن رسول الله (ﷺ) أنه قال : « لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين »[1] بروايات جمة وطرق شتى.

قال أبو عبدالله : فالمؤمن المخلط قد يلدغ مرات، وهو لسكره لا يجد لدغة اللدغة. وقد عمل فيه حمة السم. فلو قد أفاق لاحتاج إلى من يمسكه من الاضطراب والتلوي. وإنما عنى بالمؤمن ذلك البالغ الذي وقف به حذره على أمر عظيم. كما روي عن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه). سئل ابن عباس عن أبي بكر (رضي الله عنه) قال : كان كالخير كله من رجل كان فيه حدة. وسئل عن عمر (رضي الله عنه) فقال : كان كالطير الحذر الذي يرى أن له في كل طريق شركاً يأخذه.

فالمؤمن البالغ إذا وقع في الخطيئة، وجع قلبه وتمرر عيشه وقلقت نفسه، فهو يتلوى كاللديغ يتململ ندماً وتحسراً وأسفاً، يبيت ساهراً ويظل نائحاً، قد أنكت فيه هذه الخطيئة سمها. فكأنه أيقظته من الغفلة، فلا يواقع تلك الخطيئة مخافة أن يقع فيها. وهذا لمن لدغته الخطيئة

= المعرور بن سويد قال: سمعت أبا ذر يحدث عن النبي ﷺ أنه قال: أتاني جبريل عليه السلام فبشرني أنه من مات من أمتك لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة قلت: وذكره، ورواية البخاري في كتاب الجنائز باب في الجنائز ومن كان آخر كلامه لا إله إلا الله ١٢٣٧ ــ عن المعرور بن سويد عن أبي ذر ــ رضي الله عنه ــ قال: قال رسول الله ﷺ وذكره. ورواه في بدء الخلق ٦، واللباس ٢٤ واستئذان ٣٠ والرقاق ١٣، ١٤ والتوحيد ٢٣، والترمذي في الإيمان ١٨، وأحمد بن حنبل في المسند ٢ : ٢٥٧، ٤ : ٢٦٠ (حلبي).

(١) الحديث أخرجه البخاري في كتاب الأدب ٨٣ باب لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين ٦١٣٣ عن عقيل، عن الزهري عن ابن المسيب، عن أبي هريرة ــ رضي الله عنه ــ عن النبي ﷺ قال: وذكره.

ورواه الإمام مسلم في كتاب الزهد ٦٣ بالسند السابق عن أبي هريرة ورواه أبو داود في كتاب الأدب ٢٩ وابن ماجة في كتاب الفتن ١٣ والدارمي في الرقاق ٦٥ والإمام أحمد بن حنبل في المسند ٢ : ١١٥، ٢٧٩ (حلبي).

وعمل فيه سمها. كما فعل يوسف (عليه السلام) بعد الهم، كان لا يكلم امرأة حتى يرسل على وجهه ثوباً.

عن أبي الأحوص، عن عبدالله قال : كان يوسف (عليه السلام) إذا جاءته امرأة تستفتيه، ألقى على وجهه ثوباً مخافة أن تفتتن.

عن الشعبي، عن فاطمة بنت قيس (رضي الله عنهما) أن رسول الله (ﷺ) قال لها حين جاءته بعد ما طلقها زوجها فقال بيده على وجهه فاستتر به. وذلك بعد ما لقي من شأن زينب ما لقي..

فأما مؤمن عمل بالخطيئة فلم تلدغه، ولم يتبين فيه عمل سمها، لأنه سكران قد أسكرته شهوات الدنيا، ومات قلبه عن الشعور بذلك. فمتى يحذر حتى لا يلدغ وسم الخطيئة هو الظلمة التي تتراكم في صدره على قلبه، فتحجبه عن ربه، فيصير قلبه مسجوناً محجوباً عن الملكوت. وهو قول عبدالله بن عمر (رضي الله عنه) : لنفس المؤمن أشد ارتكاضاً[1] في الخطيئة من العصفور حين يغدف[2] به. والإغداف الإرسال، يعني إرسال الشبكة عليه.

وقول عبدالله بن مسعود (رضي الله عنه) : إن المؤمن إذا أذنب فكأنه تحت صخرة يخاف أن تقع عليه فتقتله، والمنافق ذنبه كذباب مر على أنفه وقوله : لا تجد المؤمن بخيلاً ولا تجد المؤمن جباناً ولا تجد المؤمن كذاباً.

---

(١) الركض تحريك الرجل، ومنه قوله تعالى : ﴿ **اركض برجلك** ﴾ وبابه نصر، وركض الفرس برجله استحثّه ليعدو ثم كثر، حتى قيل : ركض الفرس إذا عدا، وفي حديث الاستحاضة: « هي ركضة الشيطان » يريد الدفعة.

(٢) الغداف: غراب الفيظ، وأغدف الصياد الشبكة على الصيد أراحها.

عن أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه) عن رسول الله (ﷺ) : « خصلتان لا تجتمعان في قلب مؤمن : البخل وسوء الخلق »[1].

فهذه الخصال كلها موجودة في الموحدين. فإذا ذكروا المؤمن فإنما يعنون به الذين ذكرهم الله تعالى بأنهم مؤمنون حقاً، وصيرلهم الدرجات في الجنة بما ترقوا من درجات الإيمان.

عن بكر بن عبدالله المزني (رضي الله عنه) أن الحواريين طلبوا عيسى (عليه السلام) فقيل لهم : توجه إلى البحر. فجاءوه وهو يمشي على الماء يرفعه الموج ويضعه. فقال أفضلهم : ألا أجيئك يا رسول الله ؟ فأدخل رجله الماء ورفع الأخرى. فقال : أدركني فقد غرقت. فقال : يا قصير الإيمان، أو قال : هات يدك يا قصير الإيمان، لو أن لابن آدم مثقال حبة من خردل من اليقين، مشى على الماء.

عن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) قال : لو وزن ايمان أبي بكر (رضي الله عنه) بإيمان أهل الأرض، لرجع إيمان أبي بكر بإيمان أهل الأرض.

عن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) أيضاً أنه قال : تزعمون أنكم مؤمنون وفيكم مؤمن جائع.

عن أبي إسحق السبيعي (رضي الله عنه) قال : سمعت وهب بن منبه (رضي الله عنه) يقول : اسمع يا أخي إلى ما أصف لك من صفة

---

(١) الحديث أخرجه الترمذي في كتاب البر والصلة ٤١ باب ما جاء في البخيل ١٩٦٢ — حدثنا أبو حفص عمرو بن علي، أخبرنا أبو داود حدثنا صدقة بن موسى حدثنا مالك بن دينار عن عبدالله بن غالب الحراني عن أبي سعيد الخدري قال رسول الله ﷺ وذكره.
وقال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث صدقة بن موسى ورواه أبو داود الطيالسي عن أبي سعيد الخدري أيضاً.

المؤمن : وجدت في التوراة المؤمن الذي إلى الإسلام هُدي وبالاقرار بدي، ظاهر الإيمان، بدنه على الإيمان بني، وذلك أنه عالم بالعلم، ناطق بالحلم، صادق بالفهم، ورع عن الحرام، بين الأعلام، كثير السلام، لين الجانب، قريب المعروف، سريع الرضاء، بعيد السخط، يعلم إذا فهم، وإذا علم علم، ويكف إذا شتم، إن صحبته تسلم، وإن شاركته تغنم، وإن فارقته تندم، وإن سمعت منه تتعلم، كثير الوقار، مكرم للجار، مطيع للجبار، قلبه بمعرفة الله زاهر، ولسانه بذكر الله غازر، وبدنه في طاعة الله ساهر. فهو من نفسه في تعب، والناس منه في أرب. فمثله كمثل الماء؛ لأن الماء حياة الأشياء كلها. فكمال المؤمن الرضى، وعمله التقوى، مبغض للدنيا، قليل المنى، صادق اللسان، صابر البدن، قانع القلب، إن ائتمن أمانة أداها، وإن ائتمن هو غيره لم يتهم، أب لليتيم، وللأرملة رحيم، وإلى الجنة مشتاق، وبالوالدين غير عاق، له علم يرضى، وعقل ينمي، كلامه منفعة، وجواره رفعة، إن استكتمته كتم، وإن استطعمته أطعم، جواد لله بالعطاء وللناس بحسن الخلق والرضى، إن استقرض أدى، وإن سئل أعطى، إن كان فوقك اتضع، وإن كان دونك اعتدل. فمثله كمثل شجرة ثبت أصلها، وجاد فرعها وكثر ثمرها، فهو من رآها رغب فيها، لا يأخذ شيئاً إن أخذ رياء، ولا يتركه إن تركه حياء، بل أخذه لله تعالى سالماً، وتركه لله تعالى غانماً، محاسب نفسه، ناظر في عيوبه، مستعرض لعمله، إن كان محسناً يخاف على نفسه أن لا يقبل منه، وإن كان مقصراً يخشى أن لا يغفر له، وإن كان فاضلاً كان شاكراً، لا يظلم ولا يأثم، ولا يتكلف لين تدبيره كثير عمله، قليل ذلله، سهل أمره.

عن أنس بن مالك (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (ﷺ) : « الورع سيد العمل. من لم يكن له ورع يرده عن معصية الله تعالى إذا خلا بها، لم يعبأ الله بسائر عمله شيئاً ».

فذلك مخافة الله تعالى في السر والعلانية، والاقتصاد في الفقر والغنى،

والصدق عند الرضاء والسخط. ألا وإن المؤمن حاكم على نفسه، يرضى للناس ما يرضى لنفسه. والمؤمن حسن الخلق. وأحب الخلق إلى الله تعالى أحسنهم خلقاً، ينال بحسن الخلق درجة الصائم القائم وهو راقد على فراشه لأنه قد رفع لقلبه علم. فمن شهد مشاهد القيامة يعد نفسه حنيفاً في بيته، وروحه عارية في بدنه، ليس بالمؤمن جفاء، حملانه على نفسه، الناس منه في عفاء، وهو من نفسه في عناء. رحيم في طاعة الله، بخيل على دينه، حي مطواع. وأول ما فات ابن آدم من دينه الحياء. خاشع القلب لله تعالى. متواضع قد بُرئ من الكبر. ينظر إلى الليل والنهار يعلم أنهما في هدم عمره. لا يركن إلى الدنيا ركون الجاهل.

قال رسول الله (ﷺ) : لا جرم أنه إذا خلف الدنيا خلف ظهره خلف الهموم والأحزان ولا حزن على المؤمن بعد الموت بل فرحه وسروره دائم بعد الموت.

فمن هذه صفته فلدغ من حجر المعاصي مرة، كان ذلك الحجر نصب عينيه أبداً. فمتى يمر بها حتى تلدغه ثانية. فإنما ذكر رسول الله (ﷺ) من أوحشته المعصية حتى أسهر ليله ما حل بقلبه من وجه الذنب كمن يفارق محبوبه من المخلوقين بموت أو غيبة يفجع لفراقه.

فألم المؤمن إذا أصاب الذنب أشد من مصيبته بفراق المخلوقين. فقال رسول الله (ﷺ) : « لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين »[1] أي هذا الأمر قد لدغته مرة فأوجعته. فوجع ذلك تذكرة له من الغفلة في ذلك

---

(١) الحديث رواه الإمام البخاري في كتاب الأدب ٨٣ باب لا يلدغ المؤمن من جحر واحد مرتين ٦١٣٣ ــ عن عقيل، عن الزهري، عن ابن المسيب، عن أبي هريرة ــ رضي الله عنه ــ عن النبي ﷺ أنه قال: وذكره. ورواه الإمام مسلم في كتاب الزهد ٦٣، وأبو داود في الأدب ٢٩ وابن ماجة في الفتن ١٣ والدارمي في الرقاق ٦٥، وأحمد بن حنبل في المسند ٢ : ١١٥، ٣٧٩ (حلبي).

حتى لا يقع فيه ثانية. أي أن هذا صفة المؤمن وشرطة حتى يستحق شرط الإيمان.

عن يحيى بن أبي كثير (رضي الله عنه) أن نبي الله كان في سفر ومعه أبو بكر وعمر (رضي الله عنهما) فأرسلوا إلى رسول الله (ﷺ) يسألونه لحماً فقال : أو ليس قد ظللتم من اللحم شباعاً. قالوا : من أين ؟ فوالله ما لنا باللحم عهد منذ أيام. فقال : من لحم صاحبكم الذي ذكرتم. قالوا : يا بني الله إنما قلنا : والله إنه لعفيف ما يعيننا على شيء. قال : وذاك فلا تقولوا. فرجع إليهم الرجل فأخبرهم بالذي قال. فجاء أبو بكر (رضي الله عنه). فقال : يا نبي الله طأ على صماخي[1] واستغفر لي. ففعل. وجاء عمر (رضي الله عنه) فقال : يا نبي الله طأ على صماخي واستغفر لي. ففعل. فهذا تكون اللدغة ألجأته الخطيئة إلى أن فزع إلى رسول الله (ﷺ) وألقى نفسه في التراب تذلّلاً، وأن يطأ بقدمه على صماخه. فهذا شأن المؤمن البالغ. وأما الذي يلزمه اسم المؤمن فيحرم ماله ودمه وعرضه فهم الموحّدون.

عن عمر بن الخطاب (رضي الله عنـه) قال : قال رسول الله (ﷺ) : « من سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن »[2].

---

(١) الصماخ بالكسر خرق، الأذن، وقيل: هو الأذن نفسها، والسين لغة فيه.

(٢) هذا جزء من حديث طويل أخرجه الترمذي في كتاب الفتن ٧ باب ما جاء في لزوم الجماعة ٢١٦٥ ــ حدثنا أحمد بن منيع، حدثنا النضر بن إسماعيل أبو المغيرة عن محمد ابن سوقة عن عبدالله بن دينار عن ابن عمر قال: خطبنا عمر بالجابية فقال أيها الناس إني قمت فيكم كمقام رسول الله ﷺ فينا فقال: وذكره.

قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

الأصل الرابع والخمسون

في أول تحفة المؤمن بعد الموت

عن أنس بن مالك (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (ﷺ) : أول تحفة المؤمن أن يغفر لمن صلى عليه »[1].

المؤمن كريم على ربه (عز وجل) ومقدمه على رب كريم. ومن شأن الملوك أن أحدهم إذا قدم عليه بعض خدمه من سفرة طال غيبته فيها أن يتلقاه ببشرى وكرامة، ويخلع عليه ويجيزه بالجائزة السنية، ويأمر بأن يُهَيَّأ له نـزل. والله تعالى أرانا تدبير الملوك في الدنيا. فإذا قدم عليه المؤمن، لقاه روحاً وريحاناً وبشرى على ألسنة الرسل (عليهم السلام).

قال الله تعالى : ﴿ **إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التي كنتم**

---

(١) رواه الديلمي عن أبي هريرة، وفي سنده عبد الرحمن بن قيس أبو معاوية رمي بالكذب، بحيث حكم عليه بالوضع لأجله، وللبزار والديلمي عن ابن عباس مرفوعاً: أول ما يجازى به العبد بعد موته أن يغفر لجميع من تبع جنازته وله طرق كلها ضعيفة، لكنه مشعرة بأن له أصلاً.

توعدون ﴾[1]. وقال : ﴿ **من عمل صالحاً فلأنفسهم يمهدون** ﴾[2] وقال : ﴿ **لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها نزلاً من عند الله** ﴾[3].

وأول تحفته أن يغفر لحملته إلى بابه والمصلين عليه. فإن الرجل من عرض الناس ليحمل إليه الهدية، فيستحيي أنه ينصرف عنه الحامل للهدية خائباً صفر اليد حتى يناوله شيئاً. فكيف الملك من ملوك الدنيا. والله تعالى أخرج المؤمن إلى الدنيا ليستكمل ويستعد للقائه، ويتزود للآخرة. فما زال يسعى في إرضاء الحق (سبحانه وتعالى). فلما مات غسلوه وطيبوه وكسوه وحملوه هدية إلى الحق (عز وجل) فقبله الحق تعالى، وأداه إلى الرحمة. فلم يستجز أن ينصرف حملة هذه الهدية خائبين فغفر لهم.

عن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال : « أول ما يجازى به العبد أن يغفر لمن يصلي عليه ». قوله « يجازي » من الجائزة.

والتحفة عندنا هي الطرفة. والهدية هي العطية. ومعناهما قريب إلا أن بينهما نكتة في الفرق. فالهدية ما تعطيه لتستميل به. والهدي الميل. ومنه قيل : مشى يتهادى. أي يتمايل. ومنه سمِّي الهدي لأنه يميل به إليه. والطرفة شيء يعطيه بعد الاستمالة، وبعد أن صار له ولياً وثقة، فهو يطرفه بشيء يريد أن يحليه بذلك. كالسكر على رأس الأرز ونحوه. والله تعالى يوالي بين نعمه على العبد، ثم يريد أن يبره ويطرفه بشيء ليس عنده في الجنة ليتجدد به بره. فذلك البر يكون أعظم موقعاً. ومن طرقه ما جاء في الخبر : إذا أراد الله تعالى أن يتحف عبده المؤمن، سلط عليه من يظلمه.

---

(١) سورة فصلت آية رقم ٣٠.

(٢) سورة الروم آية رقم ٤٤.

(٣) سورة آل عمران آية رقم ١٩٨.

لأن بلوى الدنيا كثيرة، من الأمراض والمصائب، وللنفس فيها فجعة. ثم يرجع إلى ربه تعالى في أن هذا صنعه وتدبيره، وإذا ظلم اشتدت فجعته وتضاعفت لوعته. فتلك المصائب والأمراض هدايا من رب العالمين. والظلم تحفة قد طرفه الله بها. والطرفة هي شيء يكون في الأحايين مرة لم يكن عنده مثله. وقد سلط على يحيى بن زكريا (صلوات الله عليهما) من ذبحه ذبحاً. وهذا شيء نادر طريف ليس مما يجري في بلوى أهل الدنيا ومصائبهم. وكذلك يجعل له الجنة ثواباً، ثم يوجب له رضوانه الأكبر. ومن جعلت له الجنة هدية فتحفه من ألطافه الجسيمة.

الأصل الخامس والخمسون

في بيان ما يهرم ويشب من الآدمي

عن أنس (رضي الله عنه) عن رسول الله (ﷺ) أنه قال : « يهرم ابن آدم ويشب منه اثنان : الحرص على المال والحرص على العمر »[1]. الحرص لهيان الشهوة. والشهوة نار ذات دخان. فكلما زدت النار وقوداً إزدادت نوراً وتلهباً. وسمي المال مالاً لأنه يميل بالقلب عن الله تعالى. والعمر مدة عمارة البدن بالحياة. وذكر المال لأن به ينال جميع الشهوات. وذكر العمر لأن بدوامه تدوم الشهوات.

فإذا ذهب العمر وزال المال، تعطّلت الشهوات، فوجدت النفس

---

(١) الحديث رواه الإمام مسلم في كتاب الزكاة ٣٨ باب كراهة الحرص على الدنيا ١١٥ ــ (١٠٤٧) وحدثني يحيى بن يحيى، وسعيد بن منصور، وقتيبة بن سعيد كلهم عن أبي عوانة. قال أخبرنا أبو عوانة عن قتادة، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: وذكره.

ورواه الترمذي في كتاب الزهد ٢٨ باب ما جاء في قلب الشيخ شاب على حب اثنتين ٢٣٣٩ ــ حدثنا قتيبة حدثنا أبو عوانة، عن قتادة عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: وذكره.

قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح، ورواه أيضاً في كتاب القيامة ٢٢ وابن ماجة في كتاب الزهد ٢٧ وأحمد بن حنبل في المسند ٣ : ١٥، ١٩، ٦٩، ١٩٢، ٢٥٦، ٢٧٥ (حلبي).

لذة الشهوات ولذة دوام العمر فتشبّثت به واستأثرت القلب. والهرم الخالي من الأشياء قد خلت طبائعة من الحرارة والقوى، وقحل جلده من الحرارة لانتشاف الحياة ماء جلدته، ودق عظمه، وانتشف النقص ماء شبابه. ولا يطفئ لهيب الحرص إلا الإيمان بالله. فكلما ازداد العبد إيماناً بربه، وهو النور الذي ينشرح به صدره، فهو على نور من ربه، ازداد ثقة بربه وطمأنينة إليه. وكلما إزداد ثقة، إزداد غنى. قال رسول الله (ﷺ) : « ليس الغنى عن كثرة العرض. إنما الغنى غنى النفس »[1]. فإذا استغنت النفس بالله تعالى لما دخل الصدر من نور اليقين المنشرح به صدره، صار عرض الدنيا فضلاً.

عن مكحول (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (ﷺ) : « نفس ابن آدم شابة ولو التقت ترقوتاه من الكبر إلا من امتحن الله تعالى قلبه للتقوى وقليل ما هم » .

فهذا الخبر يكشف عما ذكرنا من المعنى. لأن النفس معدن الشهوات، فهي شابة. لأن الشهوات بمنزلة النار لا تزال متوقدة ما دامت واجدة للحطب. فإذا أمسك عنها الحطب، خمدت خامدة لا محالة. فكذلك النفس لا تزال رطبة متوقدة بشهواتها ما دامت واجدة للنعم. فإذا أمسك عنها ذبلت وييست. فإذا امتحن الله تعالى قلباً للتقوى، قوى صاحبه على

---

(١) متفق عليه عن أبي هريرة مرفوعاً، وللديلمي بلا سند عن أنس رفعه « الغنى غنى النفس، والفقر فقر النفس »، ورواه العسكري عن أبي ذر في حديث أوله يا أبا ذر أترى أن كثرة المال هو الغنى ؟ إنما الغنى غنى القلب، والفقر فقر القلب، وفي النجم وروى النسائي، وابن حبان وابن عساكر عن أبي ذر يا أبا ذر أترى كثرة المال هو الغنى، إنما الغنى غنى القلب، والفقر فقر القلب، من كان الغنى في قلبه فلا يضره ما لقي من الدنيا، ومن كان فقره في قلبه فلا يغنيه ما أكثر له في الدنيا وإنما يضر نفسه شحها. انتهى. وللعسكري أيضاً من حديث ابن عائشة قال: قال أعرابي: يسار النفس أفضل من يسار المال، ورب شبعان من النعم عريان من الكرم.

الامتناع من قضاء الشهوات. والامتحان هو أن يستخرج سره. والسر هو النور الذي قذفه في قلبه. فإذا استقر ذلك في قلبه وأشرقه به صدره، صار ذاك وقاية له من جميع مكاره الآخرة. فقيل : تقوى. وإنما هو وقوى، حولت الواو تاء. ومأخذه من الوقاية. فإذا فعل ذلك، فقد امتحنه لأنه يظهر على الأركان بالأفعال المحمودة المرضية.

فالنفوس شابة وإن هرمت الجوارح، وانهدت الأركان لدوام التنعم بالمال والعمر. الا هذه الطبقة الممتحنة الذين استثناهم، فنفوسهم هرمت في وقت شبابهم؛ لأن شهواتهم ذبلت، وضعفت بالخشية التي دخلت قلوبهم لما اطلعوا عليه بقلوبهم من علم الملكوت، ولعلمهم بالله تعالى صاروا سبياً من سبيه. فالمشغوف سبي من به شغف.

فإن شغفت بالدنيا، فأنت سبيها. وإن شغفت بالآخرة، فأنت سبيها وإن شغفت بالخالق فأنت سبيه. وابن آدم ركب في طبعه أن لا تزال نفسه تجمع في طلب شيء حتى إذا اطلعت على أفضل منه، رفضت هذه وأقبلت على الأفضل. فلا يزال طالباً للدنيا حتى إذا طالع الآخرة، رفض هذه وأقبل عليها. فلا يزال لها طالباً حتى إذا طالع الملكوت، أقبل على مولاه ولها عن ذكر الدارين، واشتغل بالماجد الكريم. فتراه سلس القياد، منكسر القلب، قد أخذت الأحزان بمجامع قلبه، فقطعته عن فكر الدنيا وأهلها وما هم فيه، فهو حبيس الله في سجنه. وهو قول رسول الله (ﷺ) : « الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر »[1]. والمسجون عينه إلى الباب يراقب دعوة من يدعى فيجيب.

---

(١) رواه مالك، ومسلم والترمذي عن أبي هريرة، وقال الترمذي حسن صحيح وأما ما في الموضوعات للصنعاني من أنه موضوع فلا يعول عليه، ورواه الطبراني وأبو نعيم واللفظ له عن ابن عمر مرفوعاً يا أبا ذر الدنيا سجن المؤمن، والقبر أمنه، وفي لفظ بدله: والقبر حصنه، والجنة مصيره، المؤمن من لم يجزع من ذل الدنيا. وعند أحمد وأبي نعيم عن ابن عمر بلفظ: الدنيا سجن المؤمن وسنته.

الأصل السادس والخمسون

في أن عدد الشرائع بتعدد الرسل

عن أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه) حدث أنه سمع رسول الله (ﷺ) يقول : « إن لله (عز وجل) ثلثمائة وخمس عشرة شريعة. يقول الرحمن : وعزتي لا يأتين عبد من عبادي لا يشرك بي شيئاً بواحدة منهن إلا أدخلته الجنة ».

فالرسل ثلثمائة وخمسة عشر. ولكل رسول شريعة. قال الله تعالى في تنزيله الكريم : ﴿ **لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً** ﴾[1] وقال : ﴿ **ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها** ﴾[2].

وان الله تعالى دعا العباد الى دار السلام بعد أن دعاهم إلى الاقرار بالتوحيد فأجابوه. وإنما أجابه من هداه. ثم شرع لكل رسول طريقاً إليها، وهو الحلال والحرام. فالحلال مرضاته والحرام مساخطه. وإذا استقام العبد في سيره في شريعته، أدخله الجنة. فقوله : « لا يأتيني عبد لا يشرك بي شيئاً بواحدة من هذه الشرائع » أي شريعة زمانه ورسوله. فلو

---

(١) سورة المائدة آية رقم ٤٨.

(٢) سورة الجاثية آية رقم ١٨.

أتى رجل بشريعة هود في زمن موسى (عليهما السلام)، لم ينتفع به. ولو أتى بشريعة موسى في زمن عيسى (عليهما السلام)، لم ينتفع به. ولو أتى بشريعة عيسى في زمن محمد (عليهما الصلاة والسلام)، لم يقبل منه ولم ينتفع به. إنما يقبل من كل عبد شريعته التي شرعت له على لسان رسوله (ﷺ). وان الله تعالى شرع الطريق لعباده ليحلوا حلاله، ويحرموا حرامه، كي يصلحوا لدار السلام يوم مقدمهم عليه.

الأصل السابع والخمسون

في حقيقة اليقين ومعنى العافية

عن سلمان بن عامر (رضي الله عنه) يقول : سمعت أوسط البجلي على منبر حمص يقول : سمعت أبا بكر الصديق على المنبر وهو يقول : سمعت رسول الله (ﷺ) على هذا المنبر عام أول، والعهد قريب : « سلوا الله اليقين والعافية. فإن الناس لم يعطوا شيئاً خيراً من اليقين والعافية »(١).

فاليقين هو استقرار النور في القلب والصدر. وذلك أن نور الإيمان في القلب، والشهوات بظلمتها وفوران دخانها متراكمة على القلب، قد أظلمت الصدر وحالت بين عيني القلب وبين رؤية أمور الغيب. فهو مقر بالغيب من الجنة والنار والحساب وأهوال الموقف وتدبير الله تعالى في دنياه، إلا أن نفسه تشبه عليه بخدعها وأمانيها، لأنها لم تصر له كالمعاينة.

---

(١) في الزوائد : قلت رواه النسائي في اليوم والليلة من طرق منها عن يحيى بن عثمان عن عمر بن عبد الواحد، وعن محمود بن خالد عن الوليد كلاهما عن عبد الرحمن ابن يزيد عن جابر عن سليم بن عامر ورواه ابن ماجة مع تغاير في توجيه الألفاظ في كتاب الدعاء ٣٨٤٩ بسنده عن أوسط بن اسماعيل البجلي أنه سمع أبا بكر حين قبض النبي ــ ﷺ ــ يقول : وذكره.

وليس الخبر كالمعاينة. فإذا امتلأ القلب من النور، كان كمن قال رسول الله (ﷺ) لحارثة حين قال : يا رسول الله كأني أنظر إلى عرش ربي بارزاً الخبر. فاليقين استقرار القلب بذلك النور. يقال في اللغة : يقن الماء في الحفرة أي استقر. وأما العافية والعفو فكل واحد منهما مشتق من صاحبه. فالعفو في الآخرة، والعافية في الدنيا، وهو أن يعفى عنك من الخذلان، فلا تخذل حتى لا تقع في الذنب، وأن يعفى عنك حتى لا تصيبك الشدائد والبلايا. وأصله من العفو، فقد عفى عنك أن يصيبك هذا وأن تصيبك شدائد الآخرة. وكلاهما في المعنى واحد. إلا أن العفو يستعمل في أمور الآخرة، والعافية في أمور الدنيا.

الأصل الثامن والخمسون

في تفسير قوله تعالى ﴿ فروح وريحان ﴾ بالوجهين

عن عائشة (رضي الله عنها) قالت : كان رسول الله (ﷺ) يقرأ : ﴿ **فروح وريحان** ﴾[1]. الراء مضمومة. وقد قرئت الراء مفتوحة. فمَن قرأ : فروح مضمومة الراء، ذهب الى أن الروح أمر جليل من أمره يحل بالقلب. فبه تطمئن القلوب الى الله تعالى، وبه ينال الذكر الصافي، وبه يصير محقاً، وبه يقدس القلب، وبه يشتاق عند حضور أجله إلى اللقاء، فيهون عليه الموت ويبشر، وتطيب النفس للشخوص إلى الله، وبه تأتلف قلوب المتحابين في الله، وبه عصمة قلوب الأنبياء (عليهم السلام). ومن قرأها : فروح. مفتوحة الراء، فإنه ذهب الى أن يسلم عليه ملك الموت (عليه السلام) في ذلك الوقت ويقرئه السلام من رب العزة، فيجد لذلك راحة على القلب. وهو قوله تعالى : ﴿ **تحيتهم يوم يلقونه سلام** ﴾[2].

---

(١) سورة الواقعة آية رقم ٨٩.

(٢) سورة الأحزاب آية رقم ٤٤.

الأصل التاسع والخمسون

في معنى معاء الآدمي لم كانت سبعاً فصارت واحدة

عن أبي هريرة (رضي الله عنه) عن رسول الله (ﷺ) أنه قال : « المؤمن يأكل في معاء واحد والكافر يأكل في سبعة أمعاء »[1].

وعن أبي موسى (رضي الله عنه) عن رسول الله (ﷺ) مثله.

قال أبو عبدالله : الإنسان مبني على سبعة : على الشرك، والشك، والغفلة، والرغبة، والرهبة، والشهوة، والغضب. فهذه أخلاقه. وأي خلق من هذه الأخلاق إستولى على قلبه نسب إليه دون الآخر. ومما يحقق ذلك قوله تعالى : ﴿ **وإن جهنم لموعدهم أجمعين لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم** ﴾[2] فأهل النار مجزءون مقسمون على هذه

---

(١) رواه البخاري في الأطعمة ١٢ ومسلم في الأشربة ١٨٢ ــ ١٨٦ والترمذي في الأطعمة ٢٠ وابن ماجة في الأطعمة ٣ والدارمي في الأطعمة ١٣ ــ ٢٠ وصاحب الموطأ في صفة النبي ٩، ١٠ وأحمد بن حنبل في المسند ٢ : ٢١ ٤٣، ٧٤، ١٤٥، ٢٥٧، ٣١٨، ٣٧٥ (حلبي).

(٢) سورة الحجر آية رقم ٤٤.

الأبواب السبعة. فكل جزء منهم صار جزءاً بخلق من هذه الأخلاق المستولية عليه.

ومما يحقق ذلك ما روي عن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال : قال رسول الله (ﷺ) : « للنار باب لا يدخلها منه إلا من شفا غيظه بسخط الله تعالى » .

وعن ابن عمر (رضي الله عنهما) قال : قال رسول الله (ﷺ) : « لجهنم سبعة أبواب باب منها لمن سل سيفه على أمتي » .

فهذا للرغبة، والأول للغضب. فابن آدم مبني على هذه الأخلاق السبعة فإذا ولج الإيمان القلب، نفى هذه السبعة من القلب. فبقدر قوة الإيمان تذوب هذه الأخلاق من النفس. وعلى قدر ضعفه يبقى ضررهن. فإذا اكمل النور وامتلأ القلب منه، لم يبق لهذه الأخلاق فيه موضع. فنفى الشرك والشك والغفلة أصلاً. وصار بدل الشرك إخلاصاً، وبدل الشك يقيناً، وبدل الغفلة انتباهاً وكشف غطاء معاينه، وصار الغضب له وفي ذاته، وصارت الرغبة إليه والرهبة منه، وصارت الشهوة منية وكانت نهمة. وبقدر ضعف الإيمان وسقمه يبقى من هذه الأخلاق في المؤمن. فبقي منه شرك الأسباب، وشك الأرزاق، وغفلة التدبير في كنه الأمور، والرغبة والطمع في الخلق، والرهبة منهم في المضار والمنافع، واستعمال الشهوات على النهمة. فإيمانه يقتضيه ما عقد في توحيده لربه أن هذه الأشياء كلها منه وله، وأخلاقه تمنعه الوفاء بذلك عند نوائبه. فلذلك يبقى في عرصة القيامة محاسباً في مدة طويلة. والآخر كمل إيمانه فامتلأ قلبه من نور الإيمان فه ار كما وصفنا بدءًا، فسقط عنه الحساب غداً.

فابن آدم يأكل في معاء واحد اعني الخلقة، إلا أن هذه الأخلاق السبعة سوى الغضب قد عملت على قلبه فصار كأنه يأكل في سبعة أمعاء. فإذا آمن فامتلأ قلبه من نور الإيمان، سكنت هذه الأخلاق فشبع وروي؛ لأنه

قد ثقل قلبه بما ولج فيه من الإيمان. فإذا آمن فإنما يأكل بمعاه الذي خلق فيه. وكلما كان أوفر حظاً من إيمانه، كان أقل لطعمه بهذا المعاء الواحد أيضاً وإذا كان كافراً فهذه الأخلاق الستة تعمل على قلبه حتى يصير كأنه يأكل في سبعة أمعاء. لأن الشرك والشك والغفلة والشهوة والرغبة والرهبة هي أعوان لحرصه. فإذا أحرص، لم يشبع واحتاج إلى الكثير. والذي سكنت عنه هذه الستة الأخلاق بولوج الإيمان قلبه، ذاب الحرص في جوفه، وثقل الإيمان في قلبه فأكل بمعاه الذي خلق للآدميين فاكتفى بذلك.

عن أبي صالح السمان قال: قدم ثلاثون راكباً على رسول الله (ﷺ) من غفار، فيهم رجل يقال له أبو بصيرة مثل البعير. فقال رسول الله (ﷺ) لأصحابه: بدّدوا القوم. فجعل الرجل يقيم الرجل، والرجل يقيم الرجلين على قدر ما عنده من الطعام حتى تفرق القوم غير أبي بصيرة. قال: وكل القوم يرى أن ليس عنده ما يشبعه. فلما رأى رسول الله (ﷺ) ذاك، قام واستتبعه فتبعه. فلما دخل دعا له بطعام فوضعه بين يديه، فكأنما لحسه. ثم دعا بقدح فحلب فيه فشربه حتى حلب له في سبعة أقداح فشربها. وبات عند رسول الله (ﷺ) فعرض عليه الإسلام فتكلم منه بشيء. فلما خرج رسول الله (ﷺ) إلى صلاة الغداة، واستتبعه فتبعه، فصلى معه الغداة. فلما سلم رسول الله (ﷺ)، أقبل على القوم بوجهه فقال: علموا أخاكم وبشروه. فأقبل القوم بنصح يعلمونه. وألقى عليه رسول الله (ﷺ) ثوباً حين أسلم، ثم قام فاستتبعه فتبعه. فلما دخل دعا له بطعام، فوضعه بين يديه، فلم يأكل إلا يسيراً حتى قال: شبعت. ثم دعا له بقدح فحلب فيه، فلم يشرب إلا يسيراً حتى قال: رويت. فضرب رسول الله (ﷺ) على منكبه فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، إنك كنت أمس كافراً، وإنك اليوم مؤمن، وإن الكافر يأكل في سبعة أمعاء، وإن المؤمن يأكل في معاء واحد.

الأصل الستون

في أن للصائم دعوة مستجابة عند إفطاره

عن ابن عمر (رضي الله عنهما)، عن رسول الله (ﷺ) أنه قال : « لكل عبد صائم دعوة مستجابة عند إفطاره اعطيها في الدنيا أو ذخر له في الآخرة»[1].

فكان ابن عمر (رضي الله عنهما) يقول عند إفطاره : يا واسع المغفرة اغفر لي.

خصَّ أمة محمد (ﷺ) من بين الأمم في شأن الدعاء فقيل : ﴿ **ادعوني أستجب لكم** ﴾[2].

وإنما كان يكون ذلك للأنبياء (عليهم السلام)، فأعطيت هذه الأمة ما أعطيت الأنبياء (عليهم السلام). فلما دخل التخليط في أمورهم من

---

(١) رواه ابن ماجة في كتاب الصيام ٤٨ باب في الصائم لا ترد دعوته ١٧٥٣ — سمعت عبدالله بن أبي مليكة يقول سمعت عبدالله بن عمرو بن العاص يقول : وذكره.
ففي الزوائد : إسناده صحيح، لأن اسحاق بن عبيدالله بن الحارث قال النسائي : ليس به بأس، وقال أبو زرعة ثقة وذكره ابن حبان في الثقات.

(٢) سورة غافر آية رقم ٦٠

أجل الشهوات التي استولت على قلوبهم، حجبت قلوبهم. فالصوم منع النفس عن الشهوات. وإذا ترك شهوته من أجله، صفا قلبه وصارت دعوته بقلب فارغ قد زايلته ظلمة الشهوات وتولته الأنوار، فاستجيب له. فان كان ما يسأل في المقدور، عجل له. وإن لم يكن، كان مدخوراً له في الآخرة. وبلغنا أن العبد إذا دخل الجنة، أعطي من الجنة بقدر ما يستقر في ملكه، ويجاز له ثوابه. فإذا زيد، قيل له : هذا دعواتك التي كنت لا ترى لها إجابة، كان لك ذخراً عظيماً.

وعن عبدالله بن عمرو بن العاص (رضي الله عنه) يقول : سمعت رسول الله (ﷺ) قال : « للصائم عند فطره دعوة لا ترد »[1].

---

(١) سبق تخريج هذا الحديث.

الأصل الحادي والستون

في سجود الشكر

عن أبي بكر (رضي الله عنه) قال : كان رسول الله (ﷺ) إذا جاءه الأمر يسر به، خر لله ساجداً شكراً[1].

فالسجود أقصى حالة العبد في التواضع لله تعالى، به ترتبط النعمة ويجتلب المزيد. فالشكر رؤية العبد النعمة. ولا ينفك من رأى النعمة من الجبار إذا استحيى خجل وتذلل وتواضع. وكان رسول الله (ﷺ) من شأنه إذا فرح، غض بصره. وغض البصر من الحياء. لأن الحياء في العينين من أجل أن الحياء من شأن الروح. وبصره متصل ببصر الروح. وأيضاً الفرح في القلب مؤد الى العين. فإذا إنتهى الفرح إلى العين فلم يغضها، انتشر الفرح وقوي. فلم يكن (ﷺ) يحب أن ينتشر فرحه في دار الأحزان حتى يكون ذلك كله في دار الله تعالى.

عن عبد الرحمن بن أبي بكر (رضي الله عنهما) قال : جئت أزور عائشة (رضي الله عنها). فكان رسول الله (ﷺ) يوحي إليه، ثم سرى

---

(١) الحديث رواه ابن ماجة في كتاب إقامة الصلاة ١٣٩٤ ــ ثنا أبو عاصم، عن بكار ابن عبد العزيز بن عبدالله بن أبي بكرة عن أبيه عن أبي بكرة أن النبي ــ ﷺ ــ : وذكره.

عنه فقال : يا عائشة ناوليني ردائي فناولته، ثم أتى المسجد فإذا مذكر يذكر. فجلس حتى قضى المذكر تذكرته. افتتح ﴿**حم * تنزيل من الرحمن الرحيم**﴾[1] فسجد فطالت سجدته. ثم تسامع به أظنه قال مَن كان على ميلين وملئ عليه المسجد. وأرسلت عائشة (رضي الله عنها) في حاجتها أن احضروا رسول الله (ﷺ) فلقد رأيت منه أمراً ما رأيته منه منذ كنت معه. فرفع رأسه فقال : سجدت هذه السجدة شكراً لربي تعالى فيما أبلاني في أمتي فقال له ـــ أحسبه أبو بكر (رضي الله عنه) ـــ وما ذا أبلاك في أمتك؟ قال: أعطاني سبعين ألفاً من أمتي يدخلون الجنة. فقال: يا رسول الله، إن امتك كثير طيب فازدد يا رسول الله. قال : قد فعلت فأعطاني مع كل واحد من السبعين الألف سبعين ألفاً. قال : يا رسول الله ازدد لامتك. فقال بيديه ثم قال بهما إلى صدره أو إلى بعض جسده. فقال عمر أو غيره : أوعيت يا رسول الله. أو كلمة نحوها[2].

عن عبد الله بن بكر أبي وهب السهمي، حدثنا هشام بن حسان، عن القاسم بن مهران، عن موسى بن وردان، عن عبد الرحمن بن أبي بكر قال : قال رسول الله (ﷺ) : « إن الله تعالى أعطاني سبعين ألفاً من أمتي يدخلون الجنة بغير حساب ». فقال عمر : يا رسول الله فهلا استزدته. قال : قد استزدته فأعطاني مع كل واحد من السبعين الألف سبعين ألفاً. فقال (رضي الله عنه) : يا رسول الله فهلا استزدته. قال : استزدته فأعطاني هكذا، وفتح أبو وهب يديه. قال أبو وهب : قال هشام : هذا من الله لا يدري ما عدده.[3].

---

(١) سورة فصلت الآيتان ١ و٢.

(٢) يؤيّده ما رواه الإمام البخاري في كتاب اللباس ١٨ والإمام مسلم في كتاب الإيمان ٣٦٩، ٣٧٠، ٣٧٣.

(٣) الحديث رواه الإمام أحمد في المسند ١ : ١٩٧. حدثني أبي ثنا عبدالله بن بكر السهمي، ثنا هشام بن حسّان عن القاسم بن مهران عن موسى بن عبيد عن ميمون بن مهران عن عبد الرحمن بن أبي بكر أن رسول الله ـــ ﷺ ـــ قال : وذكره.

وهذا الحديث أتم وأشبع. والأول لم يذكر فيه أنهم يدخلون الجنة بغير حساب.

وعن قيس بن أبي حازم، عن أبي بكر (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (ﷺ) : « أعطيت سبعين ألفاً من أمتي يدخلون الجنة بغير حساب. قلوبهم على قلب رجل واحد. واستزدت فزادني مع كل واحد سبعين ألفاً ».

وعن أم قيس أن رسول الله (ﷺ) خرج آخذاً بيدها في سكة من سكك المدينة، حتى انتهى إلى بقيع الغرقد فقال : « يبعث منها سبعون ألفاً يوم القيامة في صورة القمر ليلة البدر يدخلون الجنة بغير حساب ».

فقام رجل فقال : يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم. قال : أنت منهم. فقام آخر فقال : يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم. فقال : سبقك بها عكاشة.(١)

فهذا العدد من مقبرة واحدة، فكيف سائر مقابر أمته. وإنما قال رسول الله (ﷺ) : « أنت منهم » كأنه رأى فيه أنه منهم، والآخر لم يره بموضع ذاك. وأم قيس هي ابنة محصن. وهي أخت عكاشة بن محصن الأسدي. فالسبعون الألف الأولون سقط عنهم الحساب لأن الله تعالى أيدهم باليقين حتى عاملوا الله تعالى على الصدق والوفاء بيقينهم. وهم أولياء الله تعالى لا خوف عليهم ولا هم يحزنون. وهم السابقون المقربون، يشفع كل واحد منهم في سبعين ألفاً ممن احتسب للحساب

---

(١) رواه الإمام مسلم في كتاب الإيمان ٣٦٧ (٣١٦) عن محمد بن زياد عن أبي هريرة أن النبي ــ ﷺ ــ قال : وذكره ورواه البخاري في الرقاق ٥٠ والطب ١٧ ــ ٤٣ واللباس ١٨ والترمذي في القيامة ١٦ والدارمي في الرقاق ٨٦، ١٠٢ وأحمد بن حنبل في المسند ١ : ٢٧١، ٢٠١، ٢ : ٣٠٢، ٣٥١، ٤٠١، ٤٥٦، ٥٠٢، ٤ : ٤٣٦ (حلبي).

في الموقف ممن وجبت له الجنة، ثم يشفع كل واحد منهم في سبعين ألفاً ممن وجب عليه الوقوف طول الموقف.

عن عبدالله بن أبي أوفى قال : إن رسول الله (ﷺ) لما أتى برأس أبي جهل[1]، صلى ركعتين، وصلى بهم يوم الفتح ركعتين.

وسجد عمر بن عبد العزيز ثلاث سجدات تباعاً حيث روى له أبو بردة بن أبي موسى عن أبيه، عن رسول الله (ﷺ) الحديث الذي قال : يجاء باليهودي والنصراني يوم القيامة فيقال : هذا فداؤك يا مسلم من النار .

(١) راجع موقف أبي جهل من الدعوة الاسلامية ومقتله في غزوة بدر في كتابنا « رجال أنزل الله فيهم قرآنا » ط: دار الجيل: بيروت.

الأصل الثاني والستون

في بيان أفضل الصدقة

عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (ﷺ) : « ما من صدقة بأفضل من صدقة يتصدقها على مملوك عند مليك سوء ».[1] فالمملوك عند المليك السوء مضطر. والصدقة على المضطر أضعاف مضاعفة. لأنهم ثلاثة أصناف : فقير مستغن عن الصدقة في ذلك الوقت. وفقير محتاج. ومضطر. فالصدقة على المستغنى عنه وهو في حد الفقر صدقة. والصدقة على المحتاج مضاعفة. والصدقة على المضطر أضعاف مضاعفة. والمملوك عند المليك السوء انتظمت حالته هذه الثلاث، هو فقير، وهو محتاج، وهو مضطر.

---

(١) هذا الحديث لم يذكر في الصحاح ولم نعثر عليه في السند ولم يشِر إليه صاحب مجمع الزوائد، فلعلّه من النوادر التي اختصّ بها كتاب النوادر.

الأصل الثالث والستون

في أنه (ﷺ) كان يحب الفأل الحسن

عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (ﷺ) : « إذا بعثتم إليَّ رسولاً فاجعلوه حسن الوجه حسن الاسم »[1].

هذا من طريق التفاؤل. وذلك أن أهل اليقظة والانتباه يرون الأشياء كلها من الله تعالى. وإذا ورد وارد حسن الوجه، حسن الاسم تفاءل به وهو حسن الظن بالله تعالى. وكان رسول الله (ﷺ) يتفاءل ولا يتطير. لأن التفاؤل هو حسن الظن بالله تعالى. والفأل هو شيء يخصّ به قوم. وليس يكون لكل أحد كالفراسة والإلهام وكالحكمة. وروي عن رسول الله (ﷺ) أنه قال : الفأل مرسل .

فمن أُعطي حظاً من التفاؤل انتفع به. كمن أُعطي الفراسة، فله منها حظ. ومن لم يعط، لم يكن له منها حظ. والفأل قريب من الأركان والحظ نحوه.

(١) الحديث رواه البزار والطيراني في الأوسط عن أبي هريرة — رضي الله عنه وأشار اليه السيوطي في الجامع الصغير بالضعف

وكانت قريش جعلت مائة من الإبل في من يأخذ نبي الله (ﷺ) فيرده عليهم حيث توجه إلى المدينة. فركب بريدة في سبعين راكباً من أهل بيته من بني سهم، فتلقى نبي الله، فقال له نبي الله (ﷺ) : من أنت ؟ قال : أنا بريدة. فالتفت إلى أبي بكر (رضي الله عنه) فقال : يا أبا بكر برد امرنا وصلح. فقال : وممن ؟ قال : من اسلم. فقال لأبي بكر : سلمنا. قال : ثم ممن ؟ قال : من بني سهم. قال : خرج سهمك. فأسلم بريدة وأسلم الذين معه جميعاً. فلما أن أصبح قال بريدة لنبي الله (ﷺ) : لا تدخل المدينة إلا ومعك لواء. فحل عمامته ثم شد بها في رمح، ثم مشى بين يديه (ﷺ)، فقال : يا نبي الله تنزل عليّ. فقال : إن ناقتي مأمورة. فسارت حتى وقفت على باب أبي أيوب الأنصاري (رضي الله عنه) فبركت. فقال بريدة : الحمد لله الذي أسلم بنو سهم طائعين غير مكرهين.

وروي عن رسول الله (ﷺ) أنه قال : « قال الله تعالى : أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء »[1]. فإذا أحسن ظنه، وفى له بما أمل وظن. والتطيّر سوء الظن بالله، وهروب من قضائه، والعقوبة إليه سريعة. ألا ترى إلى العصابة التي فرت من الطاعون كيف أماتهم. قال الله تعالى : ﴿ **ألم تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم ...** ﴾[2].

عن أبي رافع قال : أتيت رسول الله (ﷺ) ومعي مكتل فيه شاة

---

(١) رواه الشيخان عن أبي هريرة رفعه وللبيهقي عن أبي هريرة أيضاً رفعه بلفظ (أمر الله تعالى بعبدين إلى النار فلمّا وقف أحدهما على شفتها التفت فقال أما والله إن كان ظني بك لحسن فقال الله عزّ وجلّ ردّوه فأنا عند ظنّك بي فغفر له. وقال النجم رواه أحمد وابن حبان وابن ماجه عن واثلة.

(٢) سورة البقرة آية رقم ٢٤٣.

مشوية. فقال لي : يا أبا رافع ضع ما معك. ثم قال : ناولني الذراع فناولته فأكلها. ثم قال : ناولني الذراع فناولته فأكلها. ثم قال : ناولني الذراع فقلت : وهل للشاة أكثر من ذراعين ؟ فقال : لو سكت لوجدتها.

الأصل الرابع والستون

في معنى الفطرة الأصلية

عن أبي هريرة (رضي الله عنه) عن رسول الله (ﷺ) أنه قال :

« كل مولود يولد على الفطرة. فأبواه يهودانه وينصرانه. كما تناتج الإبل من بهيمة جمعاء. هل يحس من جدعاء. »[1] قالوا : يا رسول الله أفرأيت من يموت صغيراً. قال : الله أعلم بما كانوا عاملين. على الفطرة أي على الإسلام.

وذلك أن الله تعالى أخذ من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم. فأسلموا له طوعاً وكرهاً، وألقوا بأيدهم اعترافاً بربوبيته. فمنهم مسلم ومنهم مستسلم. وفي الجملة كلهم أقروا له بالربوبية وحده. وبالسمع والطاعة له. فأخذ عليهم الميثاق. ثم ردهم إلى الأصلاب. فلما خرجوا من الأرحام الى الدنيا مولودين، إنما خرجوا على تلك الفطرة. فمن ولده يهودي أو نصراني أو مجوسي فالولد في الحكم له.

(١) الحديث رواه الإمام مسلم في كتاب القدر ٢ (٢٦٥٨) بسنده عن الزبيدي عن الزهري أخبرني سعيد بن المسيب عن أبي هريرة أنه كان يقول : وذكره. ورواية الإمام البخاري في الجنائز ٨٠ وتفسير سورة ٣٠ : ١ والقدر ٣ والإمام أحمد بن حنبل في المسند ٢ : ٣١٥، ٣٤٦ (حلبي).

قال المصنف (رحمه الله) : الولد في الحكم لأبيه دون أمه. لأن العظام والعصب والعروق من الأب. واللحم والدم والشعر والجلد من الأم. فأصل الجسد من الأب. ألا ترى أن اللحم والدم والجلد والشعر يذهب ويجيء والجسد باق. والعظام والعصب والعروق إذا ذهب، ذهب الجسد. ولذلك نسب إلى أبيه. والعصوبة له في الميراث والولاية وسائر الأحكام.

أما قوله : « كما تناتج الابل هل يحسّ من جدعاء » فإنه يقول ان الانعام إذا تناتجت فمولودهن صحيح سوي. فعمد المشركون فجدعوا آذانها.

روى عوف بن مالك الجشمي (رضي الله عنه) قال : أتيت رسول الله (ﷺ) فصعد فيَّ البصر وصوبه وقال : أرب إبلٍ أنت أم رب غنم ؟ قلت : من كل المال قد آتاني الله تعالى، فأكثر وأطيب. قال : أفلست تنتجها وافية أعينها وآذانها ؟ قلت : بلى. قال : فتجدع آذانها فتقول : صرماء وتشق من هذه فتقول : بحيرة. فساعد الله أشد من ساعدك. وموساه أحد لو شاء الله أن يأتيك بها صرماء، فعل.

فقول رسول الله (ﷺ) حيث قال : « فأبواه يهودانه وينصرانه كما تناتج الإبل فهل تحس من جدعاء » أي أن الله تعالى خلقه سوياً وافراً وافياً. فأنتم جدعتموه. وكذلك خلق الله تعالى هذا المولود على الفطرة التي فطرهم حيث استخرجهم من صلب آدم (عليه السلام) معترفين له بالربوبية. وأنتم هودتموه ونصرتموه. ومنه قول الله تعالى : ﴿ **صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة** ﴾[2]

---

(١) الحديث أخرجه الإمام أحمد بن حنبل في المسند ٣: ٤٧٣ ثنا شعبة عن أبي اسحاق قال: سمعت أبا الأحوص يحدث عن أبيه قال: وذكره.

(٢) سورة البقرة آية رقم ١٣٨.

كانت اليهود إذا ولد لهم ولد صبغته. وكانت النصارى إذا ولد لهم مولود صبغته في ماء لهم. يقولون : تطهر بذلك. فقال الله تعالى : ﴿ **صبغة الله** ﴾ أي فطرة الله التي فطرهم عليها أحسن من صبغهم.

عن أنس بن مالك (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (ﷺ) : « كل مولود يولد من ولد كافر أو مسلم فإنما يولدون على الاسلام كلهم. ولكن الشياطين أتتهم فاجتالتهم عن دينهم فهودتهم ونصرتهم ومجستهم وأمرتهم أن يشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً. وقال الله تعالى وقوله الحق : خلقت عبادي حنفاء وأمرتهم أن لا يشركوا بي شيئاً »[١].

عن عياض بن حمار (رضي الله عنه) عن رسول الله (ﷺ) أنه قال في خطبته : ان الله تعالى أمرني أن أعلمكم. وقال تعالى : « خلقت عبادي حنفاء فأتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم. وأمرتهم أن يشركوا بي. وحرمت عليهم ما أحللت عليهم »[٢].

قال أبو عبدالله. فهذا بعد الإدراك حين عقلوا أمر الدنيا وتأكدت حجة الله عليهم وعملت أهواؤهم فيه ؛ لأن الشياطين وجدت قلوباً خالية. والنفس والروح يعقلان أمر الدنيا والمضار والمنافع. والآيات ظاهرة من خلق السموات والأرض والشمس والقمر واختلاف الليل والنهار. وهذه حجج الله سبحانه وتعالى على عبيده. فذهبت بأهوائهم يميناً وشمالاً. وأما المؤمنون فهم أهل منة الله تعالى مَنَّ الله عليهم فجعل لهم نوراً فأحياهم فقال : ﴿ **أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس**

---

(١) و(٢) رواه الإمام مسلم في كتاب الجنّة وصفة نعيمها وأهلها ٦٣ (٢٨٦٥) حدّثنا معاذ ابن هشام، حدّثني أبي عن قتادة عن مطرف بن عبد اللهبن الشخير عن عياض بن حمار المجاشعي أن رسول الله ــ ﷺ ــ قال: وذكره، ورواه أحمد بن حنبل في المسند ٤ : ١٦٢ (حلبي).

كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها ﴾[1] **﴿ ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور ﴾**[2].

فأهل منته أحياهم الله تعالى بنوره. وأهل عداوته حرموا ذلك فخابوا. والحجة عليهم قائمة بما أعطوا من المعرفة بأمور الدنيا.

قال الله تعالى : **﴿ قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها ﴾**[3] إنما زكاها بنور المعرفة. وإنما دسي قلب الكافر. وقوله : دسي ودسس ودس كله بمعنى واحد. وهو أن يدس باب قلبه كما تدس الكوة حتى لا يقع في البيت ضوء، فهو بيت مظلم، وقد مال به هوى نفسه.

عن أبي هريرة (رضي الله عنه) عن رسول الله (ﷺ) قال : « لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد فتمسهم النار إلا تحلة القسم »[4].

عن معاذ بن جبل (رضي الله عنه) عن رسول الله (ﷺ) أنه قال : « ما من مسلمين يتوفى لهما ثلاثة أولاد لم يبلغوا الحنث إلا أدخل الله تعالى والديهم الجنة بفضل رحمته إياهم. والذي نفسي بيده إن السقط ليجر أمه إلى الجنة بسرره إذا احتسب »[5].

عن ابن عباس (رضي الله عنهما) أنه سمع رسول الله (ﷺ) يقول : « يا عائشة مَن مات له فرطان من أمتي أدخله الله الجنة بفضل

---

(١) سورة الأنعام آية رقم ١٢٢.

(٢) سورة النور آية رقم ٤٠.

(٣) سورة الشمس آية رقم ١٠.

(٤) رواه ابن ماجة في كتاب الجنائز ٥٧ باب ما جاء في ثواب من أصيب بولده ١٦٠٣ ــ عن الزهري عن سعيد بن المسيّب عن أبي هريرة عن النبي ــ ﷺ ــ قال : وذكره.

(٥) رواه ابن ماجة في كتاب الجنائز ١٦٠٩ ــ عن عبيدالله بن مسلم الحضرمي عن معاذ ابن جبل عن النبي ــ ﷺ ــ قال: وذكره.
في الزوائد : في إسناده يحيى بن عبدالله بن موهب وقد اتفقوا على ضعفه.

رحمته إياهم ». قالت : يا رسول الله فمن كان له فرط واحد ؟ قال : ومن كان له فرط واحد يا موفقة. قالت : ومن لم يكن له فرط ؟ قال : فأنا فرط أمتي لم يصابوا بمثلي[1].

فإذا كان الوالدان إنما يدخلهم الله الجنة بفضل رحمته للولد، فكيف يكون رحمته للولد ؟

عن عائشة (رضي الله عنها) قالت : سألت رسول الله (ﷺ) عن أولاد المسلمين أين هم يوم القيامة ؟ قال : في الجنة يا عائشة. وسألت عن أولاد المشركين ؟ فقال : في النار يا عائشة. قلت : لم يدركوا الأعمال يا رسول الله، ولم تجر عليهم الأقلام. فقال رسول الله (ﷺ) : ربك أعلم بما كانوا عاملين[2].

عن علي (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (ﷺ) : « إن السقط ليراغم ربه (عزّ وجلّ) إذا أدخل أبويه النار. فيقال له : أيها السقط المراغم ربه قد أدخل أبويك الجنة. فيقول : لا حتى يجرهما بسرره.

عن معاذ بن جبل (رضي الله عنه) عن رسول الله (ﷺ) أنه قال : « يؤتى يوم القيامة بالممسوخ عقلاً وبالهالك في الفترة وبالهالك صغيراً فيقول الممسوخ عقلاً : يا رب لو آتيتني عقلاً ما كان من آتيته عقلاً بأسعد مني. ويقول الهالك في الفترة. يا رب لو أتاني منك عهد ما كان

---

(١) الحديث أخرجه الترمذي في كتاب الجنائز ٦٢: ١ بسنده عن ابن عباس — رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله — ﷺ يقول: وذكره.
قال الترمذي: هذا حديث غريب لا نعرفه الا من حديث عبد ربه بن بارق.

(٢) الحديث رواه الإمام مسلم بسندين الأول عن عطاء بن زيد عن أبي هريرة، والثاني عن سعيد بن جبير عن ابن عباس مختصراً ورواه البخاري في الجنائز ٩٣ وأبو داود في السنة ١٧ والنسائي في الجنائز ٦٠ وصاحب الموطأ في الجنائز ٥٣ وأحمد بن حنبل في المسند ٢ : ٢٤٤ ٢٥٣، ٢٥٩ (حلبي).

من أتاه منك عهد بأسعد بعهدك مني. ويقول الهالك صغيراً: يا رب لو آتيتني عمراً ما كان من آتيته عمراً بأسعد بعمره مني. فيقول الرب تبارك وتعالى : فإني آمركم بأمر أفتطيعونني فيقولون : نعم وعزتك. فيقول لهم : فاذهبوا وادخلوا جهنم ولو دخلوها ما ضرتهم شيئاً. فتخرج عليهم قوابض من نار يظنون أنها قد أهلكت ما خلق الله من شيء. فيرجعون سراعاً ويقولون : يا ربنا خرجنا وعزتك نريد دخولها فخرجت علينا قوابض من نار فظننا أنها قد أهلكت ما خلق الله تعالى من شيء. ثم يأمرهم ثانية فيرجعون ويقولون كذلك. فيقول الرب : خلقتكم على علمي وإلى علمي تصيرون ضميهم. فتأخذهم النار.

عن عبدالله بن شداد (رضي الله عنه) أن رسول الله (ﷺ) أتاه رجل فسأله عن ذراري المشركين الذين هلكوا صغاراً، فوضع رأسه ساعة ثم قال : أين السائل ؟ فقال : ها أنا ذا يا رسول الله. فقال : إن الله تعالى إذا قضى بين أهل الجنة والنار لم يبق غيرهم. عجوا فقالوا : اللهم ربنا لم يأتنا رسولك ولم نعمل شيئاً. فأرسل اليهم ملكاً والله أعلم بما كانوا عاملين. فقال : إني رسول ربكم إليكم فانطلقوا فاتبعوه حتى أتوا النار. فقال لهم : إن الله (عز وجل) يأمركم أن تقتحموا فيها. فاقتحمت طائفة منهم. ثم اخرجوا من حيث لا يشعر أصحابهم. فجعلوا من السابقين المقربين. ثم جاءهم الرسول (عليه السلام) فقال : إن الله تعالى يأمركم أن تقتحموا في النار فاقتحمت طائفة أخرى. ثم أخرجوا من حيث لا يشعرون فجعلوا من أصحاب اليمين. ثم جاء الرسول فقال : إن الله تعالى يأمركم أن تقتحموا في النار. فقالوا : ربنا لا طاقة لنا بعذابك. فأمر بهم فجمعت نواصيهم وأقدامهم ثم القوا في النار(١).

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط عن سمرة وعن أنس بن مالك وأشار اليه السيوطي بالصحة، وأبو الحسن في أماليه عن انس أيضاً.

قال أبو عبدالله : الولد عضو من الرجل. فإذا قدمه من قبل أن يبلغ الحنث فقد عتق من أسار الذنوب. وفي الشرع أن المملوك إذا عتق جزء منه شاعت الحرية في جميع أجزائه. فهذا الطفل قدم على ربه وهو غير مطلوب بذنب. فصار حراً من رق الذنوب وهو جزء من أجزاء الوالدين.

وقوله : « لم يبلغوا الحنث » أي ما أدركوا مدرك الرجال. فتركوا الوفاء بما عاهدوا يوم الميثاق.

وقوله : « تحلة القسم » يريد قوله تعالى : ﴿ **وإن منكم إلا واردها ...** ﴾[1].

وعن أنس بن مالك (رضي الله عنه)، عن رسول الله (ﷺ) : « إني سألت ربي أولاد المشركين فأعطانيهم خدماً لأهل الجنة ». قال : لأنهم لم يدركهم ما أدرك آباؤهم من الشرك. ولأنهم في الميثاق الأول.[2]

---

(١) سورة مريم آية رقم ٧١.

(٢) راجع المسند للإمام أحمد بن حنبل ٢ : ٢٥٩ والنسائي في الجنائز ٦٠.

الأصل الخامس والستون

في بيان قوله (ﷺ) : ان هذا المال خضرة حلوة

عن أبي سعيد الخدري (رضي الله عنه) قال : إن رسول الله (ﷺ) قال : « إن هذا المال خضرة حلوة فمن أخذه بحقه فلنعم المعونة هو »[1].

الأخذ على ثلاثة أوجه عندنا : فالظالم يأخذه تمتعاً. والمقتصد يأخذه تزوداً. والمقرب يأخذه تبلغاً. فالظالم لم يأخذه بحقه؛ لأن الدنيا إنما خلقت متعة للأعداء وهم الكفار يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم. فهذا قد ظلم نفسه حيث أخذها أخذ الأعداء. قال الله تعالى : ﴿ **ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون** ﴾[2].

---

(١) هذا جزء من حديث طويل رواه الترمذي في القيامة ٢٩ بسنده عن حكيم بن حزام وقال هذا حديث صحيح ورواه الترمذي في الفتن ٢٦ والزهد ٤١ وابن ماجة في الفتن ١٩ والدارمي في الرقاق ٢٧ ومسلم في الزكاة ٩٦، ١٢٢ والنسائي في الزكاة ٥٠، ٨١، ٩٣ وأحمد بن حنبل في المسند ٣ : ٢١ (حلبي).

(٢) سورة الحجر آية رقم ٣.

لأن المؤمن قد علم أنه عابر سبيل، ولم يخلق للبقاء في هذه الدنيا. فهو مسافر يقطع الدنيا بعمره إلى الله تعالى، والليل والنهار يركضان به اليه. وقد آمن بالله واليوم الآخر. ومن صدق إيمانه أن يرفع باله عن الدنيا وييأس من الخلود فيها. ويأخذ منها ما يأخذ المتزود لما بين يديه من السفر الطويل. وأخذ التزود أن يكون له إرادة فيما يأخذ منها أن يأخذها لقوام دينه، ويقدم فضله ما بين يديه ليكون ذلك زاداً له في المحشر. فالأول ظالم أخذه أخذ الأعداء. وهذا أخذه بحقّه، فلنعم المعونة. والثالث أخذه تبلغاً لأنه خلق محتاجاً مضطراً لا ينفك في دنياه أيام حياته من حاجة به إليه، أما في نفسه، وأما في المتصلين به من عيال وقرابة وجيرة واخوان، من أجل حراً وبرداً وجوع أو عرى أو نوائب من سقم أو غيره.

وتدبير رب العالمين في هذا المال أنه وضعه في هذا الدار، وأنه يصلح به هذه المصالح. فما تناول منه تناول على التبلغ إلى الله تعالى لينفذ عمره، ويبلغ إلى ربه تعالى دافعاً هذه النوائب التي تنوبه في هذه الدنيا عن نفسه وعن هؤلاء بهذا المال الذي هكذا دبره رب العالمين. وكان أبو بكر (رضي الله عنه) بعد رسول الله (ﷺ) يعطي المال بغير عدد ولا تقدير يحثي حثواً، ويعطي قبضات. فراوده عمر (رضي الله عنه) على أن يقدر ويفضل المهاجرين لفضلهم، ومن له قدوة في الإسلام يبرر له ذلك بالمال. فأبى عليه وقال : إن هذا المال بلاغ وخير البلاغ أوسعه، وأجورهم على الله تعالى. فلما ولي عمر (رضي الله عنه) فضل أصحاب بدر، وجعل بين الناس فضائل. ففعل أبي بكر (رضي الله عنه) فعل الصديقين. المال عنده بلاغ. فكلما تناول شيئاً منه فقدمه في نوع من أنواع البر، لم يجعله عدة ليوم فقره كما فعل هذا المقتصد؛ لأن عدة الصديقين والمقربين خالقهم. وأعينهم مادة إلى رحمته. والمقتصدون ومن دونهم عدتهم خالقهم عدة الايمان. فإذا صاروا إلى الحقائق، صيروا أعمالهم عدة.

الأصل السادس والستون

في أن الاختيار من الخير

عن أبي بكر (رضي الله عنه) أن رسول الله (ﷺ) كان إذا أراد أمراً قال : « اللهم خر لي واختر لي »

قال أبو عبدالله : الخيرات كلها من خيرته. والصفوة من الخيرات محبوبة ومختارة. خار لعباده الأعمال والأفعال، واختار لنفسه من الذي خار لهم، فذاك محبوبه ومصطفاه، سأله أن يخير له أن يرزقه الخير. وإذا رزقه الخير، وقاه الشر. ثم سأله أن يختار له من الخير محبوبه، وله دعوة أخرى في حديث آخر. وهو قوله (ﷺ) : « اللهم إني أسألك التوفيق لمحابك من الأعمال وصدق التوكل عليك وحسن الظن بك » .

فانظر إلى هذه الخصال الثلاث كأنها نظام واحد. وهذا باب غامض يخفى على الصادقين. وإنما ينكشف للصديقين دون الصادقين، لأن الصادق يفتش عن الأعمال كيلا يدخل فيه العدو والنفس والهوى، ويروجه عليه بخدعه. فهو يبغي الصدق والإخلاص ويلحظه. والصديق يلحظ في أعماله إلى الله تعالى لأنه استقام قلبه على الصدق، وانطرد عنه الهوى، واختسأ العدو، فهو يفر من ظله. وهو الذي ينكشف له التوفيق

من الله لمحبوبه. فرب عمل هو في الظاهر أعلى وأشرف على ألسنة الرسل (عليهم السلام) والكتب المنزلة. والمحبوب في ذلك الوقت ما هو دونه في الظاهر. فالذي يحبه في ذلك الوقت قد خفي على الأنبياء (عليهم السلام) حتى سأله التوفيق لذلك.

وأما بيان انتظام هذه الأمور في طلق، فهو أن الله تعالى إذا وفّقه لمحبوبه وهو أدنى في الظاهر وآثر الأدنى، وإن كان الأدنى في الحقيقة من محاب الله تعالى فسأله صدق التوكل. والتوكل هو أن يتخذ الله وكيلاً ويفوض إليه جميع أموره. فسأله صدق ذلك حتى لا يتردد ولا يتلكأ فيه، ويسارع فيه كما يسارع في الذي كان عنده أعلى.

ثم قال : « وأسألك حسن الظن بك » فإن النفس إذا مرت في الادون، دخلها سوء الظن من قبلها فتقول : لعلي فيه مخذول إذا أقبلت على الإدون وأعرضت عن الأعلى في الظاهر. فسأله حسن الظن كي لا تأخذه الحيرة، ولا يخاف أنه خذل. فلهذه الخصال الثلاث كلها منظومة محتاج إليها في طلق. لا يستغني ببعضها عن بعض لمن سأل أن يختار له محبوبه ويوفقه لمحابه من الأمور.

فجاءت الرواية عن رسول الله (ﷺ) بهاتين اللفظتين وكلاهما يؤديان إلى معنى واحد. قوله : اختر لي. وقوله : وفقني لمحابك. فالاختيار من الخير هو محابه في ذلك الوقت. قال له قائل : صف لنا واحدة من هذه الأمور نعتبر بها ما سواها. قال : نعم. خرج رسول الله (ﷺ) معتمراً يزور بيت الله الحرام لبعد عهده به قصد عن البيت. فكان محاب الله تعالى في ذلك أن يصالحهم ويعطيهم ما يريدون من ذلك. فإنهم كانوا يريدون أن لا يدخل مكة في هذه الهيئة، فحلق دون قضاء العمرة، ونحر الهدي ولما يصل إلى البيت ولم يبلغ محلها. وكان في الظاهر تعظيم البيت والاعتمار والوفاء بالنذر وهو الاحرام، وهدي البدن وهي سبعون بدنة أعلى عندهم وأشرف. والصلح والرجوع عنهم

محاب الله في ذلك الوقت. فاتسع لهذا الأمر رسول الله (ﷺ) ولم يضق به ذرعاً، واتسع أبو بكر (رضي الله عنه)، وضاق عمر (رضي الله عنه) حتى صار إلى أبي بكر (رضي الله عنه) فقال : يا أبا بكر أليس هذا رسول الله (ﷺ) أو ليس نحن المسلمون » فقال : بلى. فقال : فعلى م نعطي الدنية في ديننا وهم الكفار ؟ قال أبو بكر (رضي الله عنه) : يا عمر الزم غرز رسول الله (ﷺ) واسمع وأطع فإني أشهد أنه رسول الله (ﷺ). قال : وأنا أشهد. فلم يصبر على ذلك، فأتى رسول الله (ﷺ) فقال : يا رسول الله : ألست رسول الله، أولسنا بالمسلمين، أوليسوا بالمشركين ؟ قال : بلى. قال : فعلى م نعطي الدنية في ديننا وهم الكفار ؟ قال : أنا عبدالله ورسوله ولن أخالف أمره، ولن يضيعني[1].

قال عمر (رضي الله عنه) : فمازلت أصوم وأصلي وأتصدق وأعتق من الذي صنعت مخافة كلامي الذي تكلمت به يومئذ.

فصالح رسول الله (ﷺ) المشركين، وكتب الكتاب فيما بينهم على وضع الحرب عشر سنين يأمن منهم الناس، ويكف بعضهم عن بعض، فأمنوا ولقي بعضهم بعضاً وخالطوهم، واستمعوا إلى القرآن وإلى ما جاء به عن الله تعالى. والرجل يكلم أخاه وصديقه ورحمه بذلك. فدخل الناس أفواجاً في دين الله مثل ما دخلوا في سنين كثيرة.

فانظر إلى رسول الله (ﷺ) كيف فوض أمره إلى الله تعالى، وأبرز صدق توكله، وكيف حسن ظنه بالله تعالى، فقال : إني لن أخالف أمره ولن يضيعني. وكيف تابعه على ذلك أبو بكر (رضي الله عنه) واتسع

---

(١) الحديث رواه الامام البخاري في كتاب الجزية ١٨ وكتاب التفسير سورة ٤٨ : ٥ ورواه الامام مسلم في كتاب الجهاد ٩٤ (١٧٨٥) حدثنا حبيب بن أبي ثابت عن أبي وائل قال: قام سهل بن جنيف يوم صفين فقال أيها الناس وذكره.

فيه، وكيف ضاق عمر (رضي الله عنه)، ومن بعد عمر عامة أصحاب رسول الله (ﷺ) حتى بلغ من أمرهم أنه أمر مناديه، فنادى بأن يحلقوا رؤوسهم فلم يحلقوا، حتى دخل رسول الله (ﷺ) الخيمة فقال : يا أم سلمة ألا ترين أن الناس لا يحلقون. فقالت يا نبي الله بأبي أنت وأمي احلق أنت، فلو قد رأوك حلقت لقد فعلوه. فحلق رسول الله (ﷺ) فأخذ الناس يحلقون. ومنهم من قصر، فقال : اللهم اغفر للمحلقين. قالوا : والمقصرين يا رسول الله. قال : اللهم اغفر للمحلقين. قالوا : والمقصرين يا رسول الله. قال : اللهم اغفر للمحلقين. قالوا : والمقصرين يا رسول الله. قال : والمقصرين[1]. قالوا : ظاهرت بالترحم والمغفرة للمحلقين. قال : لأنهم لم يشكوا.

فليس هذا شكاً في أصل الفعل، إنما الشك هنا ضيق الصدر بذلك الفعل. احتاجوا إلى أن يحلقوا وهم في إحرام ولم يحلوا بعد. لأن السبيل كان عندهم في الجاهلية وراثة أن لا يحل أحد من إحرامه دون الطواف بالبيت. فلما أمرهم بالحلق، استعظموا ذلك، وضاقت صدورهم. ثم اتبعوه فقصروا كأنهم على كراهة شديدة. وهذا من خلق النفس وكزازته. فحرموا الدعوة للكزازة التي فيهم وركوب الهوى.

وقول رسول الله (ﷺ) : « إني لن أخالف أمره » أي لن أخالف أمر الله. أي لن أخالف ما استقبلني من وجه الأمر ومن توفيقه لما هو أحب إليه. وذلك أن أهل مكة لما تلقوه ليردوه في جمعهم، أخذ رسول الله (ﷺ) في أسفل مكة. فلما بلغ الحديبية، بركت ناقته. فقال الناس :

---

(١) الحديث رواه الإمام مسلم في كتاب الحج ٣٢١ وابن ماجة في المناسك ٣٠٤٣ ــ ٣٠٤٤ ــ ٣٠٤٥ بسنده عن أبي هريرة وعن ابن عمر، وعن ابن عباس رضي الله عنهم ورواه أبو داود في المناسك ٧٨ والترمذي في الحج ٧٤ وأحمد بن حنبل في المسند ١ : ٢١٦، ٢٥٣، ٢ : ١٦ (حلبي).

خلأت. أي حزنت. فقال (ﷺ) : ما خلأت وما لها ذلك بخلق. كأن معناه أن هذه ناقة مسخرة لصاحبها. وصاحبها ليس بحرون. فإذا لم يحرن الذي سخر على ربه، لم تحرن المسخرة. فقال : ما خلأت، ولكن حبسها حابس الفيل[1]. فعلم أن بروك الناقة ههنا ليس من الحرانة، لأنه لم يحرن على ربه في أمره. ولكن هذا شيء بديع قد اختار له ربه ما هو أحب إليه فنزل وعسكر هناك، وانتظر ما يكون، ثم وجه الرسل إلى أهل مكة واحداً بعد آخر أني لم أجئكم لحرب، وإنما جئت معظماً للبيت ومعي هدي. فعاهدوا الله أن لا يدخلها أبداً أو نحاربك. ثم كان من تلك الرسل عثمان بن عفان (رضي الله عنه). فأتاه الخبر أن عثمان قد قتل، فانتدب رسول الله (ﷺ) لحربهم وقال : لا نبرح حتى نناجزهم. فدعا إلى البيعة تحت الشجرة فبايعوه. فقال أصحابه بعد ذلك بحين : بايعنا رسول الله (ﷺ) على الموت. وقال آخرون ممن فهم الأمر : لم نبايعه على الموت ولكن بايعناه على أن لا نفر. فأنزل الله تعالى : ﴿ **لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة** ... ﴾[2] الآية.. فأوجب لهم رضاه وبشرهم بذلك ووعدهم النصرة والفتح.

وكان رسول الله (ﷺ) رأى في الطريق رؤيا أن يدخل المسجد الحرام مع أصحابه محلقين ومقصرين لا يخافون. فأخبر بها أصحابه، فلم يشكوا أنها تفتح لهم. فلما استقبلهم هذا الصلح، شكوا في الرؤيا وساءت ظنون كثير منهم. قال الله. تعالى : ﴿ **فجعل من دون ذلك فتحاً قريباً** ﴾[3]. فصالحوا وانصرفوا، فخرجوا إلى خيبر، ففتح الله عليهم فاستأصلوا اليهود وهم احد الأعداء، وغنموا الغنائم الكثيرة، وتقووا بما

---

(١) الحديث رواه الإمام البخاري في الشروط ١٥، والجهاد ٥٩ وأبو داود في الجهاد ١٥٦، وأحمد بن حنبل في المسند ٤ : ٣٢٣، ٣٢٩ (حلبي).

(٢) سورة الفتح آية رقم ١٨.

(٣) سورة الفتح آية رقم ٢٧.

غنموا، وأخذوا العدة من الكراع والسلاح، وبلغ المشركين ذلك فذلوا وانقصموا.

وعاد رسول الله (ﷺ) من العام المقبل فقضى عمرته وأخلوا له مكة من نسائهم وأولادهم حتى انصرف. ثم عاد من العام القابل لفتح مكة في عشرة آلاف رجل. وكان ذلك العام الذي صدر عنه في سبعمائة، وكثر أصحابه لدخول الناس في دين الله وذلك للصلح الذي كان بينهم وما التقوا فوعظ بعضهم بعضاً، وقرأ عليهم ما نزل.

فانظر إلى محاب الله تعالى ومختاره، وإلى محاب الخلق ومختارهم. فقد كان مختار الخلق أن يدخلوها عنوة فيقتلون ويقتلون. وقد كان لله (عز وجل) فيها أولياء قد اجتباهم واختارهم وسبقت لهم منه الحسنى. ولم يجئ وقت إسلامهم بعد. وفيهم أيضاً قد أسلموا من المستضعفين نساء وشيوخاً وعجزة. ولو دخلوها بقتال لأصابهم معرة الجيش. فقال الله تعالى في تنزيله الكريم : ﴿ **وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم** ﴾[1].

وكانت طائفة من أهل مكة خرجوا عليه من وراء عسكره فهزمهم أصحاب رسول الله (ﷺ) فأخذوا أسراء، فأعتقهم رسول الله (ﷺ) فلذلك قوله تعالى : ﴿ **من بعد أن أظفركم عليهم** ﴾.

ثم قال : ﴿ **ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم أن تطئوهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم ...** ﴾[2] إلى قوله : ﴿ **... عذاباً إليماً** ﴾.

(١) سورة الفتح آية رقم ٢٤.

(٢) سوة الفتح آية رقم ٢٥.

فهؤلاء رجال مؤمنون ونساء مؤمنات، قد كانوا هناك في أيديهم مستضعفين. فلو دخلتم الحرب لوطأتهم الخيل وهلكوا. ولو تزيلوا، أي فارقوهم وزايلوهم، لعذبنا الذين كفروا. أي لنسلطنك عليهم بالحرب حتى تقتلهم. ولكن هيأ الصلح وحبس الناقة فبركت. فلما بركت، قال رسول الله (ﷺ) : حبسها حابس الفيل. لا تدعوني اليوم قريش إلى خطة فيها صلة الرحم إلا أعطيتهم إياها(١).

وكان رجال مؤمنون ونساء مؤمنات في أصلاب الآباء وأرحام الأمهات، لم يخرجهم الله تعالى إلى الدنيا، وكان في سابق علمه أنه يخرجهم إلى مدة، وأسماؤهم مكتوبة في اللوح بالسعادة من الله تعالى. فلو دخلوها عنوة لهلك آباؤهم وأمهاتهم في الحرب ومعرة الجيش. فلو تزيلوا، أي زايلوا الأصلاب والأرحام، لعذبنا الذين كفروا، أي الآباء والأمهات الكفرة، وأنجينا هؤلاء الأطفال الذين هم في علمي أوليائي. فهيأ الله (عز وجل) الصلح بينهم حتى توالدوا وخرجوا من أصلاب آبائهم من يعبد الله وحده. وتهيأ للمستضعفين حال نجاح، وفتح الله تعالى مكة (شرفها الله تعالى) من العام الثالث عليهم وأظفره بهم.

ومن قبل فتح مكة سهل الله سبيله حتى جاء قاضياً لعمرته في ذلك الشهر الذي كان جاء أول عام الحديبية، فاعتمر وغاظ المشركين في ذلك. واقتص الله (عز وجل) لنبيه (ﷺ) منهم كما ردوه وصدوه عن العمرة. فأنزل الله تعالى : ﴿ **الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص ...** ﴾(٢).

ثم فتح الله تعالى عليه مكة من العام الثالث من الحديبية. وهو سنة

---

(١) سبق تخريج هذا الحديث قريباً من هذا.

(٢) سورة البقرة آية رقم ١٩٥.

ثمان من الهجرة. وكانت الحديبية سنة ست. وقضاء العمرة في سنة سبعة. وافتتح مكة سنة ثمان من الهجرة. فغص المسجد الحرام بأصحاب رسول الله (ﷺ) وكان في عشرة آلاف حتى لم تجد ناقته موضعاً تبرك فيه في المسجد الحرام. حتى دنا من البيت فاحتملوه على أيدي الرجال، فدعا بالمفتاح، ففتح له، فدخل البيت فصلى فيه ثم خرج، فوقف على الباب فقال : الله أكبر الله أكبر صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده[1].

فانظر إلى هذه الكلمات، عظم ربه وصغر ما دونه بتعظيمه. ثم قال : « صدق الله وعده » نشر عن ربه الجميل بأنه وفي له. ثم قال : « ونصر عبده » رأى النصر من عنده، ورأى دوران الأمور به، ونظر إلى تدبيره من لدن مبعثه، وما لقي منهم من الأذى والضرب والشتم والمصائب، وما حرم أقاربه وأرحامه من بركة ما جاء به، والى الناس من افناء الناس غرباء كيف رزقوا ذلك واحد من الروم، وواحد من الحبشة، وآخر من فارس، وواحد من الخيام، وآخر من حضرموت وبلاد الشام، وأبو لهب وأبو طالب وولد عمومته حاربوه وعادوه وأخرجوه من بلاد الله ومن وطنه وبيت الله الحرام وغربوه وتواطئوا على قتله، وطلبوه فلم يظفروا به. وانظر إلى تدبير الله تعالى في الأنصار وبذلهم أنفسهم. قال الله تعالى : ﴿ **فإن يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوماً ليسوا بها بكافرين** ﴾[2].

ثم حروبهم ببدر واحد، وتلك العجائب التي كانت هناك مرة لهم ومرة عليهم إلى يوم الحديبية وصلحه. وأنهم قد وضعوا الحرب فيما قد وضعوا الحرب فيما بينهم عشر سنين. فضاق عمر (رضي الله عنه) بذلك يوم الحديبية. ولم يعلم أن الله تعالى سيفتح لهم مكة في العام الثالث من

---

(١) راجع سيرة ابن هشام فتح مكة ٤ : ٣١ قال ابن اسحاق حدثني بعض أهل العلم. والبداية والنهاية لابن كثير عند حديثه عن فتح مكة ٤ : ٢٩٢ ــ ٢٩٦ أيضاً.

(٢) سورة الأنعام آية رقم ٨٩.

عامهم في أعز نصر وأوفر جمع. فحسن الظن وسوء الظن ههنا يتبين. فرأى رسول الله (ﷺ) يومئذ جميل صنع الله تعالى في أمره فقال : « الله أكبر صدق الله وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده ».

فلو شاء الله تعالى لبعث مع محمد (ﷺ) ملائكته (عليهم السلام) معهم الشهب فيدمرون على من جحده. ولكن تدبير الله تعالى في عباده في التؤدة والتأني والرفق بهم، ليتسعوا مع تدبيره. فإن الإتساع مع تدبيره عبودة. والضيق من الاستبداد وكزازة النفس. والعبودية الصادقة أن يدور مع تدبير الله تعالى في الأحوال كيف ما دارت. فهناك تكون عند الله تعالى راضياً في الأحوال، فيرضى عنك. وهو قوله تعالى : ﴿ **يا أيتها النفس المطمئنة * ارجعي إلى ربك راضية مرضية...** ﴾[1]. إطمأنت إلى الله سبحانه وتعالى وماتت شهواتها وذهب استبدادها فرضيت عن الله تعالى في أحوالها على اختلاف محبوبها ومكروهها. فرضي الله عنها.

فلما تكلم على باب الكعبة بما تكلم، قال لأهل مكة وهو حوله : ماذا تقولون وماذا ترون أني صانع بكم ؟ قالوا : أخ كريم وابن أخ كريم. قال : فإني أقول كما قال أخي يوسف : لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين[2].

قال عمر (رضي الله عنه) : وانتضحت عرقاً من الحياء من قول رسول الله (ﷺ)، وذلك أني كنت قلت لهم حين دخلنا مكة : اليوم ننتقم منكم ونفعل ونفعل. فلما قال رسول الله (ﷺ) ما قال، استحييت من قولي.

فهكذا يكون فعل الناظر إلى تدبير الله تعالى فيهم من قبل في تلك الأمور الماضية وحكمته.

(١) سورة الفجر آية رقم ٢٧ و٢٨.

(٢) سورة يوسف آية رقم ٩٢.

وأيضاً قصة أخرى في شأن أبي جندل بن سهيل بن عمرو وكان مسلماً في أيدي المشركين، مقيداً بمكة. فلما جاء سهيل بن عمرو أبوه يراجع رسول الله (ﷺ) في الصلح، وهو بعض رؤسائهم أبرم الصلح وكتب الكتاب. فجاء ابنه أبو جندل يرسف في قيوده، قد انفلت من محبسه. فقال : يا محمد يا رسول الله إني مسلم في أيدي المشركين. واستغاث برسول الله (ﷺ) وبالمسلمين. فقام إليه أبوه فضرب وجهه ورده. وقال : يا محمد لقد لجت[1] القضية فيما بيننا. فتركه رسول الله (ﷺ) في يده حتى رده. فكاد المسلمون أن يفتتنوا في ذلك الأمر، وأخذهم الغيظ الشديد، ولم يقدروا على شيء من الصلح. وكان وقع الصلح بينهم على أن من صار من المشركين إلى رسول الله (ﷺ) مسلماً، أن يرد عليهم. ومن صار من المسلمين إليهم مرتداً، لم يطلب. فأجابهم رسول الله (ﷺ) إلى ذلك. فتحرك أصحابه في ذلك فقال رسول الله (ﷺ) : « من جاءنا مسلماً فرددناه عليهم فإن الله (عز وجل) جاعل له فرجاً ومخرجاً ومن صار إليهم مرتداً فالى النار فما نصنع بمن ارتد عن دين الله ».

فأنظر إلى حسن ظنه حيث قال : « فإن الله جاعل له فرجاً ومخرجاً »[2] فكيف لا يحسن ظنه وقد أوحى إليه (عز وجل) : ﴿ **ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب** ﴾[3].

فالوحي قد نجع فيه، وانكشف الغطاء عن قلبه حتى عاين حسن تدبير الله وصنائع ربه، وعرفه بالمجد والكرم. فذهب سهيل بن عمرو بابنه إلى

---

(١) الملاجة: التمادي في الخصومة ورجل لجة يوزن همزة اي لجوج واللجلجة: والتلجلج التردد في الكلام يقال الحق أبلج والباطل لجلج أي يتردد من غير أن ينفذ

(٢) هذا جزء من حديث طويل رواه الامام أحمد في المسند ٤: ٣٢٥ بسنده عن رجل عن خريم بن فاتك.

(٣) سورة الطلاق آية رقم ٢.

مكة في قيوده، ورجع رسول الله (ﷺ) إلى المدينة ففتح خيبر، فقال عمر (رضي الله عنه) : كنت أماشي أبا جندل وهو في قيوده، وهو جنب أبيه، وأهوى بمقبض سيفي نحوه وأدنيه منه وأقول : يا أبا جندل ليهن عليك فانما دم أحدهم دم كلب، وأدنى قائمة السيف منه رجاء أن يأخذ السيف فيضرب به أباه. قال : فضن الرجل بأبيه وسهيل آخذ بتلبيبه يجره إلى المنزل، وأبو جندل يصرخ : يا معشر المسلمين أرد الى المشركين يفتنونني عن ديني ؟ فقال رسول ﷺ (ﷺ) : اصبر واحتسب أبا جندل فإن الله (عز وجل) جاعل لك وللمسلمين فرجاً، إنا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحاً، وانا لن نغدر[1].

فلما رجع رسول الله (ﷺ) لم يلبث إلا قليلاً حتى انفلت أبو جندل من قيوده، ومر إلى ناحية البحر على طريق الشام فقعد هناك؛ لأنه قد علم أنه إن صار إلى رسول الله (ﷺ)، لم يجد بداً من رده عليهم لما جرى بينهم في الصلح من ذلك. فأقام هناك أياماً، فكان كل من سمع به من الشذاذة المنفلتين ممن هم في مجالس المشركين، لحق به حتى توافوا نحواً من سبعين رجلاً، فقطعوا على المشركين عيرهم وأخذوا أموالهم وأضروا حتى بلغ من أمرهم وما تأذى بهم المشركون أن وجهوا إلى رسول الله (ﷺ) يسألونه أن يضمهم إلى نفسه؛ حتى يرتفع عنهم ضررهم. ثم أسلم سهيل بن عمرو، وقتل شهيداً في خلافه عمر (رضي الله عنه).

قال أبو عبدالله : فأهل سعة الصدر عاشوا مع الله تعالى في دار الحبس والضيق عيش أهل الجنان. وإنما نالوا ذلك كله بذلك النور الذي إنشرح به صدورهم فاتسعت لتدبير الله تعالى. وان الله تعالى دبر للعباد امور امرن

---

(١) هذا جزء من الحديث السابق الذي رواه الامام أحمد في المسند ٤: ٣٢٥ بسنده عن خريم بن فاتك رضي الله عنه.

النفوس سلوك طريق ذلك التدبير وعرفوه ووطنوه. ثم له تعالى في ذلك التدبير تدبير آخر مختص.

فأهل الضيق يتحيرون ويضيقون. ومن عاين الصنعين والتدبيرين لم يضق. وان لله (عز وجل) في كل تدبير مشيئة، إن شاء أمضاه وإن شاء أخره. فالتدبير الذي قد وطنه الناس ان يكون بالولد من ذكر وانثى، فاختص الله تعالى لعيسى (عليه السلام) تدبيراً فحملت به مريم من غير ذكر. فتحير فيه علماء ذلك الزمان وأحبارهم، وهلك فيه العام والسفهاء. وأدرك مريم (رضي الله عنه) بعض تلك الحيرة فقالت :

﴿ أني يكون لي ولد ولم يمسسني بشر ولم أك بغياً ﴾[1] **﴿ قال كذلك الله يخلق ما يشاء ﴾**[2].

فأبصرت وأذعنت لحكم ربها (تعالى وتقدس) فاستوجبت بذلك أن أثنى عليها رب العالمين. فقال : **﴿ وصدقت بكلمات ربها ... ﴾**[3] وقال : **﴿ وامه صديقة ﴾**[4].

وكذلك فعل زكريا (عليه السلام) فيما بشر به من الولد بعد الكبر. وكذلك رزق مريم (رضي الله عنه) **﴿ كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً قال يا مريم أني لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب ﴾**[5].

فقد علم الناس أرزاقهم من مظانها من السوق ومن الكدح، ومن

---

(١) سورة مريم آية رقم ٢٠.

(٢) سورة آل عمران آية رقم ٤٧.

(٣) سورة التحريم آية رقم ١٢.

(٤) سورة المائدة آية رقم ٧٥.

(٥) سورة آل عمران آية رقم ٣٧.

الكرم ومن الكيس ومن أيدي الخلق. فرزقت على وجه التدبير المختص مما لم تمسه أيدي العالمين.

فأبصر رسول الله (ﷺ) التدبيرين ودخول أحدهما في الآخر، وخفاء شأنهما. فسأل التوفيق. وسأل مع التوفيق أن لا يكون من نفسه إذا وفقه تلكأ. وسأله إذا وفقه فلم يوافق شهوة نفسه أن يحسن الظن به. فقد يكون الرجل من أهل الغفلة يقول : اللهم اختر لي ووفقني. فإذا وفقه هرب من مختار الله ودفع عن نفسه ذلك.

بلغنا أن موسى (عليه السلام) قال : يا رب أي عبادك أكثر ذنباً ؟ قال : الذي يتهمني. قال : ومن يتهمك يا رب ؟ قال : الذي يستخيرني في الأمور، فإذا اخترت له، لم يرض بقضائي وخيرتي.

وأيضاً قصة أخرى في شأن بدر. وعدهم الله تعالى إحدى الطائفتين أنها لكم الظفر بالعير أو الظفر بالعدو الذي انتدب من مكة وهم رؤساء الكفر وصناديد قريش.

وكان محاب الله تعالى في ذلك أن يظفروا بالعدو، فيقتلهم على أيديهم، ويقطع دابرهم. ومحابهم الظفر بالعير ليتقووا به وينكوا فيهم. فقال في تنزيله الكريم : ﴿ **وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم** ... ﴾[1] الآية.

(١) سورة الأنفال آية رقم ٧.

الأصل السابع والستون

في عقاب من غش العرب

عن عثمان بن عفان (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (ﷺ) : « من غش العرب لم يدخل في شفاعتي ولم تنله مودتي »[1].

غش العرب أن يصدهم عن سبيل الهدى، أو يحملهم على أمور يبعدون بها عن رسول الله (ﷺ). ومن فعل ذلك فقد قطع الرحم فيما بينهم وبين الرسول (ﷺ).

ومن غشهم أيضاً أن يحسدهم على ما آتاهم الله من فضله، وأن يضع ما رفعه الله ويغمر فضلهم، والأخبار قد أتت بفضلهم.

عن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال : قال رسول الله (ﷺ) : « إن الله تعالى قسم الخلق قسمين فجعلني في خيرهما قسماً. فذلك قوله

---

(١) هذا الحديث أخرجه الترمذي في كتاب المناقب ٣٩٢٨ عن حصين بن عمر الأحمس عن مخارق بن عبدالله عن طارق بن شهاب عن عثمان بن عفان قال: قال رسول الله ﷺ وذكره. قال الترمذي هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث حصين بن عمر الأحمس عن مخارق، وليس حصين عند أهل الحديث بذاك القوي.

تعالى : ﴿ **وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين** ﴾[1] ﴿ **وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال** ﴾[2]. فأنا من أصحاب اليمين، وأنا خير أصحاب اليمين.

ثم جعل القسمين أثلاثاً فجعلني في خيرهم ثلثاً. فذلك قوله تعالى : ﴿ **فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة وأصحاب المشئمة ما أصحاب المشئمة والسابقون السابقون** ﴾[3]. فأنا من السابقين، وأنا خير السابقين.

ثم جعل الأثلاث قبائل فجعلني في خير قبيلة. وذلك قوله تعالى : ﴿ **وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم** ﴾[4]. فأنا أتقى ولد آدم وأكرمهم على الله تعالى ولا فخر.

ثم جعل القبائل بيوتاً فجعلني في خيرها بيتاً. فذلك قوله تعالى : ﴿ **إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً** ﴾[5].

عن ابن عمر (رضي الله عنهما) قال : بينما نحن جلوس عند رسول الله (ﷺ) إذ مرت بنا امرأة من بنات رسول الله (ﷺ)، فقال بعض القوم، هذه ابنة رسول الله (ﷺ)، فقال أبو سفيان : إنما مثل محمد (ﷺ) في بني هاشم كالريحانة في وسط النتن. فسمعت المرأة فدخلت على رسول الله (ﷺ) فذكرته له، فخرج ولا أراه إلا مغضباً فصعد المنبر وقال : ما بال أقوال تبلغني عن أقوام أن الله تعالى خلق سبع

---

(١) سورة الواقعة آية رقم ٢٧.

(٢) سورة الواقعة آية رقم ٤١.

(٣) سورة الواقعة آية رقم ٨، ٩، ١٠.

(٤) سورة الحجرات آية رقم ١٣.

(٥) سورة الأحزاب آية رقم ٣٣.

سموات فاختار العليا فسكنها، وأسكن سمواته من شاء من خلقه، وخلق سبع أرضين فاختار العليا فأسكنها خلقه، ثم اختار خلقه فاختار بني آدم، ثم اختار بني آدم فاختار العرب، ثم اختار العرب فاختار مضر، ثم اختار مضر فاختار قريشاً، ثم اختار قريشاً فاختار بني هاشم، ثم اختار بني هاشم فاختارني، فلم أزل خياراً من خيار، ألا فمن أحب العرب فبحبي أحبهم، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم.

عن جعفر بن محمد عن أبيه قال : قال رسول الله (ﷺ) : أتاني جبرئيل (عليه السلام) فقال : يا محمد إن الله بعثني فطفت شرق الأرض وغربها وسهلها وجبلها فلم أجد حياً خيراً من العرب. ثم أمرني فطفت في العرب فلم أجد حياً خيراً من مضر. ثم أمرني فطفت في مضر فلم أجد حياً خيراً من كنانة. ثم أمرني فطفت في كنانة فلم أجد حياً خيراً من قريش. ثم أمرني فطفت في قريش فلم أجد حياً خيراً من بني هاشم. ثم أمرني أن أختار من أنفسهم فلم أجد فيهم نفساً خيراً من نفسك.

إنما ذكر النفس لأن الأخلاق هي في النفس حسنها وسيئها. فهذا يدل على ما قلنا أنه إنما طاف في هذا الخلق يطلب النفوس الطاهرة الصافية الزاكية بمحاسن الأخلاق. فمن أجل ذلك إختارهم فلم ينظر إلى أعمالهم، فإنهم كانوا أهل جاهلية. إنما نظر إلى أخلاقهم فوجد الخير في هؤلاء. وجواهر النفوس متفاوتة بعيدة التفاوت. وذلك أن الله تعالى خلق آدم (عليه السلام) من قبضة.

عن قسامة بن زهير، عن الأشعري (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (ﷺ) : إن الله تعالى خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض. فجاء بنو آدم على قدر الأرض. جاء منهم الأحمر والأسود والأبيض. ومن ذلك السهل والحزن والخبيث والطيب[1]. فالتربة الطيبة نفوسها سهلة

(١) الحديث أخرجه الترمذي في التفسير باب ٣ ومن سورة البقرة، ٢٩٥٥ عن قسامة بن زهير عن أبي موسى الأشعري قال رسول الله ﷺ وذكره. =

كريمة، وليست فيها كزازة ولا يبوسة ولا شعوثة، فهم أحرار كرام، ولدتهم أمهاتهم من رق النفوس وشهواتها. والآخرون كانت الحزونة في تربتهم، فجاءت الكزازة والشعوثة والصعوبة، ولدتهم أمهاتهم عبيداً قد ملكهم رق نفوسهم بشهواتها. وهو قول عيسى (عليه السلام) فيما يعظ به بني إسرائيل فقال : لا عبيد أتقياء ولا أحرار كرماء.

معناه لستم من العبيد الذين يجاهدون أنفسهم ويتقون الله. ولا من الأحرار الذين نجوا من رق النفوس، فساروا إلى الله تعالى سير الكرام بلا تعريج ولا تردد. والبخل والضيق والحدة والعجلة والحقد والحرص وما أشبهه من كزازة النفس. والجود والسماحة والسعة واللين والتؤدة والتأني والرفق من سهولة النفس وطيبها. فنفوس العرب بارزة أخلاقها، لا ينكرها إلا معاند، ولا يجحدها إلا مارد، إنها أخلاق الكرام. فبهذا فضلوا لا باللسان العربي. والله تعالى يحب معالي الأخلاق ويبغض مدانيها.

ومما يحقق ذلك ما روي عن رسول الله (ﷺ) في يوم بدر أنه سمع رجلاً يقول بعد ما انصرفوا من بدر : إنما قتلنا عجائز صلعاً. فأنكر ذلك رسول الله (ﷺ) وقال (ﷺ) : مه أولئك الملأ من قريش لو نظرت إلى فعالهم لاحتقرت فعالك عند فعالهم. لولا أن تطغى قريش لأخبرتها بما لها عند الله تعالى. اللهم إنك أذقت أول قريش نكالاً فأذق آخرها نوالاً[1].

فالعرب بالأخلاق شرفوا. وإلا فالشجرة واحدة، وهو خليل الرحمن

= قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. ورواه أبو داود في السنة ١٦ وأحمد بن حنبل في المسند ٤ : ٤٠٠، ٤٠٦ (حلبي).

(١) الحديث رواه الإمام أحمد بن حنبل في المسند ١ : ٢٤٢ حدثني أبي أحمد بن محمد بن حنبل بن كنانة ثنا يحيى بن سعيد الأموي، قال الأعمش ثنا عن طارق عن سعيد بن جبير قال: قال ابن عباس ــ قال رسول الله ﷺ وذكره. وقد جاء هنا مختصراً.

(عليه السلام). ومما يدلك على ذلك دعوات إبراهيم (عليه السلام) حيث رفع القواعد من البيت وأتم بناءه فقال : ﴿ **ربنا واجعلنا مسلمين لك** ﴾[1]. ثم قال : ﴿ **ومن ذريتنا أمة مسلمة لك** ﴾[2] فإنما سأل من ذرية إسماعيل (عليه السلام) خاصة. ألا يرى أنه قال على أثر ذلك : ﴿ **ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم** ﴾[3]. يعني محمداً (ﷺ).

فالإسلام هو تسليم النفس وبذلها والجود بها. ومن جاد بنفسه على الله تعالى، فلا أحد أحسن خلقاً منه، ولا أكرم منه. فليس الشأن في الجود بالمال. إنما الشأن في الجود بالنفس حتى يسلمه إلى خالقه. فجرت هذه الدعوة في ولد إسماعيل (عليه السلام) خاصة أن صيرهم أمة مسلمة له. فوهب لهم أخلاق الكرام، حتى تكرمت نفوسهم على الله تعالى بذلاً حين جاءهم الرسول (عليه السلام). ومن قبل مجيء الرسول (ﷺ) كانت تلك الأخلاق ظاهرة فيهم. فلما جاءهم الرسول (عليه السلام)، وجدهم مهذبين كراماً، فصاروا صديقين وأبراراً، وأتقياء وحكماء، وعلماء بالله تعالى، باذلين مهجهم وأموالهم لله تعالى، والسيوف على عواتقهم، والحجر على بطونهم من الجوع، وينصرون الله ورسوله.

وبنو إسرائيل قالوا لموسى (عليه السلام) : ﴿ **إذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون** ﴾[4] وقيل لأمة محمد (ﷺ) : ﴿ **إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل** ﴾[5].

---

(١) سورة البقرة آية رقم ١٢٨.

(٢) سورة البقرة آيةرقم ١٢٨.

(٣) سورة البقرة آية رقم ١٢٩.

(٤) سورة المائدة آية رقم ٢٤.

(٥) سورة آل عمران آية رقم ١٧٣.

فصار قولهم هنا كقول أبيهم حيث ألقي في النار : حسبي من سؤالي علمه بحالي. فهل يمكن أن يقول هذا إلا من حسن خلقه فجاد بنفسه على الله تعالى. وإنما قال هذا أصحاب محمد (ﷺ) يوم أحد بعد ما انهزموا وأصابتهم جراحات، وقتل من قتل منهم. وانصرف عسكر المشركين فنزلوا مكاناً وتآمروا فيما بينهم أن يجمعوا جمعاً فيكروا عليهم، ودسوا إلى أصحاب رسول الله (ﷺ) هذا الخبر ليفزعوهم، فانتدب رسول الله (ﷺ) في أصحابه (رضوان الله عليهم أجمعين) وفيهم من الجراحات غير قليلة يمضون الى جمعهم وفيهم مشاة. حتى أن الرجل ليغشى عليه في الطريق من كثرة ما يسيل من الدم من جراحته فيحمله صاحبه، يسيرون بمثل هذه الحالة إلى العدو، ﴿ **وقالوا: حسبنا الله ونعم الوكيل** ﴾[1]. فوجدوا العدو تفرقوا وذهبوا. قال الله تعالى: ﴿ **فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله** ﴾[2] ولم يقل : رضاء الله. فان الرضوان أكثر من الرضا. وهو غاية الرضاء.

فنهاية العرب إلى إسماعيل (عليه السلام). والشجرة واحدة، وهو إبراهيم خليل الله (عليه السلام). ولسانه عبراني. وأنهما غصنان لهذه الشجرة إسماعيل واسحاق (عليهما السلام). فاسماعيل عربي اللسان. وإسحاق عبراني اللسان. فاسماعيل أب العرب. واسحاق أب العبرانيين وهم بنو إسرائيل نسبوا إلى يعقوب (عليه السلام) إسرائيل الله تعالى ابن إسحاق بن إبراهيم. ولكل واحد من الغصنين حظ من الله تعالى ونصيب وفضيلة وكرامة وموهبة، فصارت وراثة في أولادهما إلى الأبد. فظهر في ولد إسحاق من تلك الموهبة والكرامة الجهد والعبادة. وظهر في ولد

---

(١) سورة آل عمران آية رقم ١٧٣.

(٢) سورة آل عمران آية رقم ١٧٤.

إسماعيل حسن الخلق. والسماحة والشجاعة والموهبة إنما تكون على قدر الحظ والجاه له عنده على قدر ذلك. فنظرنا إلى موهبة كل واحد منهما، ومن أي خزانة أُعطي لنستدل به على حظيهما منه. فوجدنا الجهد والعبادة من خزائن الحكمة. والأخلاق من خزائن المنة. فنظرنا إلى الحكمة والمنة من أين بدت كل واحدة منهما. فوجدنا الحكمة من العدل بدت. والعدل من الربوبية. والربوبية من الملك والقدرة. ووجدنا المنة أنها بدت من العطف. والعطف من الفضل. والفضل من الجمال. فمن الملك بدا الغضب فأسعرت فاستجرت النار واسودت من الغضب. فهي سوداء مظلمة، مشحونة بغضبه. ومن جماله بدت الرحمة، وظهر الفضل والعطف، حتى اهتزت الجنان وتوردت واستنارت بنوره. فهي بيضاء نورانية مشحونه برحمته وروحه. وإنما هي نظرة وجفوة. فأهل الثواب سعدوا منه بنظرة واحدة. وأهل العقاب شقوا منه بجفوة واحدة. ففهمنا بمبلغ ما علمنا من ظاهر ما عليهما وعلى أولادهما من بعدهما ما بطن من حظيهما وموهبتيهما. وإنما كثر ولد إسحق، وظهروا في وقت موسى (عليه السلام) حيث أنقذهم من ملكة فرعون وسخرته، وجاء بالكتب من الله تعالى وظهرت العبودة لله تعالى إلى وقت عيسى (عليه السلام). ثم صارت فترة فظهرت منازلهم ودرجاتهم وجواهر نفوسهم بما عاملهم الله تعالى وما عاملوه. وكثر ولد إسماعيل، وظهر شأنهم بمبعث محمد (ﷺ)، وظهرت سيرتهم في دينهم، وما عاملهم الله تعالى وما عاملوه. فتبين لنا بفعليهما شأن نفوسهم ومحلهم من الله تعالى وحظوظهم.

عن مكحول (رضي الله عنه) قال : لما كثر بنو معد أغار منهم أربعون فارساً على عسكر بني إسرائيل فيهم موسى وهارون (عليهما السلام) فملئوا أيديهم من الغنيمة ورجعوا بغنيمتهم لم يستنقذ مما في أيديهم شيء. فقالوا لموسى (عليه السلام) : أغار علينا بنو معد وهم قليل، فكيف لو كانوا كثيراً وأنتم فينا، فكيف لو لم تكونوا فينا، فادع الله

عليهم. وكانت الأنبياء (عليهم السلام) تفزع إلى الصلاة فصلى فقال : اللهم إن بني معد أغاروا على قومي ففعلوا وفعلوا وإن قومي أمروني أن أدعو عليهم. فقيل له : لا تدع عليهم فانهم عبادي. وانهم ينتهون إلى أداء أمري، وإني أغفر لهم أول ما يستغفروني. قال : يا رب اجعلهم من أمتي. قال : نبيهم منهم. قال : يا رب فاجعلني منهم. قال : استقدمت واستأخروا.

وجاء عن رسول الله (ﷺ) أنه قال في حديث المعراج : فلما جاوزت موسى (عليه السلام) في السماء السادسة، بكى موسى وقال : يزعم بنو إسرائيل أني أكرم ولد آدم على الله تعالى، وهذا عبد أكرم على الله مني، ولو كان وحده هان، ولكن الله تعالى قضى أن مع كل نبي تبعه من أمته. ثم انطلق بي إلى السماء السابعة، فإذا إبراهيم (عليه السلام) ملزق ظهره بالبيت المعمور ومعه تبعه من أمته. فقال لي جبرئيل : هذه منزلتك ومنزلة أمتك. وهذا أبوك إبراهيم (عليه السلام). فقال تعالى : ﴿ **إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا معه والله ولي المؤمنين** ﴾[1].

فألحق هذه الأمة بابراهيم (عليه السلام) وضمهم في الولاية جميعاً، ولم يدخل فيه بنو إسرائيل وهم ولد إبراهيم أيضاً. فبين في هذا الحديث منزلتيهما ودرجتيهما. وانما أرى في السماء الأنبياء (عليهم السلام) وأتباعهم على درجاتهم. وإبراهيم (عليه السلام) المقدم عليهم. ووصف الله تعالى في تنزيله الكريم شأن الأمتين. فوجدنا شأن بني إسرائيل يجري على سبيل العدل وأساس الربوبية، وشأن هذه الأمة يجري على سبيل الفضل والألوهية. فظهرت في بني إسرائيل السياحة والرهبانية، وعليهم في شريعتهم الأغلال والآصاد.

---

(١) سورة آل عمران آية رقم ٦٨.

وظهرت في هذه الأمة السماحة والصديقية والشجاعة والولاية. وسيوف الله تعالى في أيديهم يقتلون اباق عبيده، ويردونهم لله تعالى للرق والعبودة وفك عنهم الأغلال، ووضع عنهم الآصاد. فصاروا في حد الأمناء، وجعلت شريعتهم أسمح الشرائع وأوسعها. فهم في عبودتهم في صورة الخدم. وبنو إسرائيل في عبودتهم في صورة عبيد الغلة. ألا ترى أنه لما خاطبهم تعالى قال : ﴿ **يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم وإياي فارهبون** ﴾.[1] كما يقول الرجل لعبده : أوف لي بهذه الغلة عند كل هلال أوف لك بالعتق في سنة كذا.

ثم قال لهذه الأمة : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا ...** ﴾[2] فدعاهم بالكنية. كنية باطنها منة، وظاهرها مدحة مَنَّ عليهم في الباطن بالايمان، ثم نسب ذلك إلى فعلهم فقال : آمنوا. فمدحهم بذلك. فبتلك الكنية دعاهم، ودعا أولئك فنسبهم إلى أبيهم فقال : ﴿ **يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأني فضلتكم علي العالمين** ﴾[3]. أي عالمي زمانكم. ولكل زمان عالم.

وقال لهذه الأمة : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم ...** ﴾ الآية. ثم قال : ﴿ **وجاهدوا في الله حق جهاده ...** ﴾[4] ثم قال : ﴿ **هو اجتباكم ...** ﴾ أي هو اختاركم، ثم قال : ﴿ **وما جعل عليكم في الدين من حرج ...** ﴾ أي من ضيق. ﴿ **ملة أبيكم إبراهيم** ﴾ ثم قال : ﴿ **هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ...** ﴾[5] أي من

---

(١) سورة البقرة آية رقم ٤٠.

(٢) سورة المائدة آية رقم ١.

(٣) سورة البقرة آية رقم ٤٧.

(٤) سورة الحج آية رقم ٧٧ ـــ ٧٨.

(٥) سورة الحج آية رقم ٧٨.

قبل أن يخلقكم في اللوح المحفوظ سماكم هكذا. ﴿ **وتكونوا شهداء على الناس** ﴾[1]. فهم شهداء الله تعالى للأنبياء (عليهم السلام) على الأمم يوم القيامة. ﴿ **ليكون الرسول عليكم شهيداً** ﴾[2]. ﴿ **واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير** ﴾[3].

فانظر إلى مخاطبة بني إسرائيل في أي صورة هي. وانظر إلى مخاطبة هذه الأمة في أي صورة هي. يتبين لك أنهم في صورة عبيد الغلة، وهذه الأمة في صورة عبيد الخدمة. وعبيد الخدمة أولى بالسيد من عبيد الغلة.

فساحت بنو إسرائيل بأبدانهم إلى الجبال في مفاوز الدنيا عزلة بالأبدان من الخلق؛ كي يصدقوا الله تعالى في طلب ما عهد لهم، ويوفوا بعهد الله عليهم.

وساحت أمة محمد (ﷺ) بقلوبهم في مفاوز الملكوت إلى خالق العرش عزلة بالقلوب عن همم النفوس؛ كي يصدقوا الله في طلبه والوصول إليه.

فإن الله تعالى دعا الخلق إليه فقال : ﴿ **استجيبوا لربكم من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله ...** ﴾[4].

وقال تعالى : ﴿ **يأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم ...** ﴾[5].

وقال الله تعالى فيما حكى عنه النبي (ﷺ) : « إليَّ إليَّ يأهل الموت

---

(١) سورة الحج آية رقم ٧٨.
(٢) سورة الحج آية رقم ٧٨.
(٣) سورة الحج آية رقم ٧٨.
(٤) سورة الشورى آية رقم ٤٧.
(٥) سورة الأنفال آية رقم ٢٤.

الموت والفناء، لا إلى غيري، فإني قد قضيت بالرحمة على نفسي، وأوجبت المغفرة لمن استغفرني، فأنا العفو أعفو عن صغير الذنوب وكبيرها ولا أبالي ».

فلما أبطأت النفوس في الإجابة قال : ﴿ **والله يدعو إلى دار السلام** ﴾[1].

فأهل الالتفات إلى الثواب والعقاب في الحياء من الفرق الى القدم بين يديه غداً؛ لأن نفوسهم لم تسمح بالعبودة لربها إلا باسترواح إلى الثواب، وهرب من العذاب. فهذه عبودة برشوة وعربون، وليست عبودة الأنبياء ولا الصديقين ولا الأولياء (عليهم السلام). فجعل حظوظ بني إسرائيل على قلوبهم في دار الدنيا حقوقه وعهده، وفي الآخرة جنانه ثواباً لرعاية حقوقه والوفاء بعهده. وحظوظ هذه الأمة على قلوبهم في دار الدنيا جلاله وعظمته وسلطانه ومعرفة آلائه وفضله ورحمته. وفي الآخرة قربه ورفع الحجاب فيما بينه وبينهم. وقدمهم في الدنيا خروجاً، وأخرنا وقدمنا في الجنة دخولاً وأخرهم.

وروي عن رسول الله (ﷺ) أنه قال : « الجنة محرمة على الأنبياء حتى أدخلها وعلى الأمم حتى تدخلها أمتي »[2].

فبهذه الأمة فتح العبودة يوم الميثاق، وبهذه الأمة يختم العبودة يوم تصرم الدنيا، وبهذه الأمة يفتح باب الرحمة فيدخلون داره.

ثم ظهرت من معاملة بني إسرائيل ربهم، ومن معاملة هذه الأمة ربها ما دلت على نفوسهم وأخلاقهم ومحلّهم من المكارم التي أُعطيتا والمواهب. فكانت مكرمة إسماعيل (عليه السلام) بيت الله الذي خلقه قبل

---

(١) سورة يونس آية رقم ٢٥.

(٢) لم نعثر على هذا الحديث ولعله من النوادر التي تفرد بها صاحب النوادر

السموات والأرض، فكانت زبدة بيضاء، إذ عرشه على الماء مبوَّء الذكر هناك، وخلق ملكين يسبحانه ويقدسانه على الزبدة فأبيضت. فهناك مظهره ومعلمه ومبوء ذكره وموضع تقديسه، ولا سماء ولا أرض ولا خلق، فولاه الله تعالى رفع قواعد بيته مع أبيه دون إسحاق (عليهم السلام)، وجعل حجابته بيد ولده فهم يحجبون ويأتون وانبط زمزم سقيا له ولولده من بعده ولجميع من أم البيت معظماً وساق إليه عيناً من عيون الجنة ففتح فيه ينبوعاً وجعله مهبط رحمته في كل يوم. ومنه تنتشر على أهل الدنيا، فيختص منها أهلها بمائة رحمة وعشرين لأهل الدنيا.

ومكرمة إسحاق (عليه السلام) الصخرة التي إليها يجمع الخلق ويحاسبهم، وهي صخرة من الجنة عليها الأرضون السبعة وهي رأس تلك الصخرة. وأما المعاملة فإنه لما جاءت المحنتان من الله تعالى لهما في وقتيهما، برز ما في نفوسهم، وبرز ما لهم من الحظ في الغيب عنده بالمحنة. فإن السيد إذا كان له عبيد فإنما يتبين له حظوظ العبيد منه بمعاملته إياهم ويتبين جواهر نفوسهم بمعاملتهم إياه.

وإنما كثر ولد إسحاق (عليه السلام) في زمن يوسف (عليه السلام) بمصر بعد ما حاز الله تعالى ليوسف (عليه السلام) مدائن مصر، وأسكنه إياها، وجعل بيده خزائنها، ودخلها إسرائيل وهو يعقوب (عليه السلام) في ستة وسبعين نفساً من ولده وولد ولده ونسلهم. فأنمى الله تعالى عددهم وبارك في ذريته، حتى خرجوا إلى البحر يوم غرق فرعون وهم ستمائة الف من المقاتلة سوى الشيوخ والذرية والنساء. وجاوز عددهم ألف ألف. فقال الله تعالى فيما يحكى عنهم : ﴿ **ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فما زلتم في شك مما جاءكم به حتى إذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولاً** ﴾(1).

---

(1) سورة غافر آية رقم ٣٤.

فهذا قولهم بعد أن صيرهم ملوك مصر وأربابهم فغير الله تعالى ما بهم، فصاروا سخرة لآل فرعون يخدمونهم خدمة العبيد والإماء. ومن عجز عن الخدمة لسنه، وضع عليه الغلة فاستودى مساء كل يوم. فإن أعطى، وإلا غلت يمينه. ويقتلون أبناءهم مخافة رؤيا فرعون أنه يولد منهم مولود يكون هلاك ملكه على يديه. فبعث الله (عز وجل) موسى (عليه السلام) ورحمهم به فقال في تنزيله الكريم : ﴿ **ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ...** ﴾(١) الآية.

فجعل فيهم الأنبياء، وبث فيهم الكتب، وجعلهم أهل عبادة وجهد وميثاق وعهد. وأنقذ الله بني إسرائيل من ملكة فرعون وعذابه وسخرته بمبعث موسى (عليه السلام). وغرق فرعون، وجعل لهم في البحر طريقاً يبساً. فلما جاوزوه قالوا : يا موسى إن قلوبنا لا تطمئن ان فرعون غرق حتى أمر الله تعالى البحر فلفظه، فنظروا إليه. فلمّا اطمأنوا وصاروا من طريق البر إلى مدائن فرعون حتى نقلوا كنوزه وغرقوا في النعمة، رأوا قوماً يعكفون على أصنام لهم، فقالوا : يا موسى : إجعل لنا إلها كما لهم آلهة. حتى زجرهم موسى (عليه السلام) وقال : ﴿ **أغير الله أبغيكم إلهاً وهو فضلكم على العالمين** ﴾(٢) أي عالمي زمانهم.

ثم أمرهم أن يسيروا إلى الأرض المقدسة التي كانت مساكن آبائهم ويتطهروا من أرض فرعون. وكانت الأرض المقدسة في أيدي الجبابرة قد غلبوا عليها. فقالوا له : أتريد أن تجعلنا لحمة للجبارين لو تركتنا في يدي فرعون كان خيراً لنا. قال : ﴿ **يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة ...** ﴾(٣) الآية. ﴿ **قالوا يا موسى إنا لن ندخلها أبداً ما داموا**

---

(١) سورة القصص آية رقم ٥.

(٢) سورة الأعراف آية رقم ١٤٠.

(٣) سورة المائدة آية رقم ٢١.

فيها فاذهب أنت وربك ... ﴾[1] الآية. حتى دعا عليهم وسماهم فاسقين. فبقوا في التيه أربعين سنة عقوبة.

ثم رحمهم فمن عليهم بالمن والسلوى، وبالغمام يظللهم، وبالحجر ينفجر منه اثنتي عشرة عيناً، إذا ضربه بعصاه. فقالوا : لو أن موسى انكسر عصاه لمتنا عطشاً. فأوحى الله تعالى إلى موسى (عليه السلام) إذا كان وقت الماء فكلم الحجر ولا تضربه بالعصى حتى ينفجر منه الماء من العيون بكلمتك. ثم سار موسى (عليه السلام) إلى طور سيناء ليجيئهم بالتوراة فاتخذوا العجل. فقال لهم السامري : هذا إلهكم واله موسى فاطمأنوا إلى قوله. ونهاهم هارون (عليه السلام) فقال : ﴿ **يا قوم إنما فتنتم به وإن ربكم الرحمن فاتبعوني وأطيعوا أمري * قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى ...** ﴾[2].

فلم يتبع هارون ولم يطعه في ترك العجل إلا إثني عشر ألفاً فيما روي في الخبر. وتهافت في عبادته سائرهم وهم أكثر من ألفَي ألف. فلما رجع موسى ألقى الألواح، فرفع من التوراة ستة أجزاء وبقي جزء واحد وهو الحلال والحرام وما يحتاجون إليه وأحرق العجل وذراه في البحر فشربوا من مائه حباً للعجل، فظهرت على شفاههم صفرة وورمت بطونهم فتابوا فلم تقبل توبتهم دون أن يقتلوا أنفسهم. فذلك قوله تعالى : ﴿ **فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم** ﴾[3].

فقاموا بالخناجر والسيوف بعضهم على بعض من لدن طلوع الشمس إلى ارتفاع الضحى لا يسأل والد عن ولد، ولا ولد عن والد، ولا أخ عن أخيه. كل من استقبله ضربه بسيفه وضربه الآخر بمثله حتى عج موسى

---

(١) سورة المائدة آية رقم ٢٤ وقد جاءت هذه الآية محرفة حيث قال « قالوا لن تدخلها ».

(٢) سورة طه آية رقم ٩٠، ٩١.

(٣) سورة البقرة آية رقم ٥٤.

(عليه السلام) إلى الله تعالى صارخاً : يا رباه قد فنيت بنو إسرائيل. فرحمهم الله تعالى. فقبل توبة من بقي، وجعل من قتل في الشهداء.

ثم قالوا : ﴿ **يا موسى أرنا الله جهرة** ﴾. فجاءت صاعقة فأحرقت من جمعهم أربعين ألفاً فيما جاء في الخبر. ثم عرض عليه ما في التوراة ليقبلوها فأبوا وقالوا : لا نطيق هذا. فنتق الله عليهم الجبل، ونودوا منها : ﴿ **خذوا ما آتيناكم بقوة** ﴾[1] وإلا رميناكم بالجبل، فسجدوا على حروف وجوههم ينظرون إلى الجبل ويقولون : قبلنا قبلنا. ثم قيل لهم : قد وصلتم الى بيت المقدس ﴿ **وادخلوا الباب سجداً وقولوا حطة...** ﴾[2] أي حط عنا بمنزلة قوله: استغفر الله.

جاء في الخبر أنهم أمروا أن يدخلوا الباب سجداً على ركبهم. فعلم الله تعالى منهم ضيق أخلاقهم وأنهم لن يدخلوها سجداً. فلما صاروا الى الباب طوطئ لهم الباب حتى لم يمكنهم أن يدخلوها قياماً، فكزت نفوسهم والتوت وانكشف سوء أخلاقهم فاستلقوا على ظهورهم زحفاً على الإستاه وهم يقولون : حنطة حنطة هطى سمقاثا، سخريةً واستخفافاً بما أعطوا. قال الله تعالى : ﴿ **فبدل الذين ظلموا قولاً غير الذي قيل لهم ...** ﴾[3] الآية.

وكان موسى (عليه السلام) شديد الحياء ستيراً فقالوا : انه آدر. فلما اغتسل، وضع على الحجر ثوبه، فعدى الحجر بثوبه الى مجالس بني اسرائيل وموسى على أثره عريان، وهو يقول : يا حجر ثوبي. فذلك قوله

---

(١) سورة البقرة آية رقم ٦٣.

(٢) سورة البقرة آية رقم ٥٨ وقد جاءت محرفة في المطبوعة حيث قال: فادخلوا بدلاً من (وادخلوا).

(٣) سورة البقرة آية رقم ٥٩.

تعالى : ﴿ **ولا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا ...** ﴾[1].

ثم لما مات هارون قالوا له : أنت قتلت هارون وحسدته حتى نزلت الملائكة بسريره وهارون ميت عليه، ثم سألوه أن يكون ما نقدم من أموالنا نعلم تقبلها، فجعلت نار تجيء من السماء فتقبل قربانهم.

ثم سألوه أن يبين لنا كفارات ذنوبنا في الدنيا. فكان من أذنب ذنباً أصبح وعلى بابه مكتوب : عملت كذا وكفارته قطع عضو من أعضائك يسميه له. ومن أصابه بول، لم يطهر حتى يقرضه ويزيل جلدته من بدنه.

ثم بدلوا التوراة من بعده، وافتروا على الله وكتبوا بأيديهم ليشتروا به من الدنيا عرضاً. ثم صار أمرهم إلى أن قتلوا أنبيائهم (عليهم السلام). فهذه معاملتهم مع الله تعالى وسيرتهم في دينهم قد انكشف لنا عن جواهرهم وأخلاقهم وحظوظهم عن ربهم بما أنزل الله علينا من أخبارهم، ولمن كان له فهم.

وأما ولد إسماعيل (عليه السلام) فجعل فيهم السخاء هم أولو الأخلاق السنية والمكارم، ومنحهم من خزائنه تلك الأخلاق الطاهرة التي عيش أهلها عيش أهل الجنان. فإن صاحب الأخلاق قلبه في راحة، لأن نفسه طيبة كريمة، وصاحب الضيق قلبه معذب لأن نفسه شكسة كزة يابسة فقيرة. هذا من قبل أن تأتيهم الهداية. فلما جاءتهم الهداية من الله تعالى ورد على قلوب بني إسرائيل نور التوحيد وروحه. وتركوا مع مجاهدة نفس كزة يابسة ضيقة، وورد على قلوب هذه الأمة نور التوحيد وروحه، ونور اليقين وروحه. فقلوب بني إسرائيل مؤيدة بالتوحيد، معذبة بكزازة النفس وضيقها. وقلوب هذه الأمة مؤيدة بالتوحيد مستريحة بنور

---

(١) سورة الأحزاب آية رقم ٦٩.

اليقين. وهو قوله تعالى : ﴿ **قل إن هدى الله هو الهدى** ﴾[1]. ﴿ **قل إن الهدى هدى الله أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم** ﴾[2]. ﴿ **قل إن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء** ﴾[3]. ﴿ **وكانوا أحق بها وأهلها** ﴾[4]. ﴿ **يختص برحمته من يشاء** ﴾[5].

وقال رسول الله (ﷺ) : « ما أعطيت أمة من اليقين مثل ما أعطيت أمتي. ومثل من أُعطي اليقين ومن حرم ذلك كمثل شجرة لها غصنان والسقيا واحد. فلما جرى الماء إلى أحد الغصنين تحول طيباً بإذن الله تعالى، وجرى في الغصن الآخر فتحول ثماراً. فمن الثمار حلو وحامض ومدخول وعفن ومر. فمنه ما ينتفع به، ومنه ما ينفى فيرمى به. والطيب يطيب به كل شيء من المأكول والمشروب والملبوس والمركوب والمنكوح »[6].

فهذه الأمة نفوسها طيبة أيدت بروح اليقين فخرجت الأعمال طيبة فيها الهناءة والمراءة. يهنأ بها الحق ويستمرئ بها.

فولد إسماعيل (عليه السلام) لم يزالوا مذكورين بالسماحة والأخلاق السنية، يطعمون الطعام ويفكون العاني، ويكفلون الأيتام ويرعون الذمام، وهم في شركهم، ولم يسلط عليهم أحد فيسبيهم ويستسخرهم، ولا صاروا ملكاً لأحد من الفراعنة، حتى أكرمهم الله تعالى ببعث محمد (ﷺ)، وصاغ محمداً (ﷺ) صياغة برز على الأنبياء والرسل فصار

---

(١) سورة البقرة آية رقم ١٢٠.
(٢) سورة آل عمران آية رقم ٧٣.
(٣) سورة آل عمران آية رقم ٧٣.
(٤) سورة الفتح آية رقم ٢٦.
(٥) سورة البقرة آية رقم ١٠٥ وسورة آل عمران آية رقم ٧٤.
(٦) سبق تخريج هذا الحديث.

سيداً لجميع ولد آدم (عليه السلام)، وأنزل عليه كتاباً مهيمناً على الكتب، أجمل فيه التوارة والإنجيل، واختصر له الكلم، وزاده المفصل وفاتحة الكتاب وآية الكرسي وخاتمة سورة البقرة من كنزه الذي ادخره لهذه الأمة. ووصفهم في التوراة بمحاسنهم لبني إسرائيل من قبل أن يخلقهم بآلاف من السنين، ولعيسى (عليه السلام) ولقومه في الإنجيل. حتى روي في الحديث أن أمة محمد (ﷺ) يسمون في التوراة صفوة الرحمن، وفي الإنجيل حكماء علماء أبرار أتقياء كأنهم من الفقه أنبياء.

وقال (عز وجل) في القرآن الكريم : ﴿ **ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا ...** ﴾[1] الآية. تصديقاً لما في التوراة صفوة الرحمن، وقال : ﴿ **كنتم خير أمة أخرجت للناس** ﴾[2] وقال (عز وجل) : ﴿ **وكذلك جعلناكم أمة وسطاً ...** ﴾[3] أي عدلاً. ﴿ **... لتكونوا شهداء على الناس ...** ﴾[4].

أي شهداء للرسل بالبلاغ عندما تجحد الأمم تبليغ الرسل (عليهم السلام) رسالات الله تعالى، فتشهد هذه الأمة لنوح (عليه السلام) فمن دونه رسولاً رسولاً أنهم أدوا الرسالة، فيحكم الله تعالى بشهادتهم على سائر الأمم، ويتخلص الرسل (عليهم السلام) من أمانة الرسالة، وذلك بعد ما يعدلهم محمد (ﷺ)، فذلك قوله تعالى : ﴿ **لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً** ﴾[5].

فتكون شهادة أمة محمد (ﷺ) يومئذ مقبولة على جميع الأمم

---

(١) سورة فاطر آية رقم ٣٢.

(٢) سورة آل عمران آية رقم ١١٠.

(٣) (٤) سورة البقرة آية رقم ١٤٣.

(٥) سورة البقرة آية رقم ١٤٣.

لجميع الأنبياء (عليهم السلام). ثم أعطاهم سيفه ليقتلوا به أعداءه، ولا يقتل أعداءه إلا أولياؤه. ثم قال : ﴿ **والله ولي المؤمنين** ﴾[1].

فهم أولياء الله، والله تعالى وليهم. وهم أهل حميته وأنصاره، فدعوا إلى الحرب فوضعوا السيوف على عواتقهم، وربطوا الحجر على بطونهم من الجوع، والخرق على ظهورهم من العري، وقد هجروا أوطانهم ومقرهم، وحرم الله تعالى عداوة في الله لأهل الشرك، وخرجوا من ديارهم وأموالهم، ونابذوا أرحامهم في الله حتى كان الرجل يقتل أباه وأخاه. فكان أبو عبيدة بن الجراح (رضي الله عنه) ممن قتل أباه، فأنزل الله تعالى : ﴿ **لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو اخوانهم أو عشيرتهم** ﴾[2].

ثم أثنى عليهم فقال : ﴿ **أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ...** ﴾[3] الآية.

وقالوا عندما استشارهم رسول الله (ﷺ) في شيء من أمر الحرب : مرنا بما شئت وسر بنا حيث شئت، فلو سرت بنا الى برك الغماد لسرنا ــ موضع بعيد ذكروه ــ فوالله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل : ﴿ **فاذهب أنت وربك فقاتلا ...** ﴾[4] الآية.

وافتتح خيبر وغنم الغنائم فقسم في المهاجرين ولم يقسم في الأنصار لأنهم في أموالهم، والمهاجرون خلفوا أموالهم بمكة وكانوا فقراء،

---

(١) سورة آل عمران آية رقم ٦٨.

(٢) سورة المجادلة آية رقم ٢٢.

(٣) سورة المجادلة آية رقم ٢٢.

(٤) سورة المائدة آية رقم ٢٤ وقد جاءت محرفة في المطبوعة حيث قال « إذهب » بدلاً من « فاذهب ».

فسمحت الأنصار بذلك، وكانوا حين قدموا المدينة ناصفوهم الأموال، وواسوهم بالكثير، حتى كان الرجل يطلق إحدى امرأتيه ليتزوجها أخوه المهاجر.

هذا كله لحب الله تعالى، وحب طاعته، وحب رسول الله (ﷺ). فأنظر أي قلوب هذه، وأي شيء في هذه القلوب من منن الله تعالى من خزائن فضله. وانظر أي نفوس هذه شيمها. وأنظر أي أخلاق لهذه النفوس. اللهم إنا نتقرب إليك بحبهم فإنهم أحبوك. ولم يحبوك حتى أحببتهم. فبحبك إياهم وصلوا إلى حبك، ونحن لم نصل إلى حبهم فيك إلا بحظنا منك. فتمم لنا ذلك حتى نلقاك به يا أرحم الراحمين. وأثنى الله تعالى على الأنصار (رضوان الله عليهم أجمعين) ومدح سرائرهم فقال (عز وجل) : ﴿ **يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ...** ﴾[1]

أي لا يجدون ضيقاً ولا بخلاً ولا نفاسة فيما أوتي المهاجرون من غنيمة خيبر ولم يؤت الأنصار، ﴿ **ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة** ﴾[2].

يخبر أنه كان بالأنصار فقر وحاجة إلى تلك الغنائم فآثروا المهاجرين على أنفسهم. ثم أخبر أن هذا من منة الله تعالى على الأنصار أن أمات منهم الحرص وهو الشح، فقال عز من قائل : ﴿ **ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون** ﴾[3].

وإنما أمات منهم الحرص بما أعطاهم من اليقين. وما يصنع من احتشى قلبه بنور الله تعالى ويرى قربة الله منه بظلمات الدنيا وحطامها ولهوها ! وسار بهم رسول الله (ﷺ) إلى فتح مكة، وهو وطنهم وأرضهم

---

(١) (٢) (٣) سورة الحشر آية رقم ٩.

المقدسة، كما سار بها موسى (عليه السلام). فما تلكأ منهم شاب ولا شيخ حتى فتح الله عليهم من غير أن يمسهم سوء. ثم قبض رسول الله (ﷺ) فابتعث الله تعالى لهذا الدين أئمة صديقين خلفاء الأنبياء (عليهم السلام)، وأوتاد الحق، يقومون بالحق وبه يعدلون. فتفاوت الأمران والشأنان، شأن بني إسرائيل، وشأن هذه الأمة.

عن سالم بن عبدالله بن عمر (رضي الله عنه) قال : بينما رجلان جالسان إذ قال أحدهما : لقد رأيت البارحة كل نبي في الأرض. وقال الآخر : هات. قال : رأيت كل نبي معه أربعة مصابيح، مصباح من بين يديه ومصباح من خلفه، ومصباح عن يمينه ومصباح عن يساره، ومع كل صاحب له مصباح. ثم رأيت رجلاً قام أضاءت له الأرض. وكل شعرة في رأسه مصباح. ومع كل صاحب له أربعة مصابيح، مصباح من بين يديه، ومصباح من خلفه، ومصباح عن يمينه، ومصباح عن يساره. فقلت : من هذا ؟ قالوا : محمد بن عبدالله.

قال كعب (رضي الله عنه) ما هذا الحديث الذي تحدث به ؟ قال : رؤيا رأيتها البارحة. قال : والذي بعث محمداً بالحق انها في كتاب الله كما رأيت.

فبرز ولد إسماعيل (عليه السلام) وهم العرب بما منحهم الله تعالى من أخلاقه.

وجاء عن رسول الله (ﷺ) أنه قال : « ان لله مائة وسبعة عشر خلقاً من أتى بواحدة منها دخل الجنة »[1].

---

(١) الحديث رواه الطبراني في الكبير وابن ابي حاتم والبزار وقال السيوطي في الدر المنثور ضعيف

وروي عن رسول الله (ﷺ) أنه قال : « الأخلاق في الخزائن فاذا أراد الله بعبد خيراً منحه خلقاً »[1]

ألا يرى أن الرجل المفرط في دينه المضيع لحقوقه يموت وقد كان صاحب خلق من هذه الأخلاق، فتنطلق أَلْسِنَةُ العامة بالثناء عليه. والمؤمنون شهداء الله في الأرض. كذلك روي عن رسول الله (ﷺ).

عن أنس (رضي الله عنه) قال : مات رجل على عهد رسول الله (ﷺ) فأُثني عليه خير. فقال رسول الله (ﷺ) : وجبت. ثم مات آخر. فأُثني عليه شر. فقال رسول الله (ﷺ) : وجبت. فقيل له يا رسول الله : قلت لذلك وجبت وقلت لهذا وجبت. قال : « إنكم شهداء الله في الأرض ». ثم تلا رسول الله (ﷺ) : ﴿ **وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً** ﴾[2].

إذا مات صاحب التخليط، انطلق ألسنة المؤمنين بالثناء عليه فيقال : كان سخي النفس. فيقبل الله شهادتهم عليهم ويدخله الجنة بسخاوته. ويموت أحدهم فيقال : كان ليناً. ويقال : كان رحيماً. ويقال : كان حسن الخلق. ويقال : كان حليماً. ويقال : كان رزيناً، وكان عطوفاً أو براً أو متودداً، وكان مواتياً منبسطاً، كان سهلاً كريماً، كان عفواً حمولاً، كان عفيفاً، كان شكوراً، كان شجاعاً صارماً.

فهذه أخلاق الله تعالى أكثرها مما تسمى به. والذي لم يتسم به فهو داخل فيما تسمى به؛ لأن اللين والرزانة من الحلم، والرحمة والعفاف من النزاهة والطهارة.

فمن منحه الله تعالى واحدة من هذه الأخلاق يعطيه نور ذلك الآسم

(١) رواه السيوطي في الجامع الصغير وأشار الى رواية الحكيم الترمذي له.

(٢) سورة البقرة آية رقم ١٤٣.

الذي تسمى به ربنا (عز وجل) فيشرق نوره على قلبه وفي صدره. فيصير لنفسه بذلك الخلق بصيرة فيعتادها ويتخلق بها. فحقيق عليه إذا أكرمه بذلك أن يهب لها مساويه ويستره بمغفرته ويدخله الجنة. فإنه ما أعطاه ذلك حتى أوجب له ذلك في غيبه.

يحقق ذلك ما روي عن رسول الله (ﷺ) أنه قال : « بينما رجل لم يعمل خيراً قط فرفع غصن شوكة من الطريق وقال : لعل ماراً يمر به فيؤذيه. فغفر الله له »[1] وإنما غفر له بالرحمة التي في قلبه وبالعطف الذي عطف على خلقه.

وجاء عنه (ﷺ) أنه قال : « بينما رجل حوسب فلم توجد له حسنة. فقال الله تعالى : اذكر شيئاً كنت تفعله في الدنيا. قال العبد : لا أذكر شيئاً إلا أني كنت أسامح الناس وآمر غلماني أن يسامحوهم في إقتضاء مالي منهم. فيقول الله تعالى : فأنا أحق اليوم أن أسامحك.

وروي عن رسول الله (ﷺ) أن الله تعالى يحب كل عبد طلق سهل لين هين وحرمه على النار.

وقال رسول الله ﷺ: الراحمون يرحمهم الرحمن تبارك وتعالى ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء[2].

---

(١) الحديث رواه الإمام أحمد في المسند ٢ : ٢١ ثنا عبد الصمد ثنا عبد الرحمن يعني ابن عبدالله بن دينار قال: سمعت أبي يذكر عن أبي صالح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: وذكره.

(٢) الحديث رواه الترمذي في كتاب البر والصلة باب ١٦ ما جاء في رحمة المسلمين ١٩٢٤ عن عمرو بن دينار عن أبي قابوس عن عبدالله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ وذكره وفيه زيادة [الرحم شُجنة من الرحمن فمن وصلها وصله الله ومن قطعها قطعه الله] وقال الترمذي هذا حديث حسن صحيح.

وقال : الجنة دار الأسخياء. وما جبل الله قط ولياً له إلا على السخاء، ولجاهل سخي أحب إلى الله تعالى من عابد بخيل.

وقال (ﷺ) : « حسن الخلق ذهب بخير الدارين ويدرك به الرجل درجة الصائم القائم ».[1]

فهذه أخلاق العرب منحها الله تعالى إياهم، وطهرهم بالتوحيد، وطيبهم باليقين، فعبدوا الله كأنهم يرونه، فشرع الله تعالى لهم أوسع الشرائع وأسمحها، وستر عليهم ذنوبهم، وجعل خروجهم منها بالندم والاستغفار. وقال لبني إسرائيل : عاقبوا أبدانكم بذنوبكم، فاقطعوا منها كذا، وتجدونه مكتوباً على أبوابكم. وقال لنا : توبوا إلى الله. أي ارجعوا إليَّ بقلوبكم فيما بيني وبينكم. وقال لهم : قولوا حطة. أي حط عنا. وقال لنا : قولوا : اغفر لنا.

فجوهر هذا الكلام غير ذلك. وإنما صار هذا هكذا؛ لأن كلام كل قوم عند ربهم على ما هم عليه. فبنو إسرائيل لم يكن عندهم من اليقين ما عند هذه الأمة. فلما أذنبوا قيل لهم : قولوا حطة. وهذه الأمة بفضل يقينها استحيت من الله تعالى من الذنب الذي يعمله. وكأنه رأى نفسه خارجاً من ستر الله، عرياناً. فأعطى الكلمة التي تكون دواء لما حل به. فقيل له : قل : إغفر. فمن استحيا من ذنبه ورأى نفسه عارياً بين يدي الله تعالى، قيل له : قل : اغفر. ومن عجز عن رؤية هذا، قيل له : قل : حطة. وصارت صدقاتهم عوداً بها على فقرائهم، فطابت نفوسهم بما رأوا على فقرائهم من فضلهم، وسكنت قلوبهم على الصدقات أنها تصير إلى الله

---

(١) الحديث رواه الترمذي في كتاب البر والصلة باب ٦٢ ما جاء في حسن الخلق ٢٠٠٣ ــ عن مطرف عن عطاء عن أم الدرداء عن أبي الدرداء قال سمعت رسول الله ﷺ وذكره وليس فيه [ذهب بخير الدارين] ورواه الإمام أحمد بن حنبل في المسند ٦ : ٤٤٢، ٤٤٦ (حلبي).

تعالى قال الله تعالى: ﴿ **إن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات...** ﴾[1].

وقال (عليه السلام) : « إن الصدقة لتقع في يد الله من قبل أن يأخذها السائل » .

فرزقهم الله تعالى من اليقين ما اذا قبل لهم الشيء، سكنت قلوبهم. فكان أحدهم يمشي بصدقته إلى السائل لا يكلها إلى غيره، ويقبلها من قبل أن يضعها في يده ليقينهم بمن يأخذها منهم.

وقيل : إن قلوب هذه الأمة تأوي إلى ذكر الله كما تحن الحمامة الى وكرها، ولهي أسرع إلى الذكر من ظمأ الإبل يوم وردها الى الماء. وأمرت بنو إسرائيل أن يضعوا في أرديتهم خيوطاً خضراً؛ كي إذا نظروا إليها، ذكروا السماء. فاذا ذكروا السماء، ذكروا العرش فيذكرون الله تعالى. ويوم الوفادة حيث اختار موسى (عليه السلام) سبعين رجلاً لميقات الله تعالى. فلما صاروا إلى الجبل، أعطاهم الله تعالى ثلاث خصال فيما روي في الخبر. فقال : أعطيكم الحفظ لتقرؤها عن قلوبكم. فقالوا : إنا نحب أن نقرأ التوراة نظراً. فقال : ذلك لأمة أحمد (ﷺ). قال : وأعطيكم السكينة في قلوبكم. فقالوا : لا نقدر على حملها، فاجعلها لنا في تابوت، فكلمنا منها إذا احتجنا. قال : فذلك لأمة أحمد. قال : وأعطيكم أن تصلوا من الأرض حيث أدركتم. قالوا : لا نحب أن يكون ذلك إلا في كنائسنا. قال : فذلك لأمة أحمد. فكان نوف البكائي إذا حدث بهذا الحديث، قال : احمدوا ربكم الذي شهد غيبتكم، وأخذ

---

(١) هناك أحاديث كثيرة في الصحاح وفي السنن تؤيد هذا الأثر ومنه ما رواه الامام مسلم في كتاب الزكاة ١٨ باب الترغيب في الصدقة ٥٨، ٥٩. والآية سورة التوبة آية رقم ١٠٤.

بحظكم، وجعل وفادة بني إسرائيل لكم. فجعل الله السكينة في قلوب المؤمنين وجعل لهم الأرض مسجداً وطهوراً، وقرن الحفظ بالعقول منهم ليقرءوا عن قلوبهم.

وقال (ﷺ) : أعطيت أمتي ثلاثاً لم يعط أحد : صفوف الصلاة وتحية أهل الجنة وآمين. الا ما أعطي موسى وهارون من قوله آمين[1]. وكان من قبلهم يتفرقون في الصلاة، وجوه بعضهم إلى بعض، وقبلتهم الى الصخرة. وإذا لقيهم، لقي أحدهم أخاه، انحنى له بدل السلام. يخضع له. وفيه مؤنة. يريد بذلك أمانه. فأعطينا تحتة أهل الجنة أن يقول أحدهم بلسانه فيؤمنه. وجعل سيماء عبودتنا يوم القيامة على وجوههم وأطرافهم غراً من السجود، محجلين من الوضوء. وقد سجدت الأمم من قبلهم، فلم يظهر على جباههم، ولا على أطرافهم. وتلك بشارة أمة محمد (ﷺ) في الموقف. وبهم يعرفون. وهم أهل الله وخاصته. قيل : يا رسـول الله، من أهل الجنة ؟ قال : أهل القرآن. وما زال موسى (عليه السلام) يقول : يا رب إني أجد في الألواح أمة لهم كذا ويعملون كذا، فاجعلهم أمتي. ويقول الله تعالى : هم أمة أحمد حتى قال فيما روي : يا ليتني كنت معهم. غبطة بهم.

وفي الخبر عن ابن عباس (رضي الله عنه) أن موسى (عليه السلام) اشتاق إلى رؤيتهم. فقال الله تعالى له بطور سيناء : أتحب أن أسمعك أصواتهم. فقال : نعم يا رب. فنادى : يا أمة أحمد. فأجابوه من الأصلاب : لبيك اللهم لبيك. فقال : أعطيتكم قبل أن تسألوني، وأجبتكم قبل أن تدعوني، ورحمتكم قبل أن تعصوني، وغفرت لكم قبل أن تستغفروني، من لقيني منكم يشهد أن لا إله إلا أنا وأن محمداً عبدي

---

(١) سبق تخريج هذا الحديث.

ورسولي، أدخلته جنتي. فذلك قوله تعالى : ﴿ **وما كنت بجانب الطور إذ نادينا ولكن رحمة من ربك** ﴾.

يمن على نبيه محمد (ﷺ) أي لم تكن يا محمد بجانب الطور إذ نادينا أمتك. ولكن كانت مني رحمة عليهم قبل أن أخلقهم. فالعرب رأس الأمة وسابقها الى المكارم. قال الله تعالى : ﴿ **لقد مَنَّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم ...** ﴾[1] وقال : ﴿ **وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه** ﴾[2] وقال : ﴿ **وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسئلون** ﴾[3] أي شرف لك ولقومك حيث خاطبتهم بالوحي. وسوف تسئلون عن شكر هذا الشرف.

والعجم وإن شاركوا العرب في مناقب هذه الأمة، لكان السبق للعرب. وتلك الأخلاق غير موجودة في العجم إلا في الواحد بعد الواحد. تخلقاً لا طبعاً. وبلغنا أن كنانة كان إذا لم يجد من يأكل معه، وضع بين يديه حجراً، فأكل لقمة وألقى إليه لقمة أنفة أن يأكل وحده. وكانت مائدة عبد المطلب موضوعة. وكان يرفع منها للطير والسباع في رؤوس الجبال. وكان سوط أدبه معلقاً حيث يراه السفيه يؤدبهم بذلك.

عن أبي موسى الأشعري قال : قال رسول الله (ﷺ) : إني دعوت العرب فقلت : اللهم من لقيك منهم مؤمناً موقناً مصدقاً بلقائك فاغفر له أيام حياته. وهي دعوة أبينا إبراهيم (عليه السلام) ولواء الحمد بيدي يوم القيامة. ومن أقرب الناس إلى لوائي يومئذ العرب.

---

(١) سورة آل عمران آية رقم ١٦٤.

(٢) سورة النساء آية رقم ٦٤.

(٣) سورة الزخرف آية رقم ٤٤.

ومما يحقق ما قلنا قول الله تعالى : ﴿ **هو الذي بعث في الأميين رسولاً منهم ...** ﴾[1] الآية. ثم قال : ﴿ **وآخرين منهم لما يلحقوا بهم ...** ﴾[2] ثم قال : ﴿ **ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ...** ﴾[3]

فهم الرأس ونحن منهم. لا أنهم منا. والفضل لهم بما منحهم الله تعالى من الأخلاق، لا بمجرد اللسان. فمن لم يوجد فيهم بهذه الأخلاق، فهو هجين. والهجنة ضائرة جداً حتى في الخيل، فكيف في الآدميين ؟ وبلغنا أن سليمان بن داود (عليه السلام) أرسل الخيل من صنعاء إلى تدمّر فتقدم فرسان من الخيل، فقال المسبوق للسابق : لولا هجنة فيَّ أدركتني من ثماني عشرة جدة، ما سبقتني.

---

(١) سورة الجمعة آية رقم ٢.

(٢) سورة الجمعة آية رقم ٣.

(٣) سورة الجمعة آية رقم ٤.

الأصل الثامن والستون

في الأمر بالعقد بالأنامل في الذكر

عن حميضة بنت ياسر، عن جدتها يسيرة (رضوان الله عليهن) أخبرتها أن رسول الله (ﷺ) أمرهن أن يراعين الشمس بالتسبيح والتقديس والتهليل، وأن يعقدن بالأنامل فإنهن مسئولات ومستنطقات.

وعن حميضة، عن جدتها يسيرة (رضي الله عنهما) قالت : دخل علينا رسول الله (ﷺ) ونحن نسبح بالسبح، فقال : « ألقين أو دعن عنكن، وعليكن بالأنامل، فسبحن بها، فإنهن مسئولات مستنطقات ».

مراعاة الشمس مراقبة وقت طلوعها وغروبها. وهو قوله تعالى : ﴿ **وسبحوه بكرة وأصيلا** ... ﴾[1].

والتقديس هو التنزيه، وهو التكبير. والتهليل هو التوحيد. والعقد بالأنامل من أجل أنها تنطق وتشهد لصاحبها.

أما المؤمن فتنطق عنه بخير وتصمت عن السوء ستراً من الله تعالى

---

(١) سورة الأحزاب آية رقم ٤٢.

عليه. وأما الكافر فتنطق عنه بالسوء وتصمت عن محاسنه لأنه لغير الله، فهو هباء منثور.

قال الله تعالى : ﴿ **شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم ...** ﴾[1]

كنّى بالجلود عن الفروج. ﴿ **وقالوا لجلودهم لِمَ شهدتم علينا...** ﴾[2] رجعوا باللوم على الفروج لأن الأمر فيه أشدّ، والعار أكثر.

ثم بين بقوله : ﴿ **أنطقنا الله ...** ﴾[3] الآيات. أنها تشهد على من لم يعرف الله.

فأما المؤمن فهو يعلم أن الله تعالى مطلع عليه فيتوب ويستغفر. وإنما يعامل المشرك بمثل هذه الأشياء فإنه لا يعرف الله تعالى معرفة الموحدين بل معرفة المشركين.

ومعرفة المشركين معرفة الفطرة. فليس لأحد أن ينكره. ومعرفة المؤمنين معرفة التوحيد والتنزيه. قال الله تعالى : ﴿ **وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون ...** ﴾[4] وقال (عز من قائل) : ﴿ **قل لمن الأرض ومن فيها ...** ﴾ الآيات. إلى قوله : ﴿ **فأنى تسحرون** ﴾[5]. سحرتهم أهواؤهم وانقلبت بهم عن الله تعالى منكوسين لم يمن الله تعالى عليهم بنور التوحيد. ﴿ **ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور** ﴾[6].

---

(١) سورة فصلت آية رقم ٢٠.

(٢) سورة فصلت آية رقم ٢١.

(٣) سورة فصلت آية رقم ٢١.

(٤) سورة يوسف آية رقم ١٠٦.

(٥) سورة المؤمنون الآيات ٨٤ ــ ٨٩.

(٦) سورة النور آية رقم ٤٠.

الأصل التاسع والستون

في أن حق المؤمن على المؤمن ست خصال

عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (ﷺ) : « من صلى على جنازة، فله قيراط، ومن تبعها حتى يفرغ من أمرها، فله قيراطان أحدهما أو أصغرهما مثل أُحُد »[1].

فالقيراط سدس المثقال فيما نرى أنه كان عند القوم في ذلك الزمان وقد تغير بناحيتنا في عصرنا.

وجاء عن رسول الله (ﷺ) أنه قال : « إن للمسلم على المسلم ست خصال : يجيبه إذا دعاه، ويسلم عليه إذا لقيه، ويعوده إذا مرض، ويصلي عليه إذا مات، وينصحه إذا استنصحه، ويشمته إذا عطس »[2].

---

(١) الحديث رواه الإمام مسلم في كتاب الجنائز ١٧ باب فضل الصلاة على الجنازة واتباعها ٥٤ بسنده عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: وذكره. ورواه الترمذي في كتاب الجنائز ٤٩ ورواه الإمام أحمد في المسند ٢ : ٣٢١ (حلبي).

(٢) رواه الإمام أحمد في المسند ٢ : ٣٢١ ـــ ثنا أبو عبد الرحمن ثنا سعيد ثنا عبدالله بن الوليد عن ابن حجيرة عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: وذكره. ورواه النسائي في كتاب الجنائز ٣٥٢.

فذكر القيراط يعلمك أنه إذا صلى عليه، فقد قضى سدس حقه. وأما القيراط الآخر بدفنه أو انتظاره حتى يدفن فذاك من النصيحة له، وهي إحدى الخصال الست. ومن النصيحة أن يكون في المشهد والمغيب على حالة واحدة.

الأصل السبعون

في فضل الشهيد وكرامته على الله عز وجل

عن جابر بن عبدالله (رضي الله عنه) قال : لقيني رسول الله (ﷺ) فقال : يا جابر ما لي أراك منكسراً ؟ قلت : يا رسول الله استشهد أبي وعليه دين، وترك عيالاً وديناً. قال (ﷺ) : أفلا أبشرك بما لقي الله به أباك ؟ قلت : بلى يا رسول الله. قال : ما كلم الله أحداً قط إلا من وراء حجاب، وأنه أحيا أباك فكلمه كفاحاً فقال تعالى : يا عبدي تمن عليَّ أعطيك. قال : يا رب تحييني فأُقتل فيك. قال الله تعالى : سبق مني أنهم إليها لا يرجعون[1] ونزلت : ﴿ **ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون** ﴾[2] كفاحاً أي وجاهاً. وهو كقوله شفاها إلا أن الشفاه للمخلوقين.

والكفاح له غير موصوف بالأدوات. وفيه ما يدل على أن قوله :

---

(١) الحديث رواه الترمذي في كتاب التفسير باب ٤ من سورة آل عمران ٣٠١٠ بسنده عن جابر بن عبدالله ــ يقول لقيني رسول الله ﷺ فقال له وذكره. وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه، ورواه أبو داود في السنة ١٦ وابن ماجة في المقدمة ١٣ والجهاد ١٦.

(٢) سورة آل عمران آية رقم ١٦٩.

﴿ وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب ﴾[1] أن هذا في الدنيا.

أما في الآخرة فلأهل الجنان الحظ من الكلام كفاحاً لما بذل نفسه لله تعالى ساعة فاز بهذه الدرجة. فكيف بالصديقين الذين بذلوا نفوسهم عمراً. وتمنيه أن يحيى لأنه وجد لذة بذله لنفسه حين قتل. وإنما بذل نفساً خاطئة قد تدنست بالذنوب فأحب أن يبذلها ثانية طاهرة.

---

(١) سورة الشورى آية رقم ٥١ وقد جاءت الآية محرفة في المطبوعة حيث قال: « ما كان » بدون الواو.

الأصل الحادي والسبعون

في بيان المنافاة بين اللعان والصديق

عن أبي الدرداء (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (ﷺ) : « لا يكون اللعانون شهداء ولا شفعاء » .

اللعان متعسف لأن اللعنة مستأصلة. فإن أجيب الى ذلك فقد أهلك، وإن لم يجب فقد عمل عمله من الافراط والتعسف فهو جائر. والجائر لا شهادة له.

وروي عن رسول الله (ﷺ) : لا يكون اللعانون شهداء لما عندهم من الأحنة والعداوة والجور. ولا يكونون شفعاء لأن قلوبهم خالية من الرحمة.

وروي عن رسول الله (ﷺ) أنه قال : لا يدخل الجنة ــ والذي نفسي بيده ــ أحدكم حتى يرحم العامة كما يرحم أحدكم خويصته.

عن عائشة (رضي الله عنه) قالت : سمع رسول الله ﷺ أبا بكر (رضي الله عنه) وهو يلعن بعض رقيقه، فالتفت إليه رسول الله (ﷺ) وقال: يا أبا بكر لعانين وصديقين كلا ورب الكعبة. فأعتق أبو بكر يومئذ بعض رقيقه، وجاء إليه فقال: لا أعود إليه يا رسول الله.

الأصل الثاني والسبعون

في الذكر الخفي

عن حنظلة الأسيدي، وكان من كتاب رسول الله (ﷺ) قال : لقيني أبو بكر (رضي الله عنه) فقال : كيف أنت يا حنظلة ؟ قلت : نافق حنظلة يا أبا بكر. قال : سبحان الله ما تقول ؟ قلت : نافق حنظلة. قال : مم ذاك. قلت : نكون عند رسول الله (ﷺ) فيذكرنا بالجنة والنار حتى كأنّا رأي عين، أو كأنّا نراهما، فإذا خرجنا من عنده، عَافَسْنَا[1] الأزواج والأولاد والضَّيّعَاتِ[2]. ففزع أبو بكر، فقال : والله إنا لنلقى مثل هذا. فانطلقت أنا وأبو بكر حتى دخلنا على رسول الله (ﷺ). فلما رآني رسول الله (ﷺ)، قال : كيف أنت يا حنظلة ؟ قلت : نافق حنظلة يا رسول الله. قال : مم ذاك ؟ قلت : نكون عندك يا رسول الله فتذكرنا بالجنة والنار حتى كأنّا رأي عين، حتى اذا خرجنا من عندك، عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات. فقال رسول الله (ﷺ) : « والذي

---

(١) قال الهروي: معناه حاولنا ذلك ومارسناه واشتغلنا به أي عالجنا معايشنا وخطوطنا.
(٢) الضيعات: جمع ضيعة، وهي معاش الرجل من مال أو حرفة أو صناعة.

نفسي بيده إنكم لو تدومون على ما تكونون عندي في الذكر لصافحتكم الملائكة على فرشكم وطرقكم. ولكن يا حنظلة ساعة وساعة »[1].

الذكر المذهل للنفوس إنما يدوم ساعة ثم ينقطع. ولولا ذاك لما انتفع بالعيش. والناس في الذكر على طبقات. فمنهم من يدوم له ذكره في وقت الذكر، ثم تعلوه غفلة حتى يقع في التخليط وهو الظالم. ومنهم من يدوم له ذكره في وقت الذكر، ثم تعلوه معرفته بسعة رحمة الله وحسن معاملته مع عباده، فتطيب نفسه بذلك، فيصل إلى معاشه وهو المقتصد على سبل الاستقامة.

وأما أهل اليقين وهم السابقون المقربون، جاوزوا هذه الخطة ولهم درجات. فأولها الخشية يمتنع بها من جميع ما كره الله تعالى دق أو جل. والخشية من القربة والعلم بالله. فإذا علم لزمه خوف العظمة، لا خوف العقاب. وإذا كان الخوف لازماً للقلب، غشاه بالمحبة. فيكون بالخوف معتصماً مما كره. وبالخشية وبالمحبة منبسطاً في أموره. إذ لو ترك مع الخوف، لانقبض وعجز عن كثير من أموره. ولو ترك مع المحبة لاستبد وتعدى. لكنه لطف له فجعل الخوف بطانته، والمحبة ظهارته حتى يستقيم به قلبه، ثم يرقيه الى مرتبة أخرى، وهي الهيبة والأنس. فالهيبة من جلاله، والأنس من جماله. فاذا نظر الى جلاله، هاب وانقبض. ولو ترك هكذا، لصار عاجزاً في جميع أموره، كجنة بلا روح. واذا نظر الى جماله، امتلأ كل عرق منه فرحاً وسروراً ولذّة ونعيماً لامتلاء قلبه. ولو ترك

---

(١) الحديث رواه ابن ماجة في كتاب الزهد ٢٨ باب المداومة على العمل ٤٢٣٩ ــ بسنده عن حنظلة الكاتب التميمي الأسيدي. قال: وذكره ورواه الإمام مسلم في كتاب التوبة ٣ باب فضل دوام الذكر والفكر في أمور الآخرة والمراقبة ١٢ (٢٧٥٠) بسنده عن حنظلة الأسيدي. ورواه الترمذي في كتاب القيامة ٩ وأحمد بن حنبل في المسند ٢ : ٣٠٥، ٣ : ١٧٥ (حلبي).

هكذا، أداه الى التعدي والافراط. لكنه لطف له فجعل الهيبة شعاره والأنس دثاره حتى يستقيم به قلبه. فهو عبد ظاهره الأنس بالله تعالى، وباطنه الهيبة من الله تعالى. ثم يرقيه إلى مرتبة أخرى، وهي مرتبة الانفراد بالله قربه القربة العظمى وأدناه ومكن له بين يديه، ونقاه وفتح له الطريق إلى وحدانيته، فهو ناظر إلى فردانيته. فأحياه الله تعالى به واستعمله. فبه ينطق، وبه يعقل، وبه يعلم، وبه يعمل. وقد جاوز مقام الهيبة والانس الى مقام الأمناء. ويصير سيد الأولياء والعارفين، وأمان أهل الأرض، ومنظر أهل السماء، وخاصة الله تعالى، وموضع نظره، وموضع سره، وهو سوط الله في خلقه، يؤدب به عباده، وبه يحيي القلوب الميتة، وبه يرحم أهل الأرض، وبه يمطر ويرزق، ويدفع عنهم البلاء، مفتاح الهدى وسراج الأرض، وهو شفاء الأدواء وإمام الأطباء، كلامه قيد القلوب، ونظره شفاء النفوس، وإقباله قهر الأهواء. فهو ربيع يزهر بنوره، وخريف يجتنى ثماره، وكهف يلجأ إليه، ومعدن يؤمل ما لديه، وفصل بين الحق والباطل. وهو الولي العارف، والصديق المقرب، والفاروق المجتبى، واحد الله في أرضه، كما قال إبراهيم (عليه السلام) : اللهم أنت الواحد في السماء وأنا الواحد في الأرض.

وقد قال النبي (عليه السلام) : « يكون في هذه الأمة رجال قلوبهم على قلب إبراهيم (عليه السلام) » .

وقوله : « ساعة وساعة » أي ساعة للذكر، وساعة للنفس. فساعة الذكر تكون الجنة والنار رأي عينه، وساعة يقبل على المعاش ومرمته؛ لأن القلب ربما عجز عن احتمال ما يحل به فيحتاج الى مزاج. ألا ترى أن ما روى أنس (رضي الله عنه) أن رسول الله (ﷺ) قال : لما انتهيت الى السدرة إذا ورقها مثل آذان الفيلة، وإذا نبقها أمثال القلال، فلما غشيها من أمر الله تعالى ما غشيها، تحولت ياقوتاً. وفي رواية : حال دونها فراش

من ذهب، وفي رواية : رأيت النور الأعظم ولط دوني الحجاب رفرفنا الدرّ والياقوت، فأوحى إليّ ما شاء أن يوحي[1].

لما لم يعم بصره للنور، عورض بالزبرجد والياقوت، وفراش الذهب، حتى يقوى ويستقر، كأنه شغل قلبه بهذا المزاج عما رأى، حتى لا ينفر، ويجد قراراً، ويقدر احتماله. فكان هذا من تدبير الله تعالى للعبيد. وكان أصحاب رسول الله (ﷺ) يطلبون تلك الساعة، حتى قال معاذ (رضي الله عنه) لرجل : تعال نؤمن ساعة. فذكر ذلك الرجل لرسول الله (ﷺ) قول معاذ. وقال : يا رسول الله : أو ما نحن بمؤمنين ؟ فقال رسول الله (ﷺ) : دع عنك قول معاذ فإن الله تعالى يباهي به الملائكة.

ولهذا قال عبدالله بن رواحة لأبي الدرداء : يا عويمر تعال نؤمن ساعة فللقلب أسرع انقلاباً من القدر حين تغلي. وإنما الإيمان بمنزلة القميص بينما أنت لبسته إذ أنت نزعته.

ولهذا قال (ﷺ) : « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن »[2].

أي أنه إذا فعل ذلك، فقد خلع القميص ووضعه ناحية. وإذا تاب ورجع إليه بالصدق كساه وألبسه ذلك القميص. فكان هذا الإيمان عندهم استقرار ذلك النور وإشراقه في صدورهم، حتى تصير الآخرة وأمر الملكوت لهم معاينة. فمنهم من هذا النور له دائم، فتدوم له معاينة أمور

---

(١) هذا جزء من حديث طويل رواه الإمام مسلم في كتاب الإيمان ٧٤ باب الإسراء برسول الله ﷺ ٢٥٩ (١٦٢) بسنده عن أنس بن مالك ــ رضي الله عنه ــ أن رسول الله قال: وذكره. ورواه البخاري في كتاب الصلاة أو التوحيد ٣٧ وكتاب الأنبياء ٥ ورواه الإمام أحمد بن حنبل في المسند ١ : ٣٨٧، ٤٢٢، ٣ : ١٤٩، ٥ : ١٤٤ (حلبي).

(٢) سبق تخريج هذا الحديث.

الآخرة وأمر الملكوت. وهو مع ذلك يصاحب الأزواج والأولاد، ويرم المعاش، وعددهم في كل زمان قليل. قال الله تعالى : ﴿ **والسابقون السابقون أولئك المقربون في جنات النعيم ثلة من الأولين** ... ﴾[1] فالثلة الجماعة، وهم الأنبياء (عليهم السلام).

وختمت النبوة برسولنا (ﷺ). ﴿ **وقليل من الآخرين** ﴾[2] وهم الأولياء عددهم قليل في كل زمان.

وقال (عليه السلام) : في كل قرن من أمتي سابقون، وهم البدلاء، والصديقون بهم يسقون، وبهم يرزقون، وبهم يدفع البلاء عن أهل الأرض .

---

(١) (٢) سورة الواقعة الآيات رقم ١٠، ١١، ١٢، ١٣، ١٤.

الأصل الثالث والسبعون

في خصال سألها سليمان (عليه السلام)

عن عبدالله بن عمرو بن العاص (رضي الله عنه) قال : سمعت رسول الله (ﷺ) يقول : لما فرغ سليمان عن بناء بيت المقدس، سأل ربه حكماً يصادف حكمه وملكاً لا ينبغي لأحد من بعده، وأن لا يأتي أحد هذا البيت لا يريد إلا الصلاة فيه، إلا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه. فقال رسول الله (ﷺ) : أما اثنتان فقد أعطيهما، وأما الثالثة فأرجو أن يكون قد أعطى[1].

قوله : « حكماً يصادف حكمه » معناه أن يحكم بين عباد الله بما يصادف حكم الله تعالى؛ لأن أمور العباد في الغيب، وإنما أمروا أن يعملوا بالظاهر عندهم بالشاهد أو اليمين. وربما كان شاهد زوراً أو كان في يمينه كاذباً، فليس على الحاكم إلا الحكم بما يظهر عندهم، ويكلهم فيما غاب عنهم إلى الله تعالى. وأما سؤاله ملكه لا ينبغي لأحد من بعده، فإن أحباب الله وخاصته يتنافسون في المنزلة عنده، ويغار أحدهم أن يتقدمه

---

(١) الأثر رواه الامام أحمد في كتاب الزهد وأشار اليه السيوطي في الدر المنثور

غيره من نظرائه. قال (عليه السلام) في حديث المعراج : « لقيت موسى (عليه السلام) في السماء السادسة، فلما جاوزته، بكى وقال : يزعم بنو إسرائيل أني أكرم ولد آدم على الله (عز وجل) وقد جاوزني ... »[1].

فللأنبياء والأولياء (عليهم السلام) تنافس في محل القربة، وحق لهم ذلك، فسخر الله له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب. أي ليته مع قوتها وشدتها، حتى لا تضر بأحد، وتحمله بعسكره وجنوده وموكبه. وكان موكبه فيما روي فرسخاً في فرسخ مائة درجة بعضها فوق بعض، في كل درجة صنف من الناس، وهو في أعلى درجة منه مع جواريه وحشمه وخدمه. وكانت الريح تحمله بهذا الموكب فتهوي به في الجو مسيرة شهر في غداة واحدة، ومسيرة شهر في رواح واحد. قال الله تعالى : ﴿ **غدوها شهر ورواحها شهر** ﴾[2].

وكانت الريح لا تدع كلمة يتكلم بها إلا ألقتها في أذنه. وعلم منطق الطير، ومرَّ بوادي ﴿ **فقالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون** ﴾[3].

فمرت به الريح فألقته في مسامعه، وسخر له الجن. قال رسول الله (ﷺ) : أخذت ليلة شيطانا فخنقته حتى وجدت برد لسانه ولهاته على يدي، فأردت أن أربطه على سارية في المسجد لتنظروا إليه إذا أصبحت،

---

(١) الحديث رواه الإمام مسلم في كتاب الإيمان ٢٦٤ (١٦٤) بسنده عن أنس بن مالك قال نبي الله ﷺ وذكره ولفظه « فلما جاوزته بكى فنودي ما يبكيك ؟ قال: رب هذا غلام بعثته بعدي، يدخل من أمته الجنة أكثر مما يدخل من أمتي ».

(٢) سورة سبأ آية رقم ١٢.

(٣) سورة النمل آية رقم ١٨.

ثم ذكرت دعوة أخي سليمان فتركته[1]. وكان لكل نبي دعوة، فجعلها سليمان في ذلك، وأخرها رسول الله (ﷺ) لأمته.

وعن عبد الرحمن بن عقيل (رضي الله عنه) قال : انطلقت في وفد إلى رسول الله (ﷺ) فأتيناه فقال قائل منا : يا رسول الله : ألا سألت ربك ملكاً كملك سليمان ؟ فضحك ثم قال : « فلعل لصاحبكم عند الله أفضل من ملك سليمان إن الله (عز وجل) لم يبعث نبياً إلا أعطاه دعوة. فمنهم من اتخذ بها دنيا فأعطيها، ومنهم من دعا بها على قومه إذا عصوه فأهلكوا بها. وإن الله تعالى أعطاني دعوة اختبأتها عند ربي شفاعة لأمتي يوم القيامة »[2]. فلكل نبي دعوة مجابة. وسليمان (عليه السلام) ما سأل الدنيا لنفسه، وإنما سألها لله تعالى.

وكان رسولنا (ﷺ) يسأل شيئاً من الدنيا ولم يسأل كلها. قال : « اللهم اجعل أوسع رزقي عند كبر سني ».

وكان نوح (عليه السلام) سأل إهلاك الدنيا فقال : ﴿ **رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً** ﴾[3] فغرقت الدنيا كلها بدعوته. وإنما سأل إهلاكها لله تعالى، لا لنفسه فأجيب الى ذلك.

وأما رسولنا (ﷺ) فأخرها لتكون تلك الحاجة مقضية له في اليوم

---

(١) الحديث رواه الإمام مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة ٨ جواز لعن الشيطان في أثناء الصلاة والتعوذ منه وجواز العمل القليل في الصلاة ٣٩ (٥٤١) بسنده عن أبي هريرة قال سمعت رسول الله ﷺ وذكره، ورواه البخاري في كتاب الصلاة ٧٥ وكتاب الأنبياء ٤٠ والتفسير سورة ٣٨ وأحمد بن حنبل في المسند ٢ : ٢٩٨.

(٢) الحديث رواه الإمام مسلم في كتاب الإيمان ٨٦ باب اختباء النبي ﷺ دعوة الشفاعة لأمته ٣٣٤ (١٩٨) عن ابن شهاب عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: وذكره.

(٣) سورة نوح آية رقم ٢٦.

الذي يعز فيه العفو، ويظهر الجود والكرم من ربنا وما يقضي له هناك. فالخلق إليه أحوج منه في هذه الدنيا مما سأل سليمان (عليه السلام). فإنما سأله مملكة الدنيا. وقد كان أبوه داود (عليه السلام) ممن عرضت عليه الخلافة فقبلها. وكان حاكم الله في أرضه.

وعرضت على لقمان فأبى، فأُعطي الحكمة، فكان حكيم الله في أرضه. قال الله تعالى : ﴿ **ولقد آتينا لقمان الحكمة أن اشكر لله** ﴾[1].

وقال رسول الله (ﷺ) : إن لقمان كان عبداً كثير التفكر، حسن النظر، كثير الصمت، أحب الله فأحبه الله، فمَنَّ عليه بالحكمة. نودي بالخلافة قبل داود (عليه السلام)، فقيل له : يا لقمان، هل لك أن يجعلك الله خليفة في الأرض تحكم بين الناس بالحق. قال لقمان (عليه السلام) : إن جبرني ربي، قبلت. فإني أعلم إن فعل ذلك بي، أعانني وعلمني وعصمني. وإن خيرني ربي، قبلت العافية ولم أسأل البلاء. فقالت الملائكة بصوت لا يراهم : يا لقمان، لم قلت هكذا ؟ قال : لأن الحاكم بأشد المنازل وأكدرها، يغشاه الظلم من كل مكان فيخذل أو يعان. وإن أصاب فبالحري أن ينجو. ولئن أخطأ، أخطأ طريق الجنة. ومن يكن في الدنيا ذليلاً خير من أن يكون شريفا ضائعاً. ومن يختار الدنيا على الآخرة، فاتته الدنيا، ولا يصير إلى ملك الآخرة. فعجبت الملائكة لحسن منطقه، فنام نومة فغط بالحكمة غطاً، فانتبه فتكلم بها. ثم نودي داود (عليه السلام) بعده بالخلافة فقبلها، ولم يشترط شرط لقمان، فأهوى في الخطيئة، فصفح الله عنه وتجاوز.

وكان لقمان يوازره بعلمه وحكمته، فقال داود (عليه السلام) :

---

(١) سورة لقمان آية رقم ١٢.

طوبى لك يا لقمان، أوتيت الحكمة، وصرفت عنك البلية. وأُوتي داود الخلافة وابتلي بالرزية والفتنة. فكان داود (عليه السلام) يحكم بين خلقه. قال الله تعالى : ﴿ **وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب** ﴾[1].

وسخرت له الجبال ليسبحن معه بالعشي والإشراق والطير، كي يزداد قوة على إسعاد الجبال والطير له بذلك، فلا يفتر فترة الآدميين. فإن في الإسعاد قوة. قال الله تعالى : ﴿ **يا جبال أوبي معه والطير** ﴾. ثم قال تعالى : ﴿ **وألنا له الحديد** ﴾[2] فجعل الحديد في يده كالعجين، يعمل الدروع، فجعل قوته ومطعمه منها ليكون من كديده.

وروي في الخبر أنه كان (عليه السلام) يرتفع له كل يوم درع فيبيعه بستة آلاف، فينفق على بني إسرائيل أربعة آلاف وعلى عياله ألفين. فأُوتي داود ما أوتي ثم قيل له : ﴿ **اعملوا آل داود شكراً** ﴾[3].

وأعطي سليمان منطق الطير، والريح، وعين القطر أسيلت له ثلاثة أيام، فاتخذ منها تماثيل على صور الرجال من النحاس.

روى عن إبن عباس (رضي الله عنه) في قوله تعالى : « وتماثيل »، قال : اتخذ سليمان تماثيل من نحاس. فقال : يا رب انفخ فيها الروح، فإنها أقوى على الخدمة، فنفخ الله فيها الروح، فكانت تخدمه، وكان « اسبنديار » من بقاياهم.

فلما انتهت خلافة داود (عليه السلام)، أراد أن يستخلف ابنه سليمان (عليه السلام). قال له سليمان : أبحب الولد تفعل هذا، أم

---

(١) سورة ص آية رقم ٢٠.
(٢) سورة سبأ آية رقم ١٠.
(٣) سورة سبأ آية رقم ١٣.

بشيء أمرك الله تعالى. قال داود (عليه السلام) : بحب الولد. فأبى سليمان (عليه السلام) أن يقبلها حتى أمره الله تعالى بذلك. قال تعالى : ﴿ **وورث سليمان داود** ﴾[1].

وجعل الله تعالى السيف في يد محمد (ﷺ)، والرعب جنده، يرعب منه العدو مسيرة شهر. وجعل قوته ومطعمه من الغنائم. فقيل لداود (عليه السلام) : خذ هذا الحديد فقد ألنتها لك من عطفي عليك لتعمل منه دروعاً، فيكون منها رزقك. وقيل لمحمد (ﷺ) : خذ هذا الحديد الذي قد حددتها من سلطاني، فاضرب بها رقاب أعدائي، وصيرت أموالهم نحلة وطعمة خصصتك بها من بين الخلق، ولم تكن لأحد قبلك. ثم قال : حلالاً طيباً. وفي السيف عز وسلطان وملك ليس في التجارة ذلك، فأنت تجاهد أعدائي لي، وتملك ما خولتهم، فتأخذ منهم ذلك على سبيل القهر، وأنا معك في النصرة.

فلمحمد (ﷺ) في هذا تكرمة العز والسلطان. ولداود (عليه السلام) تكرمة العطف أن لان له الحديد.

قال (عليه السلام) : « إن الله تعالى بعثني بالسيف بين يدي الساعة حتى يعبد الله وحده لا شريك له، وجعل رزقي تحت ظل رمحي، وجعل الذلة على من خالف أمري، ومن تشبه بقوم فهو منهم »[2].

فلما ورث سليمان داود، جعل دعوته في ذلك، فسأل مملكة الدنيا كلها ليسوي الدنيا وأهلها، ويحكم فيهم حكماً يصادف حكمه، وينفي الظلم عن أهل الأرض، وينصف بعضهم من بعض، حتى الجن والإنس،

---

(١) سورة النمل آية رقم ١٦.

(٢) الحديث رواه الإمام أحمد في كتاب المسند ٢ : ٥٠ ثنا محمد بن يزيد يعني الواسطي أنا ابن ثوبان عن حسان بن عطية عن أبي منيب الجرشي عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ وذكره.

والطير والوحوش والسباع، وبقاع الأرضين، والجبال والبحار. فكان له حكم في كل ذلك ومملكة وسلطان وأعين بالريح والشياطين والجن، فسخر ذلك له، وأعطي الفهم لما زيد في المعرفة. قال (عليه السلام) : « إن المعونة تنزل من السماء على قدر المؤنة »[1].

وكان يعول خلقاً من خلق الله تعالى، ويعطف على عبيد الله تعالى وإمائه شفقة على خلق الله، فوهب له ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده، ثم قال : ﴿ **هذا عطاؤنا فأمنن أو أمسك بغير حساب** ﴾[2].

فكان المهنأة فيه أنه لا تبعة له عليه. وجعل نوح (عليه السلام) دعوته إهلال الكفار؛ لتطهر الأرض من أقذارهم، ونجاسة شركهم، شفقة على حق الله؛ ليخلص الحق من أنجاسهم. ومحمد (ﷺ) أخر دعوته الى يوم الثواب والعقاب، ليفتح الله تعالى على لسانه خزائن الرحمة على عبيده في يوم بروز الجود والكرم وشدة الفاقة في ذلك المقام المحمود، فعمت الملائكة والأنبياء والرسل وجميع الموحدين بالرحمة، وسكن الهول واطمأنت القلوب. وكان أهل الموقف كلهم محتاجين إلى ما ادخره (عليه السلام) ليوم القيامة، وصاروا عيالاً عليه حتى قال (عليه السلام) : « إن إبراهيم (عليه السلام) ليرغب إليَّ يوم القيامة في تلك الدعوة ويحتاج إليّ ».

وروي عن أنس (رضي الله عنه)، أنه قال (عليه السلام) : « لكل نبي دعوته دعا بها في أمته فإني اختبأت دعوتي شفاعتي لأمتي يوم القيامة »[3].

---

(١) أبو داود في الآداب ٦٠ باب المعونة للمسلم.

(٢) سورة صّ آية رقم ٣٩

(٣) الحديث أخرجه الإمام مسلم في كتاب الإيمان ٣٤١ بسنده عن أنس بن مالك أن نبي الله ﷺ قال: وذكره ورواه الإمام أحمد في المسند ٣ : ٣٨٤ بسنده عن جابر بن عبدالله ــ رضي الله عنه ــ يقول: وذكره.

الأصل الرابع والسبعون

في نشر السجلات يوم الحشر

عن عبدالله بن عمرو بن العاص (رضي الله عنه) قال : سمعت رسول الله (ﷺ) يقول : « سيصاح برجل من أمتي يوم القيامة على رؤوس الخلائق فينشر عليه تسعة وتسعون سجلاً، كل سجل منها مد البصر، فيقول الله تعالى : عبدي هل تنكر من هذا شيئاً ؟ فيقول : هذه حجتك. فيقول : لا يا رب. فيقول : هل لك من حجة ؟ فيقول : لا يا رب. فيقول : بلى لا ظلم عليك اليوم. فيخرج الله تعالى له بطاقة. فيقول : هذه حجتك. فيقول : أي رب وما تغني هذه البطاقة من هذه السجلات ؟ فيقول : يا عبدي لا ظلم عليك اليوم. فيؤتى بالميزان، فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة، فطاشت السجلات وثقلت البطاقة، وإذا فيها شهادة أن لا إله إلا الله »[1].

---

(١) الحديث رواه الترمذي في كتاب الإيمان باب ١٧ ما جاء فيمن يموت وهو يشهد أن لا إله إلا الله ٢٦٣٩ ــ حدثنا سويد بن نصر أخبرنا عبدالله عن ليث بن سعد، حدثني عامر ابن يحيى عن أبي عبد الرحمن المعافري ثم الحبلي قال: سمعت عبدالله بن عمرو بن العاص يقول: قال رسول الله ﷺ وذكره.

قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب. =

فهذا عبد كثرت سيئاته حتى غمرته فأدركه غوث تلك الكلمة، وليست تلك بأول مما قالها، ولكنها كانت مقالة طاهرة، خرجت من زكاوة قلبه في ساعة من عمره فأنجته، فحاطت ذنوبه وهدمتها وطاشت بالسجلات يوم الوزن لوزن تلك الكلمة. وإنما ثقلت لعظم نورها؛ لأنها خرجت من نور استنار قلبه بالنطق بها. وإذا أراد الله بعبد خيراً، منَّ عليه في ساعة من عمره ونبهه، فإذا انتبه، انفتح قلبه واستنار صدره من تلك الفتحة. فإذا انفتح القلب، خرج النور إلى الصدر فأشرق. فأي كلمة نطق بها في ذلك الوقت، فإنما ينطق على شرح الصدر والمعاينة لصورة تلك الكلمة. فتلك الكلمة تسمى كلمة الإخلاص. وكلمة يقين تثقل في الوزن يوم الوزن، وتكون سبباً لنجاة صاحبها. وهذا لا يكون في شهادة التوحيد، إذ لو كان لها، لاستوى الناس فيها.

وقد روي عن رسول الله (ﷺ) أنه قال : « من قال : لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير، مخلصاً بها روحه، مصدقاً بها لسانه وقلبه، إلا فتقت له السماء فتقاً حتى ينظر الرب سبحانه وتعالى إلى قائلها من أهل الدنيا. وحق لعبد إذا نظر الله إليه أن يعطيه سؤله ».

شرط إخلاص الروح، فإن الروح سماوي خلقها الطاعة. والنفس أرضية خلقها الشهوة معصية كانت أو طاعة. فإذا قال العبد هذه الكلمة في وقت فتحة القلب واستنارته وانشراح الصدر فنمقت النفس وذلت وانخشعت، وتخلص الروح من أسرها وتعلقها به، فصار روحه كالعازم

= ورواه ابن ماجة في كتاب الزهد ٣٥ باب ما يرجى من رحمة الله يوم القيامة ٤٣٠٠ ـــ بسنده عن أبي عبد الرحمن الحبلي قال: سمعت عبدالله بن عمرو يقول: قال رسول الله ﷺ: وذكره.

ورواه الإمام أحمد في المسند ٢ : ٢١٣، ٢٢٢ (حلبي).

على هذه الكلمات بحقائقها فصار خالصاً لله تعالى، وقد باين النفس وهواها، وصدق بها لسانه وقلبه، لأن القلب قد استنار بالكلمات، فاستوى اللسان بالقلب والقلب باللسان. وقد صدق بالكلمة لسانه وقلبه، وأخلص روحه فاستوجب النظر إليه. فإذا أراد الله بعبد خيراً، رزقه فتحة قلبه، وخرجت منه هذه الكلمة في ذلك الوقت، فعظم وزنها وقدرها عند ربها. قال الله تعالى : ﴿ **الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم** ﴾(١) ثم قال : ﴿ **أولئك هم المؤمنون حقاً** ﴾(٢) وصفهم بحقيقة الإيمان.

قالت عائشة وأم الدرداء (رضي الله عنهما) : إنما إيمان الرجل في القلب كاحتراق السعفة، لا يكاد يلبث طويلاً. فإذا وجد أحدكم فليدع الله تعالى، فإن الدعاء عند ذلك يستجاب.

وعن ثابت البناني (رضي الله عنه)، عن رجل قال : إني لأعلم متى يستجاب لي. قالوا : ومن أين تعلم ذلك ؟ قال : إذا اقشعر جلدي ووجل قلبي وفاضت عيناي، فذاك حين يستجاب لي. لأن هذه نفوس لا تحتمل ما يرد على القلب فتقشعر منه الجلود. أما أهل اليقين الذي استنارت صدورهم بنوره، فهذا لهم دائم في الأمور كلها. وهم الذين يذكرون الله تعالى على كل حال. لا ينقطع ذكرهم لأنهم بنور يقينهم قد صارت قلوبهم بين يديه يعبدونه كأنهم يرونه. قال (عليه السلام) : « أعبد الله كأنك تراه ... »(٣) ولأن نفوسهم قد إطمأنت إلى رؤية الملكوت وما يرد على القلوب ومرنت على ذلك واعتادت.

---

(١) سورة الأنفال آية رقم ٢.

(٢) سورة الأنفال آية رقم ٤.

(٣) الحديث رواه الإمام مسلم في كتاب الإيمان رقم ١، ٥، ٧ بسنده الأول عن عمر بن الخطاب، والثاني عن أبي هريرة، وكذلك الثالث وهو جزء من حديث طويل، ورواه الإمام البخاري في كتاب الإيمان ٣٧ وفي كتاب التفسير سورة ٣١، ٢ ورواه الإمام النسائي في الإيمان ٥، ٦.

ومثل ذلك في الدنيا مثل جرة لم يصبها الماء. فإذا وضعتها في الماء انتشقت وسمعت لها قشيشاً. فإذا تكرر عليها ذلك، لم تسمع لها ذلك؛ لأنها قد تشربت من الماء وارتوت. فكذلك قلب العارف قد ارتوى من سقيا الله تعالى.

وعن جابر (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (ﷺ) : قال لي جبرائيل : يا محمد إن الله (عز وجل) يخاطبني يوم القيامة فيقول : يا جبرائيل: ما لي أرى فلان بن فلان في صفوف أهل النار ؟ فأقول : يا رب انا لم نجد له حسنة يعود عليه خيرها اليوم. قال : يقول الله تعالى : إني سمعته في دار الدنيا يقول : يا حنان يا منان فَأْتِهِ فاسأله : ماذا عني بقوله يا حنان يا منان ؟ فآتيه فأسأله فيقول : وهل من حنان ومنان غير الله ؟ فآخذ بيده من صفوف أهل النار فأدخله في صفوف أهل الجنة.

الأصل الخامس والسبعون

في أن غرس الله محفوظ في الدارين

عن أبي عتبة الخولاني (رضي الله عنه) ــ وكان ممن صلى القبلتين مع النبي (ﷺ) ــ قال : قال رسول الله (ﷺ) : « لا يزال الله يغرس في هذا الدين غرساً يستعملهم بطاعته»[1]. فغرس الله محروس في الأحوال، ومحفوظ في الأصلاب والأرحام، ومراعي في قطع الأسفار إليه يكلؤه ويرعاه، وهم رجاله في أرضه وأولياؤه والدعاة إليه. وغرس الله راسخ عروقه في الأرض، باسق فروعه في الملكوت، غرسهم الله تعالى وأنبتهم وهو يجني ثمرتهم.

وغرسهم أي اجتباهم بمشيئته. وأنبتهم أي راض نفوسهم وأدبها، وقوم أخلاقها بتدبيره. وهو يجني ثمرتها. أي لما وصلوا إليه وقبلهم، ورتب لهم عنده في تلك الخلوات والمجالس، وصاروا في قبضته. وهو الذي يستعملهم بطاعته. وهو قوله (عليه السلام) فيما يحكي عن الله تعالى أنه

---

(١) الحديث رواه ابن ماجة في المقدمة ١ باب اتباع سنة رسول الله ﷺ ٨ بسنده عن أبي عتبة الخولاني وكان قد صلى القبلتين مع رسول الله ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول : وذكره. ورواه الإمام أحمد بن حنبل في المسند ٤ : ٤٠٠ (حلبي).

قال : « إذا أحببت عبدي كنت سمعه وبصره ويده ورجله، فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يعقل وبي ينطق »[1].

ومن علامة أولئك أنه يخرجهم من بطون أمهاتهم أحراراً من رق النفوس، قد طبع نفوسهم على أخلاق الكرام من السخاوة والشجاعة والسماحة والحلم والتأني والنزاهة والصيانة. فهذا حر من رق النفس. ومن كان ضد هذه الأشياء مثل البخل والضيق والمكر والعجلة وحدة الشهوة والحرص والجبن، فهو عبد نفسه. فإن رزق تقوى احتاج إلى أن يجاهد نفسه حتى لا يستعجل أركانه بما يصير به عاصياً. فهو وإن جاهد فهذه الأخلاق باطنه. وهو قول عيسى (عليه السلام) : لبني إسرائيل : « فلا عبيد أتقياء ولا أحرار كرماء ». فالعبيد الأتقياء هؤلاء الذين فيهم هذه الأخلاق، فهم أتقياء يتقون الله أن يعصوه بجارحة. وتتردد فيهم هذه الأخلاق. فإن عملوا بطاعة، عملوها بكزازة نفس وجهد. والأحرار الكرماء قد عوفوا من هذه الأخلاق طبعاً. فإن انتهوا عما نهى الله تعالى عنه، لم يحتاجوا إلى أن يحاربوا ويجاهدوا نفوسهم. وإن عملوا بطاعة، عملوها تكرماً وسماحة. فقلبه لين منقاد، ليس فيه كزازة، حيث ما قاده مولاه في أموره، انقاد من غير تلجلج.

قال النبي (ﷺ) : « لا تقولوا للعنب كرم إنما الكرم قلب المؤمن »[2]. وإنما سمِّي العنب كرماً لأنه لين ينقاد حيث ما استقيد.

---

(١) الحديث رواه الإمام البخاري في كتاب الرقاق ٣٨ وقد سبق تخريج الحديث قريباً من هذا.

(٢) الحديث رواه الإمام البخاري في كتاب الأدب ١٠٢ باب قول النبي ﷺ إنما الكرم قلب المؤمن ٦١٨٣ عن الزهري عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة ـــ رضي الله عنه ـــ قال: قال رسول الله ﷺ وذكره. وقد أخرجه ابن أبي عمر في مسنده عن سفيان ومن =

فكذلك المؤمن قلبه لين رطب بذكر الله سبحانه وتعالى، ينقاد لله تعالى في أموره وأحكامه.

= طريقه الاسماعيلي فقال في أوله ويقولون بغير واو، وأخرجه الحميدي في مسنده ومن طريقه أبو نعيم وذكره بالواو كما ذكره البخاري عن علي بن عبدالله، وكذا أخرجه أحمد في مسنده عن سفيان ولكن قال فيه، عن أبي هريرة رفعه، وأخرجه مسلم عن ابن أبي عمر، وعمرو الناقد قالا: حدثنا سفيان بهذا السند قال: قال رسول الله ﷺ وذكره.

الأصل السادس والسبعون

في منع الشيطان من المشاركة في كل شيء

عن نبيشة الخير وأنس بن مالك (رضي الله عنه) قالا : قال رسول الله (ﷺ) : « من أكل من قصعة ثم لحسها استغفرت له القصعة وصلت عليه »[1].

المؤمن إذا سمى الله تعالى على كل أمر، منع الشيطان من مشاركته في طعامه وشرابه ولباسه وجميع أموره. وإذا ترك التسمية، وجد فرصة فشاركه في ذلك حتى في إتيانه أهله.

وعن مجاهد (رضي الله عنه) قال : إذا جامع الرجل أهله ولم يسم انطوى الجان على إحليله فجامع معه. فذلك قوله تعالى : ﴿ **لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان** ﴾[2].

---

(١) رواه الترمذي عن أم عاصم وكانت أم ولد لسنان بن سلمة قالت دخل نبيشة الخير ونحن نأكل في قصعة، فحدثنا أن رسول الله ﷺ قال وذكره، وأخرجه ابن ماجة، وأحمد، والبغوي والدارقطني وأورده بعضهم بلفظ تستغفر الصفحة للاحسها، وأخرجه ابن خثيمة وابن السكن وابن شاهين وقال الترمذي غريب، وثبت في مسلم عن جابر الأمر بلعق الأصابع والصحفة فإنكم لا تدرون في أي شيء من طعامكم البركة، وفي لفظ لابن حبان، ولا يرفع الصحفة حتى يلعقها فإن آخر الطعام بركة.

(٢) سورة الرحمن آية رقم ٥٦.

وعن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال : قام رسول الله (ﷺ) يخطب فقال : « إن الله (عز وجل) أمرني أن أعلمكم ما علمني وأن أؤدبكم، إذا اقمتم على أبواب حجركم فسلموا يرجع الخبيث عن منازلكم. وإذا وضع بين يدي أحدكم طعام فليسم كيلا يشارككم الخبيث في أرزاقكم. ومن اغتسل بالليل فليحاذر على عورتـه. فإن لم يفعل فأصابه لمم فلا يلومن إلا نفسه. وإذا رفعتم المائدة، فاكنسوا ما تحتها فإن الشياطين يلتقطون ما تحتها، فلا تجعلوا لهم نصيباً في طعامكم » .

وعن ابن مسعود (رضي الله عنه) قال : إذا وضعت يدك في الطعام فنسيت أن تقول بسم الله، فقل حين تذكر : بسم الله في أوله وآخره، فإنما يمتنع المؤمن من هذا العدو باسم الله تعالى . فإذا سمى على طعامه، فالشيطان منه بمزجر الكلب. وإذا فرغ من الطعام ولم يلحس القصعة، جاء الشيطان فلحسها لينال ما بقي هناك. فإذا لحسها، فقد خلصها من الشيطان ولحسه فاستغفرت له وصلت عليه شكراً له.

الأصل السابع والسبعون

في حقيقة الرؤيا وان الشيطان لا يتمثل بالنبي (ﷺ)

عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (ﷺ) : من رآني في المنام فقد رآني فإن الشيطان لا يستطيع أن يتمثل بي فكان الرجل إذا قص عليه الرؤيا يقول له : كيف رأيته ؟ فإن جاء بالرؤيا على وجهها، وإلا قال : لم تره[1].

قوله : من رآني في المنام أي على نعتي الذي أنا عليه. واعلم أن الرؤيا على ثلاث منازل : منها ما يريه الملك الموكل على الرؤيا، فذاك حق. ومنها ما يمثل له الشيطان. ومنها ما يحدث به المرء نفسه.

---

(١) الحديث رواه البخاري في كتاب العلم ٣٨ باب إثم من كذب على النبي ﷺ ١١٠ عن أبي حصين، عن أبي صالح، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: وذكره. والتعبير ١٠ ورواه الإمام مسلم في الرؤيا ١ باب قول النبي ﷺ من رآني في المنام فقد رآني ١٠ بسنده عن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ وذكره، ورواه أبو داود في الأدب ٨٨ والترمذي في الرؤيا ٤، ٧ وابن ماجة في الرؤيا ٢ والدارمي في الرؤيا ٤ وأحمد بن حنبل في المسند ٢ : ٢٣٢، ٢٦١، ٣٤٢ (حلبي).

قال (ﷺ) في رواية أبي هريرة (رضي الله عنه) : الرؤيا ثلاثة : فرؤيا حق. ورؤيا يحدث به المرء نفسه. ورؤيا تحزين من الشيطان. فمن رأى ما يكره فليقم فليصل[1].

وفي رواية أبي قتادة (رضي الله عنه) قال : سمعت رسول الله (ﷺ) يقول : الرؤيا على ثلاث منازل : فمنها ما يحدث به المرء نفسه ليست بشيء. ومنها ما يكون من الشيطان، فإذا رأى أحدكم ما يكره، فليبصق عن يساره، وليستعذ بالله من الشيطان فلن يضرّه بعد ذلك. ومنها بشرى من الله تعالى. ورؤيا الرجل الصالح جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة. فإذا رأى أحدكم رؤيا فليعرضها على ذي رأي ناصح فليقل خيراً أو ليتأول خيراً. فقال عوف بن مالك الاشجعي (رضي الله عنه) : والله يا رسول الله لو كانت حصاة من عدد الحصى لكان كثيراً.

وفي رواية لقيط بن عامر (رضي الله عنه) أنه قال (ﷺ) : « الرؤيا على رجل طائر ما لم تعبر فإذا عبرت، وقعت »[2].

فالرؤيا أصله حق جاء من عند الحق، يخبر عن أنباء الغيب، وهو من الله تعالى تأييد لعبده بشرى ونذارة ومعاتبة ليكون له فيما ندب له ودعي إليه عونا. وقد وكل بالرؤيا ملك يضرب من الحكمة الأمثال. وقد اطلع على قصص ولد آدم من اللوح. فهو ينسخ منها، ويضرب لكل على قصة

---

(١) الحديث رواه الإمام مسلم في كتاب الرؤيا ٦ (٢٢٦٣) عن أيوب السختياني عن محمد ابن سيرين عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: وذكره، والترمذي في الرؤيا ١، ٧، ١٠ وابن ماجة في الرؤيا ٣ والدارمي في الرؤيا ٦ وأحمد بن حنبل ٢ : ٣٦٥ في المسند (حلبي) والبخاري في كتاب التعبير ٢٦.

(٢) الحديث رواه ابن ماجة في كتاب الرؤيا ٦ باب الرؤيا إذا عبرت وقعت فلا يقصها إلا على واد ٣٩١٤ عن يعلى بن عطاء عن وكيع بن عدس العقيلي عن عمه أبي رزين أنه سمع النبي ﷺ يقول وذكره وفيه زيادة عند ابن ماجة، وأحمد بن حنبل ٤ : ١٠ (حلبي).

مثله. فإذا نام وخرجت نفسه تمثل له تلك الأشياء على طريق الحكمة لتكون له بشرى أو نذارة أو معاتبة، ليكونوا على بصيرة من أمورهم.

فأما البشرى فمثل ما يروى أن صهيباً جاء إلى أبي بكر (رضي الله عنه) فقال : إني رأيت كأن يدك مغلولة إلى عنقك إلى سرير الى الحشر. فقال أبو بكر (رضي الله عنه) : الله أكبر جمع لي ديني إلى يوم الحشر.

وأما النذارة فما يروى عن معاذ بن جبل (رضي الله عنه) أنه رجع من اليمن بعد وفاة رسول الله (ﷺ) قدم معه برقيق قد أصابه هناك. فقال له عمر : إذهب بها إلى أبي بكر حتى تطيب لك، فأبى وقال : إنما بعثني رسول الله (ﷺ) ليجبرني فيما أصابني من الدين وطيب لي الهدية. فلما رجع إلى أهله وبات، رأى تلك الليلة كأنه قد وقع في ماء غمره، فأتاه عمر فأخذ بيده حتى أخرجه منها. فلما أصبح غدا بالسبي إلى أبي بكر (رضي الله عنه) فقص عليه قصته. فقال أبو بكر : قد علمت أن رسول الله (ﷺ) إنما بعثك ليجبرك، هم لك حل.

وما روي في فتح نهاوند حيث حمل إلى عمر « السفطين » فيهما حلي. وقد كان « للنجيرجان » كنز، فدلّه ذلك الرجل على الكنز على أن له الأمان ولأهل بيته. فجمع ذلك فحمله السائب بن الأقرع إلى عمر (رضي الله عنه) مع أصحابه، فجمع أصحاب رسول الله (ﷺ) فختمه ووضعه في خزائنه. فرأى تلك الليلة كأن ملائكة جاءت « بسفطين » فأوقدوا ما فيهما جمراً يتوقد، فجعلت أنثني عنهما وأنكص واقدم إليهما، فكاد ابن الخطاب يحترق، فأتبعه بريداً إلى الكوفة حتى جاء فقال : ما لي ولك يا سائب، إني رأيت كذا، فاذهب بهما إلى الكوفة وبعهما بأعطيات المقاتلة والذرية.

وأما المعاتبة فما روى سليمان بن يسار قال : استيقظ أبو أسيد الأنصاري (رضي الله عنه) ليلة وهو يقول : إنا لله وإنا إليه راجعون فاتني وردي الليلة. وكان وردي البقرة، فقد رأيت في المنام كأن بقرة تنطحني.

وأما الخبر الذي يلقي إليه من أمر الدنيا والآخرة مثل ما روى ابن عمر (رضي الله عنهما) قال : جاء رجل إلى عمر وهو عند أبي بكر (رضي الله عنهما) فقال : إني رأيت رؤيا. فقال عمر (رضي الله عنه) : لا حاجة لنا برؤياك. فقال أبو بكر. هات. قال : رأيت كأن الناس قد حشروا فكأنك قرعت الناس بثلاث بسطات. قلت : بأي شيء قرع عمر الناس بثلاث بسطات ؟ قال : بأنه يكون خليفة، وأنه لا تأخذه في الله لومة لائم، وأنه يقتل شهيداً. فقال عمر (رضي الله عنه) : أضغاث أحلام، لا حاجة لنا برؤياك. قال أبو بكر (رضي الله عنه) : رأيت خيراً وخيراً يكون. فلما أتى عمر (رضي الله عنه) الشام وبصر بالرجل، قال : عليَّ بالرجل. وقال : أنت صاحب الرؤيا ؟ قال : وما تصنع برؤياي وما تنتهرني حتى أني قد جئت بأمر. قال : قصها. قال : رأيت كأن الناس يحشرون، فرأيتك قرعت الناس بثلاث بسطات. فقلت : بأي شيء قرع عمر الناس بثلاث بسطات ؟ قال : بأنه يكون خليفة. قال : فقد كانت، نسأل الله خيرها ونعوذ بالله من شرها. قال : وبأنه لا تأخذه في الله لومة لائم. قال : إني أرجو من الله أن يكون كذلك، أو أن يعلم الله ذلك مني. قال : وبأن تقتل شهيداً. قال عمر (رضي الله عنه) : أما الشهادة فأنى الشهادة. ثم قال : بلى يأتي الله بكافر فينقرني نقر الديك، فيكرمني الله بهوانه ويهينه بكرامتي.

وكان شأن الرؤيا عظيماً عند رسول الله (ﷺ) وأصحابه. روي عن سفينة قال : كان رسول الله (ﷺ) إذا صلى الصبح أقبل على أصحابه، قال : أيكم رأى الليلة رؤيا ؟. فقال ذات يوم ذلك فقال رجل : أنا يا رسول الله رأيت كأن ميزاناً دلي من السماء فوضعت في كفة الميزان ووضع أبو بكر في كفة، فرجحت بأبي بكر، ثم رفعت وترك أبو بكر. ثم جيء بعمر فوضع في الكفة الأخرى، فرجح أبو بكر بعمر، ثم رفع أبو بكر، وترك عمر حتى جيء بعثمان فوضع في الكفة الأخرى، فرجح عمر

بعثمان، ثم رفع الميزان. فتغير وجه رسول الله (ﷺ) ثم قال : خلافة نبوة ثلاثين عاماً ثم يكون ملك[1]. قال سفينة : أمسك سنتين أبو بكر، وعشراً عمر، وثنتي عشرة عثمان وستاً علي (رضوان الله عليهم أجمعين).

الرؤيا من أخبار الملكوت من الغيب وهو جزء من أجزاء النبوة. وقد قال (عليه السلام) يوم وفاته : « انه لم يبق بعدي من مبشرات النبوة إلا الرؤيا الصالحة ». وقال الله تعالى : ﴿ **لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة** ﴾ .

قال عبادة بن الصامت (رضي الله عنه) : سألت رسول الله (ﷺ) عن قوله تعالى : ﴿ **لهم البشرى في الحياة الدنيا** ... ﴾ قال : هي الرؤيا الصالحة، يراها الرجل المسلم أو ترى له :

وعن عبادة (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (ﷺ) : « رؤيا المؤمن كلام يكلم به العبد ربه في المنام ».

وقال بعض أهل التفسير في قوله تعالى : ﴿ **وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب** ﴾[2] قال في منامه.

وعلم الله تعالى يوسف (عليه السلام) تأويل الرؤيا وسماه حديثاً فقال تعالى : ﴿ **ولنعلمه من تأويل الأحاديث** ﴾[3].

---

(١) الحديث رواه الترمذي في كتاب الفتن باب ٤٨ ما جاء في الخلافة ٢٢٢٦ ــ عن سعيد ابن جمهان قال حدثني سفينة قال: قال رسول الله ﷺ: وذكره.
قال الترمذي: وفي الباب عن عمر وعلي: وهذا حديث حسن قد رواه غير أحد عن سعيد بن جمهان ولا نعرفه إلا من حديث سعيد بن جمهان ورواه أبو داود في السنة ٨ وأحمد بن حنبل في المسند ٤ : ٢٧٣، ٥ : ٤٤ (حلبي).

(٢) سورة الشورى آية رقم ٥١ وقد جاءت محرفة في المطبوعة حيث قال « ما » بدون الواو.

(٣) سورة يوسف آية رقم ٢١.

والمحدث على ثلاثة أنواع : محدث بالوحي وهو الذي يخفق على القلب بالروح. ومحدث في المنام أمره على الأرواح، إذا خرجت الأرواح من الأجساد كلموا. ومحدث في اليقظة على القلب بالسكينة. فيعقلوه ويعلموه.

أما المحدث في المنام مثل ما روي عن رقية بن مصقلة قال : رأيت رب العزة (جل جلاله) في المنام فقال : وعزتي وجلالي لأكرمَـنَّ مثوى سليمان التيمي. وما روي عن إبراهيم بن أدهم (رحمه الله) أنه قال ذات يوم : اللهم فإنه قد وقع الشوق إليك في قلبي والنظر إليك. وقد علمت أنك لا ترى في الدنيا، فهب لي من عندك ما يسكن إليه قلبي، فغفى في مجلسه ذلك، ثم أفاق فقال : سبحان الله. فقيل له : لم سبحت ؟ قال : من لطف ربي، إني بينما أنا غافٍ إذ أتاني آت من ربي فقال : يا رجل أجب ربك. فأتيت ربي فكاد يذهب بصري لنور ربي. فناداني ربي فقال : « يا إبراهيم تسألني بدلاً من النظر إليَّ والشوق إلى لقائي فهل لذاك من بدل ؟ » فقلت : يا رب دهشت في حبك وكان قلبي إليك فلم أتمالك أن قلت ما قلت، فكيف تأمرني أن أقول ؟ فقال : « يا إبراهيم من وجدت قلبه خالياً من الدنيا والآخرة، ملأته حبي. حتى إذا ملأته قبضت عنه فكان في قبضي. فإذا كان في قبضي، كنت سمعه الذي به يسمع، وبصره الذي به يبصر، ويده الذي بها يبطش، وعزتي وجلالي لو سألني جميع الدنيا كلها في كفه، لفعلت. وكيف يتفرغ الى المسألة من سهلت له السبيل إلى نفسي، وأريته كرامتي. فإن كنت لا بد سائلاً فاسألني أن أجمعك إليَّ، وأونسك بكلامي، وآذن لأرواح أنبيائي في الالتقاء معك، فإن ذلك يهون عليَّ لأوليائي ».

وهذا لأن العامة في تخليط من الشهوات وميل النفوس. فلم يكلموا الا بعد مزايلة الأرواح من النفوس والشهوات. ولما صفت عقول المحدثين وطهرت قلوبهم وتنزهت من الآفات والشهوات والعلائق، كلموا على

القلوب. فإذا كان الكلام على الأرواح في المنام جزءاً من ستة وأربعين جزءاً من النبوة، كان الكلام على القلوب في اليقظة أكثر من ثلث النبوة على قدر قربها من ربها في تلك المجالس.

وعن أبي سلمة (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (ﷺ) : بينا أنا نائم إذا اتيت بقدح لبن، فشربت منه حتى أني لأرى الري جرى من أطرافي. ثم أعطيت فضلي عمر بن الخطاب. فقال من حوله : ماذا أولته يا رسول الله؟ قال : العلم. قال : ورأيت الناس يعرضون عليَّ وعليهم قمص منها ما يبلغ الثدي، ومنها ما يبلغ الركب، ومر عمر وعليه قميص يجره. قالوا : فما أولته يا رسول الله ؟ قال : الدين .

الأصل الثامن والسبعون

في أن المعدة إذا كانت صحيحة ترجى معها النجاة

عن بهز بن حكيم، عن أبيه، عن جده، حدثنا رسول الله (ﷺ) أنه كان عبد من عباد الله آتاه الله مالاً وولداً فكان لا يدين لله ديناً، فلبث حتى إذا ما ذهب عمر وبقي عمر ذكر، فعلم أنه لم يبتئر[1] عند الله خيراً دعا بنيه فقال : أي بني تعلموني قالوا : خيراً يا أبانا. قال : فإني والله لا أدع عند رجل منكم مالاً هو مني إلا أنا آخذ منه، أو لتفعلن بي ما آمركم، فأخذ منهم ميثاقاً وَرَبِّي[2]. قال : اما اني فإذا مت فخذوني فألقوني في النار حتى إذا كنت حمماً فدقوني، ثم اذروني في الريح لعلي أضل الله. ففعلوا به ورب محمد حين مات، فجيء به أحسن ما كان قط، فعرض على ربه. فقال : ما حملك على النار ؟ قال : خشيتك يا رباه. قال : إني أسمعك راهباً. فتيب عليه[3].

---

(١) وفي بعض النسخ لم ابتهر ومعناه: لم يقدم خيراً قط.

(٢) وربِّي: على القسم.

(٣) الحديث رواه الإمام مسلم بسنده ٣٧ ــ (٢٧٥٧) في كتاب التوبة عن أبي سعيد =

وفي رواية أبي سعيد (رضي الله عنه) : دخل رجل الجنة ما عمل خيراً قط، فذكر الحديث.

وفي رواية أبي بكر (رضي الله عنه) : فيقول الله (عز وجل) : انظر إلى ملك أعظم ملك في الدنيا، فإن لك مثله وعشرة أمثاله. فيقول : لم تسخر بي وأنت الملك. قال رسول الله (ﷺ) : فذاك الذي أضحكني.

قوله : « لا يدين لله ديناً » أي لم يكن يسير في شريعته سير المطيعين. فأما قبول الشريعة فلم يكن يخلو منه. إذ لو جحد الدين لكفر. وهو مثل قوله في الحديث الآخر : « لم يعمل خيراً لله قط ». قوله : « أسمعك راهباً » أي رهبت مني. وهو كقوله : هربت مني. والهرب بالنفس، والرهب بالقلب. فهذا عبد كانت المعرفة استقرت في قلبه بالتوحيد لله تعالى، وبالمبعث بعد الموت، والثواب والعقاب. والغالب عليه الجهل بالله وبأمره، فأهمل الحدود وعطل العمر. فلما حضره الموت، هاج منه خوف التوحيد، فأعمل في قلبه، فطلبته نفسه الجاهلة بالله ملجأ وخلاصاً من الله، فدلته نفسه على ما أوصى به أهله من الإحراق والسحق والتذرية، فذهل عقله من المخافة، وانقطعت حيله فهذا بذلك، فألجأه الله تعالى بالمعرفة من غير التفات الى العبودة. قال الله تعالى : ﴿ **الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون** ﴾[1].

فلم يعمل خيراً قط، فأدركته دولة السعادة، فأصاب حظاً من الخشية. والخشية إنما تنال عند كشف الغطاء وانشراح الصدر بالنور. وكان قد

= الخدري عن النبي ﷺ مع الاختلاف في بعض الألفاظ ورواه الإمام البخاري في كتاب التوحيد ٣٥ باب قول الله تعالى: ﴿ **يريدون أن يبدلوا كلام الله** ﴾ ٧٥٠٨ بسنده عن أبي سعيد الخدري، وكذا أخرجه أبو نعيم في المستخرج من رواية اسحاق بن ابراهيم الشهيدي عن معتمر.

(١) سورة الأنعام آية رقم ٨٢.

سبق له من الله تعالى أثرة وحظ. وهو يقطع عمره في رفض العبودة ويضيعها. فلما حضر أوان شخوصه إلى الله تعالى، جاءت الأثرة والسعادة بذلك الحظ الذي كان سبق له، فاستنار الصدر بالنور، وانكشف الغطاء حتى صار بحال لا يعقل ما يقول من الرهب من الله تعالى، فقدم عليه معها، فغفر له بخشيته.

وروي عن رسول الله (ﷺ) أنه قال : « بينما عبد لم يعمل لله خيراً قط، ففرق فخرج هارباً فجعل ينادي : يا أرض اشفعي لي، ويا سماء اشفعي لي، ويا كذا اشفعي لي. حتى أصابه العطش، فوقع. فلما أفاق، قيل له : قم فقد شفع لك من قبل فرقك من الله تعالى » .

وعن العباس (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (ﷺ) : « إذا اقشعرّ جلد العبد من خشية الله، تحاتت عنه خطاياه كما تحات عن الشجرة البالية ورقها »[1].

وروي عن رسول الله (ﷺ) أنه قال : قال الله تعالى : « وعزتي لا أجمع على عبدي خوفين، ولا أجمع له أمنين، فمن خافني في الدنيا، أمنته في الآخرة »[2].

---

(١) الأثر لم يذكره صاحب الجامع الصغير ولا يوجد في الصحاح

(٢) سبق تخريج هنا الحديث قريبا من هذا

الأصل التاسع والسبعون

في أن في الخل منافع الدين والدنيا

عن عائشة (رضي الله عنه) قالت : قال رسول الله (ﷺ) : « ما أقفر بيت فيه خل »[1]. أقفر أي خلا. والخل من الأدم التي تعم منافعها.

وقيل في تفسير قوله تعالى : ﴿ **تتّخذون منه سكراً ورزقاً حسناً** ﴾ أنه الخل. وفيه منافع الدين والدنيا. فلذلك قال : « ما أقفر بيت فيه خل » أي ما خلا من أمر الدين والدنيا. وذلك بأنه بارد يطفئ حرارة الشهوة ويقطعها.

وعن عمرة بنت عبد الرحمن قالت : كان عامة أدم أزواج النبي (ﷺ) بعده الخل ليقطع عنهن ذكر الرجال.

وخلق ابن آدم مجبولاً على الشهوات، الرجال منهم والنساء. وكلما

---

(١) الحديث رواه الترمذي في كتاب الأطعمة باب ٣٥ ما جاء في الخل ١٨٤١ عن أبي حمزة الثمالي عن الشعبي عن أم هانئ بنت أبي طالب قالت: دخل على رسول الله ﷺ فقال: هل عندكم شيء.. ؟ فقلت لا. إلا كسر يابسة وخل فقال النبي ﷺ وذكره. وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه. ورواه ابن ماجة في كتاب الأطعمة ٣٣.

وجدوا عوناً لهم على طفء ذلك منهم، كان عوناً لهم. وكل شيء هو عون للدين فالبركة حالة به. وإذا بورك في الشيء، سعد به أهله.

قال (عليه السلام) فيما رواه أنس (رضي الله عنه) : « نعم الادام الخل »[1].

---

(١) الحديث رواه الترمذي في كتاب الأطعمة باب ٣٥ ما جاء في الخل ١٨٣٩ ــ عن سفيان عن أبي الزبير عن جابر عن النبي ﷺ قال: وذكره. ورواه ابن ماجة في كتاب الأطعمة: باب الائتدام بالخل ورواه الإمام مسلم في الأشربة: باب فضيلة الخل والتأدم به.

الأصل الثمانون

في دفع المنكرات بالدعاء

عن زياد بن علاقة، عن عمه (رضي الله عنه) قال : كان رسول الله (ﷺ) يقول : اللهم جنبني منكرات الأعمال والأخلاق والأهواء والأدواء.

ابن آدم لا ينفك فيما عده (عليه السلام) في متقلبه ليلاً ونهاراً. فالكبائر منكرات الأعمال. وسوء الخلق من منكرات الأخلاق وهو الحقد والحسد والبخل والشح وما أشبهه، والزيغ منكرات الأهواء. والسل وذات الجنب والجذام وما أشبهه منكرات الأدواء. وهذه كلها بوائق الدهر. وكان (ﷺ) يقول : « أعوذ بك من بوائق الدهر وفجأة النقم »[1].

فأما منكرات الأعمال والأخلاق والأهواء فمنها ما يعظم الخطب فيه

---

(١) الحديث رواه أبو داود في كتاب الوتر ٣٢ ورواه الإمام مسلم في كتاب الذهر والدعاء ٩٦ (٢٧٣٩) عن موسى بن عقبة عن عبدالله بن دينار عن عبدالله بن عمر قال: كان من دعاء النبي ﷺ وذكره ولفظه: « اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك وتحول عافيتك وفجاءة نقمتك وجميع سخطك ».

حتى يصير منكراً، غير متعارف فيما بينهم، فذاك الذي يشار إليه بالأصابع.

روي أن عبدالله بن عائذ الثمالي (رضي الله عنه) حين حضرته الوفاة، قال له غضيف بن الحارث : إن إستطعت أن تلقانا فتخبرنا ما لقيت، فتوفي فرؤي في المنام فقال : وجدنا ربنا خير رب، يقبل الحسنات ويغفر السيّئات، إلّا ما كان من الأحراض. قيل : وما الأحراض ؟ قال : الذي يشار إليه بالأصابع في الشر.

وروى الحسن (رضي الله عنه) أن رسول الله (ﷺ) قال : « بحسب إمرئ من الشر أن يشار إليه بالأصابع في دين أو دنيا إلا من عصمه الله تعالى[1]. إنما يشار إليه في دين لأنه أحدث بدعة ومنكراً، وفي دنيا أحدث منكراً من الكبائر فأشير إليه »

وقوله (عليه السلام) : بحسبه من الشر لأنه قد هتك الله ستره. والمهتوك ستره يكون في دنياه في عار، وغداً في النار. ومن ستر الله عليه في الدنيا، رجا له العفو في الآخرة.

قال عليه السلام : « إذا ستر الله على عبد في الدنيا، لم يفضحه غداً ».

وقال علي (رضي الله عنه) : أقسم على ذلك من غير أن أستثني، لا يستر الله على عبد فيفضحه غداً.

---

(١) الحديث رواه البيهقي في شعب الايمان عن أنس وعن أبي هريرة وذكره السيوطي في الجامع الصغير

الأصل الحادي والثمانون

في أن النفس تألف بمن يبرها وبيان سره

عن جابر (رضي الله عنه) قال : سمعت رسول الله (ﷺ) يقول : « إذا دُعي أحدكم إلى طعام فليجب فان شاء طعم وإن شاء ترك »[1].

المقصود من الدعوة ابتغاء الألفة والمودة. وفي النفس هناة وفي الصدر سخائم، والنفوس جبلت على حب من أكرمها. وقد حثهم رسول الله (ﷺ) على الاجابة ليصل ذلك البر الذي بر به أخوه حتى تتأكد الألفة، وتصفو المودة، وتنفي حزازات الصدر. فإن صاحب الغل والحقد لا يسلم له دينه من سوء ما يضمر لأخيه. فالإطعام بر للنفس يطفي حرارة الحقد وينفي مكامن الغل. وقد كانت للقوم أحقاد الجاهلية فألف الله تعالى بين قلوبهم بالإيمان، فحثهم رسول الله (ﷺ) على إجابة الدعوة لألفة النفوس. ولذلك قال (عليه السلام) : « من لم يجب الدعوة فقد عصى الله ورسوله »[2] لأنهم كانوا يتخذون الطعام يدعون عليها لنفي السخيمة.

---

(١) الحديث رواه الإمام مسلم في كتاب النكاح ١٠٥ (١٤٣٠) عن أبي الزبير عن جابر ــ رضي الله عنه ــ قال: قال رسول الله ﷺ: وذكره.

(٢) الحديث رواه الإمام مسلم في كتاب النكاح ١٠٧ (١٤٣٢) عن ابن شهاب عن الأعرج =

فمن امتنع عليه ليثبت على الغل والحقد، فقد عصى الله ورسوله، وامتنع من حق عظيم. والألفة من ثلاثة وجوه. إذا حصل تأكد واستتم. فالقلب يألف بالإيمان الذي في قلب صاحبه. والروح تألف بطاعته. والنفس من شأنها الشهوة واللذة، وليست همتها الإيمان والطاعة، فتألف ببرها. فإذا برها، صفت وصارت طوعاً. وإلا فهو كالمكره. فإنما دعاه أخوه إلى قبول بره فندبه (ﷺ) إلى أن يقبل ذلك من أخيه كيلا يضيع كرامته، ولا يجد الشيطان سبيلاً إلى وسوسته بالشر. ثم له الخيار إن شاء طعم، وإن شاء ترك. وترك الإجابة مما يدل على الجفاء والبعد والاستهانة به. فهناك يجد العدو سبيلاً، إلا أن يعتذر إليه المدعو، فيقبل الداعي عذره. وإن أحس بالشر في الدعوة، فله في التخلف عنها عذر، مثل إن كان ذلك الطعام لمباهاة أو رياء، فله عذر في ترك الإجابة. وقد نهى (عليه السلام) عن طعام المتباهين أن يؤكل، أو يكون في تلك الدعوة أمور منهي عنها من اللهو واللعب المحظور عليهم، فهذا عذر؛ لما روى الحكم بن عمير وكان بدرياً، قال : أرسل رجل من الأنصار إلى رسول الله (ﷺ) يدعوه إلى طعام، وكان (عليه السلام) يحفر الخندق، فجاء وأصحابه. فقال : ادخل يا نبي الله البيت، فدخل فرأى البيت منجداً مستراً فخرج. فقال : يا رسول الله ما أخرجك ؟ فقال : أطعمنا بالفناء. فأطعمهم، حتى إذا شبع القوم. فلما تفرقوا قال : يا رسول الله، لو كنت دخلت فإن البيت كان أبرد وأطيب. قال : إنك نجدت البيت وسترته وهذا لا يحل شبهته بيت الله، ولو شئت بسطت فيه وطرحت فيه وسائد.

= عن أبي هريرة أنه كان يقول: بئس الطعام طعام الوليمة يدعى إليه الأغنياء ويترك المساكين: وذكره.

الأصل الثاني والثمانون

في أصل الأدوية وسر الحكمة في التداوي

عن عبدالله بن مسعود (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (ﷺ) : « إن الله تعالى لم ينزل داء إلا أنزل له شفاء علمه من علمه وجهله من جهله »[1].

وعن أسامة بن شريك (رضي الله عنه) يقول : شهدت الأعراب يسألون رسول الله (ﷺ) : هل علينا جناح في كذا ؟ هل علينا جناح أن نتداوى ؟ فقال : « تداووا عباد الله، فإن الله تعالى لم ينزل داء إلا وضع له شفاء إلا الهرم »[2].

---

(١) الحديث عند ابن ماجة في كتاب الطب ١ باب ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء ٣٤٣٨ عن عطاء بن السائب عن أبي عبد الرحمن عن عبدالله بن مسعود ـــ رضي الله عنه ـــ عن النبي ﷺ قال: وذكره.

(٢) الحديث عند الترمذي في كتاب الطب باب ٢ ما جاء في الدواء والحث عليه ٢٠٣٨ عن زياد بن علاقة عن أسامة بن شريك قال: قالت الأعراب يا رسول الله ألا نتداوى. قال: نعم. وذكره، ورواه ابن ماجة في كتاب الطب ٣٤٣٦ بالسند السابق: في الزوائد: إسناده صحيح ورجاله ثقات وقد روى بعضه أبو داود في الطب: باب ما جاء في الرجل يتداوى والنسائي: في الطب والعلم.

فالطبائع تتغير بحدوث الأزمنة من الحر والبرد وفساد الهواء، فيصير داء في الأجساد، وتحدث في الجسد الأحداث من الطعم وما يتعاطاه ابن آدم من قضاء الشهوات واللذات والنصب والسهر والتعب والهموم، وما يجتمع في الجسد من الدم والمرة والبلغم وكل ذلك يحدث منه ما يتغير حاله، فيحتاج إلى دواء يسكن منه ما هاج. فهذا تدبير الجسد. فإذا ترك تدبيره، ضيعه كما لو ترك تدبير المعاش ضاع. فالتداوي حق وهو فعل الأنبياء (عليهم السلام). وقدم رسول الله (ﷺ) المدينة وهم يلقحون النخل، فقال : ما أرى يغني هذا شيئاً. فذهبت عامة ثمارهم وصارت دفلاً. فعرف أن التدبير من الله تعالى في ذلك غير ما رأى. فأمرهم أن يعودوا إلى ما كانوا عليه. فكذا وضعت علل الأجساد ان تعالج حتى ترد إلى الهيئة التي كانت عليها. ولولا ذلك لكانت الأدوية مهملة، ولم يخلقها الله تعالى عبثاً. وكان سليمان (عليه السلام) تنبت في محرابه كل يوم شجرة ثم تناديه الشجرة : أنا دواء لكذا، فتقطع وتوضع في ديوان الطب. فعامة الطب إنما ورثوه من تلك الكتب.

فالناس في التداوي على ثلاث طبقات :

فالطبقة الأولى هم الأنبياء والأولياء (عليهم السلام) أهل يقين ومشاهدة يتداوون وقلوبهم مع خالق الدواء الذي جعل الشفاء في ذلك الدواء. فهم يتداوون على ما هيأ لهم من التدبير وينتظرون الشفاء من الله تعالى، وقلوبهم خالية عن فتنة الدواء.

والطبقة الثانية هم أهل اليقين، لم يأمنوا خيانة نفوسهم أن تطمئن إلى الدواء وتركن إليه فيفروا من ذلك. فكلما عرض لهم داء، فوضوا الأمر في ذلك الى الله تعالى وتوكلوا عليه، ولم يتكلفوا تداوياً. وتركوا التداوي من ضعف يقينهم خوفاً على قلوبهم أن تطمئن نفوسهم الى الدنيا، فيصير سبباً يتعلق به قلوبهم. والأول أعلى وأقوى.

والطبقة الثالثة أهل تخليط وقلوبهم مع الأسباب لا ينفكون منها. فهم محتاجون الى التداوي ولا يصبرون على تركها وهم العامة.

عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (ﷺ) : « المؤمن القوي خير وأحب إلى الله تعالى من المؤمن الضعيف، وفي كل خير، احرص على ما ينفعك ولا تعجز. فإن غلبك أمر فقل : قدر الله وما شاء. فعل وإياك واللو. فإن اللو يفتح عمل الشيطان »[1].

فالأقوياء تداووا ومروا في الحيل والأسباب وقلوبهم مع رب الأدوية لا مع الأسباب، وهم الأنبياء والأولياء (عليهم السلام). والمؤمن الضعيف انه يحجبه تداويه عن الله تعالى ويتعلق قلبه به، وذلك لضعف يقينه، وفي كل خير. والقوي أحب إلى الله تعالى.

وقوله : « احرص على ما ينفعك » أي استعمل تدبير الله تعالى في هذه الأمور، ولا تعجز بتركه. فإن استعملت ولم يكن الذي أردت، فقل : قدر الله وما شاء. أي هكذا كان قدر وشاء. فارض بحكمه وإياك أن تقول : لو كان كذا، كان هذا الأمر كذا. ولو لم يكن كذا، لكان كذا. فهذا قول من يتعلق قلبه بالأسباب، وعمي عن تدبير الله تعالى وصنعه.

وما رواه ابن عباس (رضي الله عنه) عن رسول الله (ﷺ) : « يدخل سبعون ألفاً من أمتي الجنة بغير حساب ». قيل يا نبي الله من

(١) الحديث رواه الإمام مسلم في كتاب القدر ٨ باب الأمر بالقوة وترك العجز، والاستعانة بالله وتفويض المقادير لله ٣٤ ـــ (٢٦٦٤) عن ربيعة بن عثمان عن محمد بن يحيى بن حبان عن الأعرج عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: وذكره ورواه ابن ماجة في المقدمة ١٠ والزهد ١٤ وأحمد بن حنبل في المسند ٢ : ٣٦٦، ٣٧٠ (حلبي).

هم ؟ قال : « الذين لا يكتوون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون »[1].

فإنما كره رسول الله (ﷺ) الكي واستعمال النار في الأدوية، وكذلك الرقي؛ لأن أكثره يشوبه الشرك.

قال (عليه السلام) : أقرب الرقي إلى الشرك رقية الحية والجنون. وكذلك الطيرة من فعل الجاهلية. فرسول الله (ﷺ) ذكر الخصال المكروهة انهم تركوها تورعاً. وتوكلوا على ربهم، ولم يذكر أنهم لا يتداوون. وليس في طلب المعاش والتداوي والمضي في الأسباب على تدبير الله تعالى ترك للتفويض والتوكل، إذ الأنبياء والرسل (عليهم السلام) هم طلاب المعاش وأهل الحرف والتجارات.

قال (عليه السلام) : إن الله يحب أن يرى العبد محترفاً.

ومر عمر (رضي الله عنه) بقوم فقال : من أنتم ؟ قالوا : المتوكلون. فقال : أنتم المتأكلون. إنما المتوكل رجل ألقى حبة في بطن الأرض وتوكل على ربه.

وإنما ترك التوكل بالقلب إذا غفل عن الله تعالى، وكان قلبه محجوباً. فإذا طلب المعاش أو تداوى، صار فتنة عليه، وتعلق قلبه به. وقد نهى رسول الله (ﷺ) عن الرقي ثم رخص فيما يؤمن فيه الشرك.

روى جابر (رضي الله عنه) أن عمرو بن حزم دعا لامرأة بالمدينة

---

(١) الحديث رواه الإمام مسلم في كتاب الإيمان ٣٧١ (٢١٨) عن هشام بن حسان عن محمد يعني ابن سيرين قال: حدثني عمران قال: قال نبي الله ﷺ وذكره. ورواه الإمام البخاري في كتاب الطب ١٧ والرقاق ٥٠ ورواه الترمذي في القيامة ١٦ باب ٢٤٤٦ عن سعيد بن جبير عن ابن عباس وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

لدغتها حية ليرقيها فأبى، فأخبر بذلك رسول الله (ﷺ) فدعاه، فقال عمرو : إنك لتزجر عن الرقي. فقال : اقرأها عليه، فقرأها، فقال : لا بأس بها، إنما هي مواثيق فارق بها.

وعن جابر (رضي الله عنه) قال : كان بالمدينة رجل يكني أبا مذكر يرقي من العقرب ينفع الله بها. فقال رسول الله (ﷺ) : يا أبا مذكر ما رقيتك هذه ؟ اعرضها عليّ. فقال أبو مذكر : شجة، قرينة، ملحة، بحر، قغطى. فقال (عليه السلام) : لا بأس بها، إنما هي مواثيق أخذها سليمان بن داود (عليه السلام) على الهوام. وهذه لغة حمير.

الأصل الثالث والثمانون

في التنبيه على أن العقوبة من الله تعالى تعم والرحمة للمطيع

عن يوسف بن عطية الصفار قال : سمعت ابن سيرين وسأله رجل فقال : يا أبا بكر ما تقول في هذا الذر يقع في طعامنا وشرابنا فنقتله ؟ فقال : حدثنا أبو هريرة (رضي الله عنه)، عن رسول الله (ﷺ) أن نبياً من الأنبياء كان في غزاة له، فنزل تحت شجرة فلذعته نملة فأمر بتلك الشجرة فأحرقت. فأوحى الله تعالى إليه : الا نملة مكان نملة[1].

كان هذا النبي قد حاور ربه في شأن الخلق. وروي أن ذلك كان موسى بن عمران. فقال : يا رب تعذب أهل قرية بمعاصيهم وفيهم

---

(١) الحديث رواه الإمام البخاري في كتاب بدء الخلق ٣٣١٩ ــ عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة ــ رضي الله عنه ــ أن رسول الله ﷺ قال: وذكره. وعند البخاري [فهلا نملةً واحدة] ورواه الإمام مسلم في السلام ١٤٨ (٢٢٤١) عن ابن شهاب عن سعيد ابن المسيب وأبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ وذكره، وأيضاً ١٤٩ بسنده عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: وذكره وأبو داود في الأدب ١٦٤ والنسائي في الصيد ٣٨ وأحمد بن حنبل في المسند ٢ : ٣١٢، ٤٤٩ (حلبي).

المطيع فكأنه أحب أن يريه ذلك من عنده، فسلط عليه الحر حتى التجأ الى ظل شجرة مستروحاً وعندها بيت النمل، فغلبه النوم. فلما وجد لذة النوم، لذعته النملة فأضجرته فدلكهن بقدمه وأحرق تلك الشجرة التي عندها مساكنهم. فأراه الله تعالى العبرة في ذلك : إنك تحيرت في عذابي أهل قرية وفيهم المطيع والعاصي. وإنما أجرمت إليك نملة فكيف قتلتهم. وليس في هذا خطر عن قتل النمل. لأن كل ما أذاك، أبيح لك قتله. ألا ترى أن الفأر والغراب والكلب والحية والعقرب قد أبيح للمحرم قتلها. وكذلك سائر الهوام المؤذية. إلا إن المؤمن لا يقتل هذه الأشياء عبثاً. ولكنه يقتلها بحق إذا كان من تأذ أو خوف. وليس ذاك بأعظم حرمة من المؤمن ومع ذلك يباح دفعه بالقتل.

الأصل الرابع والثمانون

في أن الناس ينزلون منازلهم وتدبير الله في اختلاف أحوالهم

عن ميمون بن أبي شبيب، عن عائشة (رضي الله عنه) قالت : مر عليها سائل فأمرت له بكسرة. ومر عليها رجل ذو هيئة فأقعدته، فقيل لها فقالت : إن رسول الله (ﷺ) أمرنا أن ننزل الناس منازلهم[1].

(١) الحديث رواه مسلم تعليقاً في مقدمة صحيح، فقال: ويذكر عن عائشة قالت : وذكره. ووصله أبو نعيم في المستخرج، وأبو داود، وابن خزيمة والبزار، وأبو يعلى، والبيهقي في الأدب، والعسكري في الأمثال، وغيرهم من حديث ميمون بن أبي شبيب أنه قال: وذكره، قال في اللآلئ وأعله أبو داود بأن ميمون لم يدرك عائشة، ورد عليه بأن ميمون هذا كوفي قديم أدرك المغيرة، والمغيرة مات قبل عائشة، وقد حكم بصحته، وتبعه ابن الصلاح في علومه انتهى ما في اللآلئ، ورواه أبو نعيم في الحلية بلفظ: إن عائشة كانت في سفر فأمرت لناس من قريش بغذاء فمر رجل غني ذو هيئة، فقالت ادعوه فنزل فأكل ومضى وجاء سائل فأمرت له بكسرة فقالت: إن هذا الغني لم يجمل بنا إلا ما صنعناه به، وإن هذا السائل سأل فأمرت له بما يترضاه وأن رسول الله أمرنا ــ الحديث ــ ولفظ أبي داود أنزلوا الناس منازلهم. وقال في التمييز وذكره الحاكم أبو عبدالله في كتابه معرفة علوم الحديث، وقال: حديث صحيح.

دبر الله تعالى لعبيده الأحوال غنى وفقراً وعزاً وذلاً ورفعة وضعة؛ ليبلوهم في الدنيا أيهم يشكر على العطاء، وأيهم يصبر على المنع، وأيهم يقنع بما أوتي وأيهم يسخط، ثم ينقلهم الى الآخرة فذلك يوم الجزاء. فالعاقل يعاشر أهل دنياه على ما دبر الله لهم. فالغني قد عوده الله النعمة، وهي منه كرامة ابتلاء لا كرامة ثواب. قال الله تعالى : ﴿ **فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعَّمَهُ فيقول ربي أكرمن * وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي أهانن * كلا** ﴾[1].

أي لست أكرم بالدنيا ولا أهين بمنعها.

فإذا لم تنزله المنزلة التي أنزل الله تعالى، استهنت به وجفوته من غير جرم استحق به ذلك الجفاء، وتركه موافقة الله تعالى في تدبيره، وأفسدت عليه دينه. وهو قوله (عليه السلام) : « أنزلوا الناس منازلهم »[2]. أي المنازل التي أنزلهم الله من دنياهم. أما الآخرة فقد غيب شأنها عن العباد. فإذا سويت بين الغني والفقير في مجلس أو مأدبة أو هدية، كان ما أفسدت أكثر مما أصلحت. فإن الغني يجد عليك إذا أزريت بحقه. فإن الله تعالى لم يعوده ذاك. والفقير يعظم ذلك القليل في عينه ويقنع بذلك لأن تلك عادته. وكذلك معاملة الملوك والولاة على هذا السبيل. فإذا عاملت الملوك بمعاملة الرعية، فقد استخففت بحق السلطان وهو ظل الله تعالى في أرضه. به تسكن النفوس وتجتمع الأمور. فالناظر إلى ظل الله عليهم في الشغل عن الالتفاف الى سيرهم وأعمالهم. وإنما نفر قوم من السلف عنهم وجانبوهم لأنه لم تمت شهوات نفوسهم، ولم يكن لقلوبهم مطالعة ظل الله تعالى عليهم، فخافوا أن يخالطوهم أن يجدوا حلاوة برهم فتخلط قلوبهم بقلوبهم، فجانبوهم وأعرضوا عنهم وتأولوا في ذلك. لحديث ابن

---

(١) سورة الفجر الآيتان ١٥ و١٦ وبداية الآية ١٧.

(٢) رواه مسلم، وأبو داود عن عائشة، ورواه الخرائطي في مكارم الأخلاق عن معاذ بلفظ: أنزلوا الناس منازلهم من الخير والشر، وأحسن أدبهم على الأخلاق الصالحة.

عباس (رضي الله عنهما) : « ملعون من أكرم بالغنى وأهان بالفقر ». وهذا من قلة معرفتهم بتأويله. فإنهم لو نظروا إليهم بما ألبسوا من ظله، لشغلوا عن جميع ما هم فيه، ولم يضرهم اختلاطهم. وبهذه القوة كان أصحاب رسول الله (ﷺ)، والتابعون من بعدهم بإحسان يلقون الأمراء الذين قد ظهر جورهم ويقبلون جوائزهم ويظهرون العطف عليهم والنصيحة لهم.

وأما حديث ابن عباس (رضي الله عنه) فتأويله أن الذي يعظم في عينه حطام الدنيا، وباع آخرته بدنياه من المنافسة في الدنيا والرغبة فيها، وعظَّمَ شأن الأغنياء في عينه لما يرى عليهم من الدنيا فيعظمهم ويتملقهم، ويكرمهم تكريماً وتعظيماً لما في أيديهم. وإذا رأى من قد منع هذا، وزويت عنه الدنيا، ازدراه وحقره. فلغلبه الشهوات يعظم أبناء الدنيا، ويحقر أبناء الآخرة، فهو مستوجب لعنة الله تعالى لأنه مفتون يكرم مفتوناً. فأمّا عبد دقت الدنيا في عينه ورحم أهل البلاء، فهو يرى الغني مبتلى بغناه، قد تراكمت عليه أثقال النعمة، وغرق في حسابها، وعليه وبالها غداً، فيرحمه في ذلك، كالغريق الذي يذهب به السيل. فإذا لقيه، أكرمه وبره على ما عوده الله تعالى إبقاء على دينه لئلا يفسد، فإنه قد تعزز بدنياه وتكبَّر وتاهَ ويعظم ذلك في نفسه. فإذا حقرته، فقد أهلكته لأن عزه دنياه. فإذا أسقطت عزّه فقد سلبته دنياه. وهذه محاربه لا عشرة. فعليك أن تبرّه وتكرمه مدارياً له على دينه ورفقاً به، وترحمه بقلبك، وقد صغر في عينيك ما خوله الله تعالى من الدنيا. وهذا فعل الأنبياء والأولياء. وبذلك أوصى رسول الله (ﷺ) فقال : « إذا جاءكم كريم قوم فأكرموه » .

أراد من عوده قومه الاكرام من غير أن ينسمه إلى دين أو صلاح. فإذا

---

(١) الحديث رواه ابن حاجة في كتاب الادب ١٩ باب اذا أتاكم كريم قوم فاكرموه، ٣٧١٢ بسنده عن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله ــ ﷺ ــ وذكره
في الزوائد: في اسناده سعيد بن مسلمة وهو ضعيف

أنت مأجور باكرام من عوده قومه الاكرام، فكيف من عوده الله تعالى وأكرمه ونعمه كرامة الابتلاء. فإذا رأى ذا نعمة، عظمه في الظاهر تعظيم بر ولطف؛ ليبقى من دينه ودين نفسه، وليكون تدبير الله تعالى الذي وضعه له في العز والتعظيم بمكانه وهو في الباطن قلبه منه بعيد. وهكذا أهل الفساد من الموحدين يلطف بهم ويرفق بهم في الظاهر إبقاء على أحوالهم في أمر دينهم، والرفق محبوب مبارك.

عن عائشة (رضي الله عنها) قال رسول الله (ﷺ) : « إن الله يحب الرفق كله »[1].

وقال (عليه السلام) : « من أُعطي حظه من الرفق، أُعطي حظه من خير الدنيا والآخرة. ومن حرم حظه من الرفق، حرم حظه من خير الدنيا والآخرة »[2].

وقال (عليه السلام) : « إذا أراد الله تعالى بأهل بيت خيراً أدخل عليهم باب الرفق »[3] صدق رسول الله.

---

(١) الحديث عند الإمام مسلم في كتاب السلام ١٠ ــ (٢١٦٥) عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت: استأذن رهط من اليهود على رسول الله ﷺ فقالوا: السام عليكم فقالت عائشة بل عليكم السام واللعنة فقال رسول الله ﷺ يا عائشة: وذكره. ورواه الإمام البخاري في الاستئذان ٢٢، والدعوات ٥٩ والأدب ٣٥، ورواه أبو داود في الأدب ١٠ والترمذي في الاستئذان باب ما جاء في الاستئذان على أهل الذمة ٢٧٠١ عن الزهري، عن عروة عن عائشة قالت: وذكره كما جاء في صحيح مسلم، ورواه ابن ماجة في كتاب الأدب ٩ والدارمي في الرقاق ٧٥ وصاحب الموطأ في الاستئذان ٣٨، وأحمد بن حنبل في المسند ١ : ١١٢، ٤: ٨٧، ٦ : ٣٧، ٨٥، ٩٩ (حلبي).

(٢) الحديث رواه الترمذي في كتاب البر باب ٦٧ ما جاء في الدفق ٢٠١٣ ــ عن عمرو بن دينار عن ابن أبي مليكة عن يعلى بن مملك عن أم الدرداء عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ قال: وذكره.

قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

ورواه الإمام أحمد في المسند ٦ : ١٥٩، ٤٥١ (حلبي).

(٣) الحديث رواه الإمام أحمد في المسند ٦ : ٧١، ١٠٤، ١٠٥ (حلبي).

الأصل الخامس والثمانون

في أن المؤمن يموت بعرق الجبين

عن بريدة، عن أبيه (رضي الله عنهما) وكان بخراسان، فدخل على ابن أخ له يعوده، فوجده في الموت، فإذا هو يعرق جبينه. فقال بريدة : الله أكبر، سمعت رسول الله (ﷺ) يقول : « المؤمن يموت بعرق الجبين »(١).

المؤمن لما رأى من ذنوبه في وقت مقدمه على ربه، فتراءى له قبح ما جاء به، فيستحيي منه فيعرق لذلك وجهه؛ لأن ما سفل منه قد مات، وإنما بقيت قوى الحياة وحركاتها فيما علا. والحياة في العينين، وذلك وقت الحياء والرجاء والأمل. فإذا عرق، فذاك علامة الإيمان. فأما الكافر ففي عمى عن هذا كله.

---

(١) الحديث أخرجه النسائي في: ٢١ ــ كتاب الجنائز ٥ باب علامة موت المؤمن، وابن ماجة في: ٦ كتاب الجنائز، ٥ باب ما جاء في المؤمن يؤجر في النزع حديث رقم ١٤٥٢ ورواه الترمذي باب ١٠ ما جاء أن المؤمن يموت بعرق الجبين ٩٨٢ ــ عن المثنى بن سعيد عن قتادة، عن عبدالله بن بريدة عن أبيه عن النبي ﷺ قال: وذكره. قال: وفي الباب عن ابن مسعود، وقال: هذا حديث حسن، وقد قال بعض أهل العلم لا نعرف لقتادة سماعاً من عبدالله بن بريدة.

وعن سعيد بن سوفة قال : دخلنا على سلمان الفارسي نعوده وهو مبطون. فقال : إني محدثك حديثاً لم أحدثه أحداً قبلك ولا أحدث أحداً بعدك، سمعت رسول الله (ﷺ) يقول : « ارقبوا الميت عند موته، فأما إن رشحت جبينه وذرفت عيناه وانتشر منخراه، فهي رحمة من الله تعالى قد نزلت به. فإن غط غطيط البكر المخنوق وخمد لونه وأزبد شدقاه، فهو عذاب من الله تعالى قد حل به » . ثم قال لامرأته : ما فعل المسك الذي جئنا به من بلنجر ؟ قالت : هوذا. قال : فألقيه في الماء ثم اضربي بعضه ببعض، ثم انضحي حول فراشي، فإنه يأتيني الآن قوم ليسوا بجن ولا إنس. ففعلت. فقمنا من عنده، ثم رجعنا فوجدناه قد قبض.

وعن عبدالله قال : موت المؤمن بعرق الجبين إن المؤمن يبقى عليه خطايا من خطاياه، فيجازف بها عند الموت، فيعرق لذلك جبينه.

الأصل السادس والثمانون

في أن الكيس من أبصر العاقبة والأحمق من عمي عنها

عن ابن عمر (رضي الله عنهما) أن رجلاً قال : يا نبي الله أي المؤمنين أكيس[1] ؟ قال : أكثرهم ذكر للموت، وأحسنهم له استعداداً. وإذا دخل النور في القلب، انفسح واستوسع. قالوا : ما آية ذلك يا نبي الله ؟ قال : الإنابة الى دار الخلود، والتجافي عن دار الغرور، والاستعداد للموت قبل نزول الموت. ثم قرأ : ﴿ **أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه** ﴾[2].

الموت عاقبة أمر الدنيا. فالكيس من أبصر العاقبة، والأحمق من عمي عنها بحجب الشهوات التي قامت بين يدي قلبه فاقتضته إنجازها وجاءته

---

(١) الحديث أخرجه ابن ماجة في كتاب الزهد ٣١ باب ذكر الموت والاستعداد له ٤٢٥٩ ــ عن فروة بن قيس عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عمر ــ أنه قال: كنت مع رسول الله ﷺ فجاء رجل من الأنصار فسلم على النبي ﷺ ثم قال يا رسول الله أي المؤمنين أفضل: وذكره مع اختلاف في اللفظ وفي الزوائد: فروة بن قيس مجهول، وكذلك الراوي عنه، وخبره باطل قاله الذهبي في طبقات التهذيب.

(٢) سورة الزمر آية رقم ٢٢.

الأماني بمواعيدها الكاذبة المخلقة. فتقول له : خذها ثم تتوب. وأتته الشهوة وتقول له خذني إليك، ثم تستغفر، فإن الله غفور للمذنبين، وحبيب للتائبين. فهذه حجب كثيفة دون العاقبة، فلا يراها. والكيس من سعد بجميل نظر الله تعالى، واعطى النور الزائد على نور الموحدين، وهو نور اليقين. يهتك هذا النور الحجب والدخان والظلمة التي في الصدر من الشهوات. فسكن الدخان، وانقشعت الظلمة، واستنار الصدر، فأبصر عاقبة أمره، وأنها قاطعة لكل لذة وشهوة، وحائلة بينه وبين كل أمنية، وأن عمره أنفاس معدودة، لا يدري متى ينفد العدد، فصار من ذلك على خطر عظيم، ولا يعلم متى يحل به الموت، ويبغت به الأمر، فيرحل إليه من دار الغرور مغتراً به، مخدوعاً عنه، مع دنس المعاصي وقبح الآثام، فلا وصول إلى توبة، ولا مهلة له في إنابة، فيكون مقدمه مقدم العبيد الاباق الذين أمهلهم الله في الدنيا وحلم عنهم، وكانوا يحكمون لأنفسهم بما يشتهون في دنياهم، وهم مستدرجون في مكره، فيردهم إليه ويحكم فيهم بما يستوجبون من إباقهم. قال الله تعالى : ﴿ **ثم ردوا الى الله تعالى مولاهم الحق ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين** ﴾[1].

فالكيس نظر بنوره الذي مَنَّ الله تعالى عليه به، فأبصر أن الموت قاطع لكل لذة، حائل بينه وبين التوبة، فانكسر قلبه، وذبلت نفسه، وخمدت نار شهوته، واكفهر الحق في وجه أمنيته، واستعد لكل ذنب توبة واعتذاراً، ومكان كل سيئة حسنة واستغفاراً؛ لتكون الحسنة غطاء للسيئة، والتوبة محاء للخطيئة. فهذا تفسير قوله (عليه السلام) : « أكيسهم أكثرهم ذكراً للموت، وأحسنهم له استعداداً ». فالاستعداد أن يجانب التخليط مجانبة لا يحتاج إلى استمهال إذا فاجأه أمر الله تعالى، وجاءته دعوته، فيقول : أمهلني حتى أتوب وأصلح أمري. وحسن الاستعداد أن يكون قد استعد للقائه والعرض عليه بعد علمه أن الموت يؤديه إليه. فطاب قلبه بالله

---

(١) سورة الأنعام آية رقم ٦٢.

تعالى وروحه بالطاعة ونفسه تتجنب الشهوات والمني ورفض التدبير لنفسه وتفويض ذلك إلى خالقه.

وهذا صفة أهل اليقين الذين قال الله تعالى فيهم : ﴿ **الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة** ﴾. الآية . تسلم عليهم الملائكة من الله تعالى، وتبشرهم بدخول الجنة من غير حبس في موطن أي حساب في موقف. وإنما سموا طيبين لأنه لم يبق فيهم تخليط، فطابوا روحاً وطابوا قلباً وطابوا نفساً. وأما أهل التخليط لا يقال لهم هذه الكلمة عند الموت. وإنما يقال لهم : ﴿ **طبتم فادخلوها خالدين** ﴾[1] عند باب الجنة بعد ما محصوا بعذاب القبر وأهوال القيامة وتناول النيران فيهم بلفحاتها على الصراط والحبس في العرض الأكبر. فإذا خلي عنهم وبلغوا باب الجنة، نودوا : ﴿ **سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين** ﴾[2].

وقد روي عن رسول الله (ﷺ) أنه قال : « الناس يعرضون ثلاث عرضات يوم القيامة ».

فأما عرضتان فجدال ومعاذير. وأما في العرضة الثالثة تطاير الصحف، فالجدال للأعداء؛ لأنهم لا يعرفون ربهم، فيظنون أنهم إذا جادلوه، نجوا وقامت حججهم، والمعاذير لله الكريم يعتذر الى أنبيائه (عليهم السلام) ويقيم حجته عندهم على الأعداء، ثم يبعثهم الى النار. قال (عليه السلام) : « لا أحد أحب إليه المدح من الله تعالى ولا أحد أحب إليه العذر من الله تعالى »[3].

---

(١) (٢) سورة الزمر آية رقم ٧٣.

(٣) الحديثُ رواه الإمام البخاري في كتاب التفسير ٧ باب ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ٤٦٣٤ عن عمرو عن أبي وائل عن عبدالله ــ رضي الله عنه ــ قال: وذكره: قلت: سمعته من عبدالله.. ؟ قال: نعم، قلت: ورفعه ؟ قال: نعم. ورواه أيضاً في كتاب النكاح ١٠٧ والتوحيد ١٥، ٢٠ ورواية الإمام مسلم في كتاب اللعان ١٧ والتوبة ٣٢، =

والعرضة الثالثة للمؤمنين، وهو العرض الأكبر، وهم على ضربين: منهم من نبهه في الحياة الدنيا فكاد يموت حياء وفرقاً، فأعطى الأمان غداً من ذلك. فإنه لن يجمع ذلك على العبد في موطنين.

قال (عليه السلام) : « قال ربكم : وعزتي وجلالي لا أجمع على عبدي خوفين ولا أجمع له أمنين، فمن خافني في الدنيا، أمنته في الآخرة. ومن أمنني في الدنيا، أخفته في الآخرة » .

ومنهم من يريد أن يعاتبه حتى يذوق وبال الحياء منه، ويرفض عرقا بين يديه، ويفيض العرق منهم على اقدامهم من شدة الحياء، ثم يغفر لهم ويرضى عنهم. فمن استحيى من الله تعالى في الدنيا مما صنع، استحيى الله تعالى من تفتيشه وسؤاله، ولا يجمع عليه حيائين كما لا يجمع عليه خوفين. وقد ستر محاسنه مساويه حتى يصير في ستر محاسنه، وستر عليه علمه حتى لا يستحيي من الخلق ومن نفسه.

وقوله (عليه السلام) : « إذا دخل النور القلب انفسح وانشرح » فدخول النور في القلب، والانفساح في الصدر، فإن الصدر بيت القلب، ومنه تصدر الأمور، فيدخل النور في القلب، ومنه ينفسح الصدر وينشرح ويتسع، لأن الصدر كان مظلماً بالشهوات المتراكمة فيه والأماني والفكر وعجائب النفس ودواهيها، فكان يضيق بأوامر الله تعالى؛ لأنها خلاف امنيته وهواه، فلما قذف بالنور فيه، نفى الظلمة وأشرق الصدر، واتسع فيه أمر الله تعالى ونصائحه وآدابه ومواعظه. فهذا كله علامة الباطن، وأما علامة الظاهر فثلاث خصال، أشار (عليه السلام) إليها بقوله : « الإنابة إلي دار الخلود والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت » فأما الانابة

= ٣٣، ٣٤، ٣٥ والترمذي في الدعوات ٩٥ والدارمي في النكاح ٢٧، وأحمد بن حنبل في المسند ١ : ٣٨١، ٤٢٦، ٤٣٦ (حلبي).

إلى دار الخلود، فهي أعمال البر؛ لأنها وضعت جزاء لأعمال البر. قال الله تعالى : ﴿ **جزاء بما كانوا يعملون** ﴾[1].

فإذا إنكمش في أعمال البر، فهو إنابته. وأما التجافي عن دار الغرور، فهو أن يخمد حرصه على الدنيا ولها عن طلبها، وأقبل على ما يعنيه منها واكتفى بها وقنع، فقد تجافى عن دار الغرور.

وأما الاستعداد للموت هو أن يعلم أنه ربما كان في قضاء شهوة في مساخط الله تعالى، ويخافض بأمر الله تعالى، ويبغت بدعوته ولا بد من الإجابة في أسرع من اللمحة. فلا رجاء للمهلة، ولا وصول الى التوبة فيحكم أموره بالتقوى، فكان ناظراً في كل أمر، واقفاً متأثياً متثبتاً حذراً يتورع عما يريبه إلى ما لا يريبه. فمن فعل ذلك، فقد استعد للموت. وإنما صارت له هذه الرؤيا بالنور الذي ولج القلب.

---

(١) سورة الواقعة آية رقم ٢٤.

الأصل السابع والثمانون

في أن من الناس مفاتيح للخير ومن الناس مفاتيح للشر

عن أنس (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (ﷺ) : « من الناس ناس مفاتيح للخير، مغاليق للشر. ومن الناس ناس مفاتيح للشر، مغاليق للخير. فطوبى لمن جعل مفاتيح الخير على يديه، وويل لمن جعل مفاتيح الشر على يديه »[1].

فالخير مرضاة الله، والشر مسخطه. وإذا رضي الله عن عبد، كان علامة رضاه عنه أن يجعله مفتاحاً للخير. فإن رؤي، ذكر الخير برؤيته. وإن حضر، حضر معه الخير. وإن ذكر، ذكر الخير معه. وإن نطق، نطق بخير. وعليه من الله تعالى سمات ظاهرة تذكر بالخير من لقيه. يتقلب في الخير بعمل الخير، وينطق بالخير، ويفكر في الخير، ويضمر على الخير، وهو مفتاح الخير حيث ما حضر. وسبب الخير لكل من خالطه أو عاشره أو صحبه. والآخر يتقلب في الشر، يعمل بالشر، وينطق بالشر، ويفكر بالشر، ويضمر على شر، فهو مفتاح الشر حيثما حضر، وسبب الشر لكل من

(١) الحديث عند ابن ماجة في المقدمة ١٩ باب من كان مفتاحاً للخير ٢٣٧ حدثنا محمد بن أبي حميد. ثنا حفص بن عبيدالله بن أنس عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: وذكره.

في الزوائد إسناده ضعيف من أجل محمد بن أبي حميد فإنه متروك.

خالطه أو صحبه. فصحبة الأول دواء لا ترجع منه إلا بزيادة. وصحبة الثاني داء لا ترجع منه إلا بنقصان. فمن كان بين يدي قلبه دنياه، فإنما يفتتح بدنياه إذا لقيك. ومن كان بين يدي قلبه آخرته، فإنما يفتتح بآخرته إذا لقيك. ومن كان بين يدي قلبه خالقه، فإنما يفتتح بذكره إذا لقيك. قل انما ينشر عليك بره ويحدثك عما يطالع قلبه. فالناطق عن دنياه يرغبك فيها، ويزين لك أحوالها. فالاستماع منه سقم، يورطك في ورطته، ويلقيك في وهدته. والناطق عن آخرته يرغبك فيها، ويزين لك أحوالها، ويقلل الدنيا في عينك، ويزهدك فيها، ويقف بك منها على سبيل خطر لما يخبرك عن فتنها وغرورها وخدعها وأمانيها الكاذبة، وما يلقى أهلها غداً من شدة الحساب وأهوال القيامة. والناطق عن الله تعالى (عز ذكره) يقف بك على تدبير الله تعالى، وعلى سبيل الاستقامة في العبودة، ويلهيك عن نفسك وعن الدارين لما يفتح عليك من منن الله تعالى وإحسانه ولما يكشف عن آلاء الله من الغيوب المستترة التي حرم هذا الخلف معرفتها، والانتباه لها، حتى يؤديك الى سنن التوحيد فيرقى بك الى فردانيته، فتتفرد للفرد الواحد، وهم الكبراء الذين روي عن رسول الله (ﷺ) أنه قال : « يا أبا جحيفة : جالس الكبراء، وخالل الحكماء، وسائل العلماء »[1].

فالعلماء بعلم أموره ينطقون. فالمسألة لهم تسائلهم عن حلال الله وحرامه. والحكماء بعلم تدبيره ينطقون. فالمخاللة لهم تخالله وتصير له مأمناً، فيفضي إليك حكمته. والكبراء بعلم آلائه ينطقون، تكبروا في كبرياء الله وعظمته، وانفردوا في فردانيته، واعتزوا به، فرؤيتهم دواء، وكلامهم شفاء، فالمجالسة لهؤلاء. فقد جعل الله تعالى في الخير من البركة ما يغلب الشر حيث ما كان.

---

(١) راجع ما كتبه صاحب الاستيعاب في معرفة الاصحاب ٤: ١٦١٩ حيث قال: كان صغار الصحابة ذكروا ان الرسول ــ ﷺ ــ توفي وأبو جحيفة لم يبلغ الحلم، ولكنه سمع من رسول الله ــ ﷺ ــ وكان علي ــ رضي الله عنه قد جعله على بيت المال بالكوفة وشهد معه مشاهده كلها.

الأصل الثامن والثمانون

في أن إجماع الأمة حجة واختلافهم رحمة

عن ابن عمر (رضي الله عنهما) قال : قال رسول الله (ﷺ) : « لا يجمع الله أمتي ــ أو هذه الأمة ــ على ضلالة أبدا. ويد الله على الجماعة هكذا. فاتبعوا السواد الأعظم. فإنه من شذ، شذ في النار »[1].

وعد الله رسوله أن لا يزال دينه ظاهراً على الأديان، عالياً غالباً لأهلها النصرة معه حيثما كان. قال تعالى : ﴿ **هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله** ﴾[2].

وهذا الدين يشتمل على الإيمان والإسلام. فجملة الإيمان هو الايمان بالله وحده لا شريك له، وبالرسل (عليهم السلام)، والكتب كلها،

---

(١) الحديث أخرجه ابن ماجة في كتاب الفتن ٨ باب السواد الأعظم ٣٩٥٠ ــ حدثني أبو خلف الأعمى: قال: سمعت أنس بن مالك يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول: وذكره.
في الزوائد: في إسناده ضعيف، وأبو خلف الأعمى واسمه حازم بن عطاء: وهو ضعيف وقد جاء الحديث بطرق في كلها نظر، قاله شيخنا العراقي في تخريج أحاديث البيضاوي.

(٢) سورة الفتح آية رقم ٢٨.

والملائكة، واليوم الآخر، والبعث والجزاء، والقدر خيره وشره. هذا جملة الإيمان. وجملة الاسلام هي الصلوات الخمس بوضوئها في مواقيتها، والغسل من الجنابة، والزكاة، والصوم، والحج، وتحريم ما حرم الله، وتحليل ما أحل الله تعالى. هذه جملة الإسلام. وعليه السواد الأعظم لا يختلفون فيه. فمن شذ عن شيء منه فجحده، فقد خرج من الشريعة، وخاب من الإسلام، وزاغ عن سبيل الهدى، وشذّ إلى النار. ثم للعلماء مداخل ومقال في الحوادث من طريق الاحكام، واختلافهم فيها رحمة واسعة لأمة محمد (ﷺ) منَّ الله تعالى عليهم بذلك، وسهل لهم سبل النظر والاجتهاد في الرأي فيما لم يجدوا فيه تنزيلاً ولا سنة عن الرسول (عليه السلام).

الأصل التاسع والثمانون

في صفة الجنان الأربع

عن عبدالله بن قيس (رضي الله عنه) قال : قال رسول الله (ﷺ) :

« جنان الفردوس أربع: جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما. وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما. وما بين القوم وبين أن ينظروا الى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن »[1].

هذا تأويل قوله تعالى : ﴿ **ولمن خاف مقام ربه جنتان** ﴾[2] وقوله : ﴿ **ومن دونهما جنّتان** ﴾[3] وقد وصفهم الله تعالى في سورة الرحمن. وقوله : « ما بين القوم وبين أن ينظروا الى ربهم إلا رداء الكبرياء في جنة عدن ».

---

(١) الحديث رواه الإمام مسلم في كتاب الإيمان ٨٠ باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى ٢٩٦ (١٨٠) عن أبي بكر بن عبدالله بن قيس عن أبيه عن النبي ﷺ قال: وذكره. ورواه الإمام البخاري في التوحيد ٢٤ والتفسير سورة ٥٥ : ١، ٢ والترمذي في الجنة ٣ وابن ماجة في المقدمة ١٣ باب فيما أنكرت الجهمية ١٨٦ بسنده عن أبي بكر بن عبدالله بن قيس الأشعري عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ وذكره.

(٢) سورة الرحمن آية رقم ٤٦.

(٣) سورة الرحمن آية رقم ٦٢.

فجنة عدن دار الرحمن ومقصورته. والفردوس جنات الأولياء والأنبياء (عليهم السلام) بقرب جنة عدن. فعدن كالمدينة والفردوس كالقرى حولها. فإذا تجلى الرب لأهل الفردوس،رفع الحجاب، وهو رداء الكبرياء فينظرون الى جلاله وجماله. فحجابه في جنات عدن رداء الكبرياء وفي الدنيا النار.

وقال (عليه السلام) : « حجابه النار لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه كل شيء أدركه بصره »[1].

وهذا لأن أيام الدنيا أيام الملك والسلطان والربوبية، وأيام الآخرة أيام المجد والكرم والبر والمفاوضة. فقال : ههنا حجاب وهناك رداء.

قال (عليه السلام) : ان من أهل الجنة من ينظر الى الله تعالى غدوة وعشياً.

وفي حديث آخر : أن أهل الجنة يزورون في كل يوم جمعة فينظرون إلى الله تعالى. وللقوم في ذلك منازل ودرجات متفاوته.

(١) الحديث رواه الإمام مسلم في كتاب الإيمان ٧٩ باب في قول الله تعالى: « إن الله لا ينام » وفي قوله: حجابه النور ٢٩٣ (١٧٩) عن عمرو بن مرة عن أبي عبيدة عن أبي موسى قال: قام فينا رسول الله ﷺ بخمس كلمات فقال إن الله عز وجل لا ينام ولا ينبغي له أن ينام يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار وذكره. ورواه ابن ماجة في المقدمة ١٣ باب فيما أنكرت الجهمية وأحمد بن حنبل في المسند ٤ : ٤٠١، ٤٠٥ (حلبي).

الفهارس العامة للجزء الاول
من كتاب نوادر الأصول

١ ـــ فهرس الآيات القرآنية

رقم مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية
١	قال تعالى: « إن الله وملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً. »	الاحزاب	٥٦
٢	قال تعالى: « يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء. »	ابراهيم	٣٧
٣	قال تعالى: « الله الذي خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم. »	الروم	٤٠
٤	قال تعالى: « فقولا له قولاً ليناً لعله يتذكر أو يخشى. »	طه	٤٤

رقم مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية
٥	قال تعالى: « أولئك لهم الأمن وهم مهتدون. »	الأنعام	٨٢
٦	قال تعالى: « قل كل من عند الله. »	النساء	٧٨
٧	قال تعالى: « وعباد الرحمن الذي يمشون على الأرض هوناً. »	الفرقان	٦٣
٨	قال تعالى: « كما أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض. »	يونس	٢٤
٩	قال تعالى: « وتزودوا فإن خير الزاد التقوى. »	البقرة	١٩٧
١٠	قال تعالى: « إني جاعل في الأرض خليفة. »	البقرة	٣٠
١١	قال تعالى: « ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون. »	يونس	٦٢، ٦٣
١٢	قال تعالى: « إنما امره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون. »	يس	٨٢
	قال الله تعالى: « وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً لا مبدل لكلماته. »	الانعام	١١٥

رقم مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية
١٣	قال تعالى: « قلنا يا نار كوني برداً وسلاماً على ابراهيم. »	الأنبياء	٦٩
١٤	قال الله تعالى: « وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله. »	الأعراف	٢٠٠
١٥	قال الله تعالى: « وقل رب اعوذ بك من همزات الشياطين. »	المؤمنون	٩٧
١٦	قال الله تعالى: « وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله. »	البقرة	١٠٢
١٧	قال تعالى: « فلما استيئسوا منه خلصوا نجياً. »	يوسف	٨٠
١٨	قال تعالى: « فإذا طعمتم فانتشروا ولا مستأنسين لحديث. »	الاحزاب	٥٦
١٩	قال الله تعالى: « وإما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم. »	الاعراف	٢٠٠
٢٠	قال الله تعالى: « والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه. »	الزمر	٦٧

رقم مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية
٢١	قال الله تعالى: « وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال. »	الواقعة	٢٧
٢٢	قال الله تعالى: « ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً وأنهم لا يستكبرون. »	المائدة	٨٢
٢٣	قال الله تعالى: « ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله. »	الحديد	٢٧
٢٤	قال الله تعالى: « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون. »	المائدة	٤٤
٢٥	قال تعالى: « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون. »	المائدة	٤٥
٢٦	قال الله تعالى: « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون. »	المائدة	٤٧
٢٧	قال الله تعالى: « فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم وكثير منهم فاسقون. »	الحديد	٢٧
٢٨	قال تعالى: « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كِفْلَين من رحمته. »	الحديد	٢٨

رقم مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية
٢٩	قال الله تعالى: « لئلا يعلم أهل الكتاب ألا يقدرون على شيء من فضل الله وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء. »	الحديد	٢٩
٣٠	قال الله تعالى: « ألم يعلموا أن الله يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات. »	الشورى	٢٥
٣١	قال الله تعالى: « إنه لا ييئس من روح الله إلا القوم الكافرون. »	يوسف	٨٧
٣٢	قال الله تعالى: « وما كنت ترجو أن يُلْقى إليك الكتاب رحمة من ربك. »	القصص	٨٦
٣٣	قال الله تعالى: « ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم. »	محمد	١١
٣٤	قال الله تعالى: « هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير. »	الحج	٧٨
٣٥	قال الله تعالى: « وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلاً كبيراً. »	الاحزاب	٤٧
٣٦	قال الله تعالى: « للذين احسنوا الحسنى وزيادة ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة. »	يونس	٢٦

رقم مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية
٣٧	قال الله تعالى: « وكأي من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها. »	العنكبوت	٦٠
٣٨	قال الله تعالى: « ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياماً. »	النساء	٥
٣٩	قال الله تعالى: « وكأي من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها. »	العنكبوت	٦٠
٤٠	قال الله تعالى: « ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياماً. »	النساء	٥
٤١	قال الله تعالى: « يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية. »	الفجر	٢٧-٢٨
٤٢	قال الله تعالى: « قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة. »	التحريم	٦
٤٣	قال الله تعالى: « وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أتصبرون وكان ربك بصيراً. »	الفرقان	٢٠
٤٤	قال الله تعالى: « ونصنع الموازين القسط ليوم القيامة. »	الأنبياء	٤٧

رقم مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية
٤٥	قال الله تعالى: « يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم. »	المائدة	١٠٥
٤٦	قال الله تعالى: « عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم. »	التوبة	١٢٨
٤٧	قال الله تعالى: « ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً. »	النساء	٦٤
٤٨	قال الله تعالى: « وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها. »	آل عمران	١٠٣
٤٩	قال الله تعالى: « ما ضل صاحبكم وما غوى وما ينطق عن الهوى. »	النجم	٢، ٣
٥٠	قال تعالى: « وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله ليعذبهم وهم يستغفرون. »	الانفال	٣٣
٦١	قال الله تعالى: « ولا يعصينك في معروف فبايعهن واستغفر لهن الله. »	الممتحنة	١٢

رقم مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية
٦٢	قال الله تعالى: « ثم ينجي الله الذين اتقوا ويذر الظالمين فيها جثيا. »	مريم	٧٢
٦٣	قال الله تعالى: « إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون. »	الأنبياء	١٠١
٦٤	قال الله تعالى: « وإذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على أدبارهم نفوراً. »	الفرقان	٤٦
٦٥	قال الله تعالى: « لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها. »	الأعراف	١٧٩
٦٦	قال الله تعالى: « فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره. »	الزلزلة	٧–٨
٦٧	قال الله تعالى: « ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب لعلكم تتقون. »	لبقرة	١٧٩
٦٨	قال الله تعالى: « وما كنت بجانب الطور إذ نادينا ولكن رحمة من ربك لتنذر قوماً ما آتاهم من نذير من قبلك. »	لقصص	٤٦

رقم مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية
٦٩	قال الله تعالى: « أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً يبتغــون فضلاً من الله ورضواناً. »	الفتح	٢٩
٧٠	قال الله تعالى: « ومثلهم في الانجيل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه. »	الفتح	٢٩
٧١	قال الله تعالى: « والسابقـون الأولـون من المهاجريـن والأنصار والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه. »	التوبة	١٠٠
٧٢	قال الله تعالى: « والذي جاءوا من بعدهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا. »	الحشر	١٠
٧٣	قال الله تعالى: « فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب. »	الزمر	١٨
٧٤	قال الله تعالى: « فأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمـى على الهدى. »	فصلت	١٧

رقم مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية
٧٥	قال الله تعالى: « أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الظلمات. »	الأنعام	١٢٢
٧٦	قال الله تعالى: « ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم. »	البقرة	١٤٢
٧٧	قال الله تعالى: « الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون. »	الأنعام	٨٢
٧٨	قال الله تعالى: « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وأن الله لمع المحسنين. »	العنكبوت	٦٩
٧٩	قال تعالى: « أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه. »	الزمر	٢٢
٨٠	قال الله تعالى: « اجتبيناهم وهديناهم الى صراط مستقيم. »	الأنعام	٨٧
٨١	قال الله تعالى: « أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة. »	الأنعام	٨٩

رقم مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية
٨٢	قال الله تعالى: « وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذي أُنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون. »	آل عمران	٧٢
٨٣	قال الله تعالى: « أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم أو يحاجوكم عند ربكم. »	آل عمران	٧٣
٨٤	قال الله تعالى: « قل إن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم. »	آل عمران	٧٤
٨٥	قال الله تعالى: « وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها وكان الله بكل شيء عليماً. »	الفتح	٢٦
٨٦	قال الله تعالى: « أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه. »	الزمر	٢٢
٨٧	قال الله تعالى: « فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون. »	المائدة	٢٤

رقم مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية
٨٨	قال الله تعالى: « ويوم يعرض الذين كفروا على النار أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تفسقون. »	الاحقاف	٢٠
٨٩	قال الله تعالى: « وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون. »	العنكبوت	٤٣
٩٠	قال الله تعالى: « وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة وتفسيراً لكل شيء. »	الأعراف	١٤٥
٩١	قال الله تعالى: « وكل شيء فعلوه في الزبر. »	القمر	٥٢
٩٢	قال الله تعالى: « يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين الى أجل مسمى فاكتبوه. »	البقرة	٢٨٢
٩٣	قال الله تعالى: « فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً. »	البقرة	٧٩

رقم مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية
٩٤	قال الله تعالى: « وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل أنتم بشر ممن خلق. »	المائدة	١٨
٩٥	قال الله تعالى: « وقالوا لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة قل أتخذتم عند الله عهداً فلن يخلف الله عهده، أم تقولون على الله ما لا تعلمون، بلى من كسب سيئة. »	البقرة	٨٠ـ٨١
٩٦	قال الله تعالى: « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون. »	المنافقون	٨
٩٧	قال الله تعالى: « يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة. »	ابراهيم	٢٧
٩٨	قال الله تعالى: « والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم. »	النساء	٣٦
٩٩	قال الله تعالى: « إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله وباليوم الآخر. »	التوبة	١٨
١٠٠	قال الله تعالى: « سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق. »	الأعراف	١٤٦

رقم مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية
١٠١	قال الله تعالى: « يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة. »	التحريم	٦
١٠٢	قال الله تعالى: « ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد. »	ابراهيم	١٤
١٠٣	قال الله تعالى: « يرفع الله الذين آمنوا والذين أوتوا العلم درجات. »	المجادلة	١١
١٠٤	قال الله تعالى: « ما ودعك ربك وما قلى. »	الضحى	٢
١٠٥	قال الله تعالى: « ضرب الله مثلاً رجلاً فيه شركاء متشاكسون ورجلاً سلماً لرجل. »	الزمر	٢٩
١٠٦	قال الله تعالى: « وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون. »	العنكبوت	٤٣
١٠٧	قال الله تعالى: « الله خير حافظاً وهو أرحم الراحمين. »	يوسف	٦٤
١٠٨	قال الله تعالى: « ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره. »	الطلاق	٣
١٠٩	قال الله تعالى: « فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور. »	الحج	٢٠٠

رقم مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية
١١٠	قال الله تعالى: « ما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا تنكحوا أزواجه من بعده أبداً ذلكم كان عند الله عظيماً. »	الأحزاب	٥٣
١١١	قال الله تعالى: « النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم. »	الأحزاب	٦
١١٢	قال الله تعالى: « وإذا سألتموهن متاعاً فاسألوهن من وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهن. »	الأحزاب	٥٣
١١٣	قال الله تعالى: « إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور. »		
١١٤	قال الله تعالى: « وفي الأرض آيات للموقنين. »	ابراهيم	٥
١١٥	قال الله تعالى: « أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه. »	الزمر	٢٢
١١٦	قال الله تعالى: « فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور. »	الحج	٤٦
١١٧	قال الله تعالى: « لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السموات والأرض بصائر. »	الاسراء	١٠٢

رقم مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية
١١٨	قال الله تعالى: « فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور. »	الحج	٤٦
١١٩	قال الله تعالى: « وما من أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى إلا من آمن وعمل صالحاً فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم في الغرفات آمنون. »	سبأ	٢٧
١٢٠	قال الله تعالى: « أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا. »	القصص	٥٤
١٢١	قال الله تعالى: « من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينَّهُ حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون. »	النحل	٩٧
١٢٢	قال الله تعالى: « إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه. »	فاطر	١٠
١٢٣	قال الله تعالى: « فبما رحمة من الله كنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضّوا من حولك. »	آل عمران	١٥٩

رقم مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية
١٢٤	قال الله تعالى: « وليست التوبة للذين يعملون السيئات حتى إذا حضر أحدهم الموت قال إني تبت الآن. »	النساء	١٨
١٢٥	قال الله تعالى: « فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله. »	آل عمران	٧
١٢٦	قال الله تعالى: « وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم. »	المائدة	٣٧
١٢٧	قال الله تعالى: « إن الذين كفروا لو أن لهم ما في الأرض جميعاً ومثله معه. »	المائدة	٣٦
١٢٨	قال الله تعالى: « ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلاً. »	الاسراء	١١٠
١٢٩	قال الله تعالى: « إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا. »	فصلت	٣٠
١٣٠	قال الله تعالى: « الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون. »	الأنعام	٨٢

رقم مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية
١٣١	قال الله تعالى: « أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها. »	الرعد	١٧
١٣٢	قال الله تعالى: « حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك الراشدون. فضلاً من الله ونعمة. »	الحجرات	٧ ـ ٨
١٣٣	قال الله تعالى: « هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض وإذ أنتم أجنة في بطون أمهاتكم. »	النجم	٣٢
١٣٤	قال الله تعالى: « ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله. »	الشورى	٢٦
١٣٥	قال الله تعالى: « يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً. »	الأنفال	٢٩
١٣٦	قال الله تعالى: « ولو أنهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيراً لهم وأشد تثبيتاً وإذا لآتيناهم من لدنا أجراً عظيماً ولهديناهم صراطاً مستقيماً. »	النساء	٦٨
١٣٧	قال الله تعالى: « والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا. »	العنكبوت	٦٩

رقم مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية
١٣٨	قال الله تعالى: « ونوحاً هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين. »	الأنعام	٨٤
١٣٩	قال الله تعالى: « ووهبنا لداود سليمان نعم العبد إنه أواب. »	ص	٣٠
١٤٠	قال الله تعالى: « أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده. »	الأنعام	٩٠
١٤١	قال الله تعالى: « هذا عطاؤنا فآمن أو أمسك بغير حساب. »	ص	٣٩
١٤٢	قال الله تعالى: « وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب. »	ص	٤٠
١٤٣	قال الله تعالى: « ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو. »	البقرة	٢١٩
١٤٤	قال الله تعالى: « يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه. »	المائدة	٩٠
١٤٥	قال الله تعالى: « ألم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون. »	العنكبوت	١ ـ ٢

رقم مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية
١٤٦	قال الله تعالى: « إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً. »	الأحزاب	٣٣
١٤٧	قال الله تعالى: « أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم. »	النساء	٥٩
١٤٨	قال الله تعالى: « أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون. »	المجادلة	٢٢
١٤٩	قال الله تعالى: « إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون. »	النحل	١٢٨
١٥٠	قال الله تعالى: « وما لنا ألا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا ولنصبرن على ما آذيتمونا. »	ابراهيم	١٢
١٥١	قال الله تعالى: « منها خلقناكم وفيها نعيدكم، ومنها نخرجكم تارة أخرى. »	طه	٥٥
١٥٢	قال الله تعالى: « ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور. »	النور	٤٠

رقم مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية
١٥٣	قال الله تعالى: « إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم ايماناً وعلى ربهم يتوكلون. »	الأنفال	٢
١٥٤	قال الله تعالى: « إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون. »	فصلت	٣٠
١٥٦	قال الله تعالى: « من عمل صالحاً فلأنفسهم يمهدون. »	الروم	٤٤
١٥٧	قال الله تعالى: « لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها نزلاً من عند الله. »	آل عمران	١٩٨
١٥٨	قال الله تعالى: « لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً. »	المائدة	٤٨
١٥٩	قال الله تعالى: « ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها. »	الجاثية	١٨
١٦٠	قال الله تعالى: « فروح وريحان وجنة ونعيم. »	الواقعة	٨٩
١٦١	قال الله تعالى: « تحيتهم يوم يلقونه سلام. »	الأحزاب	٤٤

رقم مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية
١٦٢	قال الله تعالى: « وإن جهنم لموعدهم أجمعين لها سبعة أبواب لكل باب منها جزء مقسوم. »	الحجر	٤٤
١٦٣	قال الله تعالى: « ادعوني استجب لكم. »	غافر	٦٠
١٦٤	قال الله تعالى: « ألم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم. »	البقرة	٢٤٣
١٦٥	قال الله تعالى: « صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة. »	البقرة	١٣٨
١٦٦	قال الله تعالى: « أو من كان ميتاً فأحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها. »	الأنعام	١٢٢
١٦٧	قال الله تعالى: « ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور. »	النور	٤٠
١٦٨	قال الله تعالى: « قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها. »	الشمس	٩ــ١٠
١٦٩	قال الله تعالى: « ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون. »	الحجر	٣

رقم مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية
١٧٠	قال الله تعالى: « لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة. »	الفتح	١٨
١٧١	قال الله تعالى: « فجعل من دون ذلك فتحاً قريباً. »	الفتح	٢٧
١٧٢	قال الله تعالى: « وهو الذي كف أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم. »	الفتح	٢٤
١٧٣	قال الله تعالى: « ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم أن تطئوهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم. »	الفتح	٢٥
١٧٤	قال الله تعالى: « الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص. »	البقرة	١٩٥
١٧٥	قال الله تعالى: « يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية. »	الفجر	٢٧ـ
١٧٦	قال الله تعالى: « ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب. »	الطلاق	٢

رقم مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية
١٧٧	قال تعالى: « أنى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر ولم أك بغياً. »	مريم	٢٠
١٧٨	قال الله تعالى: « قال كذلك الله يخلق ما يشاء. »	آل عمران	٤٧
١٧٩	قال الله تعالى: « كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً قال يا مريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب. »	آل عمران	٣٧
١٨٠	قال الله تعالى: « وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم. »	الأنفال	٧
١٨١	قال الله تعالى: « وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن اكرمكم عند الله أتقاكم. »	الواقعة	١٣
١٨٢	قال الله تعالى: « إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً. »	الأحزاب	٣٣
١٨٣	قال الله تعالى: « ربنا واجعلنا مسلمين لك. »	البقرة	١٢٨
١٨٤	قال الله تعالى: « فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون. »	المائدة	٢٤

رقم مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية
١٨٥	قال الله تعالى: « إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل. »	آل عمران	١٧٣
١٨٦	قال الله تعالى: « فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله. »	آل عمران	١٧٤
١٨٧	قال الله تعالى: « إن أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا معه والله وليّ المؤمنين. »	آل عمران	٦٨
١٨٨	قال الله تعالى: « يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم وإياي فارهبون. »	البقرة	٤٠
١٨٩	قال الله تعالى: « يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون. »	الحج	٧٧
١٩٠	قال الله تعالى: « هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل. »	الحج	٧٨

رقم مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية
١٩١	قال الله تعالى: « استجيبوا لربكم من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله. »	الشورى	٤٧
١٩٢	قال الله تعالى: « يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم. »	الأنفال	٢٤
١٩٣*	قال الله تعالى: « والله يدعو الى دار السلام ويهدي من يشاء الى صراط مستقيم. »	يونس	٢٥
١٩٤	قال الله تعالى: « ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فما زلتم في شك مما جاءكم به حتى إذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولاً. »	غافر	٣٤
١٩٥	قال الله تعالى: « ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين. »	القصص	٥
١٩٦	قال الله تعالى: « أغير الله أبغيكم إلهاً وهو فضلكم على العالمين. »	الأعراف	١٤٠
١٩٧	قال الله تعالى: « يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة. »	المائدة	٢١

رقم مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية
١٩٨	قال الله تعالى: « قالوا يا موسى إنا لن ندخلها أبداً ما داموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون. »	المائدة	٢٤
١٩٩	قال الله تعالى: « يا قوم إنما فتنتم به وإن ربكم الرحمن فاتبعوني واطيعوا أمري قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع إلينا موسى. »	طه	٩٠ ـــ ٩١
٢٠٠	قال الله تعالى: « فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا أنفسكم. »	البقرة	٥٤
٢٠١	قال الله تعالى: « خذوا ما أتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون. »	البقرة	٦٣
٢٠٢	قال الله تعالى: « وادخلوا الباب سجداً وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم. »	البقرة	٥٨
٢٠٣	قال الله تعالى: « فبدل الذين ظلموا قولاً غير الذي قيل لهم. »	البقرة	٥٩
٢٠٤	قال تعالى: « ولا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا. »	الأحزاب	٦٩

رقم مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية
٢٠٥	قال الله تعالى: « قل إن الهدى هدى الله أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم. »	آل عمران	٧٣
٢٠٦	قال الله تعالى: « وكانوا أحق بها وأهلها. »	الفتح	٢٦
٢٠٧	قال الله تعالى: « ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا. »	فاطر	٣٢
٢٠٨	قال الله تعالى: « كنتم خير أمة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله. »	آل عمران	١١٠
٢٠٩	قال الله تعالى: « لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً. »	البقرة	١٤٣
٢١٠	قال الله تعالى: « لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم. »	المجادلة	٢٢
٢١١	قال الله تعالى: « يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة. »	الحشر	٩

رقم مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية
٢١٢	قال الله تعالى: « وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً. »	البقرة	١٤٣
٢١٣	قال الله تعالى: « إن الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات. »	التوبة	١٠٤
٢١٤	قال الله تعالى: « وما كنت بجانب الطور إذ نادينا ولكن رحمة من ربك. »	القصص	٤٦
٢١٥	قال الله تعالى: « لقد منَّ الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم. »	آل عمران	١٦٤
٢١٦	قال الله تعالى: « وما ارسلنا من رسول إلا بلسان قومه. »	النساء	٦٤
٢١٧	قال الله تعالى: « وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون. »	الزخرف	٤٤
٢١٨	قال الله تعالى: « هو الذي بعث في الاميين رسولاً منهم. »	الجمعة	٢
٢١٩	قال الله تعالى: « وآخرين منهم لما يلحقوا بهم. »		

رقم مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية
٢٢٠	قال الله تعالى: « شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا انطقنا الله الذي انطق كل شيء. »	فصلت	٢٠ ـ ٢١
٢٢١	قال الله تعالى: « وما يؤمن اكثرهم بالله إلا وهم مشركون. »	يوسف	١٠٦
٢٢٢	قال الله تعالى: « ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون. »	آل عمران	١٦٩
٢٢٣	قال الله تعالى: « وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب. »	الشورى	٥١
٢٢٤	قال الله تعالى: « والسابقون السابقون أولئك المقربون في في جنات النعيم ثلَّة من الأولين. »	الواقعة	١٠ ـ ١١ ـ ١٢
٢٢٥	قال الله تعالى: « غدوها شهر ورواحها شهر. »	سبأ	١٢
٢٢٦	قال الله تعالى: « فقالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون. »	النمل	١٨

رقم مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية
٢٢٧	قال الله تعالى: « رب لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً. »	نوح	٢٦
٢٢٨	قال الله تعالى: « ولقد آتينا لقمان الحكمة أن اشكر لله. »	لقمان	١٢
٢٢٩	قال الله تعالى: « وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب. »	ص	٢٠
٢٣٠	قال الله تعالى: « اعملوا آل داود شكراً وقليل من عبادي الشكور. »	سبأ	١٣
٢٣١	قال الله تعالى: « يا جبال أوبي معه والطير. وألنا له الحديد. »	سبأ	١٠
٢٣٢	قال الله تعالى: « وورث سليمان داود وقال أيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء. »	النمل	١٦
٢٣٣	قال الله تعالى: « هذا عطاؤنا فآمن أو أمسك بغير حساب. »	ص	٣٩
٢٣٤	قال الله تعالى: « الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم. »	الأنفال	٢

رقم مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية
٢٣٥	قال الله تعالى: « أولئك هم المؤمنون حقاً لهم درجات.»	الأنفال	٤
٢٣٦	قال الله تعالى: « لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان. »	الرحمن	٥٦
٢٣٧	قال الله تعالى: « لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة. »	يونس	٦٤
٢٣٨	قال الله تعالى: « وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب. »	الشورى	٥١
٢٣٩	قال الله تعالى: « ولنعلمه من تأويل الأحاديث والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون. »	يوسف	٢١
٢٤٠	قال الله تعالى: « الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون. »	الأنعام	٨٢
٢٤١	قال الله تعالى: « فأما الانسان إذا ما ابتلاه ربه فأكرمه ونعَّمَهُ فيقول ربي أَكْرَمَنِ وأما إذا ما ابتلاه فقدر عليه رزقه فيقول ربي أهانن كلا. »	الفجر	١٥ ــ ١٦ ــ ١٧
٢٤٢	قال الله تعالى: « أفمن شرح الله صدره للاسلام فهو على نور من ربه. »	الزمر	٢٢

رقم مسلسل	الآية	السورة	رقم الآية
٢٤٣	قال الله تعالى: « ثم ردوا الى الله مولاهم الحق ألا له الحكم وهو أسرع الحاسبين. »	الأنعام	٦٢
٢٤٤	قال الله تعالى: « الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة. »	النحل	٢٢
٢٤٥	قال الله تعالى: « سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين. »	الزمر	٧٣
٢٤٦	قال الله تعالى: « جزاء بما كانوا يعملون. »	الواقعة	٢٤
٢٤٧	قال الله تعالى: « هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله. »	الفتح	٢٨
٢٤٨	قال الله تعالى: « ولمن خاف مقام ربه جنتان. »	الرحمن	٤٦
٢٤٩	قال الله تعالى: « ومن دونهما جنتان. »	الرحمن	٦٢

٢ ــ فهرس الأحاديث النبوية

رقم مسلسل	الحديث	رقم الصفحة
٥	قال ﷺ: « لا يجلس الرجل الى الرجلين إلا على إذن منهما إذا كانا يتناجيان. »	٧٦
٦	قال ﷺ: « لا تغضب يا معاوية بن حيدة إن الغضب يفسد الإيمان كما يفسد العسلَ الصبرُ. »	٧٨
٧	قال ﷺ: « إن الغضب ميسم من نار جهنم يضعه الله تعالى على أحدهم ألا ترى أنه إذا غضب احمرت عينه واربد وجهه وانتفخت أوداجه. »	٨٠
٨	قال ﷺ: « لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر. »	٨٠
٩	قال ﷺ: « يقول الله تعالى: « لي العظمة والكبرياء والفخر والقدر سرّي فمن نازعني في واحدة منهن كببته في النار. »	٨١
١٠	قال ﷺ: « إني لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. »	٨١
١١	قال ﷺ: « إذا انتقل أحدكم فليبدأ باليمين فإذا فزع فليبدأ بالشمال وليكن اليمين أولهما يلبس وآخرهما ينزع. »	٨٣

رقم مسلسل	الحديث	رقم الصفحة
١٢	قال ﷺ: « إذا أكل أحدكم فليأكل بيمينه وإذا شرب أحدكم فليشرب بيمينه. »	٨٤
١٣	قال ﷺ: « يمين الله ملأى سحّاء لا يغيضها شيء بالليل ولا بالنهار. »	٨٥
١٤	قال ﷺ: « إن الله تعالى خلق آدم فمسح ظهره بيمينه فاستخرج منه ذرية فقال: خلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون، ثم مسح ظهره بيساره فاستخرج منه ذرية فقال: خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل الجنة يعملون. »	٨٥
١٥	قال ﷺ: « خلق الله الخلق وقضى القضية فأخذ ميثاق النبيين وعرشه على الماء فأخذ أهل اليمين بيمينه وأخذ أهل الشمال بالأخرى وكلتا يدي الرحمن يمين ثم قال: يا أصحاب اليمين قالوا: لبيك ربنا وسعديك قال: ألست بربكم... ؟ قالوا: بلى. ثم قال: يا أصحاب الشمال قالوا: لبيك وسعديك قال: ألست بربكم... ؟ قالوا: بلى. فخلط بعضهم ببعض فقال قائل منهم: ربِ لم خلطت بيننا... ؟ فقال: لهم أعمال من دون ذلك هم لها عاملون. فقال قائل: فما الأعمال... ؟ قال: يعمل كل قوم لمنزلتهم. فقال عمر: إذا نجتهد. »	٨٦

رقم مسلسل	الحديث	رقم الصفحة
١٦	قال ﷺ: « عن عبدالله بن مسعود ــ رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ــ ﷺ ــ يا عبدالله بن مسعود. قلت: لبيك يا رسول الله ثلاث مرات قال: هل تدري أي عرى الإيمان أوثق... ؟ قلت الله ورسوله أعلم. قال: فإن أوثق عرى الإيمان الولاية في الله والحب فيه والبغض فيه. يا عبدالله ابن مسعود. قلت لبيك يا رسول الله ثلاث مرات قال: هل تدري أي الناس أفضل... ؟ قلت: الله ورسول أعلم. قال: فإن أفضل الناس أفضلهم عملاً إذا فقهوا في دينهم. الخ.	٩٢
١٧	قال ﷺ: « ما من نفس تموت تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله يرجع ذلك الى قلب مؤمن إلا غفر الله له. »	٩٤
١٨	قال ﷺ: « من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير مخلصاً بها روحه، مصدقاً بها لسانه وقلبه فتقت له السماء فتقاً حتى ينظر الرب الى قائلها من أهل الدنيا وحق لعبد إذا نظر الله إليه أن يعطيه سؤله. »	٩٦
١٩	قال ﷺ: « يا معاذ أخلص يكفيك القليل من العمل. »	٩٧
٢٠	قال ﷺ: « لقنوا موتاكم شهادة أن لا إله إلا الله. »	٩٧

رقم مسلسل	الحديث	رقم الصفحة
٢١	قال ﷺ: « الفاجر الراجي لرحمة الله تعالى أقرب منها من العابد. »	٩٩
٢٢	قال ﷺ: « إنه ليس أحد منكم ينجيه عمله قالوا: ولا أنت يا رسول الله... ؟ قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته. »	١٠١
٢٣	قال ﷺ: « اهتز العرش لموت سعد بن معاذ ـــ رضي الله عنه. »	١٠٥
٢٤	قال ﷺ: « إن المؤمن اكرم على الله عز وجل من الملائكة المقربين. »	١٠٦
٢٥	قال ﷺ: « المؤمن أعظم حرمة عند الله من الكعبة. »	١٠٧
٢٦	قال ﷺ: « إن في بيوت المؤمنين لمصابيح الى العرش يعرفها مقربو الملائكة من السموات السبع يقولون هذا النور من بيوتات المؤمنين التي يتلى فيها القرآن. »	١٠٧
٢٧	قال ﷺ: « إن ما تذكرن من جلال الله تعالى من تسبيحه وتحميده وتكبيره وتهليله يتعاطفن حول العرش لهن دوي كدوي النحل يذكرن لصاحبهن أفلا يحب أحدكم أن لا يزال له عند الرحمن (جل جلاله) شيء يذكر به. »	١٠٨
٢٨	قال ﷺ: « يرحم الله أم اسماعيل لو تركت زمزم. أو قال: لو لم تغترف الماء لكانت زمزم عيناً معيناً. »	١٠٩

رقم مسلسل	الحديث	رقم الصفحة
٣٨	قال ﷺ: « من لاءمكم من رقيقكم فأطعموهم مما تطعمون واكسوهم مما تكسون ومن لا، فبيعوهم ولا تعذبوا خلق الله. »	١٢١
٣٩	قال ﷺ: « اعط الأجير أجره من قبل أن يجف عرقه، وذلك أن أجرته عمالة جسده. »	١٢٢
٤٠	قال ﷺ: « قال تعالى: ثلاثة أنا خصمهم ومن كنت خصمه خصمته من باع حراً وأكل ثمنه أو ظلم أجيراً أجره أو ظلم امرأة مهرها. »	١٢٢
٤١	قال ﷺ: « لا ينبغي لعين مؤمنة ترى أن يعصى الله تعالى فلا تنكر عليه. »	١٢٣
٤٢	قال ﷺ: « الجهاد ثلاثة جهاد باليد واللسان والقلب وجهاد بالقلب واللسان، وجهاد بالقلب وذلك أضعف الإيمان. »	١٢٤
٤٣	قال ﷺ: « ما كان لله نبي إلا وله حواريون يهدون بهديه ويستنون بسنته ثم يكون من بعده خلوف يقولون ما لا يفعلون ويعملون ما ينكرون فمن جاهدهم بيده فهو مؤمن ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمن ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن. »	١٢٤

رقم مسلسل	الحديث	رقم الصفحة
٤٤	قال ﷺ: « المتمسك بسنتي عند اختلاف أمتي كالقابض على الجمر. »	١٢٥
٤٥	قال ﷺ: « يا أبا عبيدة لا تأمن على أحد بعدي. »	١٢٦
٤٦	قال ﷺ: « إنه لا ينبغي لنبي أن يكون له خائنة عين. »	١٢٨
٤٧	قال ﷺ: « ما أخرجك يا فاطمة من بيتك.. ؟ قالت: أتيت أهل هذا الميت فرحمت إليهم ميتهم أو عزيتهم ـــ فقال لها رسول الله ﷺ: فلعلك بلغت معهم الكدا قالت: معاذ الله وقد سمعتك تذكر فيهم ما تذكر قال: لو بلغت معهم الكدا ما رأيت الجنة حتى يراها جدك أبو أبيك. »	١٢٩
٤٨	قال ﷺ: « ليس منا من حلق أو خرق أو سلق. »	١٣٠
٤٩	قال ﷺ: « ما رأيت من نواقص عقول ودين أغلب للرجال منهم. »	١٣٠
٥٠	قال ﷺ: « لعن رسول الله ـــ ﷺ ـــ زوارات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج. »	١٣١
٥١	قال ﷺ: « من زار قبر أبويه أو أحدهما في كل جمعة مرة غفر له وكتب براً. »	١٣٢

رقم مسلسل	الحديث	رقم الصفحة
٥٢	قال ﷺ: « الورود الدخول لا يبقى بر ولا فاجر إلا دخلها فتكون على المؤمنين برداً وسلاماً كما كانت على ابراهيم عليه السلام حتى أن للنار ضجيجاً من بردهم. »	١٣٣
٥٣	قال ﷺ: « إن النار لتنادي: جُزْ يا مؤمن فقد أطفأ نورك لهبي. »	١٣٤
٥٤	قال ﷺ: « يرد الناس النار ثم يصدون عنها بأعمالهم فأولهم كلمح البرق ثم كالريح ثم كحضر الفرس، ثم كالراكب في رحله ثم كشد الرجل ثم كمشية، ثم كحبوة. »	١٣٥
٥٥	قال ﷺ: « اتقوا الدنيا فوالذي نفسي بيده أنها لأسحر من هاروت وماروت. »	١٣٦
٥٦	قال ﷺ: « حبك الشيء يعمي ويصم. »	١٣٧
٥٧	قال ﷺ: « إن المؤمن ينصني شيطانه كما ينصني أحدكم بعيره في السفر. »	١٣٨
٥٨	قال ﷺ: « ما لقي الشيطان عمر في فج فيسمع صوته إلا أخذ في غيره. »	١٣٩
٥٩	قال ﷺ: « أفضل العبادة الفقه وأفضل الدين الورع. »	١٤١

رقم مسلسل	الحديث	رقم الصفحة
٦٠	قال ﷺ:	
	« ما عبدالله بشيء أفضل من فقه في دين ولفقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد ولكل شيء عماد وعماد هذا الدين الفقه. »	١٤١
٦١	قال ﷺ:	
	« إذا أراد الله بعبد خيراً يفقهه. »	١٤٣
٦٢	قال ﷺ:	
	« من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين يا أيها الناس تفقهوا. »	١٤٤
٦٣	قال ﷺ:	
	« عمر أمتي من ستين الى سبعين. وقال: معترك المنايا ما بين الستين الى السبعين. »	١٤٥
٦٤	قال ﷺ:	
	« إذا حسن اسلام العبد تمم الله له عمله بسبعمائة ضعف. »	١٤٧
٦٥	قال ﷺ:	
	« إن الله عز وجل قال: يا عيسى إني باعث من بعدك أمة إن أصابهم ما يحبون حمدوا وشكروا وإن أصابهم ما يكرهون احتسبوا وصبروا... »	١٤٨
	قيل: يا رسول الله كيف تعرف أمتك يومئذ ؟ قال: أرأيت لو كان لأحدكم خيل دهم وفيها أغرّ محجل أما كان يعرفه... ؟ قالوا: بلى يا رسول الله قال: فإن أمتي غر من السجود محجلون من أثر الوضوء.	١٤٩

رقم مسلسل	الحديث	رقم الصفحة
٦٦	قال ﷺ: « أعطيت أمتي من اليقين ما لم يعط أمة. »	١٥٠
٦٧	قال ﷺ: « ما من نبي إلا وقد أعطي من الآيات ما على مثله آمن البشر، وإني لم أبعث بآية وإنما أوحي الي وحياً ثم أنا أكثر الأمم تبعاً. »	١٥٠
٦٨	قال ﷺ: « ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس. »	١٥٢
٦٩	قال ﷺ: « ما أعطيت أمة من اليقين ما أعطيت هذه الأمة. »	١٥٣
٧٠	قال ﷺ: « مثلكم ومثل اليهود والنصارى كمثل رجل استعمل عمالاً فقال: من يعمل لي من صلاة الصبح الى نصف النهار على قيراط قيراط ألا فعملت اليهود ثم قال: من يعمل لي من نصف النهار الى صلاة العصر على قيراط قيراط ألا فعملت النصارى ثم قال: الخ. »	١٥٤
٧١	قال ﷺ: « أحبوا الله لما يغزوكم به من نعمه، وأحبوني بحب الله وأحبوا أهل بيتي بحبي. »	١٥٥
٧٢	قال ﷺ: « إن الله عز وجل قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم. »	١٥٦

رقم مسلسل	الحديث	رقم الصفحة
٧٣	قال ﷺ: « أنتم توفون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله تعالى. »	١٥٩
٧٤	قال ﷺ: « انهس اللحم نهساً فإنه أشهى وأمرأ. »	١٦٢
٧٥	قال ﷺ: « تصلي الملائكة على الرجل ما دامت مائدته موضوعة. »	١٦٢
٧٦	قال ﷺ: « الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر. »	١٦٤
٧٧	قال ﷺ: « الايمان حلو نزه فنزهوا. »	١٦٥
٧٨	قال ﷺ: « إن الله رفيق يحب الرفق في الأمر كله. »	١٦٧
٧٩	قال ﷺ: « من حرم حظه من الرفق فقد حرم حظه من خير الدنيا والآخرة. »	١٦٨
٨٠	قال ﷺ: « أما إني لا أحرمه، ولكني أتركه تواضعاً لله تعالى. »	١٧٠
٨١	قال ﷺ: « لا تتخذوه عيداً » نهى عن صوم يوم الجمعة.	١٧١
٨٢	قال ﷺ: « أحشر أنا وأبو بكر وعمر هكذا، [وأخرج السبابة والوسطى والبنصر] وقال: ونحن مشرفون على الناس. »	١٧٢

رقم مسلسل	الحديث	رقم الصفحة
٨٣	قال ﷺ: « قيدوا العلم بالكتابة. »	١٧٥
٨٤	قال ﷺ: « إن من أشراط الساعة أن توضع الأخيار وترفع الأشرار، وأن تقرأ المثناة على رؤوس الناس. »	١٧٧
٨٥	قال ﷺ: « ألا وإني أوتيت الكتاب ومثله فلا يتكتمن أحدكم على أن يقول: ما وجدنا في كتاب الله عز وجل أخذنا وما لم نجد تركناه. »	١٧٩
٨٦	قال ﷺ: « إنما يسلط على ابن آدم من خافه ابن آدم ولو أن ابن آدم لم يرج إلا الله لم يكله الله الى أحد غيره. »	١٨٢
٨٧	قال ﷺ: « كان ملك الموت يأتي الناس عياناً حتى أتى موسى عليه السلام فلطمه ففقأ عينه فرجع ملك الموت الى ربه عز وجل فقال يا رب إن عبدك موسى فعل بي ما ترى ولولا كرامته عليك لشفقت عليه قال ارجع الى عبدي موسى فقل له فليضع يده على متن ثور فخيره بكل شعرة توازي كفه أن يعيش سنة فقال موسى عليه السلام يا ملك الموت فما بعد ذلك فقال: الموت قال: فمن الآن. قال: فشمه شمة فقبض روحه فرد عليه بصره فكان يأتي الناس بعد ذلك خفية. »	١٨٤
٨٨	قال ﷺ: « إذا أتى أحدكم بهدية فجلساؤه شركاؤه فيها. »	١٨٥

رقم مسلسل	الحديث	رقم الصفحة
٨٩	قال ﷺ: « من تواضع لله درجة رفعه الله درجة، ومن تواضع لله درجات رفعه الله درجات حتى يجعله في أعلا عليين، ومن تكبر على الله درجة وضعه الله درجة، ومن تكبر على الله درجات وضعه الله درجات حتى يجعله في أسفل سافلين. »	١٨٧
٩٠	قال ﷺ: « بينما رجل يمشي في الطريق إذا أبصر بغصن شوك فقال: والله لأرفعنّ هذا لا يصيب أحداً من المسلمين فرفعه فغفر له. »	١٨٩
٩١	قال ﷺ: « بينما عبد لم يعمل خيراً قط مر على بئر فشرب فإذا هو بكلب يلهث عطشاً فغرف له بخفه فسقاه فشكر الله له ذلك فغفر له. »	١٩٠
٩٢	قال ﷺ: « قصوا أظافيركم وأدفنوا قلاماتكم ونقوا براجمكم ونظفوا لثاتكم من الطعام وتسننوا ولا تدخلوا عليَّ فخراً بخراً. »	١٩١
٩٣	قال ﷺ: « ليس من أمتي من لم يجل كبيرنا ويرحم صغيرنا ويعرف لعالمنا حقه. »	١٩٣
٩٤	قال ﷺ: « إذا أردت سفراً أو تخرج مكاناً فقل لاهلك استودعكم الله الذي لا يخيب ودائعه. »	١٩٤

رقم مسلسل	الحديث	رقم الصفحة
٩٥	قال ﷺ: « من توكل على الله كفاه. » وقال: « من سره أي يكون أقوى الناس فليتوكل على الله. »	١٩٦
٩٦	قال ﷺ: « يجاء بالعبد يوم القيامة فتوضع حسناته في كفة وسيئاته في كفة فترجح السيئات فتجيء بطاقة فتقع في كفة الحسنات فترجح بها فيقول يا رب ما هذه البطاقة.. ؟ فما من عمل عملته في ليلي ونهاري إلا وقد استقبلت به قال: هذا ما قيل فيك وأنت منه بريء قال: فينجو بذلك. »	١٩٩
٩٧	قال ﷺ: « البهتان عدل بالمشرك بالله. »	٢٠٠
٩٨	قال ﷺ: « احتجبا منه (يقصد ابن ام مكتوم) فقلنا يا رسول الله أليس هو الأعمى لا يبصرنا ولا يعرفنا.. ؟ فقال رسول الله ﷺ: أنتما ألستما تبصرانه. »	٢٠١
٩٩	قال ﷺ: « ما من مسلم ينظر الى محاسن امرأة أول مرة ثم يغض بصره إلا أحدث الله له عبادة يجد حلاوتها. »	٢٠٣
١٠٠	قال ﷺ: « اللهم بارك لأمتي في بكورها. »	٢٠٤
١٠١	قال ﷺ: « النظر الى محاسن المرأة سهم مسموم من سهام الشيطان	٢٠٤

رقم مسلسل	الحديث	رقم الصفحة
	فمن صرف بصره عنها أبدله الله تعالى عبادة يجد حلاوتها. »	
١٠٢	قال ﷺ: « من صام رمضان واتبعه ستاً من شوال فكأنما صام الدهر. »	٢٠٥
١٠٣	قال ﷺ: « الطاعم الشاكر بمنزله الصائم الصابر. »	٢٠٧
١٠٤	قال ﷺ: « الإيمان نصفان نصف للشكر ونصف للصبر. »	٢٠٧
١٠٥	قال ﷺ: « اقتلوا الحيات صغيرها وكبيرها وأسودها وأبيضها فإن من قتلها كانت له فداء من النار ومن قتلته كان شهيداً. »	٢٠٩
١٠٦	قال ﷺ: « عليك بالعلم فإن العلم خليل المؤمن والحلم وزيره والعقل دليله، والعمل قيمه، والرفق أبوه، واللين أخوه، والصبر أمير جنده. »	٢١٦
١٠٧	قال ﷺ: « لا بأس من غنى لمن اتقى، والصحة لمن اتقى خير من الغنى وطيب النفس من النعيم.	٢١٨
١٠٨	قال ﷺ: « الخوارج كلاب أهل النار يقرأون القرآن يقيمونه إقامة القدح لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية. »	٢٢٥

رقم مسلسل	الحديث	رقم الصفحة
١٠٩	قال ﷺ: « المؤذنون أطول الناس اعناقاً يوم القيامة. »	٢٣٠
١١٠	قال ﷺ: « أحشر أنا وأبو بكر وعمر يوم القيامة هكذا [وأخرج السبابة والوسطى والبنصر] ونحن مشرفون على الناس. »	٢٣١
١١١	قال ﷺ: « أول من يصافحه الحق عمر، وأول من يسلم عليه وأول من يأخذ بيده فيدخله الجنة. »	٢٣٢
١١٢	قال ﷺ: « ارحم أمتي بأمتي أبو بكر، وأقواهم في دين الله عمر. »	٢٣٤
١١٣	قال ﷺ: « اذا حدثتم عني بحديث تعرفونه ولا تنكرونه قلته أو لم لم أقله فصدقوا به، وإني أقول ما يعرف ولا ينكر وإذا حدثتم عني بحديث تنكرونه ولا تعرفونه فكذبوا به فإني لا أقول ما ينكر ولا يعرف. »	٢٣٥
١١٤	قال ﷺ: « لو عرفتم الله حق معرفته لزالت بدعائكم الجبال. »	٢٤٢
١١٥	قال ﷺ: « جئت تسأل عن البر والإثم استفت قلبك. البر ما اطمأنت إليه النفس والقلب، والإثم ما حاك في النفس وتردد في الصدر وإن أفتاك الناس. »	٢٤٥
١١٦	قال ﷺ: « خير الصدقة ما كان عن ظهر غني وابدأ بنفسك ثم بمن تعول. »	٢٥٢

رقم مسلسل	الحديث	رقم الصفحة
	بلغ أقصى أثره قبضه الله سبحانه فتقول الأرض يوم القيامة: رب هذا عبدك ما استودعتني. »	
١٢٦	قال ﷺ: « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشرب وهو مؤمن. »	٢٧٥
١٢٧	قال ﷺ: « خصلتان لا تجتمعان في قلب مؤمن البخل وسوء الخلق. »	٢٨٦
١٢٨	قال ﷺ: « الورع سيد العمل من لم يكن له ورع يرده عن معصية الله تعالى إذا خلا بها لم يعبأ الله بسائر عمله شيئاً. »	٢٨٧
١٢٩	قال ﷺ: « أول تحفة المؤمن أن يغفر لمن صلى عليه. »	٢٩٠
١٣٠	قال ﷺ: « يهرم ابن آدم ويشب منه اثنان الحرص على المال والحرص على العمر. »	٢٩٣
١٣١	قال ﷺ: « لكل عبد صائم دعوة مستجابة عند افطاره اعطيها في الدنيا أو ذخر له في الآخرة. »	٣٠٤
١٣٢	قال ﷺ: « إن الله أعطاني سبعين ألفاً من أمتي يدخلون الجنة بغير حساب فقال عمر: يا رسول الله فهلا استزدته فقال: استزدته فأعطاني هكذا وفتح أبو وهب يديه قال أبو	٣٠٧

رقم مسلسل	الحديث	رقم الصفحة
	وهب: قال هشام: هذا من الله لا يدري ما عدده. »	
١٣٣	قال ﷺ:	
	« إذا بعثتم إليَّ رسولاً فاجعلوه حسن الوجه حسن الاسم. »	٣١١
١٣٤	قال ﷺ:	
	« كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه كما تناتج الإبل من بهيمة جمعاء هل يحس من جدعاء. قالوا: يا رسول الله أفرأيت من يموت صغيراً.. ؟ قال: الله أعلم بما كانوا عاملين على الفطرة أي على الإسلام. »	٣١٤
١٣٥	قال ﷺ:	
	« قال تعالى: خلقت عبادي حنفاء فأتتهم الشياطين فاحتالتهم عن دينهم وأمرتهم أن يشركوا بي وحرمت عليهم ما أحللت لهم. »	٣١٦
١٣٦	قال ﷺ:	
	« لا يموت لأحد من المسلمين ثلاثة من الولد فتمسهم النار إلا تحلة القسم. »	٣١٧
١٣٧	قال ﷺ:	
	« يا عائشة من مات له فرطان من أمتي أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهم قالت: يا رسول الله فمن كان له فرط واحد قال: ومن كان له فرط واحد يا موفقة، قالت: ومن لم يكن له فرط ؟ قال: فأنا فرط أمتي لم يصابوا بمثلي. »	٣١٨
١٣٨	قال ﷺ:	
	« إن هذا المال خضرة حلوة فمن أخذه بحقه فلنعم المعونة هو. »	٣٢١

رقم مسلسل	الحديث	رقم الصفحة
١٣٩	قال ﷺ: « عن أبي بكر ــ رضي الله عنه ــ أن رسول الله ــ ﷺ كان إذا أراد أمراً قال: اللهم خر لي واختر لي. »	٣٢٣
١٤٠	قال ﷺ: « اللهم اغفر للمحلقين قالوا: والمقصرين يا رسول الله.. ؟ قال اللهم اغفر للمحلقين قالوا: والمقصرين يا رسول الله.. ؟ قال: والمقصرين. »	٣٢٦
١٤١	قال ﷺ: « ما خلأت ، وما لها بخلق ولكن حبسها حابس الفيل. »	٣٢٧
١٤٢	قال ﷺ: « اصبر واحتسب أبا جندل فإن الله عز وجل جاعل لك وللمسلمين فرجاً إنا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحاً وإنا لن نغدر. »	٣٣٣
١٤٣	قال ﷺ: « من غش العرب لم يدخل في شفاعتي ولم تنله مودتي. »	٣٣٦
١٤٤	قال ﷺ: « إن الله تعالى قسم الخلق قسمين فجعلني في خيرهما قسماً فذلك قوله تعالى: ﴿ **وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين** ﴾ ﴿ **وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال** ﴾ فأنا من أصحاب اليمين وأنا خير أصحاب اليمين. »	٣٣٧
١٤٥	قال ﷺ: « إن الله تعالى خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض فجاء بنو آدم على قدر الأرض، جاء منهم الأحمر والأسود	٣٣٨

رقم مسلسل	الحديث	رقم الصفحة
١٥٤	قال ﷺ:	
	« أعطيت أمتي ثلاثاً لم يعط أحد: صفوف الصلاة وتحية أهل الجنة وأمين إلا ما أعطي موسى وهارون من قوله آمين. »	٣٦١
١٥٥	قال ﷺ:	
	« إني دعوت العرب فقلت: اللهم من لقيك منهم مؤمناً موقناً مصدقاً بلقائك فاغفر له أيام حياته، وهي دعوة أبينا إبراهيم عليه السلام، ولواء الحمد بيدي يوم القيامة، ومن أقرب الناس الى لوائي يومئذ العرب. »	٣٦٢
١٥٦	قال ﷺ:	
	« من صلى على جنازة فله قيراط ومن تبعها حتى يفرغ من أمرها فله قيراطان أحدهما أو أصغرهما مثل أحد. »	٣٦٦
١٥٨	قال ﷺ:	
	« إن للمسلم على المسلم ست خصال يجيبه إذا دعاه ويسلم عليه إذا لقيه ويعوده إذا مرض ويصلي عليه إذا مات وينصحه إذا استنصحه ويشمته إذا عطس. »	٣٦٦
١٥٩	قال ﷺ:	
	« ما كلم الله أحداً قط إلا من وراء حجاب وأنه أحيا أباك « يا جابر » فكلمه كفاحاً. »	٣٦٨
١٦٠	قال ﷺ:	
	« لا يكون اللعانون شهداء ولا شفعاء. »	٣٧٠
١٦١	قال ﷺ:	
	« والذي نفسي بيده إنكم لو تدومون على أن تكونوا	٣٧٢

رقم مسلسل	الحديث	رقم الصفحة
	عندي في الذكر لصافحتكم الملائكة على فرشكم وطرقكم ولكن يا حنظلة ساعة وساعة. »	
١٦٢	قال ﷺ: « يكون في هذه الأمة رجال قلوبهم على قلب ابراهيم عليه السلام. »	٣٧٣
١٦٣	قال ﷺ: « دع عنك قول معاذ فإن الله تعالى يباهي به الملائكة. »	٣٧٤
١٦٤	وقال عليه السلام: « لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن. »	
١٦٥	قال ﷺ: « لقيت موسى عليه السلام في السماء السادسة فلما جاوزته بكى وقال: بنو اسرائيل أني أكرم ولد آدم على الله عز وجل وقد جاوزني. »	٣٧٧
١٦٦	قال ﷺ: « أن لقمان كان عبداً كثير التفكير حسن النظر كثير الصمت أحب الله فأحبه الله فمنَّ عليه بالحكمة. »	٣٧٩
١٦٧	قال ﷺ: « إن الله بعثني بالسيف بين يدي الساعة حتى يعبد الله وحده لا شريك له وجعل رزقي تحت ظل رمحي وجعل الذلة على من خالف أمري ومن تشبه بقوم فهو منهم. »	٣٨١
١٦٨	قال ﷺ: « إن المعونة تنزل من السماء على قدر المؤنة. »	٣٨٢

رقم مسلسل	الحديث	رقم الصفحة
١٦٩	قال ﷺ:. « لكل نبي دعوة دعا بها في أمته فإني اختبأت دعوتي شفاعتي لأمتي يوم القيامة. »	٣٨٢
١٧٠	قال ﷺ: « سيصاح برجل من أمتي يوم القيامة على رؤوس الأشهاد فينشر عليه تسعة وتسعون سجلاً كل سجل منها مد البصر فيقول الله تعالى: عبدي هل تنكر من هذا شيئاً.. ؟ فيقول هذه حجتك فيقول: لا يا رب فيقول: هل لك من حجة. فيقول: لا يا رب. فيقول: بلى لا ظلم عليك اليوم فيخرج الله تعالى له بطاقة فيقول: هذه حجتك فيقول: أي رب وما تغني هذه البطاقة من هذه السجلات.. ؟ فيقول يا عبدي لا ظلم عليك اليوم فيؤتى بالميزان فتوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة وإذا فيها شهادة أن لا إله إلا الله. »	٣٨٣
١٧١	قال ﷺ: « لا يزال الله يغرس في هذا الدين غرساً يستعملهم بطاعته. »	٣٨٧
١٧٢	قال ﷺ: « يقول الله تعالى: إذا حببت عبدي كنت سمعه وبصره ويده ورجله فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يعقل وبي ينطق. »	٣٨٨
١٧٣	قال ﷺ: « لا تقولوا للعنب كرم إنما الكرم قلب المؤمن. »	٣٨٨

رقم مسلسل	الحديث	رقم الصفحة
١٧٤	قال ﷺ: « من أكل من قصعة ثم لحسها استغفرت له القصعة وصلت عليه. »	٣٩٠
١٧٥	قال ﷺ: « إذا وضعت يدك في الطعام فنسيت أن تقول بسم الله فقل حين تذكر: بسم الله في أوله وآخره. »	٣٩١
١٧٦	قال ﷺ: « من رآني في المنام فقد رآني فإن الشيطان لا يستطيع أن يتمثل بي. »	٣٩٢
١٧٧	قال ﷺ: « الرؤيا ثلاثة فرؤيا حق، ورؤيا يحدث به المرء نفسه، ورؤيا تحزين من الشيطان فمن رأى ما يكره فليقم فليصل. »	٣٩٣
١٧٨	قال ﷺ: « الرؤيا على رجل طائر ما لم تعبر فإذا عبرت وقعت. »	٣٩٣
١٧٩	قال ﷺ: « رؤيا المؤمن كلام يكلم به العبد ربه في المنام. »	٣٩٦
١٨٠	قال ﷺ: « بينا أنا نائم إذا أتيت بقدح لبن فشربت منه حتى أني لأرى الري جرى من أطرافي ثم أعطيت فضلي عمر بن الخطاب فقال من حوله: ماذا أولته يا رسول الله.. ؟ قال: العلم.	٣٩٨

رقم الصفحة	الحديث	رقم مسلسل
	قال ﷺ:	١٨١
٤٠١	« إذا أقشعر جلد العبد من خشية الله تحاتت عنه خطاياه كما تحات الشجرة البالية ورقها. »	
	قال ﷺ:	١٨٢
٤٠١	« قال الله تعالى: وعزتي لا أجمع على عبدي خوفين ولا أجمع له أمنين فمن خافني في الدنيا أمنته في الآخرة. »	
	قال ﷺ:	١٨٣
٤٠٣	« ما أقفر بيت فيه خل » وقال: نعم الادام الخل.	
	قال ﷺ:	١٨٤
٤٠٤	« اللهم جنبني منكرات الأعمال والأخلاق والأهواء والأدواء. »	
	قال ﷺ:	١٨٥
٤٠٤	« أعوذ بك من بوائق الدهر وفجأة النقم. »	
	قال ﷺ:	١٨٦
٤٠٥	« بحسب امرئ من الشر أن يشار إليه بالأصابع في دين أو دنيا إلا من عصمه الله تعالى إنما يشار إليه في دين. »	
	قال ﷺ:	١٨٧
٤٠٦	« إذ دعي أحدكم الى طعام فليجب فإن شاء طعم وإن شاء ترك. »	
	قال ﷺ:	١٨٨
٤٠٨	« إن الله تعالى لم ينزل داء إلا أنزل له شفاء علمه من علمه وجهله من جهله. »	

رقم مسلسل	الحديث	رقم الصفحة
١٨٩	قال ﷺ: « المؤمن القوي خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير. »	٤١٠
١٩٠	قال ﷺ: « يدخل سبعون ألفاً من أمتي الجنة بغير حساب، قيل يا نبي الله من هم.. ؟ قال الذين لا يكتوون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون. »	٤١١
١٩١	قال ﷺ: « إن نبياً من الأنبياء كان في غزاة له فنزل تحت شجرة فلذعته نملة فأمر بتلك الشجرة فأحرقت فأوحى الله تعالى إليه: ألا نملة مكان نملة. »	٤١٣
١٩٢	قال ﷺ: « أنزلوا الناس منازلهم. »	
	قال ﷺ: « من أعطي حظه من الرفق أعطي حظه من خير الدنيا والآخرة ومن حرم حظه من الرفق حرم حظه من خير الدنيا والآخرة. »	٤١٨
١٩٣	قال ﷺ: « إذا أراد الله تعالى بأهل بيت خير أدخل عليهم باب الرفق. »	٤١٨
١٩٤	قال ﷺ: « المؤمن يموت بعرق الجبين وقال: ارقبوا الميت عند موته فأما إن رشحت جبينه وذرفت عيناه وانتشر منخراه فهي رحمة من الله تعالى. »	

رقم مسلسل	الحديث	رقم الصفحة
١٩٥	قال ﷺ:	
	« أن رجلاً قال: يا نبي الله أي المؤمنين أكيس قال أكثرهم ذكراً للموت وأحسنهم له استعداداً وإذا دخل النور في القلب وانفسح واستوسع قالوا: ما آية ذلك يا نبي الله.. ؟ قال: الانابة الى دار الخلود، والتجافي عن دار الغرور والاستعداد للموت قبل نزول الموت. »	٤٢١
١٩٦	قال ﷺ:	
	« لا أحد أحب إليه المدح من الله تعالى ولا أحد أحب إليه العذر من الله تعالى. »	٤٢٣
١٩٧	قال ﷺ:	
	« من الناس ناس مفاتيح للخير مغاليق للشر ومن الناس ناس مفاتيح للشر مغاليق للخير فطوبى لمن جعل مفاتيح الخير على يديه وويل لمن جعل مفاتيح الشر على يديه. »	٤٢٦
١٩٨	قال ﷺ:	
	« لا يجمع الله أمتي على ضلالة أبداً ويد الله على الجماعة هكذا فاتبعوا السواد الأعظم فإنه من شذ في النار. »	٤٢٨
١٩٩	قال ﷺ:	
	« جنان الفردوس أربع جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين أن ينظروا الى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن. »	٤٣٠

رقم مسلسل	الحديث	رقم الصفحة
٢٠٠	قال ﷺ: « حجابه النار لو كشفها لأحرقت سبحات وجهه كل شيء أدركه بصره. »	٤٣١
٢٠١	قال ﷺ: « إن من أهل الجنة من ينظر الى الله تعالى غدوة وعشياً. »	٤٣١

٣ ــ فهرس الأعلام

حرف الباء

حرف الثاء

حرف الجيم

حرف الحاء

حرف الخاء

حرف الراء

حرف الزاي

حرف السين

حرف الشين

حرف الصاد

حرف الطاء

حرف العين

حرف الفاء

حرف القاف

حرف الكاف

حرف اللام

حرف الميم

حرف الهاء

حرف الواو

حرف الياء

٤ ــ مراجع تحقيق الكتاب

١ ــ القرآن الكريم

٢ ــ فتح الباري ــ شرح صحيح البخاري.
دار المعرفة ــ بيروت

٣ ــ صحيح مسلم ــ للإمام مسلم بن الحجاج.
تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ــ دار احياء التراث العربي ــ بيروت

٤ ــ الجامع الصحيح ــ وهو سنن الترمذي.
تحقيق ــ أحمد محمد شاكر ــ دار الحديث ــ القاهرة

٥ ــ سنن الحافظ أبي عبد الله بن يزيد ــ ابن ماجة.
تحقيق ــ محمد فؤاد عبد الباقي ــ دار الحديث.

٦ ــ سنن النسائي ــ بشرح الحافظ السيوطي.
دار الحديث ــ القاهرة

٧ ــ المستدرك على الصحيحين ــ للامام الحاكم النيسابوري.
دار الكتاب العربي ــ بيروت

٨ ــ سنن أبي داود.
مراجعة محمد محيي الدين عبد الحميد
دار الكتب العلمية ــ بيروت

٩ ـ المسند ـ للامام أحمد بن حنبل.
المكتب الاسلامي ـ بيروت
١٠ ـ تنوير الحوالك شرح على موطأ مالك ـ للسيوطي.
احياء الكتب العربية ـ مصر
١١ ـ الادب المفرد ـ للامام البخاري.
عالم الكتب ـ بيروت
١٢ ـ الموطأ ـ للامام مالك بن أنس.
تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ـ دار الحديث ـ مصر
١٣ ـ المعجم الكبير ـ للحافظ سليمان بن أحمد الطبراني.
تحقيق حمدي عبد المجيد
١٤ ـ الجامع الصغير ـ للحافظ السيوطي ـ
مكتبة ومطبعة مصطفى الحلبي ـ مصر
١٥ ـ ضعيف الجامع الصغير وزيادته ـ تأليف محمد ناصر الدين الألباني.
المكتب الاسلامي ـ بيروت
١٦ ـ كتاب الاسماء والصفات ـ للبيهقي
المركز الاسلامي للكتاب ـ بيروت
١٧ ـ جامع الشمل في أحاديث خاتم الرسل ـ محمد بن يوسف اطفيش.
دار احياء الكتب العربية ـ مصر
١٨ ـ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ـ للهيثمي ـ
مكتبة القدسي ـ مصر
١٩ ـ اللالىء المصنوعة في الأحاديث الموضوعة ـ للسيوطي.
دار المعرفة ـ بيروت
٢٠ ـ الدر المنثور في التفسير بالمأثور ـ للسيوطي.
دار المعرفة ـ بيروت

٢١ ــ طبقات الشافعية الكبرى ــ للسبكي
دار احياء الكتب العربية ــ مصر
٢٢ ــ تفسير القرآن العظيم ــ ابن كثير
دار المعرفة ــ بيروت
٢٣ ــ الجامع لاحكام القرآن الكريم ــ القرطبي.
دار الكاتب العربي ــ بالقاهرة
٢٤ ــ تفسير الطبري ــ لابن جرير الطبري.
تحقيق محمود محمد شاكر ــ دار المعارف مصر
٢٥ ــ فهارس التاريخ الكبير ــ للامام البخاري.
دار الكتب العلمية ــ بيروت
٢٦ ــ زاد المسير في علم التفسير ــ لابن الجوزي.
المكتب الاسلامي ــ بيروت
٢٧ ــ كتاب كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون.
حاجي خليفة ــ المثنى ببغداد
٢٨ ــ كتاب الأعلام ــ للزركلي ــ
طبعة ثالثة ــ بيروت
٢٩ ــ كتاب الضعفاء الكبير.
تحقيق الدكتور عبد المعطي قلعجي ــ دار الكتب العلمية ــ بيروت
٣٠ ــ ميزان الاعتدال ــ للذهبي ــ
تحقيق الدكتور عبد المعطي قلعجي. دار الكتب العلمية ــ بيروت
٣١ ــ لسان الميزان ــ لابن حجر العسقلاني
حيدر أباد ١٣٢٥ هـ
٣٢ ــ تهذيب التهذيب ــ لان حجر العسقلاني
حيدر أباد ١٣٢٥ هـ

٣٣ ــ نصب الراية لاحاديث الهداية ــ للزيلعي ــ
دار الحديث ــ مصر

٣٤ ــ صفوة صحيح البخاري ــ
اختيار الشيخ عبد الجليل عيسى ــ جماعة الأزهر للنشر والتأليف

٣٥ ــ السيرة النبوية ــ لابن هشام ــ
ط مؤسسة علوم القرآن

٣٦ ــ الاستيعاب في معرفة الاصحاب.
تحقيق علي البجاوي ــ مكتبة نهضة مصر

٣٧ ــ الأذكار المنتخبة من كلام سيد الابرار ــ لمحيي الدين أبي زكريا يحيى بن شرف النووي ــ
ط ــ الحلبي مصر

٣٨ ــ الاصابة في تمييز الصحابة ــ لابن حجر العسقلاني ــ
ط التجارية مصر

٣٩ ــ تذكرة الحفاظ ــ لابي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي
حيدر أباد ــ ١٩٥٥

٤٠ ــ الترغيب والترهيب للمنذري.
تحقيق ــ مصطفى عمارة ــ الحلبي ــ القاهرة

٤١ ــ التصوف الثورة الروحية في الاسلام ــ للدكتور أبي العلا عفيفي.
ط المعارف بالاسكندرية ــ مصر

٤٢ ــ التعرف لمذهب أهل التصوف ــ للكلاباذي ــ
عبد الحليم محمود عيسى الحلبي ــ مصر

٤٣ ــ جامع الأصول من أحاديث الرسول ــ لابي السعادات. مبارك بن محمد بن الأثير الجزري
تصحيح محمد حامد الفقي ط السنه المحمدية ــ القاهرة ١٩٤٩

٤٤ ـ دائرة المعارف الاسلامية ـ
اعداد وتحرير إبراهيم زكي خورشيد وزميليه ـ ط كتاب السنة.
٤٥ ـ الرسالة القشيرية ـ لابي القاسم عبد الكريم القشيري ـ
محمد صبيح القاهرة ـ ١٩٤٨ م
٤٦ ـ سنن الدارمي ـ لابي محمد عبد الله الدارمي
ط دمشق ١٣٤٩ هـ
٤٧ ـ شرح النووي على صحيح مسلم ـ للامام النووي ـ
المطبعة المصرية بالازهر القاهرة ـ ١٣٤٧ ـ ١٩٢٩ م
٤٨ ـ الطبقات الكبرى للشعراني ـ
ط ـ مصر بدون تاريخ
٤٩ ـ جامع الأحاديث ـ للجامع الصغير وزوائده ـ للامام السيوطي ـ
جمع وترتيب عباس أحمد صقر، واحمد عبد الجواد ـ ط مطبعة خطاب
٥٠ ـ الحكيم الترمذي ونظريته في الولاية، للدكتور عبد الفتاح بركة ـ
ط مجمع البحوث الاسلامي
٥١ ـ كتاب ختم الأولياء للحكيم الترمذي
تحقيق الدكتور عثمان اسماعيل يحيى ـ ط الكاثوليكية بيروت
٥٢ ـ كشف الخفاء ومزيل الالباس، لاسماعيل بن محمد العجلوني ـ
ط القدسي القاهرة ١٣٥١ هـ
٥٣ ـ كنز العمال ـ لعلي المنقى بن حسام الدين الهندي
ط ـ حيدر آباد

٥ ـ فهرس موضوعات المقدمة

٦ ـــ فهرس موضوعات الجزء الأول من كتاب نوادر الأصول